

الجنسانية مهمّة

الجنسانية مهمّة

تحرير النسخة العربية
د. ديما دبوس - سنسغ

الجامعة اللبنانية الأميركية
معهد الدراسات النسائية في العالم العربي

الجنسانية مهمة

الجزء 37، العدد 5
تشرين الأول (أكتوبر) 2006
النسخة العربية-حزيران 2009

- 6 توطئة النسخة العربية
10 المختصرات
13 ملخصات
21 تعريف بالمساهمين والمساهمات
27 المقدمة: الجنسية مهمة
أندريا كورنول (Andrea Cornwall) وسوزي جولي (Susie Jolly)

الجنسانية والتنمية

- 42 الجنسية والتنمية: قصة في صور
صونيا كوريا (Sonia Corrêa)
51 استكشاف صلات بين الجنسية وحقوق معالجة الفقر
هنري أرماس (Henry Armas)
58 "العرق"، الثقافة، السلطة، الجنس، الشهوة، الحب: الكتابة عن "الرجال الذين يمارسون
الجنس مع رجال آخرين"
أنديل غوسين (Andil Gosine)
68 إسترداد تواريخ الترافستي
جيسيبي كامبوزانو (Giuseppe Campuzano)

الحقوق الجنسية

- 76 الحقوق الجنسية هي من حقوق الإنسان - ولكن كيف يمكننا إقناع الأمم المتحدة؟
كايت شيل (Kate Sheill)
83 تنمية الحقوق الجنسية: تحديات واتجاهات في أمريكا اللاتينية
روجير روب ريس (Roger Raupp Rios)
90 تأملات في لغة الحقوق من منظور أحرار الجنس
جايا شرما (Jaya Sharma)
97 اللواط في الهند: من جرائم الجنس أم حق من حقوق الإنسان؟
سوميت بود (Sumit Baudh)

الجنسانيّات في السياق

- 105 استحالة إيجاد حقوق جنسيّة للطفل في روايات الاطفال عن فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز في افريقيا الجنوبية
ديفيا بهانا (Deevia Bhana)
- 112 سلطات صغيرة، خيار ضئيل: الحقوق التناسلية والجنسيّة في إطار أحياء فقراء بنغلاديش
سبينا فايز راشد (Sabina Faiz Rashid)
- 122 الجنسانيّة وحقوق النساء الجنسيّة في غامبيا
إيزاتو توراي (Isatou Touray)
- 131 الجنس وحقوق الرجل
ألان غريغ (Alan Greig)

سلطة اللذة

- 137 إثارة الشهوة الجنسيّة، الحسيّة، و"أسرار النساء" عند الباغاندا
سيلفيا تامال (Sylvia Tamale)
- 149 تعزيز الحسيّة من أجل علاقات جنسيّة أكثر أماناً بين الرجال في الهند
أنوبام هازرا (Anupam Hazra)
- 160 إعادة الإثارة إلى علاقات جنسيّة أكثر أماناً: "مشروع اللذة" (The Pleasure Project)
ويندي كنير (Wendy Knerr) وآن فيلبوت (Anne Philpott)
- 167 تغيير شروط الاحتكاك واللمس: البحث في اللذة في وباء فيروس نقص المناعة المكتسبة
جيل لويس (Jill Lewis) وجيل غوردون (Gill Gordon)

الناشطية والعمل

- 176 تعزيز الحقوق الجنسيّة من خلال التربية على حقوق الإنسان: تجارب قاعدية في تركيا
ليز إركيفيتش أمادو (Liz Ercevik Amado)
- 184 "حميميّة مطاردة رجل: يا رجل نظّف الحمام": النساء، اللذة الجنسيّة، العنف على أساس النوع الاجتماعي وفيروس نقص المناعة المكتسبة
أليس ويلبورن (Alice Welbourn)
- 189 أخوات المهبل، رجال يبكون، نجوم مسلسلات تلفزيونية وسوشي:
قصة مونولوجات المهبل في بلغراد
يلينا دجوردجيفيك (Jelena Djordjevic)
- 195 نضال عاملات الجنس في بنغلاديش: التعلّم من أجل الحركة النسائية
شرين حق (Shireen Huq)

توطئة النسخة العربية

المعرّضين أكثر من غيرهم للوباء على استخدام الواقي الذكري خلال ممارسة الجنس (Condoms to be used only by high risk groups). أما البلدان العربية، فلطالما كانت في طليعة المتصدّين لجهود طرح موضوع الميول الجنسية للبحث، مما أفشل جميع المحاولات من أجل طرحها كحقّ من حقوق الإنسان التي تحميها الأمم المتّحدة. إنّ وفرة القوانين والممارسات المحليّة في البلدان العربية التي تقمع وتجرّم الاستقلال الجنسي والجسدي، دليل واضح على المعارضة الشديدة للحقوق الجنسية على الساحة الدولية من قبل دول مسلمة وعربية محافظة. كما أنّ هذه القوانين والممارسات تتحمّل مسؤولية إضفاء غطاء شرعيّ على استمرار الانتهاكات لحقوق الإنسان المتعلّقة بالجنسانية في المجالين الخاص والعام في هذه البلدان.

إنّ مقاومة أي نوع من الاعتراف بدور وأهميّة الجنسانية في البلدان العربية تصل إلى حدّ رفض الثقافة الجنسية التي تتوجّه للتلامذة المراهقين والمراهقات والتي تراعي شروط المجتمع المحافظ إلى أقصى درجة، مع أنّ هذه الثقافة الجنسية تهدف فقط إلى الوقاية ومناهضة المشاكل الصحيّة الطارئة مثل الأمراض المنتقلة جنسياً (فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز) بشكل خاصّ. وتشهد على هذا الواقع الإخفاقات التي سُجلت حديثاً في لبنان فيما يتعلّق بإدخال الثقافة الجنسية على البرامج المدرسية للتلامذة في مرحلة المراهقة، على الرّغم من أنّ لبنان هو من أكثر البلدان العربية إنفتاحاً بالنسبة للعلاقات الاجتماعيّة بين الجنسين (Baydoun 2008).

لعلّ اللّغة المُستخدمة حالياً للدلالة على الميول

لقد طُرِح مفهوم "الحقوق الجنسية" على الأجندا الدولية للمرة الأولى خلال الإعداد والتحضير للمؤتمر الدولي للسكان والتنمية (ICPD) الذي نظّمته الأمم المتحدة في القاهرة عام 1994. إلّا أنّ هذا الطرح لم يلقَ إستحسان العديد من المبعوثين وأدّى إلى نقاشات حادّة بين المشاركين أسفرت بدورها ليس فقط إلى عدم إدراج مفهوم الحقوق الجنسية في وثيقة التفاهم النهائيّة للمؤتمر، لا بل إنّ هذا المفهوم بقي من أبرز المواضيع المثيرة للنقاش والاختلاف بعد عام من هذا المؤتمر، خلال المؤتمر العالمي الرابع للمرأة الذي انعقد في بيجين. وقد جاء الاعتراض الأشدّ على استخدامه من قبل حلف المبعوثين المسلمين والمسيحيين المحافظين (Ilkharacan 2008). ومن المؤكّد أنّ المواضيع المتعلّقة بالجنسانية بشكل عام - سواء سيطرة المرأة على جسدها أو الإجهاض أو الميول الجنسية - كانت أكثر المواضيع إثارة للخلافات والجدل من بين المواضيع الأخرى التي طُرحت خلال المؤتمر العالمي الرابع للمرأة. كما أنّه منذ مؤتمر بيجين هذا تعرّضت محاولات التطرّق لمختلف الحقوق الجنسية في وثائق الأمم المتحدة إلى الرفض بشكل مستمر، من قبل الدول الاسلاميّة والمسيحية في أغلب الأحيان، وبدعم من الفاتيكان وبعض الدول في أفريقيا وأميركا الجنوبيّة. ولقد كانت الولايات المتحدة الاميريكية، خلال ولاية جورج بوش الابن خصوصاً، في صدارة المعارضين على التطرّق إلى الحقوق الجنسية والجسدية والتناسلية، وروّجت لمقاربة للحماية من الإيدز معروفة بالـ ABC approach to AIDS prevention (ألفباء الوقاية من الإيدز) تدعو الى الحماية من هذا الوباء من خلال عدم ممارسة الجنس (Abstinence)، والوفاء للشريك (Being faithful)، وحث الأشخاص

والجنسية، تظهر جلياً إلى أي مدى ما زال موضوع الجنسية والحقوق الجنسية محرّمين في البلدان العربية، وإلى الصعوبات التي واجهناها خلال ترجمة معظم التعبيرات المتعلقة بالجنسانية في هذا العدد من نشرة معهد الدراسات للتنمية (IDS Bulletin). في الواقع، لقد ازداد اهتمام الباحثين في موضوعي النوع الاجتماعي واللغة بمعرفة كيف تمثّل وتركب هويّة النوع الاجتماعي والهوية الجنسية وكيف يتم التفاوض عليهما في اللغة (Santaemilia & Bou 2008). والأهم من ذلك بالنسبة لهذه المقاربة البنائية الاجتماعية (social constructivist approach) يجري إضفاء غطاء شرعي وتطبيع لواقع معيّن من خلال اللغة، ألا وهو واقع الجنسية المغايرة واعتبار الجنسية المغايرة معياراً. وبناء على ذلك إنّ أي انحراف عن المعيار لا يعاقب عليه القانون فقط (كما ذكرنا أعلاه بالنسبة للبلدان العربية)، لا بل إنّهُ يُحقّر ويُرفض بطريقة رمزية (symbolically)، أي لغوياً. وهذا يفسّر إلى حدّ بعيد تكاثر وازدياد التعبيرات المهينة المتعلقة بالجنسانية، وأعني بالتحديد أنواع الجنسية غير المغايرة والمختلفة عن الجنسية السائدة التي تُعتبر معياراً. ومما يزيد هذا الواقع سوءاً هو غياب لافت لخطاب بديل يتحدّى مفاهيم الجنسية السائدة في العالم العربي. ومثال على ذلك، إنّ كلمة "مثلي" والتي تعني (homosexual) هي كلمة أدخلت حديثاً على اللغة العربية، ولكنها لا تزال غير موجودة في معظم القواميس والنصوص القانونية التي صدرت في القرن الواحد والعشرين باللغة العربية، وهي نادراً ما تُستخدم من قِبَل الإعلاميين عندما يغطون نشاطات وأحداثاً متعلّقة بالمثليين. بينما نجد أنّ هنالك استخداماً مفرطاً للمرادف المحقّري كلمة "لوطي". ويتفاقم هذا الواقع عندما يتطرّق الحديث أو النصّ إلى أنواع أخرى من الجنسية المخالفة أكثر تطرفاً مثل "أحرار الجنس" (queer) و"مغيّري النوع الاجتماعي" (transgender)

وغيرهم، حيث أنّ التعبيرات والمصطلحات التي تُستخدم للإشارة إليهم مفقودة تماماً. وعلى ضوء هذا الواقع، ومن أجل ترجمة هذا العدد من النشرة الذي يتحدّى في مضمونه/خطابه ولغته أنواع الجنسية المهمّنة، قرّرنا استعمال المصطلحات (في معظم الأوقات غير المعروفة) التي يُستخدمها الأفراد المهمّشين أنفسهم لوصف جنسائيتهم المخالفة للمعايير السائدة في العالم العربي. لقد قرّرنا المضي في هذا الخيار مع العلم أنّ في ذلك مجازفة، إذ قد يجد القارئ/القارئة صعوبة في التعرّف إلى بعض هذه المصطلحات والكلمات (مما دفعنا إلى إضافة معجم خاص لترجمة المصطلحات المتعلقة بالجنسانية). إنّ قرارنا هذا يعود أيضاً إلى وجود جنسانيات وهويّات جنسية بديلة، من حقّها أن نتحدث عنها ونشير إليها بنوع من التجرّد العلمي من دون استخدام كلمات وتعبيرات ومصطلحات سلبية، تعكس نظرة المجتمعات العربية الراضة لهذه الهويّات والممارسات في حقبة ما من تاريخها المعاصر.

وبصفتي محرّرة النسخة العربية لنشرة معهد دراسات التنمية عن موضوع الجنسية هذه، أجد أيضاً لافتاً جداً عدم احتواء هذا العدد أيّة مقالة من/وعن العالم العربي. وفي اعتقادي أنّ هنالك أسباباً عدّة تفسّر هذا الغياب ولا يمكن تفنيدها وشرحها في هذه التوطئة. ومع ذلك، ورغم تعدّد هذه الأسباب، يبقى أمرٌ واحدٌ مؤكّداً: على عكس ما يؤدّ اعتقاده بعض الصفائيين الذين يرفضون كل ممارسات وعادات ثقافية يعتبرونها دخيلة على ثقافتهم وغير أصيلة والايديولوجيين الذين يناهضون ثقافة الغرب، كون موضوع الميول الجنسية لا يزال محرّماً في البلدان العربية ومغيّياً تماماً في الخطاب العام، لا يعني أبداً عدم وجود أشخاص ومجموعات أعضاءؤها ذوو جنسانيات تختلف عن الجنسية السائدة التي تُعتبر معياراً في العالم العربي. ودليل على ذلك أنّ جمعيات محلية

الإجتماعي والتعبير عنه، وذلك يعود الى السببين التاليين: الأول، إنّ عمل المؤسسات والممولين الدوليين مجبول بالذهنية التي تعتبر الجنسية المغايرة معياراً؛ والثاني، لأنه في كل مرة يُذكر النوع الإجتماعي يكون المقصود حصرياً فئة من اثنتين، إمّا ”نساء“ أو ”رجال“، حيث النساء هنّ دائماً الضحايا والرجال هم المضطهدون.

بالإضافة إلى هذا كلّ تجدر الإشارة إلى أنّه حين يكون العمل التنموي على مستوى قاعدي ويهدف إلى التدخل الصحيح من أجل مكافحة انتشار فيروس نقص المناعة المكتسبة، لا يستطيع أن يتبنّى أي برنامج يصاغ على أساس مفاهيم تصوّر الجنسية المعيارية أنها الجنسية المثالية لأنه في هذا الحال لن يصيب الهدف (Corwall & Jolly 2009). بمعنى آخر، إذا كنّا نريد فعلاً إيجاد حلول مناسبة للمشاكل الصحية السائدة والأمراض المنقولة جنسياً ضمن العمل التنموي، يجب التسليم بأنّ هنالك أكثر من طريقة لاختبار وممارسة الجنسية، وأنّ الناس يتمتّعون في الواقع بحريّة الاختيار من بين هذه الطرق. كما أنّنا نأمل أنّ اهتماماً حقيقياً بأمور الصحة من هذا النوع قد يفتح الطريق لأول مرة أمام مقارنة مبنية على الحقوق في موضوع الجنسية في العالم العربي والشرق الاوسط الاوسع، وتتناول كل الجنسيات التي لا تشملها المركبات السائدة في النظام الأبوي التي تفرض إعتبار الجنسية المغايرة معياراً وتحدّد الممارسات الجنسية ”الصحيحة والخاطئة“. ومن هذا المنطلق، بالإضافة الى المثليات والمثليين ومزدوجي الميول الجنسية ومغيّري النوع الإجتماعي ومزدوجي الجنس وأحرار الجنس (م.م.م.م.أ.) تشمل هذه المقاربة أيضاً النساء وأحياناً الرجال الذين يختارون أن يعيشوا خارج حدود معايير النظام الأبوي الذي يفرض اعتبار الجنسية المغايرة معياراً، مثل النساء اللواتي يخترن عدم الزواج، واللواتي يعبّر

تدافع عن الحقوق الانسانية للمثليين والمثليات مثل ميم (Meem)¹ وحلم (Helem)² بدأت تظهر حديثاً ولأول مرّة في لبنان. وهذه الجمعيات تناضل علناً في سبيل تغيير القوانين المجحفة بحق المثليين والمثليات والأفكار السائدة والسلبية حول المثليات والمثليين ومزدوجي الميول الجنسية ومغيّري النوع الإجتماعي ومزدوجي الجنس وأحرار الجنس (م.م.م.م.أ.). ولقد نظمت جمعية حلم في مطلع عام 2009 حملة من أجل تعديل المادّة 534 من قانون العقوبات التي تنصّ أنّ ”كل مجامعة على خلاف الطبيعة“ تُعاقب بالحبس لمدة قد تصل حتى سنة واحدة (El-Jurdi 2009). هذا مع العلم أنّ هذه المجموعات لا تزال تشكل ظاهرة فريدة ونادرة جداً في العالم العربي (Nadine 2009).

في الواقع، كما يشير بعض المثقّفين والباحثين والاساتذة الجامعيّين المختصّين من هذه المنطقة، إنّ النفاق يطغى في الشرق الأوسط عندما يتعلّق الأمر بالميول الجنسية ”إذ أنّ هنالك وفرة من الدلائل والبراهين واعترافاً واسع النطاق أنّ الجنسية المثلية منتشرة في المنطقة بكثافة منذ قرون“ (Ilkcaracan 2008: 8). ولقد ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك في أبحاثهم حيث تحدّوا فكرة أنّ موقف الإسلام متجانس فيما يتعلّق بموضوع الجنسية مؤكّدين أنّه كان متغيّراً ولم يكن فقط قمعياً عبر التاريخ (Amado 2009).

وفي نهاية هذه التوطئة، يجب أن نلفت انتباه القارئ/القارئة إلى أنّ لتحديّ اعتبار الجنسية المغايرة معياراً من خلال هذا الإصدار الأثر المباشر والعميق في العمل التنموي كما يناقش المساهمون فيه، بمعزل عن النقاش حول ”أخلاقية“ (أو عدم أخلاقية) الجنسيات التي تختلف عن الجنسية السائدة في مجتمع ما. إنّ هذا العدد من نشرة معهد دراسات التنمية يُظهر أيضاً أنّنا بعيدون جداً من بلوغ مرونة أكثر وتشعّب على مستوى هوية النوع

المراجع

- Cornwall, Andrea and Susie Jollie (2009) 'Sexuality and the Development Industry', *Development*, 52.1: 5-12
- El-Jurdi, Aline (2009, June) 'A Call for Liberation', *LAU Tribune*: 6
- Ercevik Amado, Liz (2009) 'Sexuality and Sexual Rights in Muslim Societies', *Development* 52.1: 59-63
- Ilkcaracan, Pinar (ed.) (2008) *Deconstructing Sexuality in the Middle East: Challenges and Discourses*, Hampshire: Ashgate Publishing Limited
- Nadine (2009) "Feminists Reclaiming Creativity, Unity, Numbers and Time", *Development* 52.1: 56-8
- Santaemilia, Jose and Bou, Patricia (eds.) (2008) *Gender and Sexual Identities in Transition: International Perspectives*, Newcastle upon Tyne: Cambridge Scholars Publishing.
- Shararah Baydoun, Azzah (2008) 'Sex Education in Lebanon: Between Secular and Religious Discourses', in Pinar Ilkcaracan (ed.), *Deconstructing Sexuality in the Middle East: Challenges and Discourses*, Hampshire: Ashgate Publishing Limited
- Zuhur, Sherifa (2008) 'Criminal Law, Women and Sexuality in the Middle East', in Pinar Ilkcaracan (ed.), *Deconstructing Sexuality in the Middle East: Challenges and Discourses*, Hampshire: Ashgate Publishing Limited

صراحة عن رغباتهن الجنسية، والشابات اللواتي يختبرن جنسانيتهن بطرق تختلف عن تلك التي تفرضها عليهن العائلة والمجتمع، إلخ. (Amado in Ilkcaracan 2008 p: 9)

وأهم ما يجب التشديد عليه في ختام هذه التوطئة هو أن مفهوم الحقوق الجنسية، بالإضافة إلى الدور الأساسي الذي يستطيع أن يؤديه في مجال التنمية والصحة العالمية، يعني حق كل إنسان بالسعادة الجنسية، وبالحرر من القمع والإكراه والعنف فيما يتعلق بالجنس. إنه مفهوم يتحدى المفهوم التقليدي القائم على اعتبار الجنسية شيئاً سيئاً ومشوهاً، ويدفعنا إلى التفكير بالجنسانية كحق إيجابي للوصول إلى السعادة التي يمكن لكل إنسان التمتع بها.

د. ديماء دؤوس - سنسنغ

مديرة معهد الدراسات النسائية
في العالم العربي
الجامعة اللبنانية الأميركية

ملاحظات

1 بريد مستعجل (*Bareed Mista3jil*) هو كتاب صدر عن جمعية ميم عام 2009، وهو يتضمّن 41 قصّة باللغتين الإنكليزية والعربية تركز على مقابلات أجريت في لبنان مع 150 شخص من المثليات والمثليين ومزدوجي الميول الجنسية ومغيّري النوع الاجتماعي ومزدوجي الجنس وأحرار الجنس (م. م. م. م. أ.). خلال عامي 2007 و2008. لمزيد من المعلومات عن هذا الكتاب راجع:

<http://www.meemgroup.org>

2 برّا (Coming Out of the Closet) هي مجلة تصدر عن جمعية حلم وهي أول مجلة تتناول أمور وشؤون المثليات والمثليين ومزدوجي الميول الجنسية ومغيّري النوع الاجتماعي ومزدوجي الجنس وأحرار الجنس (م. م. م. م. أ.). النسخة الإلكترونية لهذه المجلة متوافرة على الموقع التالي:

<http://helem.net/node/148>

ACRONYMS

المختصرات

ABIA	Brazilian Interdisciplinary AIDS Association
AHV	Associacion des Hombres contra la Violencia
AIDWA	All India Democratic Women's Association
ASAAP	Alliance for South Asian AIDS Prevention
ANIS	Institute of Bioethics, Human Rights and Gender
ARSRC	Africa Regional Sexuality Resource Centre
ATC	Anti-Trafficking Center
BPFA	Beijing Platform for Action
Black CAP	Black Coalition for AIDS Prevention
CCHR	Citizens Commission on Human Rights
CDP	Commission on Population and Development
CEDAW	Convention on the Elimination of All Forms of Discrimination Against Women
CHR	Commission on Human Rights
CLAM	Latin American Center on Human Rights and Sexuality
CHRI	Commonwealth Human Rights Initiative
CSW	Commission on the Status of Women
DAWN	Development Alternative with Women for a New Era
DFID	Department of International Development
DFPA	Danish Family Planning Association
GAMCOTRAP	Gambian Committee on Traditional Practices
HREP	Human Rights Education Program for Women
IAC	Inter-African Committee
IAWS	Indian Association of Women's Studies
ICESCR	International Covenant on Economic Social and Cultural Rights
ICCHRLA	Inter-Church Committee on Human Rights in Latin America
ICCPR	International Covenant on Civil and Political Rights
ICPD	International Conference on Population and Development
ICRSE	International Committee on the Rights of Sex Workers in Europe
ICW	International Community of Women Living with HIV/AIDS
IDS	Institute of Development Studies
IISD	Institute for International Social Development
IPPF	International Planned Parenthood Federation
ISS	Institute of Social Studies
LGBT	Lesbians, Gays, Bisexual, and Transgender
LSE	London School of Economics
MDG	Millennium Development Goals

MMS	Multimedia Messaging Service
MOVE	Men Overcoming Violence
MPH	Masters in Public Health
MRC	Medical Research Council
MRTA	Peruvian Túpac Amaru Revolutionary Movement
MSM	Men Who Have Sex with Men
NSWP	Network of Sex Work Projects
PPC	Power, Participation and Change
PRISM	People for Rights of Indian Sexuality Minorities
PUCP	Pontificia Universidad Católica del Perú
SAATHII	Solidarity and Action Against the HIV Infection in India
SHF	Sewing a Healthy Future
SRHR	Sexual and Reproductive Health Rights
SIDA	Swedish International Development Cooperation Agency
SDC	Swiss Agency for Development and Cooperation
UAF	Urgent Action Fund for Women's Human Rights
UFRGS	Universidade Federal do Rio Grande do Sul
UNAIDS	United Nations Joint Programme on HIV/AIDS
UNGASS	United Nations General Assembly Special Session
UNICEF	United Nations Children's Fund
WHO	World Health Organization
WWHR - New Ways	Women from Women's Human Rights – New Ways

ملخصات

المقدمة: الجنسية مهمة

أندريا كورنوال (Andrea Cornwall)

سوزي جولي (Susie Jolly)

الجنسانية والتنمية على ضوء دورة تاريخية أطول. هذه المقالة تقدّم مراجعة للعقود الثلاثة الأخيرة من خلال صور، مبيّنة مختلف المؤثرات من سبعينات القرن العشرين التي أدّت إلى إجماع واشنطن وكتاب Foucault تاريخ الجنسية، وحتى التناقضات الحالية في تسعينات القرن العشرين وعام 2000، حيث يواجه التقدم في النضال من أجل الحقوق الجنسية نمو التيارات المحافظة والأصولية. هذه الحقبة تظهر أن النضال الحالي في سبيل الحقوق الجنسية متجذّر في التاريخ الحديث، وتبين كيف تظهر الموضوعات نفسها ثانيةً وتكتسب معنى جديداً على مرّ الأيام. ولكن كيف تناولت التنمية قضية الجنسية خلال هذا التاريخ؟ إن اللغة التنموية المتعلقة بالجنسانية بعيدة عن الشفافية. فهي لا تتكلّم مباشرة على الجنسية ولكنها موجودة باستمرار. وهذا ما يبيّنه بوضوح خطاب التنمية السكانية الذي يتجنّب تماماً قضية الجنسية كأن الإنجاب ممكن في غياب العلاقة الجنسية. إلا أن تعميم اللغة على الجنسية أخذ ينفجر الآن بفضل الخطاب حول الحقوق الجنسية. ويمكن إيجاد إمكانيات لمزيد من التقدم بواسطة اتخاذ مقاربة سياسية اقتصادية تتناول التفاعل بين الجنسية والنظام البنائي كالطبقة والعرق والنوع الاجتماعي، وتعترف بالجنسانية كمصدر خير وحقوق وإنجاز.

استكشاف صلات بين الجنسية وحقوق معالجة الفقر

هنري أرماس (Henry Armas)

عولجت الجنسية والحقوق الجنسية عادة على أساس أنها ثانوية بالنسبة للقضايا الهامة

تتناول نشرة معهد دراسات التنمية (Institute of Development Studies) هذه موضوعاً أهملته برامج التنمية المعتمدة باستمرار: الجنسية. يتضمن الجنس والجنسانية معاني عميقة بالنسبة للتنمية ولهما علاقة وثيقة بكل أبعاد الفقر. وما من أمر أساسي أكثر من حقنا على أجسادنا. إلا أن إهمال الجنسية في التنمية، وتناولها على أنها إما "قضية صحية" أو "ترف"، يعني أن اهتماماً قليلاً جداً أُعير لما تتضمّنه من أبعاد أوسع بالنسبة لخير البشر. هذه النشرة تسعى إلى إظهار سبب أهمية الجنسية وتبين أن الناس يهتمون بها، وأنها جزء هام في حياة السود الأعظم منهم. وقد أصبح للسياسات والممارسات التنموية تأثير واضح - كثيراً ما يأتي سلبياً - في الجنسية. كثيراً ما يكون للمعايير الاجتماعية التي تحاول أن تكبح الجنسية وتتحكّم بها أثر سلبي جداً في حياة الناس على الصعيدين المادي والعاطفي على السواء. ينبغي للتنمية أن تعترف بأهميّة الجنسية، أن تتجاوز حدود السلبية نحو مقاربة أكثر إيجابية وتركيزاً على اللذة، وأن تثبت أن لنا حقاً أساسياً بالاستقلالية جسدياً وجنسياً. والمساهمون في هذه النشرة يقدّمون أمثلة كثيرة تبين كيف يمكن تحقيق ذلك.

الجنسانية والتنمية: قصة في صور

سونيا كوريا (Sonia Corrêa)

يجب النظر إلى المناقشات الدائرة حالياً حول

حقاً. تستكشف هذه المقالة الصلات بين الحقوق الجنسية وحقوق أخرى تعتبر من أولويات التنمية مثل الصحة والعلم وحقوق العمل. إنَّ هذه المقالة لا تُظهر أنَّ الحقوق الجنسية هي بأهمية تلك الحقوق الأخرى نفسها. بل تؤكد أنَّ الحقوق الجنسية هي هذه الحقوق جميعاً بما أنَّ للجنسانية والمعايير الإجتماعية المحيطة بها تأثيراً كبيراً في الصحة والتعليم والعمل. ويستشهد الكاتب بختان الإناث فضلاً عن ”الختان المعنوي“ لرغبة النساء، بما في ذلك الخجل والشعور بالذنب، ومع ما لذلك كله من تأثير مباشر في الخير العام وفي الصحة الجسدية والعقلية؛ فالصبيان المخنثون والبنات الحبالى أكثر تسرباً من المدارس نتيجة التنمر عليهم والضغط الإجتماعي وانعدام الدعم؛ وأرباب العمل والزملاء يميّزون في العمل ضد المثليات والمثليين ومزدوجي الميول الجنسية ومغفّري النوع الإجتماعي (م.م.م.م.). (LGBT). إنَّ الحقوق الجنسية جزء لا يتجزأ من حقوق الإنسان الأخرى. وادعاء عكس ذلك لن يؤدي إلا إلى إضعاف استراتيجياتنا لنيل المزيد من الحقوق.

¹إسترداد تواريخ الترافستي
جيسیبي کامبوزانو (Giuseppe Campuzano)

كانت التفرقة بين الذكور والإناث في البيرو ما قبل الإستعمار أكثر مرونة من الآن. لقد وُجدت هوية وثقافة تقليديتان للترافستي (Travesti)، أو مغَيَّرِي النوع الإجتماعي/المتنكرين بلباس الجنس الآخر (transgender/transvestite)، وأدَّت دوراً هاماً في دين السكان ومجتمعهم. إنَّ الاستعمار ومن بعده التنمية كبتا هذه الهويات والمجتمعات، مع أنَّ الترافستي البيروفي بقي، في بيرو المعاصرة، يواجه عنف الجمهور والشرطة، بالإضافة إلى إقصاء إقتصادي وتمييز ضده من قبل الخدمات الصحية. فالترافستي يتخذون لأنفسهم أسوأ الأدوار من النوعين الإجتماعيين. إنَّهم يُعتبرون أحياناً ذكوراً وبذلك ترى الشرطة أن من حقها أن تعاملهم بعنف. لكنَّهم يتَّخذون أيضاً بعض مظاهر المرأة الهستيرية المنمَّطة، فيغيرون أجسادهم ولو على حساب صحتهم، ويختارون شركاء عنيفين يغاللون في ذكورتهم (macho)، كما يختارون تأدية دور المتلقَّى في العلاقات الجنسية. ويحتاج

”العرق“، الثقافة، السلطة، الجنس، الشهوة،
الحب: الكتابة عن ”الرجال الذين يمارسون
الجنس مع رجال آخرين“
أنديل غوسين (Andil Gosine)

أسماء عديدة تعطى لهويات وممارسات توحى أو تتضمن علاقات جنسية بين الرجال: شاذ، مثلي، الغندور، غلام، لوطي، طبعي، أعزب، إلخ. أمّا على صعيد التنمية الدولية، فقد أصبح "الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين" (MSM) هو الوصف المفضّل بدلاً من التسميات الكثيرة لرغبة الرجال في ممارسة الجنس مع رجال آخرين. وقد تمّ اقتراح هذا المصطلح كبديل للمثلي أو مزدوج الميول الجنسية من قبل ناشطين قاعديين وعاملين في مجال الرعاية الصحية أقلقهم تأثير

تنمية الحقوق الجنسية: تحديات واتجاهات في
أميركا اللاتينية
روجير روب ريوس (Roger Raupp Rios)

في السنوات الأخيرة أعارت المؤسسات في أميركا اللاتينية حقوق المثليات والمثليين ومزدوجي الميول الجنسية ومغيري النوع الاجتماعي (م.م.م.م.) مزيداً من الاهتمام، وقد كسبوا حقوقاً قانونية في مختلف أنحاء القارة. تستخدم هذه المقالة دراسة رموز أطر قانونية لتبحث في الاتجاهات والتحديات والإمكانيات التي يمكن أن تعزز جهود معالجة التمييز على أساس الاتجاهات الجنسية في أميركا اللاتينية. وتبين المقالة أن حسن فهم حقوق هذه الفئات وتعميقه وكيفية حمايتها وتعزيزها على صُعدٍ عدة تشكل مهمة ضرورية للسلطات الشرعية والمهنيين والمجتمع المدني. إن السير في هذا الاتجاه يمكن أن يؤسس لحوار مثمر بين التشريع والقضاء والسياسات العامة ومبادرات المجتمع المدني. وهذه الدينامية تستطيع أن تدفع إلى التغلب على ثقافة تستثني وتوصم الـ م.م.م.م.، كما تساعد للتغلب على مناهضي حرية التعبير الجنسي.

تأملات في لغة الحقوق من منظار أحرار
الجنس
جايا شرما (Jaya Sharma)

إن لغة الحقوق قيمة كبرى بالنسبة لحركة أحرار الجنس (queer)، لا سيما في سياق مطالبة الدولة. إلا أن لغة الحقوق حدوداً هامة لا بد من ملاحظتها. وهذا ما تركز عليه هذه المقالة مستندة إلى تجربة منتدى PRISM، وهو منتدى ناشطين من أحرار الجنس في دلهي، الهند. إن لغة الحقوق تدخلنا في إطار سياسات هوية محدود، كما تسمح لحركات تقدمية أخرى بأن تقدم دعمها من مسافة "أمنة". فاستخدام محدود للغة

الترافستي إلى نوع جديد مما بعد النسوية ليتمكنوا من اختيار فعال حول أي نوع اجتماعي يريدون، وأن يعيشوا هذا الخيار بالنسبة للنوع الاجتماعي بطرق تثبت ذواتهم. إن لكل إنسان حاجة إلى حق الاختيار والتحول بين هويات النوع الاجتماعي، سواء كانت ذكورية، أنثوية أو مزيجاً من الاثنين معاً.

الحقوق الجنسية هي من حقوق الإنسان - ولكن
كيف يمكننا إقناع الأمم المتحدة؟
كيت شيل (Kate Sheill)

عام 1995 أوضح منهاج عمل بيجين الحقوق الجنسية. إلا أن المبادئ التي تم الاتفاق عليها منذ سنين عديدة، تعتبر الآن أكثر راديكالية من أن ترد في نصوص جديدة. ما هي إمكانية التقدم في وجه هذا التراجع، وفي وقت تعمل قيود الدعم المالي على إسكات الناشطين؟ بناء على أمثلة من لجنة حقوق الإنسان، ومن اللجنة التاسعة والأربعين لوضع المرأة (بيجين زائد عشرة) ومن لجنة السكان والتنمية، تبحث هذه المقالة في عقبات التقدم وتحديات الإبقاء على الوضع الراهن والفرص التي يجب انتهازها إذا أردنا أن نحقق إمكانيات الحقوق الجنسية. ينبغي لنا أن لا نضيع ما ربحناه بجهد من المؤتمر الدولي للسكان والتنمية، ومن المؤتمر العالمي الرابع للمرأة وغيره. ولكننا لا نستطيع أن نتوقف عند هذا الحد. بعد أن أمضينا ما أمضينا على خط الدفاع، علينا أن نتخطى الآن التركيز على النماذج السلبية الواقية، وإيجاد أساليب لتطوير فهم الحقوق الجنسية وتطبيقها. إننا بحاجة إلى بناء ثقافة جنسانية جديدة تسمح للأفراد بأن يتصرفوا باستقلالية، ويتحملوا مسؤولية أعمالهم، ثقافة تعزز الاحترام المتبادل فضلاً عن الخيار والتعبير واللذة الفردية.

تعتبر المادة 377 مثلاً مناسباً لاقتراح حق إنساني جديد أوسع: الحق بالاستقلالية الجنسية.

استحالة إيجاد حقوق جنسية للطفل في روايات الاطفال عن فيروس نقص المناعة المكتسبة/ الإيدز في أفريقيا الجنوبية
ديفيا بهانا (Deevia Bhana)

تشرط إستراتيجية أساسية في محاربة فيروس نقص المناعة المكتسبة/ الإيدز الحفاظ على حقوق المصابين أو المعرضين للإصابة. ولكن بسبب علاقة ذلك بالجنسانية كثيراً ما تغفل حقوق الأولاد، وبدلاً من ذلك يعتبرونهم أبرياء أو يجهلون الجنسية وفيروس نقص المناعة المكتسبة/ الإيدز. إن المقالة تتحدّى هذا التصوير بناء على دراسة أولاد في السابعة والثامنة من منطقة سكانها من السود في كوازولو - ناتال (KwaZulu-Natal) في جنوبي أفريقيا. إكتشفت الباحثة أنّ الأولاد كانوا يعرفون كثيراً وأنّ بإمكانهم أن يكلموها بكل راحة عن الإيدز والجنس والواقي الذكري. ولكنهم كانوا قد تعلّموا أيضاً أنّ من غير المفروض أن يذكروا مثل هذه الأمور أمام المعلمين والأهل، وإلا عوقبوا. تتناول المقالة كيفية ممارسة الأولاد لمعلوماتهم عن فيروس نقص المناعة المكتسبة/ الإيدز والجنسانية، وكيف يتكيّفون ويتعاملون معها. وتخلص المقالة إلى اقتراحات حول إمكانية امتلاكهم حقوقاً جنسية في الطفولة المبكرة.

سلطات صغيرة، خيار ضئيل: الحقوق التناسلية والجنسية في إطار أحياء فقراء بنغلاديش
سبينا فايز راشد (Sabina Faiz Rashid)

ما مصير الشابات المتزوجات في الأحياء الفقيرة من مدن بنغلاديش؟ هذه المقالة مبنية على عمل ميداني إثنوغرافي عميق أجري بين كانون الأول 2001 وكانون الثاني 2003 في حي فقير في دكا

الحقوق يساعد على المحافظة على خطاب الوضع الراهن مما لا يتيح المجال في التعامل مباشرة مع تقاطع عوامل التمييز (Intersectionality)، واعتبار الجنسية المغيرة معياراً، وما يؤدي الى قلبها. فالمقالة تنادي بترسيخ لغة الحقوق في سياسات أحرار الجنس/ النسوية لكي يتغيّر تعاملنا مع الجنسية.

اللوّاط في الهند: من جرائم الجنس أم حق من حقوق الإنسان؟
سوميت بود (Sumit Baudh)

إنّ في العالم أنواعاً كثيرة من الأعمال والممارسات والهويات الجنسية. لقد انبثقت لغة الحقوق الجنسية الحالية إلى حد بعيد من تناول مواضيع تتعلّق بالمثلثات والمثليين ومزدوجي الميول الجنسية ومغيّري النوع الاجتماعي (م.م.م.م.). ويبدو أنّ هذه اللغة تخدم تلك الفئات بالدرجة الأولى أو الهويات الشبيهة بها. فيمكن أن يُستثنى مغايرو الجنس فضلاً عن مثليين محليين أو مغيّري النوع الاجتماعي الذين لا تنطبق عليهم أوصاف الفئات المذكورة، مثل الرجال الهجّراس (hijras) في جنوبي آسيا. إنّ التحدي الذي نواجهه هو جعل حقوق الإنسان في متناول الجميع. وعليه تكون الحاجة إلى توسيع خطاب حقوق الإنسان ليتخطى المفاهيم المحدودة للهويات والحصول على أساس متين للحقوق الجنسية. يأخذ الكاتب مثلاً قانون الاستعمار البريطاني. إنّ القسم 377 من القانون الجزائي الهندي الصادر عام 1860 يجعل "العلاقة الجنسية المخالفة للطبيعة" أمراً غير شرعي. ولا يزال هذا القانون سارياً في الهند وهو سبب إنتهاك دائم لحقوق الإنسان. مع أنّ قراءة حرفية للقانون ترينا أنه لا يدين هوية جنسية معيّنة، سواء مثلية أم غريبة، فإنّه في الواقع يعتبر جريمة كل أشكال العلاقات الجنسية بين أفراد من الجنس الواحد. فبسبب قلة تركيزها على الهويات

تتعذّب نساء كثيرات حين يتزوَّج الزوج بأخريات. وتذكر المؤلفة شكاواهن، منها أن مساهمة الرجال المادية تنقص، وقد يمتنعون عن ممارسة الجنس مع الزوجات الأكبر سنّاً، فيصبحن غير مكتفيات وعاجزات عن الطلاق أو ممارسة الجنس مع رجل آخر بسبب القيود الإجتماعية والإقتصادية.

الجنس وحقوق الرجل ألان غريغ (Alan Greig)

ماذا يمكن أن تكون مصلحة الرجال في الثورة الإجتماعية والجنسية التي يقترحها مؤيدو الحقوق الجنسية؟ إن الإجابة الأولى عن هذا السؤال هي الاعتراف بأن حقوق بعض الرجال الجنسية منتهكة منذ زمن بعيد. والرجال الأكثر عرضة لهذه الانتهاكات هم الرجال الذين "يخونون" نوعهم الإجتماعي بمظهرهم الأنثوي و/أو علاقات جنسية مع رجال آخرين. إن العنف يحافظ على النوع الإجتماعي والهرمية الجنسية إذ يجبر الذين ليسوا "رجالاً بكل معنى الكلمة" على أن لا يظهروا اختلافهم. ولكن، ماذا عن الرجال الذين يظهرون بمظهر "الرجل بكل معنى الكلمة" أو يسعون إلى ذلك؟ ماذا يمكن القول عن حقوقهم الجنسية؟ ربما كان المطلب الأساسي لمؤيدي الحقوق الجنسية أن يكون للناس حرية ممارسة حياتهم الجنسية من غير إكراه. حتى الرجال الذين يلتزمون بالنمط السائد في مجتمعاتهم قد يعانون عنفاً جنسياً، كما تبين أرقام عن تجارب جنسية بالإكراه مع أشخاص من الجنس الآخر أدلى بها رجال وصبيان. ثم إنّ التنشئة الإجتماعية للنوع الإجتماعي (gender socialization) قد تكبح قدرة الرجال على الشعور بالفرح والكرامة والاستقلالية والأمان في حياتهم الجنسية. مثلاً، إنها تملي على الرجال أن يكونوا واثقين بأنفسهم ومتحكمين بالعلاقات الجنسية، مما لا يترك مجالاً للاعتراف بالقلق الذي يساور العديد منهم.

بين 153 فتاة متزوَّجات تترواح أعمارهن بين 15 و19 سنة. تجد الكاتبة أنّهن ابتعدن عن العادة التقليدية حيث يكون الزواج مدبراً، إذ كانت 81 امرأة صبية من بين 153 قد تزوّجن زواج "حب". في يومنا هذا تتمتع الشابات باستقلالية وحرية التنقل (mobility) أكثر وحرية اختيار الشريك، إلا أن علاقاتهن الزوجية في الوقت نفسه يشوبها عدم الاستقرار. كما أنّ تجاربهن المعيشة في علاقاتهن الجنسية مع الأزواج مشحونة بالتناقضات. من غير أن يكون لهن إستقلال إقتصادي واجتماعي يتحمل العديد من النساء زواجا سيئاً وعلاقات جنسية مؤذية ومؤلمة لكي يحافظن على وجودهن. ولكن لبعضهن إمكانيات أوسع لفرض شروط التعامل، فيستخدمن جنسانيتهن وسيلة لجذب أزواجهن وتأمين دعمهم المادي، وقد يجدن أيضاً متعة في ذلك.

الجنسانية وحقوق النساء الجنسية في غامبيا إيزاتو توراي (Isatou Touray)

إنّ هذه المقالة مبنية على ناشطية قاعدية (grassroots activism) لمنظمة غير حكومية تعنى بحقوق المرأة المعروفة باللجنة الغامبية للممارسات التقليدية (GAMCOTRAP) وتتناول أشكالاً للجنسانية مختلفاً عليها في غامبيا. من بينها تعدد الزوجات، الزواج المبكر، العنف الجنسي، ختان الإنث، الإغتصاب الزوجي/الشرعي، إجبار الزوجة على اعتزال الجنس بسبب إنقطاع الطمث، التجارة بالنساء والمثلية. إنّ مناقشات الخلاف حول هذه القضايا تركز على الثقافة الغامبية والإسلام. مثلاً، يستشهد بعض الرجال بآيات قرآنية تبرّر تعدّد الزوجات، ونساء كثيرات يقبلن ذلك على أنه من حقهم. في الواقع، إن القرآن لا يسمح بتعدد الزوجات إلا بشرط أن تكون معاملتهن عادلة، مؤكداً في الوقت نفسه إستحالة ذلك. وعليه يمكن أن نستنتج أن القرآن يزكّي الزواج من امرأة واحدة. وفي الحقيقة

إثارة الشهوة الجنسية، الحسية، و"أسرار النساء"
عند الباغاندا
سيلفيا تامال (Sylvia Tamale)

أكثر حسية ولذة وصراحة وتكون في الوقت نفسه أكثر أماناً. تبني المقالة على أبحاث المؤلف وعلى تجربته الشخصية كدالك في صالونات الدلك في كلكتا التي توفر خدمات جنسية تجارية لزبائنها الذكور. كما أنها تقترح استراتيجيات لخلق مساحات إجتماعية وجنسية أكثر أماناً للرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين، بما فيهم الذين يعملون في التجارة بالجنس. وتستخدم النتائج في تطوير استراتيجيات لتبادل معلومات مغيرة للسلوك، ومواد تستطيع أن تعزز عناصر الحسية في العلاقات الجنسية بين الرجال.

إعادة الإشارة إلى علاقات جنسية أكثر أماناً:
"مشروع اللذة" (The Pleasure Project)
ويندي كنير (Wendy Knerr)
آن فيلبوت (Anne Philpott)

إن الحوار حول الأمراض التي تنقلها العلاقات الجنسية وانتشار فيروس نقص المناعة المكتسبة/ الإيدز لا يتناول اللذة ولا حتى الجنس نفسه. لا يوجد تناقض بين علاقات جنسية آمنة وعلاقات جنسية ناجحة، إلا أن معظم البرامج التربوية القائمة توحى بهذا التناقض إذ تستخدم الخوف واحتمال المرض لحث الناس على ممارسة علاقات جنسية آمنة. ولكن الواضح أن دوافع إيجابية توفر أفضل وسيلة لدفع الناس إلى الرغبة بعلاقات جنسية آمنة. يقوم "مشروع اللذة" على هذه العوامل - اللذة والرغبة - ليبني جسوراً بين التجارة باللذة/ الجنس وعالم العلاقات الجنسية الآمنة. إنه يتجنب السلبية ويكفل أن تتضمن المواد الشهوانية نماذج من الجنس الآمن وأن تأخذ الصحة الجنسية ومواد التدريب اللذة بعين الاعتبار. في هذه المقالة تقدم المؤلفتان تقريراً موجزاً عن قسم من عمل مشروع اللذة، وتبينان كيف أن مقارنة إيجابية لعلاقات جنسية آمنة تستطيع أن تساعد على تعزيز المزيد من الصحة الجنسية.

إن الكلام على قضايا السينغا عند سكان باغاندا في أوغندا يشير إلى مؤسسة استمرت عبر القرون كتقليد متخصص في تلقين الجنس. تكون العمّة (أو من يحل محلها) في موقع القيادة ودورها هو تعليم الصبايا قضايا جنسية متعددة، بما فيها ممارسات سابقة للحيض، وإعداد لما قبل الزواج، مما يثير الشهوة الجنسية والإنجاب. تكتظ في أوغندا المعاصرة خدمات السينغا التجارية مع أعمدة في الصحف مخصصة للسينغا وبرامج اتصالات هاتفية وكتيبات سينغا تباع في شوارع كمبالا. إن التحديث والتمدين آخذان بتغيير حدود مؤسسة السينغا لتلائم العصر. وتبين هذه المقالة أن مؤسسة السينغا تسهل وتعزز سلطة النظام الأبوي، إلا أنها في الوقت نفسه تقلب المعايير فيه وتسخر منه. وبواسطة تفكيك تنظيم النوع الاجتماعي والجنسانية في السينغا، تبحث هذه المقالة في مركبات الجنسانية في كيغندا، وفي النسوية والذكورة داخلها.

تعزيز الحسية من أجل علاقات جنسية أسلم بين
الرجال في الهند
أنوبام هازرا (Anupam Hazra)

إن وصم المثلية ومعاقيبتها، بالإضافة إلى معايير النوع الاجتماعي السائدة بين الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين، جميعها تؤدي إلى تأكيد العدوانية واستخدام السلطة والولوج في العلاقات الجنسية بين الرجال في الهند. هذا بدوره يسهم في قلة استخدام الواقي الذكري بينهم كما بين مغيري النوع الاجتماعي، ويزيد من خطر فيروس نقص المناعة المكتسبة والمرض. تبحث هذه المقالة في إمكانية تشجيع علاقات جنسية

تَغْيِيرُ شروط الاحتكاك واللمس: البحث في اللذة
في وباء فيروس نقص المناعة المكتسبة

جيل لويس (Jill Lewis)
جيل غوردون (Gill Gordon)

التركي أدت إلى أكثر من 30 تعديل متعلق بحقوق النساء والبنات الجنسية والجسدية في تركيا، بما فيها تجريم الإغتصاب الزوجي وإزالة مادة تخفيف عقاب من يقترف جرائم "الشرف". كذلك درّبت على حقوق الإنسان أكثر من 4500 امرأة في كل تركيا، وقد شمل التدريب على الحقوق الجنسية تعزيز فكرة أن للنساء الحق باللذة الجنسية. لقد كان تجاوب المشتركات مع هذا التدريب إيجابياً جداً حيث وجدن المناقشات فعالة من ناحية التمكين.

"حميمية مطاردة رجل: يا رجل نظّف الحمام":
النساء، اللذة الجنسية، العنف على أساس النوع
الإجتماعي وفيروس نقص المناعة المكتسبة
أليس ويلبورن (Alice Welbourn)

تؤثّر عوامل عدّة في انتشار فيروس نقص المناعة المكتسبة، منها دخل الأسرة، تقسيم العمل المنزلي، الأعمال والمصاريف الموسمية، الإتصال، العلاقات، العنف على أساس النوع الإجتماعي واللذة الجنسية أو عدمها. وبناء على مواد بحث مصدرها أميركا الشمالية والجنوبية وأفريقيا تستنتج المؤلفة أن الصلات بين هذه القضايا عالمية وأساسية لمنع فيروس نقص المناعة المكتسبة وتخفيفها. كذلك ترفض المؤلفة إبعاد "القصص" من الأبحاث الرسمية، وخصوصاً حين تكون القصص التي ترويها النساء - والرجال - متشابهة وواسعة الانتشار. إن المنهج التدريبي (Stepping Stones training methodology) يؤيد تحليل المشاركين لهذه الصلات في حياتهم، وقد مكّنهم من التوصل بأنفسهم إلى حلول مشتركة مريحة. كذلك أوجد التدريب فرصاً علّمت ما هي اللذة، وكيف تنمى علاقات أوثق، أكثر حباً واحتراماً ورضى، أيّاً كان وضع الإنسان بالنسبة إلى فيروس نقص المناعة المكتسبة.

إنّ المناقشات الغربية حول الصحة الجنسية نهّبت إلى أخطار العلاقات الجنسية. إلا أن اللذة سبب هام لهذه العلاقات بين الناس. يجب أن نبدأ العمل على الصحة الجنسية بالنقاش حول كيفية إختبار اللذة مع تجنّب المجازفة. هناك تحدّيات في تناول اللذة في أثناء الترويج لعلاقات جنسية آمنة. إنّ التركيبات السلطوية كالنوع الإجتماعي والعمر والطبقة والعرق، بالإضافة إلى الإعلام المعولم، تؤثر جميعاً في كيفية إختبار الناس للذة. وعليه فإن العمل من أجل علاقات جنسية آمنة ومنع فيروس نقص المناعة المكتسبة يحتاجان إلى الأخذ بعين الاعتبار كيفية تكوّن اللذة، بالإضافة إلى تنوع ما يجده الناس مثيراً للذة. يقدم المؤلفان أمثلة من التدريبات العديدة على علاقات جنسية آمنة ومبادرات إجتماعية نفذها بنفسيهما، وذلك ليبيننا أن مثل هذه المناقشات حول اللذة ممكنة عملياً بل إن كثيرين يرحّبون بها.

تعزيز الحقوق الجنسية من خلال التربية على
حقوق الإنسان: تجارب قاعدية في تركيا
لين إركيفيتش أمادو (Liz Ercevik Amado)

إنّ التحكّم بجنسانية النساء هو السبب الأساسي لانتهاك الكثير من حقوق النساء الإنسانية، مثل جرائم "الشرف"، الزواج المبكر وزواج الإكراه، وختان الإناث. تأبى المنظّمة التركية، النساء لحقوق النساء الإنسانية - طرق جديدة (WWHR - New Ways)، هذا التحكّم بجنسانية النساء، وتتخذ مقاربة إيجابية من الجنسانية لتفتح أمام النساء مجال المطالبة بحقوقهن. عام 2004 قادت المنظّمة حملة لإصلاح القانون الجزائي

أخوات المهبل، رجال يبكون، نجوم مسلسلات
تلفزيونية وسوشي: قصة مونولوجات المهبل في
بلغراد

يلينا دجوردجيفيك (Jelena Djordjevic)

في ربيع 2006 تمّ عرض مونولوجات المهبل (*Vagina Monologues*) على المسرح للمرة الأولى في بلاد الصرب. مثلتها ممثلات شهيرات، بينهن نجمة مسلسلات تلفزيونية شهيرة. حضر العرض جمهور غفير تعدّى الذين يهتمون عادة بالحركة النسائية. إنّ مئات الصبايا جنن ليشاهدن نجمة المسلسلات ولكنهن في الوقت نفسه سمعن عن اللذة وذروة لذّة الجماع، وكيفية حب أجسادهن، وعن الإستغلال الجنسي والعنف المنزلي. بكى الرجال متأثرين. وشعر بعض الممثلات بالخجل والاحتقار حين رأين النص للمرّة الأولى ولكن أصبحن متحمّسات جداً في آخر العرض. كان مركز مناهضة التجارة غير المشروعة في بلاد الصرب (Serbian Anti-Trafficking Center) قد نظم الحفلة وقدم ريعها لمنظمة KOLO، وهي منظمة نسائية بوسنية تساعد نساء إغتصبهن جنود صرب خلال الحرب مع يوغوسلافيا السابقة. خلقت مونولوجات المهبل علاقات جديدة مدهشة وحلفاء في النضال من أجل حقوق النساء.

نضال عاملات الجنس في بنغلاديش: التعلّم من
أجل الحركة النسائية
شيرين حق (Shireen Huq)

عام 1999 طردت حكومة بنغلاديش بالقوة عاملات جنس من تجمّع ضخم لبيوت الدعارة خارج دكا. سعت عضوات في منظمة عاملات الجنس Ulka حالياً إلى تأييد Naripokkho وهي منظمة غير حكومية نسائية منتشرة في جميع أنحاء البلاد. تحوّل مكتب المنظمة إلى ملجأ غير مرتقّب تنام فيه أكثر من 40 امرأة، فيما بقي بعضهن في منازل

الموظّفات. وقد أدّى هذا إلى علاقات وتحالفات جديدة بين عاملات الجنس والموظّفات. أُيدت Naripokkho وغيرها من المنظمات النسائية في بنغلاديش حملة لحقوق عاملات الجنس ونضالهن للدفاع عن أنفسهن ضد الطرد غير المشروع. إنّ هذه المقالة تعرض الدروس التي تعلّمتها هذه المنظمات خلال انخراطها في الحملة. وتوحي بأنّ هذا النضال ولد معنى جديداً وأكثر انتشاراً للمناقشات حول الجنسانية والحقوق الجنسية التي كانت قد بدأت داخل الحركة النسائية.

ملاحظات

- 1 مصطلح "الترافستي" لا يترجم. فهو خاص باميركا الجنوبية ويمثل رجالاً لهم أجساد رجال ولكنهم يشعرون كنساء ويلبسون ملابس نساء ويوضحون أنهم ليسوا نساء بل يعتبرون أنفسهم نوعاً اجتماعياً ثالثاً.

تعريف بالمساهمين والمساهمات

سوميت بود يعمل في مركز موارد الجنسانية في جنوبي وجنوب شرقي آسيا في دلهي. بين اهتماماته حقوق أحرار الجنس والدليت والعمال المهاجرين غير الرسميين في الهند. نال سوميت شهادة بكالوريوس في الآداب وبكالوريوس في القانون بامتياز من كلية الحقوق الوطنية في جامعة الهند (National Law School of India University) وماجستير في القانون من كلية الاقتصاد في لندن (LSE). إنه محام أمام القضاء (في دلهي)، ومحام غير ممارس (في إنكلترا وويلز). اشغل سوميت مع مبادرة الكومنولث لحقوق الإنسان (CHRI) وAMAN Trust، وكلتاهما منظمتان غير حكوميتين مركزهما الهند.

ديفيا بهانا أستاذة مشاركة في التربية في جامعة كوازولوناناتال (University of KwaZulu-Natal). بين 2007 و2008 انضمت الى مركز فوغارتي في كلية الصحة العامة في جامعة كولومبيا. لها منشورات في مجال جنسانيات النوع الاجتماعي لدى الأطفال وفيرس نقص المناعة المكتسبة/ الإيدز. ونشرت مؤخراً مع Morrell R. Hearn J. & Molestsane R عدداً خاصاً عن الجنسانيات في جنوبي أفريقيا، جنسانيات، 10 (2).

جيسيبي كامبوزانو فيلسوف بيروفي وباحث مستقل. منذ 2003 يشرف على مشروع "متحف الترافستي" وهو بحث مفصل لأحوال مغيري النوع الاجتماعي البيروفيين، وذلك بواسطة المقارنة بين التاريخ الرسمي ودراسات المثليين لكي يطور وسائل بديلة توصل إلى مجتمعات متنوعة. يوفر هذا المشروع فهماً أفضل للترافستي المعاصرين، ويشكل آلية مفيدة لتمكين مجتمعات الترافستي.

هنري أرماس محام (PUCP) ذو خبرة في حقوق الإنسان والتنمية، مع اهتمام خاص بإشراك المواطن، التربية المشاركة، الصحة، والنوع الاجتماعي. وهو ذو خبرة في مختلف المجالات الأكاديمية. أجرى أبحاثاً حول مشاركة المواطن في قضايا الصحة، الجنسانيات، الشباب، التربية من أجل التغيير الاجتماعي، الحقوق والتوصل إلى العدالة. إنه مؤسس GRUPAL - الجمعية العاملة للمشاركة في البيرو (The Working Group for Participation in Peru) - وباحث في وحدة الحقوق والصحة (Universidad Peruana Cayetano Heredia). وهو عضو في لجنة الاستشارة الدولية لـ BRIDGE في معهد دراسات التنمية (IDS) في جامعة ساسكس (Sussex University) (المملكة المتحدة). وقد اشترك في برامج في المعهد، وفي جامعتي هارفارد وأوناتي (Harvard & Oñati). وهو حالياً طالب ماجستير في دراسات التنمية في معهد الدراسات الاجتماعية (ISS) في هولندا.

ليز إركيفيتش أمادو من تركيا، تعمل مع النساء لحقوق النساء - طرق جديدة (WWHR - New Ways) وهي منظمة غير حكومية في اسطنبول (تركيا) منذ 2002. وتعمل ليز حالياً منسقة المنظمة ومنسقة النشر فيها. لقد ألّفت وحرّرت العديد من نشرات المنظمة، بما فيها، باللغة الإنكليزية، الحقوق الجنسية والجسدية كحقوق الإنسان في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: تقرير ورشة عمل¹. برنامج تدريب على حقوق الإنسان للنساء (2003 - 1995) تقرير تقويمي²؛ وتعديل القانون الجزائي التركي من مقارنة النوع الاجتماعي³.

إنها حالياً باحثة مشاركة في التجمع البرازيلي للدراسات المتعلقة بمجالات مختلفة عن الإيدز (ABIA)، ورئيسة ثانية لمراقبة سياسة الجنسية (Sexuality Policy Watch).

يلينا دجوردجيفيك ناشطة نسوية تعمل على منع العنف ضد النساء والتجارة بهن في منطقة البلقان. وهي نشطة أيضاً في ميدان الحقوق الجنسية من خلال انخراطها في شبكة مشاريع العمل بالجنس (NSWP) واللجنة الدولية لحقوق عاملات الجنس في أوروبا (ICRSE). وهي حالياً نائبة مدير مركز مناهضة التجارة غير المشروعة (ATC) في بلغراد، بلاد الصرب، وقد شاركت في تأسيسه عام 2003. إنها عضو مجلس مدراء صندوق العمل الملح لحقوق النساء الإنسانية (UAF) وتحمل شهادة ماجستير في دراسات الهجرة من جامعة ساسكس في المملكة المتحدة. كذلك اشتركت يلينا في تأليف كتاب صندوق العمل الملح لحقوق النساء الإنسانية الذي سيصدر قريباً وهو كتاب عن تعزيز الناشطة بعنوان ما معنى الثورة إن كنا عاجزين عن الرقص؟⁸

جيل غوردون هي مستشارة تقنية في الاتحاد الدولي لفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز (Senior Technical Adviser: Prevention). إنها تقدم دعماً منتظماً لمشروع يعمل مع أحداث في المدارس وخارجها في ست مناطق في المقاطعة الشرقية من زامبيا. ذات خبرة عمل تزيد على ثلاثين سنة في مجال التنمية، وهي متخصصة في تعزيز التنمية الاجتماعية والصحة مع خبرة خاصة في النوع الاجتماعي والجنسانية ونهج المشاركة المجتمعي. عملت سابقاً مع جمعيات تنظيم الأسرة في مختلف أنحاء العالم لكي تدمج في برامجها قضايا كثيرة متعلقة بالصحة الجنسية. ألقت واشتركت جيل في تأليف عدد من الكتب منها *Talking Aids* (مع Tony Klouda Oxford: Macmillan Africa،

لقد قدّم ورقة "النضال من أجل حقوق النوع الاجتماعي في البيرو" في الجنسية مهمة (نشرة معهد دراسات التنمية 2006) و"النوع الاجتماعي، الهوية، وحقوق الترافستي في البيرو" في التنمية مع جسد: تحري الصلات بين الجنسية، حقوق الإنسان والتنمية (تحرير أندريا كورنول، صونيا كوريا وسوزان جولي، 2006، London: Zed Books). نشر مؤخراً بحثه الذي استغرق أربع سنوات بعنوان *متحف الترافستي في البيرو* (Museo Travesti del Peru) (2008، Lima: IDS).

أندريا كورنول زميلة في معهد دراسات التنمية حيث تتأسس برنامجاً بحثياً لتمكين النساء، وهي منظمة عمل فرقة المشاركة (Participation Team) على الحقوق والتضمين. عملت كباحثة ومهنية في الصحة الجنسية والإنجابية والحقوق خلال سنوات كثيرة، وتشترك في تحرير تحقيق الحقوق: تحويل المقاربات من الخير الجنسي والإنجابي (مع أليس ويلبورن، 2002، London: Zed Books): "الرجال، الذكورات والتنمية: السياسة، خطط العمل والممارسة"⁵ (مع Sarah White، نشرته معهد دراسات التنمية 2000) و"إعادة النسويات إلى التنمية"⁶ (مع Elizabeth Harrison & Ann Whitehead، نشرته معهد دراسات التنمية 2004).

صونيا كوريا مؤسسة جمعية نداء استغاثة - هيئة المعهد النسوي من أجل الديمقراطية (SOS-Corpo-Instituto Feminista para a Democracia) في البرازيل. وهي منسقة حقوق الصحة الجنسية والإنجابية في جمعية بدائل تنمية مع النساء لعهد جديد (DAWN) التي هي شبكة بحث وناشطة في الجنوب. إنها مؤلفة السكان وحقوق الإنجاب: مقاربات نسوية من الجنوب⁷ (London: Zed Books، 1994). منذ 1994 تتابع عن كُتب مفاوضات الأمم المتحدة المتعلقة بالنوع الاجتماعي والجنسانية والصحة الإنجابية.

(1988) خيارات - دليل للأحداث⁹ (Oxford: 1999) (Macmillan Africa).

أنديل غوسين هو مساعد أستاذ في كلية الفنون في جامعة يورك (كندا). تدرس أبحاثه العمل المشترك في الروايات الإستعمارية حول "العرق"، النوع الاجتماعي والجنسانية في حقول مختلفة، بما فيها الثقافة الشعبية والسياسية البيئية والتنمية الدولية. ويهتم بصورة خاصة بكيفية انتشار هذه الخطابات، تمثيلها وإنتاجها الظروف المادية للأوطان التي تسم تاريخه الشخصي: ترينيداد وتوباغو، كندا، المملكة المتحدة، الهند وفرنسا.

ألان غريغ مستشار دولي لمنظمات مجتمعات محلية في أفريقيا المجاورة للصحراء وفي جنوبي آسيا وجنوب شرقها حول تطوير برامج تتعلق بفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز، وتتناول العوامل التي تجعل المرء عرضة له كعدم مساواة النوع الاجتماعي والعنف. عمل مؤخرًا مع جمعية رجال يتغلبون على العنف (MOVE) وتدرّب كمنظم في مشروع إستجابة جيل المجتمع المحلي الخامس للإساءة الجنسية إلى الأطفال¹⁰. من خلال هذا العمل تدرّب على سرد القصص الرقمي (Digital Story Telling) وقد استخدمه لتعبئة مزيد من الرجال كي يدخلوا في حركة إنهاء الإساءة إلى الأطفال. في شغله الحالي على الفيديو الرقمي يعمل كمنشأ في مشروع Break the Silence Mural Project لإنتاج فيلم وثائقي حول الفن كمقاومة في فلسطين.

أنوبام هازرا يعمل مع التضامن والعمل ضد عدوى فيروس نقص المناعة المكتسبة في الهند (SAATHI) في مكتب كولكاتا (Kolkata)، وذلك منذ تشرين الثاني 2002، وهو حاليًا منسق التدريب على قضايا People Living With AIDS. تنمي هذه الجمعية قدرات الأفراد والمنظمات العاملة في

الهند على فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز وذلك بنشر المعلومات، التشبيك، الدعاية، البحث، والمساعدة التقنية. عمل أنوبام مع مجموعات المثليات والمثليين ومزدوجي الميول الجنسية ومغيّري النوع الاجتماعي (م.م.م.م.) (LGBT) في كولكاتا كمعلم متخصص بتدريب الأقران (peer educator)، ومستشار وباحث ميداني، كما عمل في مسرحيات هزلية تربوية وبرامج ثقافية. قبل الانضمام إلى عمل التنمية الاجتماعية كان دالكا في صالونات كولكاتا التي تقدم أيضاً خدمات جنسية لرجال من قبل رجال آخرين.

شرين حق هي ناشطة في الحركة النسائية في بنغلاديش وعضوة مؤسسة Naripokkho. وخلال السنوات العشرين الأخيرة عملت كمدرّبة على النوع الاجتماعي والحقوق والتنمية في بنغلاديش وغيرها. منذ 1987 عملت أيضاً مستشارة تنمية النساء في دانيدا، في بنغلاديش، وتعمل حاليًا في منهج دانيدا لحقوق الإنسان وحسن الإدارة.

سوزي جولي منسقة الإعلام في مجال النوع الاجتماعي في BRIDGE في معهد دراسات التنمية (IDS) وتترأس عمل المعهد حول الجنسانية بالتعاون مع أندريا كورنول. وهي تهدف إلى دعم التبادل بين ناشطي الحقوق الجنسية وتساعد على تبادل أفكارهم مع الذين يعملون في صناعة التنمية. تكتب وتدير منشورات BRIDGE حول قضايا النوع الاجتماعي المتعلقة بفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز والهجرة والفقر. كذلك تشترك في نضالات محلية من أجل الحقوق، وهي مؤسسة مجموعة Brighton Both Ways Bisexual Group. انضمت سوزي إلى معهد دراسات التنمية في 1998. قبل ذلك عاشت خلال سنوات عدة في بيجين، تدير برامج تخفيف الفقر لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، وتشترك في حقوق النساء المحليات وناشطة الـ (م.م.م.م.).

آن فيلبوت أنشأت The Pleasure Project (www.thepleasureproject.org) لأنها شعرت بإحباط إذ نادراً ما بُحثت اللذة في أثناء تعزيز التربية الجنسية واستخدام الواقي الذكري. وازداد شعورها بهذا النقص في أثناء عملها للشركة التي تصنع الواقي الأنثوي وتشجع استخدامه في أنحاء العالم كافة. قبل ذلك، أكملت ماجستير في خطة العمل الصحي في أثناء عملها في المملكة المتحدة لجمعيات خيرية دولية تهتم بالصحة الجنسية. كانت تتعلم التربية الجنسية في المدارس، وطوّرت برامج في مناطق من المملكة المتحدة يكثر فيها حبَل المراهقات، إلا أنها عملت قبل ذلك على الوقاية من فيروس نقص المناعة المكتسبة في جنوب أفريقيا في أوائل تسعينات القرن العشرين من خلال فن الدمى المتحركة وضمن مجموعة للتوعية على الإيدز.

سابينا فايز راشد أستاذة مساعدة في مدرسة James P Grant للصحة العامة في جامعة BRAC في دكا،¹¹ ولها خبرة تزيد عن العشر سنوات في البحث والتنمية في بنغلاديش. قبل انضمامها إلى كلية الصحة العامة في 2004، كانت تعمل كباحثة أنثروبولوجية في منظمة غير حكومية ومؤسسة متعلقة بجامعة BRAC، في منظمة الأمم المتحدة للطفولة، Grameen Trust، مصرف Grameen، في دكا. نالت شهادة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا الطبية/الصحة العامة من الجامعة الوطنية الأسترالية، عام 2005. نالت منحة بحثية من منظمة الصحة العالمية في جنيف عام 2002 وكانت زميلة باحثة زائرة في الجامعة الوطنية في سينغافورة في 2006. تهتم بأبحاثها بالأنثروبولوجيا الطبية، النوع الاجتماعي، صحة النساء الإنجابية والجنسية، الجنسانية، تقديم الخدمات الصحية، أساليب البحث، الأنثروبولوجيا التطبيقية والفقر في المدن. إنها حالياً منسقة لمادة الحقوق الإنجابية والجنسية في برنامج ماجستير

ويندي كنير تقوم بالدعاية لمشروع The Pleasure Project (مديرة الاتصالات) وهي عضوة في مجلس هذا المشروع. ساعدت في تدريب يركّز على اللذة ضمن مشروع The Pleasure Project و CARE International/Care Cambodia في بنوم بين، الكامبودج. وشاركت مؤخراً في كتابة مقالة عن الواقي الذكري واللذة للمجلة الطبية *The Lancet*. ويندي هي كاتبة حرة ومحررة متخصصة في الصحة الجنسية والإنجابية وفيروس نقص المناعة المكتسبة والإيدز في أوكسفورد في المملكة المتحدة (www.thewriteeffect.co.uk) وكانت سابقاً منسقة الإعلام للشبكة الأوروبية من الاتحاد الدولي لتنظيم الأبوة (IPPF – European Network) في برسلز (Brussels).

جيل لويس تجمع بين التعليم كأستاذة أدب ودراسات في النوع الاجتماعي في كلية هامشير في الولايات المتحدة والعمل من منزلها في المملكة المتحدة كمستشارة ومدرّبة دولية على النوع الاجتماعي والوقاية من فيروس نقص المناعة المكتسبة. إنها منخرطة منذ 1972 في سياسة النوع الاجتماعي والصحة الجنسية، وناشطة في العمل المركز على منع فيروس نقص المناعة المكتسبة منذ 1986 في بيئات ثقافية متنوعة. عملت مؤخراً على إنشاء قدرات منع فيروس نقص المناعة المكتسبة للجنة اللاجئين النرويجية في القوقاز والعديد من أجزاء أفريقيا المجاورة للصحراء، ودرّبت على النوع الاجتماعي/فيروس نقص المناعة المكتسبة في بلاد مناطق جنوبي شرق آسيا من قبل المؤسسة الدولية لتنظيم الأسرة (IPPF) وفي الولايات المتحدة مع الأحداث بين مهاجري أميركا الجنوبية الشديدي التعرض لفيروس نقص المناعة المكتسبة. إنها تهتم بصورة خاصة بالعمل مع تكوينات ذكورة مغايري الجنس التي تعيق الوقاية من فيروس نقص المناعة المكتسبة، وبتعزيز استخدام الواقي الذكري.

الصحة العامة (MPH). وعنوانها الإلكتروني هو
sabina@bracuniversity.net

والجنسانية وتعمل كمنسقة له في كلية الحقوق.
تشمل اهتماماتها البحثية نساء العالم الثالث
والقانون، النساء والسياسة، النوع الاجتماعي
والهوية والجنسانية. نالت سيلفيا عدداً من الأوسمة
لدفاعها عن حقوق إنسان الفئات المهمشة كالنساء
والمثليين والسحاقيات واللاجئين.

كيت شيل منسقة الحملة على التمييز ضد الهوية
في برنامج خطة العمل في أمانة السر الدولية
لمنظمة العفو الدولية. يتناول عملها قضايا عن
النوع الاجتماعي والجنسانية والعرق والإيمان
في جميع أنحاء العالم، ويشمل حالياً ترويج الأمم
المتحدة للحقوق الجنسية؛ الحملة لحقوق المثليين
والمثليين ومزدوجي الميول الجنسية ومغربي
النوع الاجتماعي (م.م.م.م)؛ العمل على حقوق
الإنسان للسكان الأصليين وحرية الدين. أنهت
مؤخراً شهادة الماجستير في موضوع الهويات
الاجتماعية حيث بحثت أطروحتها في قضايا
تتمحور حول موضوع النساء والعنف: التنميط،
المرأة كضحية وحقوق الإنسان.

إيزاتو توراي حاملة شهادة دكتوراه في دراسات
التنمية، شاركت في تأسيس اللجنة الغامبية حول
الممارسات التقليدية (GAMCOTRAP) وهي
حالياً مديرتها التنفيذية. قبل تعيينها كانت نائبة
المدير العام ومؤسسة قسم النوع الاجتماعي
والإدارة في معهد التنمية الإدارية في غامبيا. إنها
ناشطة في النوع الاجتماعي والمنسقة الوطنية
لمشروع النساء وكتاب القانون ومشاركة في
تأليف كتاب نساء غامبيا، القانون والممارسة
التقليدية¹²، الذي نشرته اللجنة الغامبية حول
الممارسات التقليدية عام 2003 إلى جانب نساء
على رأس الإدارة في غامبيا¹³، ونشرته تعاونية
طباعة غامبيا الوطنية (Gambia National
Printing Cooperation). وهي حالياً الأمانة
العامة للجنة عبر البلدان الأفريقية (IAC)، وهي

روجير روب ريبوس هو أستاذ في القانون
الدستوري البرازيلي في بورتو أليغري، ريو غراندي
دو سول (Porto Alegre – Rio Grande do Sul)،
ويعمل مع مركز أميركا اللاتينية لحقوق الإنسان
والجنسانية (CLAM). يتناول عمله الأساسي
الصلة بين قانون عدم التمييز والحقوق الجنسية
في البرازيل وأميركا اللاتينية. يساعد كذلك
بأبحاث مع منظمات غير حكومية في ميادين
فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز (ABIA)،
في أخلاقية الطب (معهد أخلاقية الطب، حقوق
الإنسان والنوع الاجتماعي (ANIS)، والتمييز ضد
الميول الجنسية (NUANCES. Group for the
Freedom of Sexual Expression). وهو قاضٍ
فيديريالي في بورتو أليغري منذ 1994 وهو يحمل
دكتوراه في القانون الدستوري (UFRGS).

جايا شارما هي من أحرار الجنس وناشطة
نسوية في دلهي، الهند. إشتركت في تأسيس
منتدى PRISM، وهو يسعى إلى وعي الجنسانيات
المثلية التي تخالف معايير مغايري الجنسية،
ومساءلة هذه المعايير. شمل عملها أساساً التعامل
مع فئات وحركات تقدمية أخرى لكي تتمكن من
التعرف والاستجابة إلى قضايا أحرار الجنس
بأنها جزء لا يتجزأ من أجندتهم. إنها أيضاً من
مؤسسي Nirantar، منظمة نسائية غير حكومية
تعمل على قضايا النوع الاجتماعي والتربية.
وجايا هي عضوة في الحركة النسائية في الهند
منذ عقدين.

سيلفيا تامال ناشطة نسوية وأكاديمية في
كمبالا، أوغندا. إنها أستاذة مشاركة وهي حالياً
عميدة القانون في جامعة ماكيرييري. أسست
مشروع الأبحاث في النوع الاجتماعي، القانون

منظمة منظمات حقوق المرأة تروج للقضاء على ختان الإناث في أفريقيا.

ملاحظات

- 1 عنوان الكتاب باللغة الانكليزية هو:
Sexual and Bodily Rights as Human Rights in the Middle East and North Africa: A Workshop Report
- 2 عنوان الكتاب باللغة الانكليزية هو:
Human Rights Training Program for Women (1995–2003) Evaluation Report
- 3 عنوان الكتاب باللغة الانكليزية هو:
The Reform of the Turkish Penal Code from a Gender Perspective
- 4 عنوان الكتاب باللغة الانكليزية هو:
Realizing Rights: Transforming Approaches to Sexual and Reproductive Wellbeing
- 5 عنوان المقالة باللغة الانكليزية هو:
'Men, Masculinities and Development: Politics, Policies and Practice'
- 6 عنوان المقالة باللغة الانكليزية هو:
'Repositioning Feminisms in Development'
- 7 عنوان الكتاب باللغة الانكليزية هو:
Population and Reproductive Rights: Feminist Perspectives from the South
- 8 عنوان الكتاب باللغة الانكليزية هو:
What's the Point of Revolution If We Can't Dance?
- 9 عنوان الكتاب باللغة الانكليزية هو:
Choices – A Guide for Young People
- 10 عنوان المشروع باللغة الانكليزية هو:
Generation Five's Community Response Project on Child Sexual Abuse
- 11 www.bracuniversity.net
- 12 عنوان الكتاب باللغة الانكليزية هو:
Gambia Women, Law and Customary Practice
- 13 عنوان الكتاب باللغة الانكليزية هو:
Women in Top Management in the Gambia
- 14 <http://womenandaids.unaids.org>

أليس ويلبورن مدربة، كاتبة وناشطة. اشتغلت خلال 25 سنة في قضايا دولية عن النوع الاجتماعي والمشاركة والصحة. بعد نيلها دكتوراه من كامبريدج على أبحاثها في ريف كينيا، عملت في شرق أفريقيا وجنوبها وغربها. في 1992 بين تشخيص طبي أنها مصابة بفيروس نقص المناعة المكتسبة، فأنشأت المنهج التدريبي *Stepping Stones* الذي يخطط لتحقيق هدف ويستخدمه ركيعة لتحقيق هدف آخر. وهو حقبة تدريبية على مهارات العلاقات وفيروس نقص المناعة المكتسبة، تُستخدم الآن في المجتمعات المحلية في أنحاء أفريقيا كافة، آسيا وأميركا اللاتينية. كانت سابقاً مديرة المجتمع الدولي للنساء المصابات بفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز (www.icw.org) وشاركت في تأسيس منتدى SOPHIA (www.sophiaforum.net) وهي عضوة في الاتحاد العالمي للجنة النساء والإيدز القيادية¹⁴ وفي مجموعة الاونيسكو الإستشارية حول التربية الجنسية والعلاقات المدرسية. إنها متزوجة وأم لأولاد بالغين.

المقدمة: الجنسانية مهمة

أندريا كورنول وسوزي جولي*

نجد أن هنالك صمتاً مهيمناً في صلب التنمية السائدة. فالجنسانية تُعتبر أنها قضية صحة، أو تغفل تماماً على أنها "ترف"، ولذلك تكاد لا تذكر في المناقشات حول التنمية.

ربما أفسح وباء الإيدز المجال للمساحات المفتوحة المخصصة للجنسانية أن تكسب أهمية أكبر ضمن استراتيجيات وكالات التنمية. ولكن تصوير الجنس والجنسانية في خطاب الإيدز ليس سلبياً فقط باستمرار، وإنما هو معياري أيضاً (Pigg 2004; Gosine 1999). كما هي الحال بالنسبة للسكان، لا تزال الجنسانية تُعتبر أنها مشكلة يجب كبحها، أكثر من كونها جزءاً لا يتجزأ من تجربة الإنسان ومصدر فرح ولذة، بالإضافة إلى كونها مصدر عذاب وألم. هذه المقاربة السلبية تتلاحم مع محاولات اليمين الديني تقليص متعة استقلالية الجسد والحب والحميمية بالنسبة للذين لا يلتزمون المعايير التي تفرضها السلطات الدينية والمجتمع والدولة (Long 2005). إن اشتداد "حروب الجنس" (sex wars) (Rubin 1989) في السنوات الأخيرة، كما تذكرنا مقالة كيت شيل (Kate Shiell)، وما يعنيه نمو التيارات المحافظة ونواياها القامعة بالنسبة لحقوق الإنسان في أجزاء كثيرة من العالم، إن هذا كله يفرض كسر الصمت حول الجنسانية في التنمية.

إنّ للجنس والجنسانية دلالات بعيدة بالنسبة للتنمية. تحاول نشرة معهد دراسات التنمية هذه أن تبين سبب أهمية الجنسانية. فهي تضم أوراقاً قدّمت في ورشة العمل الملهمة التي عقدت في 28-30 أيلول في معهد دراسات التنمية (IDS)

أعمل كثيراً على قضايا الجنسانية والحقوق الجنسية. وكلما ذكرت ذلك في الهند يقال لي إن المجتمع ليس مهيناً لذلك، وفي بلد شديد الفقر لا حاجة بنا إلى الكلام على الجنسانية. كما أنها فكرة غربية، وأنا أتكلم الإنكليزية ولذلك أملك هذه الأفكار. بصراحة، كل إنسان يمارس الجنس، أو يريد ممارسته، أو يتألم لحرمانه، أفلا ينبغي لنا أن نتحدث عنه؟ (Menon 2006)¹

يجب أن نمكّن الناس من الارتياح إلى الكلام على الجنسانية كما أصبحوا يرتاحون إلى الكلام على النوع الاجتماعي. (Robert Chambers, IDS)²

تتناول نشرة معهد دراسات التنمية (IDS Bulletin) موضوعاً أهمّيته باستمرار برامج التنمية المعتمدة: هو موضوع الجنسانية. خلال العقد الأخير أخذ صانعو سياسات (policymakers) التنمية وممارسوها يُقرّون مقارنة من الفقر متعددة الأبعاد، وهي مقارنة تهتم أكثر بأبعاد الفقر الاجتماعية والثقافية (Chambers 2005). يتزايد الاهتمام بأن ينال الجميع مزيداً من الحرية والمنفعة العامة وحقوق الإنسان كجزء لا يتجزأ مما أصبحت "التنمية" تعنيه الآن (Sen 1999; DFID 2000; Chambers 2005). لم يعد ممكناً تجاهل التمييز وعدم المساواة والتهميش الاجتماعي وما يترتب عليها من نتائج بالنسبة للتنمية (Klugman 2000; SIDA 2005). ومع ذلك حين يتعلّق الأمر بالأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للجنس والجنسانية وبحقوق الإنسان

تشكّل الجنسية جزءاً هاماً من حياة الناس، ولكن، على الرغم من ذلك، نجد أن غنى الاختلاف في الخبرة البشرية يُقلّص غالباً إلى "إخبار واقعي، معلومات أليمة وتحذيرات، وما يجب أن لا نفعله"، كما تشير جيل لويس (Jill Lewis) وجيل غوردون (Gill Gordon) وتتابعان: "ليس في هذا كله ما يرسى العلاقات الجنسية بطرُوف واقعية وأجساد حقيقية" (ص167). حيث تتكلم وكالات التنمية على الجنس، تتناوله كأفعال ونشاطات مليئة بالمجازفة والخطر، أكثر منها علاقات حميمة بين البشر. إنَّ "الحب" و "الرغبة" و "اللذة" ليست جزءاً من قاموس التنمية. مقالة لويس وغوردون توسع بطريقة راديكالية الإطار الذي من خلاله بات يُنظر إلى الجنس والجنسانية. إنهما تتحرّيان ما يحيط باللذة والرغبة، والخرائط التي تقدمها الثقافات المختلفة للتعلم عن الرغبة واختبارها، ونطاقاً واسعاً من أشكال التعبير الجنسي وطرق الكلام على الجنس.

تصوّر النظرة الأحادية اللون إلى الجنس في خطاب التنمية النساء كضحايا عاجزات، والرجال كمفترسي جنس نهمين، والأطفال كطاهرين أبرياء - أما مغيرو النوع الاجتماعي فلا أثر لهم. فالأطفال فئة يفترض أن لا تكون الجنسية قضية بالنسبة لهم. إلا أن دراسة ديفيا بهانا (Deevia Bhana) لأطفال في السابعة والثامنة من العمر في منطقة سكانها سود في كوازولو-ناتال (KwaZulu-Natal) في جنوبي أفريقيا تبين أن الصبيان والبنات في هذه السن "ليسوا أبرياء ولا يجهلون أمر فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز والجنس". ففيما يتحدثون بسهولة مع الباحثة عن الإيدز والجنس والواقي الذكري، يعرفون أيضاً أنه لا يفترض أن يتكلموا عن هذه الأمور حتى لا "يُصفعوا".

كما تبين دراسة سبينا فايز رشيد (Sabina Faiz)

حول "تحقيق الحقوق الجنسية" وبعدها. إنها تزود القارئ بوجهات نظر مختلفة حول مفهوم الحقوق الجنسية والتعبئة، بالإضافة إلى مقاربات تطبيق جديدة. وهي المرّة الأولى التي يستضيف فيها معهد دراسات التنمية مثل هذا الحدث ويقدم نشرة حول هذا الموضوع. إنَّ أسلوب المساهمات في هذه النشرة يعكس مضمونها التجديدي.

إنَّ الجنسية هي سياسة (policy) وبرمجة وعلاقات سلطوية في آن واحد، لكنها أيضاً تعني اللذة والخطر والمشاعر والأحاسيس والعواطف والجسد (ونأمل أن تعني أيضاً ذروة لذة الجماع!). إننا نسعى في هذه المجموعة إلى ضمّ قضايا سياسية كليّة (macro-political) وتحليلية إلى الناحية الإنسانية للجنسانية. تتراوح المساهمات في هذا العدد من النشرة بين التحري عن مقاربات جديدة لمفهوم حقوق الإنسان، والبحث في خبرات الجنسية في بيئات مختلفة وبين أناس متباينين، وقصص شخصية عن ناشطية ومبادرات تسعى إلى تغيير النظرة إلى الجنس والجنسانية وممارستها. تجمع هذه المقدمة خيوطاً تنسج عبر محتويات النشرة، وتتحرى ترابطها ودلالاتها بالنسبة للنظرية وسياسة العمل والممارسة.

1 لماذا تكون الجنسية مهمة (ولماذا ينبغي أن تهتم التنمية بالجنسانية؟)

1.1 لأن الجنسية هامة بالنسبة للناس

إنَّ الجنسية في صلب حياة الإنسان وفي صلب ما يجعلنا بشراً بكل معنى الكلمة - إنها مفتاح قدرتنا على المساهمة بشكل إيجابي وكامل بالمجتمعات التي نعيش فيها ... إنَّ لقضايا الجنسية والحقوق الجنسية صلة بحق الجميع في الحياة وفي التمتع بصحة جيدة. Carin Jämtin، وزيرة السويد لتعاون التنمية الدولية³

يقضي معها معظم الوقت ... إنني أعاني حرماناً شديداً ولا أجروء على الإفصاح عن ذلك لأهلي.

ما تظهره هذه التصريحات بوضوح هو تأثير المعايير الاجتماعية المتحكمة بالجنسانية والتناقض بين الخبرة (Shireen Huq) المعيشة وما يتوقعه المجتمع. إنَّ القصص التي يرويها براهين مؤثرة في أهمية إيجاد طرق جديدة للتواصل حول الجنس، فتغير حدود ما هو ممكن، وما هو "مقبول". تروي شرين حق أنه من خلال تبادل النساء قصصهن في Naripokkho، المنظمة النسائية المنتشرة في بنغلاديش، اتضح أنَّ القيود المفروضة على حرية النساء بالتنقل (mobility) للحفاظ على شرفهن وبكارتتهن ذات تأثير بالغ "ليس فقط في صحة النساء الجسدية وإنما أيضاً في إحساسهن بقيمتهم الذاتية، وحريتهن الشخصية وسعادتهن". هناك "شهادات لا تعد" أثارت السؤال: كيف استطاعت أجندا الحقوق ... أن تهمل قضايا الحرية الجنسية كما تميل إلى أن تفعل؟

المفترض أن النساء عرضة للأذى الجنسي. في المقابل لا يفترض أن يتكلم الرجال على الخوف أو الضعف في الحديث عن الجنسانية. كما يلاحظ ألان غريغ: "حين سئل الرجال عن مخاوفهم المتعلقة بالجنس، كثيراً ما عبر الشبان والبالغون عن قلقهم إزاء قضايا متعلقة بأدائهم الجنسي كقدرتهم الجنسية وحجم عضوهم، فيما شعروا في الوقت نفسه بعجزهم عن طلب المساعدة للتعامل مع هذه القضايا خوفاً من لا يكونوا "رجالاً" بكل معنى الكلمة" (ص135). وقد تكون النتائج مميّزة، كما يؤكد باركر (2005) (Barker). أنوبام هازرا (Anupam Hazra) ينظر في لغة الجنس التي يستخدمها الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين في كولكاتا، الهند. فيجد أن كلامهم على الجنس غالباً ما يكون عنيفاً، فالذكورة

(Rashid) عن الصحة الجنسية والتناسلية في حي فقير من دكا، فإن العلاقات السلطوية ذات الطابع الجنسي (sexualised relations of power) في المجتمعات الفقيرة تترك العديد من النساء عرضة لإساءة جنسية وإنجابية. إلا أن تحليلها يؤكد أيضاً أهمية أن نفهم أكثر كيف تختبر النساء بأنفسهن علاقاتهن الجنسية، فلا تكون لنا أحكام مسبقة عن أوضاعهن. إنها تستشهد بشهناز وهي فتاة في الخامسة عشرة من عمرها، وزوجة ثانية لرجل أكبر منها سناً، تجد متعة بالغة في تسلطها الجنسي على زوجها وما يوفر لها ذلك من نفوذ (ولو مؤقتاً)، فتعلن: "لا يهمني أن أكون زوجته الثانية، فإن تسلطي عليه أكبر وكذلك عاطفته لي. لا قدرة لها، لا يمكنه أبداً أن يرفض لي طلباً".

هذه وغيرها من الصور الناشئة التي تتضح فيها فاعلية النساء تذكرنا بالحاجة إلى تخطي افتراضات مسلم بها عن عجز النساء، حتى نعي كيف يفهمن بأنفسهن حقائقهن الجنسية الذاتية.

في أحوال كثيرة لا يفترض أن تعترف النساء برغبتهم الجنسية. ليز إركيفيتش أمادو (Liz Ercevik Amado) تستشهد بقول إحدى المشاركات في ورشة تدريبية حول الجنسانية ضمن حقوق الإنسان في الريف التركي التي تقول: "لا يفترض أن تكون النساء جريئات، وأن يعبرن بصراحة عن مشاعرهن. حتى خلال الجماع مع زوجي أتساءل هل سيسيء فهمي ويظنني متحمسة أكثر من اللزوم. كان زوجي يعمل في الخارج. حين عاد لم أستطع التصريح برغبتني كي لا يظن أن مثل هذه الرغبة اعترفتني في غيابه". وبناء على أبحاثها في غامبيا تشير إيزاتو توراي (Isatou Touray) إلى "تقاعد قسري من الجنس" حين ينقطع حيض النساء ويتزوج أزواجهن زوجات أصغر سناً. وقد أوضحت إحدى المستجوبات: "حرمت الجنس منذ سنة لأن لزوجي زوجة جديدة أصغر سناً مني

بالنسبة للمثليات والمثليين ومزدوجي الميول الجنسية ومغيري النوع الاجتماعي (م.م.م.م.) (LGBT). إن كسر هذه الأنماط وخلق مساحات التواصل وتخطي المشاركة في قواعد المجتمع وصمته تحتاج إلى استراتيجيات تغيير تبدأ بتجارب الناس المعيشة، والاعتراف بتعقيداتهم، والعمل بعد ذلك لتحقيق علاقات جنسية أكثر عدلاً وأكثر تبادلاً للاحترام واللذة.

1.2 لأنّ الجنسانية هي أكثر من "قضية صحية"

إنّ الرغبة في الجنس وعلاقات جنسية جيدة وحق التمتع بها هي قضايا لا يغطيها العديد من برامج التدخل ... كيف نتوقع أن تفهم الشباب أهمية الجنس الذي يتم بالرضى المتبادل ومهارات التفاوض إذا اقتصرنا التربية على منع الحمل والأمراض المنقولة جنسياً والتخويف من الجنس في مجتمعات كثيرة؟ (Namibian participant in ICW Young Women's Dialogue 2004)

إنّ وكالات التنمية تفصل حيوات الناس إلى قطاعات، مقسمة بذلك دفع التجربة الإنسانية لكي تستطيع إدارة التدخل الذي أوجدته وخططت له. غالباً ما تعاملت وكالات التنمية مع الجنسانية على أنها قضية صحية، وتتناولها ضمن ما يعود إلى هذا القطاع مع تدخلات تحاول أن تقلل من مجازفات الحمل والولادة والعلاقات الجنسية ومنع المرض. لقد تناولت الجنس على أنه مصدر مجازفة ويعرّض للأذى أكثر مما تناولته على أنه حق (Klugman 2000; Corrêa 2002). مع أن هذه التدخلات ضرورية، إلا أنّها تقيد الجنس بفعله الجسدي ونتائجه (الحمل والأمراض المنقولة جنسياً وغير ذلك). ونبيّن أنه لا يزال أمامنا الكثير لكي نوسع ما تعنيه "الصحة الجنسية" ليشمل أبعاداً أوسع من الرفاه، وليتناول مقارنة أكثر

تساوي العدوان الجنسي، والولوج وحده يعدّ جنساً. يرى هازراً أن هذا الخطاب غير صحيّ ومستمد من الوصم الاجتماعي، ومن إطار قانوني من مخلفات الاستعمار يعاقب المثلية، ومن أدوار النوع الاجتماعي في النظام الأبوي، فهذه جميعاً تحرّم طرقاً بديلة للتحدث عن الجنس.

أما فيما يتعلق بمغيري النوع الاجتماعي، فبعض البيانات لا تفترض وجودهم مطلقاً. قد تكون في بيئات أخرى مجتمعات مغيري النوع الاجتماعي راسخة ومعتزاً بها ولو موصومة، مثل الهجراس (hijras) في جنوبي آسيا (راجع مقالة Huq) أو الترافستي في أميركا اللاتينية (راجع مقالة Campuzano). ولكن، على غرار غيرهم، تخضع تعابيرهم عن الجنسانية لضغوطات معيارية تستطيع أن تعوق إنجاز التجارب الجنسية والحياتية، بالإضافة إلى أنها قد تؤدي إلى الإساءة وانتهاك حقوق الإنسان. يبيّن جيسبي كامبوزانو (Giuseppe Campuzano) كيف أن الترافستي في البيرو اليوم يواجهون العنف من قبل الناس والشرطة، فضلاً عن الإقصاء الاقتصادي والتمييز ضدهم من قبل الخدمات الصحية. اجتماعياً، تمثّل الترافستي بأسوأ ما يميّز الجنسين - يُعتبرون ذكوراً وعليه تستطيع الشرطة أن تعاملهم بعنف، ولكنهم تمثّلوا أيضاً ببعض مظاهر نمط المرأة "المهسترة" مثل تغيير جسد، ولو على حساب صحتهم، ويختارون شركاء مغالين في ذكورتهم (macho) وربما عنيفين، ويختارون تأدية دور المتلقّي في العلاقات الجنسية.

إنّ الجنسانية مهمة للتنمية لأنها مهمة بالنسبة للناس. وهي مهمة أيضاً لأن الصمت والمحرمات والتوقعات الاجتماعية المرتبطة بالجنس التي تدعم الأنماط على أساس النوع الاجتماعي هي أمور غير مفيدة وقد تسبّب مشاكل بالنسبة للرجال والنساء المغايري الجنس بقدر ما قد تسبّب مشاكل

شمولاً للعلاقات الحميمة تضمن اللذة الجنسية والاحترام المتبادل. وفي الوقت عينه تظهر إجابتنا عن السؤال: ما أهمية الجنسية؟ أنها أكثر من "قضية صحة".

إنّ للجنسانية وما يحيط بها من قوانين إجتماعية تأثيراً في مواضيع أساسية تتعلق في اهتمامات التنمية التقليدية مثل الفقر والخير العام. كما تبين السياسة الجديدة للوكالة السويدية للتنمية الدولية (SIDA) حول الحقوق الجنسية والصحة الإنجابية، أنّ انتهاكات الحق بالصحة الجنسية والإنجابية (SRHR) تسبب الفقر كما يكون الفقر سببها، وهذه الحقوق تعزّز إنجاز "أهداف التنمية الألفية" (MDGs)، وليست هي هدفاً في ذاتها، بل هي أيضاً وسيلة لمحاربة الفقر (SIDA 2005). ويقول Klugman (2000) أنه من الضروري الربط بين الفقر وانعدام الحقوق الجنسية، ولا يكون ذلك بالسعي إلى مزيد من الحماية للنساء - ونكران جنسائتهن بذلك - وإنما بجعل اللذة الجنسية في صميم مجال الحقوق. قد تكون الجنسية مصدراً اقتصادياً، كالمجارة بالجنس أو الزواج من أسرة تكون هي أيضاً وحدة اقتصادية. وقد يؤدي التمييز ضدّ الذين يكسرون قوانين الجنسية إلى الفقر وسوء الحال والإقصاء الاجتماعي. إنّ حق تحكم المرء بجسده - سواء لحماية إستقلاليته أم التمتع بملذاته - هو أول الحقوق الأساسية، وليس "ترفاً" يركز عليه للتنمية فقط حين تكون قد تحققت الحاجات المادية الأساسية، كما يدعي البعض. حين نفتقر إلى إمكانية حماية أجسادنا من أن يسيء إليها الآخرون، وإذا مُنعنا فرصة حماية أنفسنا من الحمل والمرض، كيف يمكننا حينذاك أن نتمتع بحسنات التنمية الأخرى أو نطالب بها؟

يمكن تحليل التداخل بين الجنسية والفقر بناء على الاطار الذي رسمه Robert Chambers

(الرسم التوضيحي 1) (Chambers 2005: 46). كما يوضح هذا الرسم، فإنّ للجنسانية تفرعات في كل من أبعاد الفقر ودلالات لكل من مظاهر التنمية. تمتد هذه الدلالات وتلك التفرعات إلى ما هو أبعد بكثير من الحرمان الذي يعانيه المثليات والمثليون ومزدوجو الميول الجنسية ومغيّرو النوع الاجتماعي (م.م.م.م) وغيرهم من الأقليات الجنسية. إنّها تؤثر أيضاً في الذين يعيشون بحسب القواعد التي تملّيها عليهم المعايير الجنسية والإجتماعية الموجودة، أي النساء والرجال الذين يتزوجون والشابات والشبان الذين يتماثلون مع رغبة المجتمع بأنّ تتخليهم أرباء لا جنس لهم والأرامل والنساء اللواتي انقطع الحيض عنهنّ ويصورهنّ المجتمع بأنهن تجاوزن الشهوات الجنسية، وأن مثل هذه الرغبات تعرّضهنّ إلى قلة الإحترام. إنّ الجنسية قضية تنموية لأنّ إغفال مكانتها في التجربة الإنسانية يؤثر في الجميع.

1.3 لأن التنمية تؤثر في الجنسية

لا يستطيع أحد أن يشك منطقياً في العلاقة بين المتعة الجنسية والسعادة. ولا يستطيع الاقتصاديون أن ينكروا أنّ للجنسانية دوراً أساسياً في صحة الإنسان، بحسب تعريفهم هم أنفسهم. إنّ المشكلة تكمن في أنه جرى تجاهلها لأنه ليس من الممكن قياسها (Martin Greeley، اقتصادي، معهد دراسات التنمية).⁴

إنّ إجابة أخرى عن السؤال: لماذا على التنمية أن تهتم بالجنسانية؟ هي لأنه هذا هو ما تفعله وكثيراً ما يكون هذا الاهتمام بطرق تضرّ أكثر مما تفيد. للسياسات والبرامج تأثير على جنسانيات الناس بطرق لا تكاد تخطر على البال ولا يمكن أن تكون مقصودة. أحياناً تعمل مثل هذه التدخلات على تنظيم ووصم جنسانيات معينة، وأحياناً أخرى تخلق، عن غير قصد إمكانيات لإعادة تشكيل علاقات النوع الاجتماعي والجنسانية وقد

المساعدة الدولية لتنظيم الجنسية. كذلك تنعكس هذه الأجندا في رفض المنظمات الدينية اليمينية الإجهاض وغيره من حقوق الاستقلال بالجسد في مراجعات 2005 للأمم المتحدة كما تفصلها مقالة كيت شيل (Kate Sheill).

طبعاً، ليس في محاولات تنظيم جنسانية الآخرين ما هو جديد. إنَّ عدداً من المساهمين تتبع التأثيرات المعاصرة الناتجة عن التشريع القومي الذي خلفه الإستعمار في بلاد كثيرة. تبدأ صونيا كوريا تاريخها عن الجنسية والتنمية في القرن السابع عشر. يحلُّ سوميت بود (Sumit Baudh) ما يتضمنه قانون بريطاني استعماري والقسم 377 من القانون الجزائي الهندي الذي لا يزال سارياً في عديد من بلاد الكومنولث (commonwealth)، ويجرم "العلاقات الجنسية المخالفة للطبيعة". أما كامبوزانو فيصف كيف فرض تدخل استعماري إسباني إزدواجية صارمة على تصورات محلية أكثر مرونة للنوع الاجتماعي لمجتمعات محلية تعترف بدور الذين يغيرون نوعهم الاجتماعي فعرفوا بالترافستي. إلا أنَّ مبادئ الاستعمار المسيحية وبالتالي مؤثرات التنمية قمعت هذه الهويات والمجتمعات.

بدأت وكالات التنمية تعترف بأهمية تناول قضايا الجنسية بصرف النظر عن الإيدز. شقت مؤسسة فورد (Ford Foundation) طريقاً يجدر بوكالات التنمية الأخرى أن تسلكها، إذ أسست مراكز جنسانية مناطقية في أربع قارات لتساعد في العمل على الجنسية بطرق إيجابية وتمكينية.⁵ وتؤكد سياسة السويد المرشدة حول الحقوق الجنسية والصحة الإنجابية لعام 2005، وهي الأولى بين مانحين ثنائيين، مركزية الحقوق الجنسية والخير العام بالنسبة للتنمية. إنَّ ورقة الموقف التي صدرت عام 2004 عن إدارة التنمية الدولية (DFID) حول الحقوق الجنسية والصحة

تكون ذات تأثيرات سلبية وإيجابية على السواء. مثلاً، يحل Altman (2004) تأثير العولمة في الجنسية والنوع الاجتماعي، مبيناً كيف أن الإستقلالية وحرية التنقل والتمدن المتزايدين يغيّران أشكال السلوك الجنسي ومعايير بطرق قد تكون محرّرة وقامعة في الوقت نفسه. ولكن نادراً ما أعارت سياسات التنمية الاقتصادية أهمية كبيرة لما قد يكون لهما من تأثيرات في الصعيدين الجنسي والاجتماعي.

في الماضي ركّزت وكالات التنمية بالدرجة الأولى على نتيجة واحدة للعلاقات المغايرة للجنس: الحمل والتوليد. يبيّن أنديل غوسين (Andil Gosine) إلى أي حد أدى اهتمام واضعي السياسات بنمو السكان إلى إجراءات تنظم خيارات النساء الجنسية والإنجابية، إما بالإكراه (مثلاً سياسة الصين لإنجاب ولد واحد، التعقيم الإجباري في آسيا وأميركا اللاتينية والكارييب) أو بواسطة محاولات لتغيير التفضيلات من خلال برامج تعليم تؤكد المصاريف المرتفعة المترتبة على إنجاب أولاد كثيرين، أو ما يكون لتضخم عدد السكان من تأثيرات بيئية. ويقول غوسين في مقالته:

رغبات النساء الجنسية كانت دائماً إما مرفوضة أو مدانة ... الرعب الأخلاقي (moral panics) من فيروس نقص المناعة المكتسبة/ الإيدز جعل المثلية الذكورية تهديداً شبيهاً بهذا الرعب، واعتبر العلاقات الجنسية بين الرجال نشاطاً سلبياً لأناس عاجزين عن التحكم برغباتهم الجنسية أو ... الشعور بالحب.

إنَّ الشروط التي تفرضها الولايات المتحدة حالياً لتمويل فيروس نقص المناعة المكتسبة/ الإيدز والتي تتطلب تعزيز الامتناع عن الجنس، والابتعاد عن الإجهاض والعمل بالجنس، هذه الشروط أيضاً أمثلة واضحة عن محاولات عدد من وكالات

إلى الأبعاد التنموية للجنسانية على أنها بحد ذاتها من قضايا حقوق الإنسان وجزء ضروري لأية مقارنة من التنمية مبنية على الحقوق يؤكد أهميتها للتنمية. في هذا القبول يقول هنري أرماس (Henry Armas):

الإنجابية (SRHR) لا تذكر الشيء الكثير عن الحقوق الجنسية،⁶ ولكنها تطور مقارنة مبنية على الحقوق من الحقوق الجنسية والصحة الإنجابية التي تعترف بحقوق النساء بجنسانية يخرنهن (DFID 2004).

ليست الحقوق الجنسية أقل أهمية من الحق بالعلم والصحة والعمل ... إن الحقوق الجنسية هي جميع هذه الحقوق ... وعلى الرغم من الإجماع النظري على التكامل، نادراً ما حاول صانعو السياسات الاهتمام بالصلات الحقيقية والعملية الكثيرة بين الحقوق الجنسية وغيرها من الحقوق.

يعين أرماس هذه الصلات، مبيناً طرق تفاعل الجنسانية مع التربية والصحة والعمل وغيرها من الميادين المماثلة. ويستشهد بختان الإناث، فضلاً عن "الختان الرمزي" لرغبة النساء بما في ذلك ما يكون من تأثير مباشر للخجل وللشعور بالذنب على الصحة الجسدية والعقلية؛ كما يستشهد بواقع الصبيان المخنثين والفتيات الحوامل الذين هم أكثر عرضة للتسرب المدرسي نتيجة التمر والضغوطات الاجتماعية وانعدام الدعم؛ كما يشير إلى تمييز أرباب العمل والزملاء ضد الم.م.م. في أماكن العمل. ويتابع مشدداً أن أية جهود لدمقرطة التنمية وتوسيع المواطنة الديمقراطية لا بد أن تتناول مسائل الجنسانية، وأن تجابه بصراحة حالات التمييز والظروف المعوقة الكثيرة التي يختبرها الذين يعانون تجاهل حقوقهم الجنسية.

2 صلات جديدة، إمكانيات جديدة

2.1 تحقيق الحقوق الجنسية

... ينبغي لنا أن نتخطى مجرد التكتيكات الدفاعية وأن نطور استراتيجيات متكاملة واضحة لكي نستطيع أن نتقدم فنحقق كل الوعود ... بالحقوق الجنسية. (كيت شيل)

يفتح حديث التنمية الجاري حول "المواطنة" و"المحاسبة" و"التمكين" مجالات لهذه التوجهات الجديدة. ولكن أساليب المساعدة اليوم والسياسات الجغرافية تقلص في الوقت نفسه مجال وكالات المساعدة التقدمية في متابعة نوع التمويل الذي يستطيع أن يغرس ويسند مبادرات يمكنها أن تحدث فرقاً. كما أن نمو الأصوليات يزيد العدوانية في البيئات المعنية. وتؤكد صونيا كوريا في تتبعها تحولات المناقشات حول حقوق الجنس والإنجاب في المجالات الدولية خلال العقود الأخيرة، نقاطاً مهمة واختراقات، وتحدد هذه الاتجاهات المتضاربة بأنها "تناقضات" هذا العقد.

1.4 لأن الحقوق الجنسية من حقوق الإنسان

لا يُنكر أن الجنسانية خيط من خيوط التجربة الإنسانية. وعليه، ماذا يحول دون اتخاذها مكانتها الخاصة، وصوتها الخاص في معرض حقوق الإنسان؟ (سوميت بود)

إذا كانت الجنسانية هامة للتنمية، ينبغي للمقاربات المبنية على الحقوق أن تقدّر الحقوق الجنسية - لا على أنها "ترف" - بل على أنها حقوق أساسية (Shue 1996) ذات دور جوهري لدى المطالبة بأية حقوق أخرى. وفي هذه الحالة، عن أية حقوق نتكلم؟ وحقوق من؟ فيما بدأ الكلام في السنوات الأخيرة على الصلات بين التنمية وحقوق الإنسان، أصبحت أبعاد الجنسانية في حقوق الإنسان أوضح بكثير (Klugman 2000; Hunt 2004; Corrêa & Jolly 2006). إن التطرق

مقالة هنري أرماس. إلا أنه يلفت النظر أيضاً إلى النقص في التشريع الحالي - مثل حماية الذين يعبرون النوع الاجتماعي (those who transit gender) - والتحدي الكبير لتحوّل ما تتيحه الأطر القانونية إلى تغييرات في المواقف والممارسات الإجتماعية التي لا تزال تهدد حيوات الأقليات الجنسية في المنطقة وصحتهم المعنوية والجسدية.

يركّز ريبوس على حقوق الـ م.م.م. الذين يُوسَمون بأنهم "مختلفون"، وعلى تحدّي اعتبار الجنسية المغايرة معياراً، وذلك بواسطة تشريع يمنع التمييز. وتبيّن مقالته أن ذلك أدى إلى تقدم كبير في الاعتراف بحق الناس في اختيار جنسائهم والتمتع بعلاقات حب يختارونها. ولكن جايا شرما (Jaya Sharma) تبيّن أن لمثل هذه المقاربة حدودها، فبدلاً من أن تعترض على أشكال التمييز التي تود منعها، قد تنتهي إلى تأكيدها. فالأطر القانونية التي تسعى إلى حماية حقوق الـ م.م.م. تفعل ذلك إلى حد بعيد بأن تحدّد فئة كل من أصحاب هذه الحقوق (مثلاً "رجال مثليون") وعلى الناس أن يتطابقوا معها أو أن يُعتبروا متطابقين معها لكي ينالوا هذه الحقوق. برأيها إن تحديد حقوق "الأقليات الجنسية" يعزل اعتبار الجنسية المغايرة معياراً عن أية مسألة. وعليه تقول شرما إن ما نحتاج إليه هو اعتماد لغة الحقوق كاستراتيجية بالإضافة إلى التجذّر في الإطار الخاص بأحرار الجنس والنسويين مما يوفر خطابات واستراتيجيات للعدالة والمساواة تكون أبعد تأثيراً وأكثر تحريراً.

يحاول بود أن يتناول بعض هذه الأمور وأن يدخل الحقوق الجنسية في مناقشات حقوق الإنسان الموجودة. يبدأ تحليل بود بالتساؤل عن جزء متبقّي من التشريع الاستعماري يستخدم في الهند لفرض إلزامية الجنسية المغايرة: يكاد الجزء 377 يطبّق

ويبقى السؤال: كيف نحوّل هذه الحقوق إلى واقع؟ تطالب كيت شيل بإعادة النظر في استراتيجيات التأييد الراهنة لنزيد قدرتنا على إقناع الأمم المتحدة والحكومات الأعضاء بأن الحقوق الجنسية هي في الواقع حقوق إنسانية. وتوضح كيف أن التكتيكات الدفاعية التي طوّرت رداً على الصوة المحافظة يمكنها أن تعطي عكس النتيجة المرجوة. يدعي الناشطون أنهم لا يطالبون بأية حقوق جديدة، بما أن الاتفاقيات الدولية السابقة تشمل ضمناً الحقوق الجنسية. ولكن مجموعات الضغط المحافظة اعتبرت أن ذلك يمثل إقراراً بأن الحقوق (كالإجهاض) لا تُقرّر إلا إذا نُظمت في اتفاقيات موجودة. وتطالب شيل بتخطي التكتيكات السلبية و"نموذج حقوق الإنسان السلبي والحماي" الذي يؤكد فقط الحماية من الانتهاكات من أجل الوصول إلى "حق أن يتحرّر المرء من شيء، لا أن يكون حراً." فهذا النموذج لا بد أن يحدّ في النهاية من تحقيق الحقوق الجنسية. وعلى غرار شيل يتناول مساهمون آخرون حدود الاستراتيجيات الراهنة الهادفة إلى تحقيق الحقوق، ويبحثون عن مقاربات بديلة.

برهنت الناشطة القانونية أنها استراتيجية هامّة بالنسبة لحركة النساء والـ م.م.م. عالمياً في سعيهم من أجل إبطال القوانين التي تميز ضدهم وأن توضع قوانين تحميهم وتعاقب التمييز على أساس الجنس والميول الجنسية. ففي الدراسة التي أجراها القاضي البرازيلي الفيدرالي روجير روب ريبوس (Roger Raupp Rios) للأطر القانونية والقوانين في المنطقة حيث يوجد بعض أكثر القوانين تقدمية خارج أوروبا، يركز على مدى الحماية التي يوفرها القانون في منطقة أميركا اللاتينية للـ م.م.م. كما يضع نيل هذه الحقوق في إطار إعادة ديمقطة المنطقة وفي علاقتها بالمطالبة بحقوق اجتماعية، ويشير إلى بعض الصلات بين الديمقراطية والجنسانية التي تؤكد

الجنسية. إنَّ تعبير بود عن حق الاستقلالية الجنسية يوفر طريقة لتخطي التصنيف إذ يعبر عن النضال لاستعادة حقوقنا على أجسادنا بلغة تشمل السلامة الجسدية والحرية الجنسية معاً.

إنَّ الكلام على الحقوق الجنسية للجميع يثير السؤال: ماذا تكون إذا الحقوق الجنسية للرجال ذوي الجنسية المغيرة؟ تلاحظ جيل لويس وجيل غوردون أن العاملين في تنمية "المساواة في النوع الاجتماعي المركزة على النساء" يستصعبون الإجابة عنه. فانتشار فكرة أن الرجال هم المشكلة، والامتيازات الخاصة بالنظام الأبوي التي أصبحت من طبيعة خطاب النوع الاجتماعي منفعة يتمتع بها جميع الرجال، كادا لا يبقيان مكاناً لإثارة هذا السؤال، فكم بالحري للإجابة عنه. وهذا ما تفعله مقالة ألان غريغ (Alan Greig). يثير غريغ إشكالية اعتبار فئة "الرجال" متجانسة ويدافع عن الحاجة إلى المجيء "بتحليل مراعي للنوع الاجتماعي أكثر دقة وتفصيلاً وأقل تمييزاً ضد المثليين/أت" في تناول هذه القضية، "والاعتراف بأن حقوق بعض الرجال الجنسية منتهكة منذ زمن بعيد" (ص132).

بتسليط الضوء على أن النوع الاجتماعي يشكل الخلفية لما يعانيه أحرار الجنس ومغايري الجنس من عنف جنسي، يطالب غريغ بتخطي الخطابات التبسيطية عن الذكورة للبحث في المعوقات المعقدة التي تواجه الذكورة التي تعتبر الجنسية المغيرة معياراً. يطالب بمقاربة تطرح أسئلة أساسية حول القيام بالذات والمساءلة، والتي لا تخاف من تسليط الضوء على الدور الذي على الرجال مغايري الجنس أن يؤديه في "الثورة الاجتماعية والجنسية التي ستؤمن الحقوق الجنسية ليس فقط لهؤلاء وإنما للجميع".

2.2 سلطة اللذة

كيف يكون العالم لو كان لنا فعلاً حق اختيار جنسانيتنا والعلاقات الجنسية الممتعة؟

فقط على العلاقات الجنسية بين الرجال. يحلل بود الحجج القانونية التي استخدمت للاعتراض على قوانين اللواط في بيئات أخرى، ويقول إن هذه القوانين ارتكزت على الحق بالخصوصية والمساواة والكرامة الإنسانية. ويبيّن أنَّ في كل من هذه الحقوق خللاً يجعلها عاجزة عن تطوير الحقوق الجنسية تطويراً أساسياً. حق الخصوصية يعمل فقط على إخراج السلوك الجنسي من نطاق سلطة الدولة ولكنه لا يساعد كثيراً على جعل الجنسية المثلية قانونية. إنَّ حق المساواة قائم على اعتبار الميل الجنسي ثابتاً، والنظر إلى أية هوية جنسية غير متعارف عليها اجتماعياً على أنها من بقايا فكرة محدّدة متعارف عليها اجتماعياً عن الجنسية المغيرة. أما حق الكرامة الإنسانية فيعتبر الذين يقومون بممارسات جنسية كاللواط في منزلة الأقليات الذين يشتركون في هوية جماعية ويستحقون الحماية. فبإمكان الاختلاف الكامن في التعبير الجنسي، أو بخلق فئة مختلفة من أناس تعامل رغباتهم وهوياتهم الجنسية على أنها مغيرة، تظهر الجنسية المغيرة كالمعيار الذي لا اعتراض عليه.

كيف يمكن لمقاربة من الحقوق الجنسية أن تأخذ بعين الاعتبار تنوع أشكال الهوية والتعبير الجنسيين وتغيّر الرغبة والتجربة الجنسيين خلال مجرى حياة الفرد؟ من الحجج القانونية المدافعة عن الحق بالخصوصية والمساواة والكرامة الإنسانية يستمدّ بود برهاناً على حق الاستقلالية الجنسية الذي له إمكانيات تتخطى صلته بالعلاقات الجنسية المثلية بحيث تتناول مختلف الحقوق الجنسية والإنجابية. كما يذكرنا Petchesky (1988) إن الحديث عن الحقوق قد لا يعني كثيراً بالنسبة للعاجزين عن اللجوء إلى العدالة، ولكن ذلك لا يعني أن الناس لا يشعرون بأنهم مخوّلون لأن يكون لهم حقوق جنسية وإنجابية. كما تبين شرين حق، أنَّ وضع المفاهيم المتعلقة بالتحويل في إطار لغة الحقوق يشكل جزءاً أساسياً من النضال لتحقيق الحقوق

Karen Ronge. Women for Women's
(Human Rights)⁷

إذا كانت التنمية والجنسانية تتفاعلان تفاعلاً يبلغ هذا الحد من العمق والانتشار، فكيف يمكننا أن نجعل هذه العلاقة بناءة أكثر؟ كانت الإجابة التي اقترحها عدد من المساهمين في هذا العدد من النشرة أن نتحول من مقاربات الجنسانية الحالية الضيقة والسلبية إلى غيرها تكون أكثر تمكيناً وإيجابية وارتكازاً على اللذة. هذا يرتبط بمطالبة كيت شيل بالتوقف عن استخدام الخطاب الذي يصور الإنسان على أنه دائماً ضعيف ومعنف ومضطهد (victimisation rhetoric) والتركيز على الانتهاكات، هادفين إلى حقوق إيجابية أوسع تشمل "حق الفرد بالخيار والتعبير واللذة".

كما بيّنا أعلاه، يُفترض أن لا يعبر الناس عن جنسانيتهم إلا بطرق محدّدة. ففي محيطات كثيرة ينبغي للنساء والد.م.م.م.، ولهؤلاء المصابين بفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز أن لا يتمتّعوا وأن لا يعبروا عن جنسانياتهم. قد يفترض أن يتمتع الرجال بجنسانيتهم وأن يعبروا عنها، ولكن قنوات التعبير التي يسمح بها المجتمع محصورة في الواقع في أنواع معيّنة من الجنس (مثلاً، الولوج العدواني) وفقط مع أنواع محدّدة من الناس (مثلاً، الشبابات). إنّ الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والعنف والعار والوصم بالعار تتحد للمحافظة على هذه القواعد. وقد تكون المقاربات الإيجابية التي تشمل الحق بطلب اللذة التي نسعى إليها، أو رفض التي لا نرغب بها، مدخلاً للاعتراض على هذه الأنظمة السلطوية.

يستأثر المحافظون "بالثقافة" على أنها خاصة بهم ويؤكدون عناصرها القامعة. لا بد من الاعتراض على الربط بين "التقاليد" وحرمان النساء حاجاتهن الجنسية. إنّ تقاليد قديمة كالكارما سوترا (Karma Sutra) تعترف بسلطة

اللذة وبأهمية جنس ناجح بالنسبة لعلاقات جيدة. وتقدّم مقالة سيلفيا تامال (Sylvia Tamale) عن المؤسسة البغادية المحلية، سينغا لتلقين الجنس مثلاً ممتازاً على ذلك. تبحث تامال في مقارنة السينغا المرتكزة على اللذة، وتبيّن أن تعليم السينغا يمكن أن يشكل مساحة تمكّن النساء من هدم معايير النظام الأبوي والتحكم بجنسانيتهن. تستشهد بقول إحدى المتعلّقات في مؤسسة السينغا التي اعترضت على نظرة ذكورية إلى الجنس وأثارت بذلك نقاشاً حول لذة النساء الشهوانية:

إنّظروا دقيقة، كل ما سمعناه هذا المساء هو كيف نمتع الرجل، كيف علينا أن نخدّمه ونخدم أولادنا طوال الوقت، ماذا علينا أن نفعل لكي نرضيه في الفراش، ... هل يمكنكم أن تقولوا لي ما بإمكان الرجل أن يفعل لكي يرضيني؟

كما توضّح مقالة تامال بشدة أنّه بدلاً من حذف "التقاليد" قد نحصل على مكاسب كثيرة من استعادة عناصرها التمكينية - والهدامة بالفعل.

هناك العديد من المبادرات المثيرة التي تؤكّد حق النساء باللذة، فضلاً عن حقهنّ بأجسادهن. إنّ مقالة أمادو عن المنظّمة غير الحكومية التركية "النساء لحقوق النساء الإنسانية" (WWHR) مثل على ذلك. تنظم هذه المنظّمة برامج تدريبية على حقوق الإنسان وتشمل الحقوق الجنسية للنساء في الأرياف ذات الغالبية المسلمة. وعلى غرار عدد من المساهمين في هذه النشرة لمعهد دراسات التنمية (IDS Bulletin) تحدد أمادو التحكم بجنسانية النساء بأنه أحد أهم الآليات لقمع النساء. ويسعى برنامج المنظّمة التدريبي إلى تمكين المشاركات من الربط بين السياق السياسي، الاجتماعي والثقافي والمعوقات التي تواجهها النساء، بدلاً من اعتبارها إجراءات معقولة لحماية "شرفهن". يهدف التدريب أيضاً إلى مساعدة المشاركات في

تبيّن ويلبرون مدى فاعلية ورش العمل هذه بالنسبة للنساء المصابات بفيروس نقص المناعة المكتسبة اللواتي كثيراً ما تُنكر رغباتهن الجنسية وحقهن باللذة.

بالنسبة إلينا نحن اللواتي لم تتح لهن فرصة التعرف إلى أبعاد أهمية الجنس الناجح في حياتنا قبل تشخيص مرضنا، تستطيع ورش العمل هذه أن تعطينا الفرصة والمهارات لاستعادة أجسامنا من مخالب تشخيص فيروس نقص المناعة المكتسبة، وأن نتعلم ماذا تمنحنا اللذة، وأن ننمي علاقات أكثر محبة واحتراماً متبادلاً ورضى مع الذين اخترنا أن تكون لنا معهم علاقات جنسية، وهم يعرفون أنهم من خلال هذه الورش قد يدركون أن احترامنا يعني أن حيواتهم هم اكتسبت أيضاً مزيداً من المعنى.

ينادي غوسين بأن تتجاوز التنمية الخطاب العنصري حول العلاقات الجنسية بين الرجال والتي تختزل العلاقات بين الرجال غير البيض فتحوّلها إلى علاقات جسدية خالصة. إنه يطالب بمقاربة تعترف بالحب والحميمية والعطف كجزء من العلاقات الجنسية بين الرجال مع بعضهم البعض. مثل هذه المقاربة لا تناهض فقط الميل إلى إعادة إنتاج التحامل الاجتماعي على العلاقات المثلية التي يتضمنها اعتبار المثلية الذكرية ناقلة عدوى، ولكنها تلتفت الانتباه أيضاً إلى الأبعاد العاطفية الخاصة بعلاقات الرجال الحميمة مع بعضهم البعض. كذلك يرى هازرا أن إدخال "عناصر الحسية" في التربية على علاقات جنسية أسلم بين الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين هو أمر ضروري لتكون هذه التربية فعالة، بالإضافة إلى كونها تحتل أن توافق على شرعية هؤلاء الرجال في نضالهم كي يؤسسوا مكاناً لأنفسهم في وجه وصمة العار والتمييز.

زيادة المعرفة بأجسادهن، والحصول على مزيد من السلطة على ما يصنعن بهذه الأجساد. وقالت إحدى المتدربات: "قبل أن أشترك في هذا التدريب، لم أعرف أن باستطاعة البنات أو النساء أن يشعرن باللذة الجنسية". وقالت أخرى: "لي حق ممارسة الجنس. لي حق الشعور باللذة ..."

مع أن اللذة، أو الرغبة بها، هي أحد الأسباب الهامة التي تدفع الناس إلى ممارسة الجنس، إلا أن برامج الجنس السليم كثيراً ما تغفلها إذ تركز فقط على المجازفة والخوف. ويندي كنير (Wendy Knerr) وأن فيلبوت (Anne Philpott) تقدّمان مواد تدريبية استعملتاها كقدوة في كيموديا تستخدم اللذة للحض على جنس آمن. وحجّتهما منطقية: إن جعل الجنس الآمن أكثر لذة قد يدفع الناس إلى ممارسته. ففي هذه المقاربة يصبح الواقي الذكري "كالمية مثيرة للشهوة الجنسية" أكثر منه أداة تمنع المرض. وتقص أليس ويلبورن (Alice Welbourn) تجاربها في ورش عمل نظمت كجزء من برنامج Action Aid's Stepping Stone الذي يوفر مساحة تمكن المشاركات من تحري فهمهن للحب وتجارب علاقاتهن الحميمة. تبيّن مقالاتها فاعلية كسر الصمت الذي غالباً ما يحيط بالجنس والجنسانية. بإعادة تركيز المناقشات على اللذة الجنسية لكي تأخذ بعين الاعتبار جميع العوامل التي يمكن أن تحول دون علاقة جنسية ممتعة - بما في ذلك افتقاد احترام وعناية متبادلين - تستطيع مثل هذه الورش أن تعزز مقاربة من منع فيروس نقص المناعة المكتسبة تتجاوز تعليم الناس آليات جنس أسلم.

في غامبيا مثلاً، تعلّم الرجال أهمية ذروة لذة الجماع عند النساء والجي سبوت (G-Spot)، ويرون الآن أن المقاربة القائمة على علاقات جنسية سريعة خالية من العاطفة تترك النساء غير مشبعات عاطفياً وجنسياً.

2.3 صوغ محادثات، بناء حركة

اللواتي اغتصبهن الجنود الصرب خلال الحرب في يوغسلافيا السابقة. فإليهن قُدمت جميع أرباح عرض حوارات المهبل. وقد عقدت علاقات متينة نتيجة النضال المشترك ضد العنف الجنسي.

يتحدث كامبوزانو عما يمكن أن يتعلمه الترافستي من النسوية والحاجة إلى بناء تحالفات مع الحركة النسائية - المعادية لهم عادة - في أميركا اللاتينية. إن رواية شرين حق المؤثرة عن الحركة النسائية في بنغلادش وكيف وجدت نفسها وجهاً لوجه مع حقائق حياة عاملات الجنس، بما فيهن مغيرات النوع الاجتماعي، والتحالفات والفهم الجديد الذي نتج عن هذا اللقاء، تظهر القوة التي تتجلى في مواجهة الأفكار المسبقة والتحامل، والتماهي حول مجموعة من الأهداف السياسية المشتركة. أما مقالة غريغ فتبين أن الرجال المغايري الجنس قد يتماهون مع نقد علاقات السلطة الراسخة التي تمنحهم فوائد النظام الأبوي. إن هذا يبين إمكانية القدرة على بناء الجسور بين نقاط الضعف القائمة. إن ما تبيّنه هذه القصص المختلفة هو أهمية تجاوزنا الأفكار التي تقيّد الآخر، والعمل متخطين الاختلاف في سياسة جديدة تواجه الظلم الذي تفرضه الحالة الاجتماعية والجنسية الراهنة.

3 الجنسية مهمة

كنا نتكلم على تنمية ذات وجه إنساني. ينبغي لنا أن نتكلم على تنمية ذات جسد. (Arit Oku-Egbas، مركز مصدر الجنسية المناطقية في أفريقيا (ARSRC)، نيجيريا).⁸

لم تشكل الجنسية هماً تنموياً؟ لأن الجنسية هامة بالنسبة للناس وهي جزء مهم من حياة معظمهم. لأنه أصبح لسياسات التنمية وممارساتها تأثير هام - كثيراً ما يكون سلبياً - على الجنسية. ولأن للجنسية والمعايير الاجتماعية

كنا معاً نبني الاستراتيجيات، نعبئ، ونواجه الصحافيين ... نتظاهر أمام مختلف المكاتب الحكومية ... نقابل موظفي الأمم المتحدة ... وبين هذا كله نجلس لاحتساء الشاي والاستماع إلى قصص كثيرة لم تُقل بعد عن النضالات الشخصية ولتبادل النكت. أصبحنا أتيو (attiyu) (أقرباء). (شرين حق عن الحملة المشتركة لعاملات الجنس والمنظمات النسائية في بنغلادش، 1999).

يكمن جزء آخر من الإجابة عن كيف يمكن أن يكون تفاعل التنمية والجنسانية بناءً أكثر في اعتبار الجنسية قضية متداخلة مع غيرها، والتعرف إلى علاقتها بالأبعاد المتعددة للحياة والصحة المعنوية والجسدية. يجب التأكيد أن الحقوق الجنسية جزء لا يتجزأ من الحقوق الإنسانية للجميع، ولا تتصل فقط بهويات معينة محدودة. إن عدداً من المبادرات الناشطة التجديدية الواردة في نشرة معهد دراسات التنمية هذه تعقد علاقات جديدة وتبني تضامناً حول قضايا جنسانية مشتركة بين فئات كانت في السابق تختلف فيما بينها.

تصف يلينا دجوردجيفيك (Jelena Djordjevic) العرض الأول لحوارات المهبل (Vagina Monologues) في بلاد الصرب. إن ممثلين مشهورين استقطبوا جمهوراً أوسع بكثير من المهتمين عادة بالحركة النسائية، بما فيهم شبان ورجال. جاءوا ليشاهدوا النجوم، ولكنهم تأثروا جداً بالعرض، حتى أن بعضهم بكى. وفي نهاية العرض دعت الناشطة Rada Boric إلى وقوف جميع الذين عرفوا امرأة أو فتاة تعرضت للعنف في حياتها، فهبّ واقفاً كل الجمهور تقريباً. بعد ذلك دعي أعضاء من منظمة KOLO للكلام. إن هذه المنظمة النسائية البوسنية تدعم البوسنيات

Pramada Menon, 2006, 'The Top Ten List on How 1 to Change', *Development Thematic Section* 49: 42-5; see doi:10.1057/palgrave.development.1100226.

2 ملاحظة صونيا كوريا في كلمتها الافتتاحية في ورشة عمل معهد دراسات التنمية "تحقيق الحقوق الجنسية" في 28 أيلول 2005.

3 خطبة أُلقيت في حلقة دراسية بعنوان الجنسية، التنمية، وحقوق الإنسان: استحداث الصلات (Sexuality Development. Human Rights: Making the Connections) التي نظمها فريق الاختصاصيين في شؤون التنمية (Expert Group for Development) في استكهولم (Stockholm) في 6 نيسان 2006 ملاحظة صونيا كوريا في كلمتها الافتتاحية في ورشة عمل معهد دراسات التنمية "تحقيق الحقوق الجنسية" في 28 أيلول 2005.

5 لأفريقيا انظر www.arsrc.org؛ لأميركا اللاتينية انظر www.clam.org.br لجنوبي وجنوبي شرقي آسيا انظر www.asiarc.org للولايات المتحدة انظر www.nsrc.sfsu.edu

6 لم يذكر المصطلح إلا مرة واحدة بصدد لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان 2004.

7 ملاحظة أُبديت في ورشة عمل "تحقيق الحقوق الجنسية" في أيلول 2005.

8 ملاحظة أُبديت في ورشة عمل "تحقيق الحقوق الجنسية" في أيلول 2005.

التي تسعى بدورها إلى لجمها وضبطها تأثيراً كبيراً في الفقر والخير. يجب أن تعترف التنمية بأهمية الجنسية، وأن تتجاوز المقاربات الراهنة المحدودة والسلبية، لتتبنى بطرق أكثر إيجابية وبناءة أهمية الجنسية بالنسبة للتنمية. إنَّ نشرة معهد دراسات التنمية هذه توفر مجموعة كبيرة من الأمثلة الموفقة والموحية بسبل تحقيق ذلك.

ملاحظات

• تمكنا من نشر نشرة معهد دراسات التنمية بفضل دعم الوكالة السويدية الدولية للتعاون على التنمية (SIDA)، إدارة التنمية الدولية (DFID)، الوكالة السويسرية للتنمية والتعاون (SDC)، لبرنامج معهد دراسات التنمية "السلطة، المشاركة والتغيير" IDSPower.Participation (and Change) PPC program). نود أن نشكر Prudence Woodford-Berger من وزارة الخارجية السويدية، Ondina Leal من مكتب Ford Foundation في البرازيل، و Eve Lee من مكتب مؤسسة فورد في الصين على الدعم السخي الذي مكن عدداً من الذين كتبوا في هذا العدد من النشرة من أن يحضروا ورشة عمل "تحقيق الحقوق الجنسية" التي تأسست عليها النشرة. كما نشكر على إسهامهم في تمويل ورشة العمل كلاً من داعمي برنامجنا "السلطة، المشاركة والتغيير"، الوكالة السويدية الدولية للتعاون على التنمية (SIDA)، وإدارة التنمية الدولية (DFID)، والوكالة السويسرية للتنمية والتعاون (SDC). نشكر أيضاً Kirsty Milward للمساعدة في التحرير، و Jenny Edwards و Alison Norwood على تنسيق إنتاج هذه النشرة، و Katja Jassey على ملاحظاتها القيمة على مسودة سابقة لهذه المقدمة.

- Altman, Dennis (2004) 'Sexuality and Globalization', *Sexuality Research and Social Policy* 1.1: 63–8
- Barker, Gary (2005) *Dying to Be Men: Youth and Masculinity and Social Exclusion*, London: Routledge
- Chambers, R. (2005) 'Participation, Pluralism and Perceptions of Poverty', paper for The Many Dimensions of Poverty conference, Brazil, August 2005, www.undp-povertycentre.org/md%2Dpoverty/papers/Robert.pdf
- Corrêa, Sonia (2002) 'Sexual Rights: Much Has Been Said, Much Remains to be Resolved', presented as a lecture in the Sexuality, Health and Gender Seminar, Department of Social Sciences, Public Health School, Columbia University, USA
- Corrêa, Sonia and Jolly, Susie (2006) 'Sexuality, Human Rights, Development: Making the Connections', mimeo, framing paper for the EGD seminar 'Sexuality, Human Rights, Development: Making the Connections', 6 April
- DFID (2004) *Sexual and Reproductive Health and Rights: A Position Paper*, London: Department for International Development
- DFID (2000) *Realising Human Rights for Poor People*, London: Department for International Development
- Gosine, Andil (2004) *Sex for Pleasure, Rights to Participation, and Alternatives to AIDS: Placing Sexual Minorities and/or Dissidents in Development*, IDS Working Paper 228, Brighton: IDS
- Hunt, Paul (2004) *The Right of Everyone to the Enjoyment of the Highest Attainable Standard of Physical and Mental Health*, Report of the Special Rapporteur to the 60th Session of the UN Commission on Human Rights, UN Document E/CN.4/2004/49
- Long, Scott (2005) *Anatomy of a Backlash: Sexuality and the 'Cultural' War on Human Rights*, www.hrw.org/wr2k5/anatomy/1.htm#_ftn1 (accessed 22 July 2006)
- Klugman, Barbara (2000) 'Sexual Rights in Southern Africa: A Beijing Discourse or a Strategic Necessity?', *Health and Human Rights* 4.2: 132–59
- Menon, Pramada (2006) 'The Top Ten List on How to Change', *Development* 49: 42–5
- Petchesky, Rosalind (1998) 'Introduction', in Rosalind Petchesky and Karen Judd (eds), *Negotiating Reproductive Rights: Women's Perspectives Across Countries and Cultures*, London: Zed Books: 1–30
- Pigg, Stacey Leigh (1999) 'Translating AIDS Awareness Messages into South Asian Contexts', *Re/Productions* (2), www.hsph.harvard.edu/grhfasia/repro2/issue2.htm (accessed 22 July 2006)
- Rubin, Gayle (1989) 'Thinking Sex: Notes for a Radical Theory of the Politics of Sexuality' in Carole Vance (ed.), *Pleasure and Danger: Exploring Female Sexuality*, London: Pandora Press
- Samelius, L. and Wagberg, E. (2005) *Sexual Orientation and Gender Identity Issues in Development: A Study of Swedish Policy and Administration of Lesbian, Gay, Bisexual and Transgender Issues in International Development Cooperation*, Stockholm: Swedish International Development Cooperation Agency (SIDA)
- Sen, Amartya (1999) *Development as Freedom*, Oxford: Oxford University Press
- Shue, Henry (1996) *Basic Rights*, Princeton, New Jersey: Princeton University Press
- SIDA (2005) *Sexual and Reproductive Health and Rights: A Cornerstone of Development*, Stockholm: Swedish International Development Cooperation Agency (SIDA)



سنبداً بسبعينات القرن العشرين: نستطيع أن نتذكر حرباً شاملة (فيتنام)، وبعض الديكتاتوريات (في أوروبا أيضاً)، ولكن في الوقت نفسه تطورات فكرية وسياسية أساسية في مضماري النوع الاجتماعي والجنسانية. وقد شملت هذه اعتراضاً على النظام الأبوي كنظام شرعي، وأهم من ذلك، إبتكار فكرة أنظمة الجنس/النوع الاجتماعي (1974 - 1975). يجب أن نضيف إلى ذلك تاريخ الجنسانية ل Foucault (1976-1978) الذي لا يزال حدثاً

مفصلياً في التنظير المعاصر حول الجنس. في آخر العقد بدأ تحوّل أساسي في حقل التنمية مع تبني إجماع واشنطن (Washington Consensus) الذي أطلقت عليه هذه التسمية لأنه أشرك فوراً البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، مما أدى إلى خفض شديد في المصاريف العامة ومزيد من التأكيد أنّ قوى السوق هي المحرك الأساسي للتنمية، منسجماً في ذلك مع الإصلاح الإقتصادي الذي تبنته إدارة تاتشر (Thatcher) في المملكة المتحدة.

دمقرطة، الموجة الأولى من برامج التعديل البنوي، أطر نظرية جديدة، الموجة الأولى
لخطابات الحقوق، حروب أخرى ...

شمال



جنوب



القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، ومؤتمر أمستردام في 1984 الذي توصل إلى إجماع نسوي عالمي فيما يتعلق بفكرة حقوق الإنجاب، ومؤتمر الأمم المتحدة للعالم الثالث حول النساء الذي انعقد في نيروبي في 1985. كان هذا أيضاً زمن ديمقراطية جنوبي خط الاستواء. في بعض المناطق، مثلاً في أميركا اللاتينية، لقد أفسحت النضالات من أجل الديمقراطية في ثمانينات القرن العشرين المجال أمام النقاش العام حول الإجهاض وحقوق "الأقليات الجنسية".

بعد ذلك حلت ثمانينات القرن العشرين، زمن تحولات كبيرة تُوجّ بانهييار حائط برلين والدول الشيوعية في الاتحاد السوفييتي سابقاً في 1989. إكتسب موضوع النوع الاجتماعي والجنسانية أطراً نظرية جديدة واسعة. شهد هذا الزمن أيضاً ظهور فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز وانتشاره السريع في العالم. إكتسب إجماع واشنطن شرعية وقوة، وفي الوقت نفسه جرت اتصالات عبر الحدود في موضوع المساواة في النوع الاجتماعي وحقوق الإنجاب، وبشكل أقل، في أجندات الجنسانية. من الأمثلة الأساسية على ذلك كان تنفيذ اتفاقية

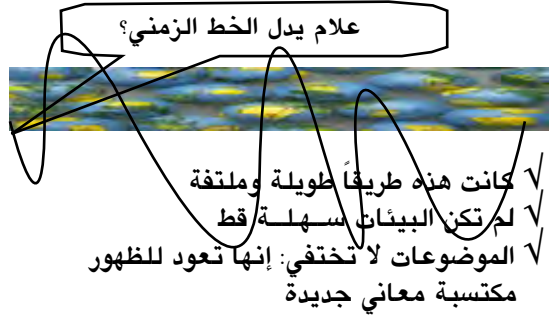
تسعينات القرن العشرين والألفية الثالثة



القومية. كذلك شاهدنا التطورات الأساسية لخطط عمل مؤتمرات الأمم المتحدة (فيينا 1993؛ القاهرة 1994؛ بيجين 1995) وتكاثر النضالات المحلية والمناطقية المتعلقة بالإجهاض وبفيروس نقص المناعة المكتسبة والإيدز وبالجنسانية بحد ذاتها.

هذا يفضي بنا إلى تناقضات تسعينات القرن العشرين والألفية الثالثة. قويت العولمة ورافقها استمرار خطط عمل مبنية على مصالح السوق. كذلك شهدت نمواً سريعاً للتيارات الاخلاقية المحافظة والأصوليات. ولكن، بتفاؤل، خبرنا أيضاً التوسع الإيجابي للسياسة الجنسية متخطية الحدود

مجتمعات ونظام معلوم قائم على الديمقراطية والعدالة الإجتماعية وحقوق الإنسان وتوسيع الإمكانات الإنسانية؟



الجنسانية

هل الجنسانية هي الجنس؟ هل هي عن الفوارق الجسدية؟ هل الجنسانية = الجنس = دوافع بيولوجية ثابتة لا تتغير (نظرة إختزالية ومحدودة للآخر)؟ أم، على النقيض من ذلك، هل نفهم الجنسانية بأنها مركب اجتماعي أقامه المجتمع والاقتصاد والسياسة والأعراف (نظرة تركيبية)؟ وهل الجنسانية من مقومات التجربة الإنسانية العالمية؟ أم أنها تختلف باختلاف الأزمنة والثقافات؟

الخط الزمني

كيف تتعامل التنمية مع الجنسانية؟ نجد أن لغة التنمية الخاصة بالجنسانية بعيدة جداً عن الشفافية. لا يتكلمون على الجنسانية بطريقة مباشرة، مع أنها موجودة باستمرار. هذا ما يبيّنه بوضوح خطاب التنمية السكانية. منذ عهد Thomas Malthus (عالم إنكليزي في علم السكان والسياسة الاقتصادية) في آخر القرن الثامن عشر ركز الخطاب السكاني على الخصوبة. تحدث Malthus عن الجنس مباشرة، وإن بسلبية. إلا أن الخطابات عن خطط عمل السكان والتنمية التي وضعت بعد الحرب العالمية الثانية لم تتحدث عن الجنس.

يشيخي قراءة الخط الزمني على ضوء علاقته بـ

- خطابات التنمية بعد الحرب:
- ✓ اقتصادي (التحديث وتداعياته)
- ✓ غير حساس للفروق على أساس النوع الاجتماعي،
- ✓ حياد النوع الاجتماعي، انحياز النوع الاجتماعي
- ✓ غير شفاف فيما يتعلق بالجنسانية
- ✓ أفضل مثال هو "خطاب السكان والتنمية"
- ✓ ما تفسير ذلك؟

تسعينات القرن العشرين والألفية الثالثة

- ✓ تكثيف وتسريع
- ✓ مزيد من انعدام المساواة والقلق والمجازفة
- ✓ أطر فكرية جديدة
- ✓ المزيد من التواصل الفكري والسياسي عالمياً
- ✓ دين << أصولية
- ✓ ثقافات محدودة << ثقافات متعددة. تهجين

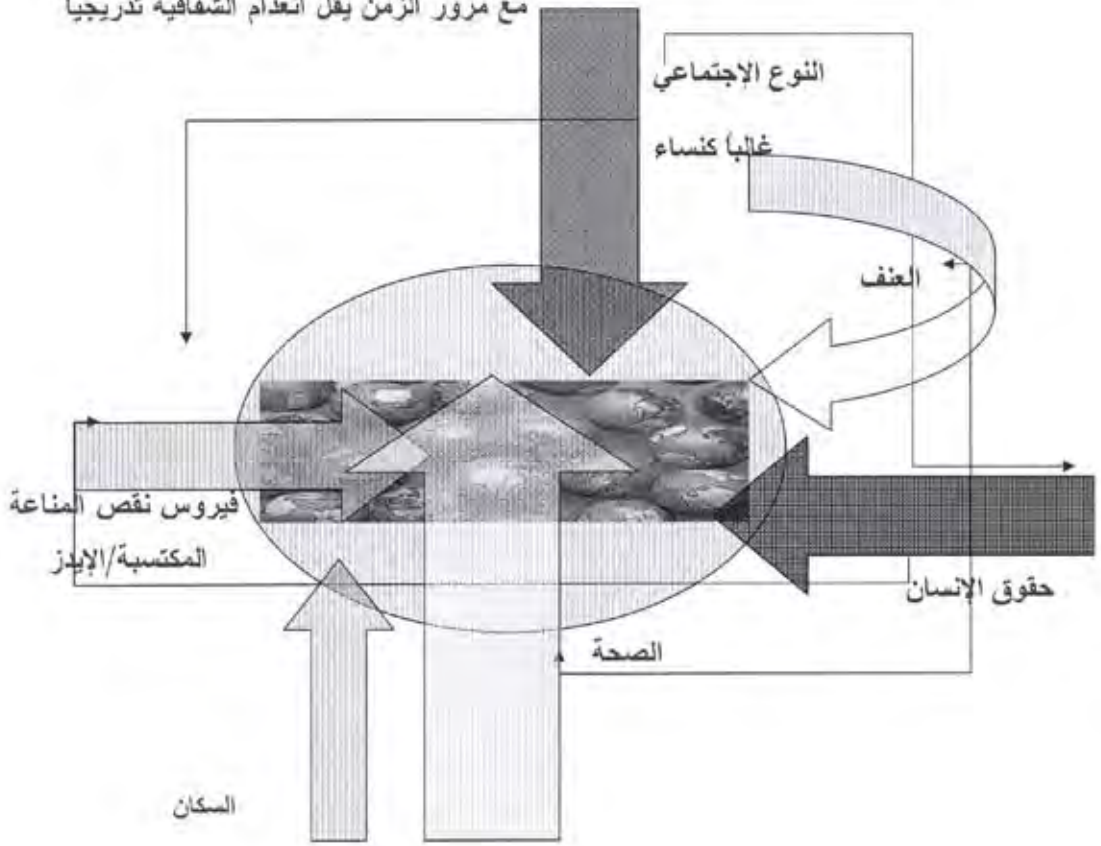
الجنسانية والتنمية

أخذتنا الصور في رحلة سريعة خلال التاريخ المعاصر للجنسانية والحقوق الجنسية. تقوم الخطوة التالية على تحري الصلات بين الجنسانية والتنمية. وهذا يثير فوراً أسئلة أساسية: ماذا نعني بالتنمية؟ ماذا نعني بالجنسانية؟

التنمية

هل التنمية هي القائمة التي نستطيع أن نجدها في وثيقة قمة الألفية 2006: تمييز المال، الدين، التجارة، التعليم، التنمية الريفية والزراعية، التوظيف، فيروس نقص المناعة المكتسبة والإيدز، الملاريا، السل وغير ذلك من قضايا الصحة، المساواة في النوع الاجتماعي، العلم والتكنولوجيا للتنمية، الهجرة؟ أم أنها بكل بساطة النمو الاقتصادي؟ هل هي الرأسمالية؟ التحديث؟ أم علينا القول بأن التنمية هي انتشار التحديث تدريجياً؟ هل هي تقدم اجتماعي (أيّاً كان معنى هذا المصطلح)؟ أم أنها تحرير الذات والمجتمعات؟ هل يجب أن تكون التنمية جهداً متواصلاً لبناء

مع مرور الزمن يقلّ انعدام الشفافية تدريجياً



خرق انعدام الشفافية

العشرين المتعلقة بالنوع الاجتماعي والصحة الجنسية والإنجابية والحقوق. في سيناريو تسعينات القرن العشرين والألفية الثالثة المُعقّد والمفارق بدأت التنمية تدرك أهمية الجنسية. وقد أثار ذلك ردة فعل القوى الرجعية التي تهدف إلى التعقيم على الجنسية أو تحريمها.

منذ سبعينات القرن العشرين بدأنا تدريجياً نخترق ما يحيط بالجنسانية من جدران صمت أو انعدام الشفافية. لم يحدث ذلك في الأطر النظرية وإنما في مجال أكثر حسية، في خطط العمل، وجاء نتيجة وباء فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز ومفاوضات الأمم المتحدة في تسعينات القرن

حاصل تفكيرهم

ولكن...

لم يتغير بعد شيء في صميم خطاب التنمية
 ٧ يُنظر إلى الجنسية بأنها شيء خارجي
 ٧ تستمر النظرة الإختزالية والمحدودة للآخر، ولا تزال
 الجنسية تعتبر حافزاً بيولوجياً (وليست مركباً اجتماعياً
 اقتصادياً إلخ).
 ٧ الجنسية هي: بالغون مغايرو الجنس يمارسون الجنس
 في غرفة نوم زوجين لطيفين... (أو تخطِ ومخالفة)

المطالبة بإعادة صقل الحقوق الجنسية

تمييز وكلام بوضوح

٧ النوع الاجتماعي والجنسانية

٧ الصحة والحقوق

٧ إنجابي وجنسي

يجب تجنب

٧ الصهر والتشويش

٧ الميل إلى تأكيد النواحي السلبية من الجنسية (المرض،

العنف وسوء المعاملة)

متابعة مزيد من الوضوح في ما يتعلق بـ:

٧ حدود وإمكانيات أنظمة حقوق الإنسان المتنقلة

٧ التوازن فيما يتعلق بالحماية والحرية، لجم الدولة و/أو

تدخلها

٧ المفاهيم الضمنية المتداخلة بين الجنسية والقانون

الجزائي

٧ الكلام الواضح على الجنسية والفقر وعدم المساواة

بالدرجة الأولى، عرض خطاب الحقوق الجنسية لمحك تحديد

الإطار:

الثقافة والدين

القربى

الطبقة، العرق، الطبقة في الهند، (Caste) الإثنية

إحدى العقبات في وجه ربط إيجابي
 بين الجنسية والتنمية هي أن
 التفكير التنموي - سائداً كان أم
 تقديمياً - كثيراً ما يسلّم بأفكار
 يتحدّاه تفكير الجنسية المعاصر.
 على نحو خاص، إن النظرة الإختزالية
 والمحدودة للجنس، أي الفكرة
 أن الجنس حافز بيولوجي معلوم
 أنّ غايته تناسل الجنس، لا تزال
 مسيطرة على نظريات العمل التنموي
 وتوجيهات خطط هذا العمل. إن هذا
 يختلف كثيراً عن فكرة الجنس كشيء
 مركّب والذي يأخذ به فكر الجنسية
 المعاصر التقدمي وأبحاثه ومؤيدوه.

مثال على ذلك هو الاختلاف الجوهرى
 في نظرة التنمية والجنسانية إلى
 "الصحة". بوجه الإجمال يعتبر
 حقل التنمية أن التدخل في الصحة
 العامة يشكل عناصر إيجابية في
 التنمية البشرية. إلا أن النظرية
 النقدية للجنسانية بحثت في طرق
 المقاربة المنبثقة من الطب الإحيائي
 لضبط وتنظيم النوع الاجتماعي
 والجنسانية، ورأت أنها منبثقة من
 وتؤدي إلى التمييز والعزل والوصم
 بالعار وحتى إلى التجريم.

وعليه تكمن المطالبة بانفتاح خطاب
 التنمية لتندمج فيه الجنسية دمجاً
 أفضل. في الوقت نفسه ينبغي لنا أن
 نقرّ بتحديات في ميدان الجنسية
 نفسها، بينها الحاجة إلى أن نعيد
 باستمرار تحديد وصقل ما نعنيه
 بالحقوق الجنسية.

النظر إلى الأمام

إعادة اختراع العقود الإجتماعية (Social Contracts)

ترى الشبكة النسوية "خيارات تنمية مع النساء من أجل عهد جديد" (DAWN) كيف تحدّد القيم والمعايير والمؤسسات والأنظمة والممارسات الإجتماعية تطوّر الأبعاد المختلفة لحقوق الإنسان. تشمل هذه الأبعاد ما هو اقتصادي، سياسي وعلماني فضلاً عن الشخصي، فيما يتعلق بالجنسانية والإنجاب. وعليه، كيف نعيد اختراع العقود الإجتماعية لتحقيق الحقوق الجنسية؟

يؤدي النضال دوراً أساسياً في إعادة اختراع العقود الإجتماعية. إلا أن لحظات اتفاق جماعي ليست أقل أهمية. نستطيع أن نعتبر أن نقاط الاتفاق هذه هي اللحظات التي تحدّد العقود الإجتماعية، والتي قد تكون خاصة بوقت معيّن في التاريخ، كولادة دولة ووضع دستورها. ولكنها قد تكون أيضاً أكثر انتشاراً، مثلاً، حين يُعترف بممارسات إجتماعية كالمساواة في النوع الإجتماعي والاستقلالية الجنسية بأنها أبعاد شرعية للحقوق والعدالة. إنّ صنع الاتفاقات يقتضي مشاركة فئات مختلفة تعيّن لها القيم والمعايير والأدوار ضمن بنى معيّنة.¹

صياغة اقتصاد سياسي للجنسانية

في الكتابة عن وباء فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز يؤكد Richard Parker (2001) دور العنف البنيوي - سواء كان سببه اتجاهات العولمة، أو الطبقة أو النوع الإجتماعي أو العرق أو الإثنية - في إمكانية تعرض الإنسان للأذى. يجب دمج هذه العوامل بانتظام بكل المناقشات حول الجنسانية. يتكلم Altman (2000) بصراحة أكثر عن منظور اقتصاد سياسي "يعترف بدور الدولة جنباً إلى جنب مع الاهتمام بانقسامات الطبقة والنوع الإجتماعي والعرق: يجب أن نفكر من منطلق البنى أكثر من تفكيرنا في قضايا أو هويات

جنسانية معيّنة." يعيّن Altman أربع مجموعات بنيوية يمكن أن تحدد تحوّل خريطة الجنسانية البشرية الراهنة:

1. الاقتصادية
2. الثقافية
3. السياسية (مع تأكيد تنظيم الدولة)
4. المعرفية (طرق معيّنة لفهم الجنسانية، الناس والعالم التي يصنعونها).

كذلك يمتدح Altman الإطار الفكري الذي طورته Nancy Fraser (1997). فهذا الإطار يعيّن ثلاثة أساليب لربط المعنى الثقافي بتحليل البنى:

1. الاعتراف (بالهويات وبالاختلاف)
2. إعادة توزيع (الموارد والسلطة)
3. تعيين الموضع (الاحتفاظ بفكرة المحيط أو البيئة)

تستطيع هذه المبادئ الثلاثة أن ترشد عملنا.

النظر إلى الأمام

✓ إعادة اختراع العقود الإجتماعية بطرق تضمن الاعتراف بالجنسانية كمصدر خير، وضمان الحقوق، وتحقيق الإنجازات (DAWN) أو، إذا أردنا،
✓ صياغة اقتصاد سياسي للجنسانية تندمج فيه حقوق الإنسان، يعترف بمرونة الجنسانيات وعدم ثباتها، وترشده سياسة إعادة التوزيع والاعتراف (حسب ما طورتها Fraser)

شكراً

ملاحظات

* مبنية على كلمة قدمت في ورشة عمل "تحقيق حقوق
جنسية" نظمها معهد دراسات التنمية (IDS) في 28-30
ايلول 2005

1 مقتطف، بتصرف، من Re-inventing Social
Contracts: The Promise of Human Rights – A Book
Outline بقلم Gita Sen و Sonia Corrêa، نسخة، 2005.

المراجع

- Altman, D. (2001) *Global Sex*, Chicago: University
of Chicago Press
Foucault, Michel (1984) *Histoire de la Sexualité 3:
Le Souci de Soi*, Paris: Gallimard
Foucault, Michel (1984) *Histoire de la Sexualité 2:
L'Usage des Plaisirs*, Paris: Gallimard
Foucault, Michel (1976) *Histoire de la Sexualité 1:
La Volonté de Savoir*, Paris: Gallimard
Fraser, N. (1997) *Justice Interruptus*, New York:
Routledge
Parker, R. (2001) 'Sexuality, Culture and Power in
HIV/AIDS Research', *Annual Review of
Anthropology*, 30: 173–83

استكشاف صلات بين الجنسانية وحقوق معالجة الفقر

هنري أرماس*

1 المقدمة

إنَّ الحقوق نقطة عبور جليّة للكلام على الجنسانية في علاقتها بالكثير من مجالات الحياة الأخرى، وما تعني هذه الصلات ضمناً بالنسبة للتنمية.

منذ تسعينات القرن العشرين أصبحت المقاربات المبنية على الحقوق عنصراً أساسياً في خطاب التنمية وسياساتها وممارساتها، مواصلة بذلك طريقة تعامل سابق مع حقوق الإنسان الدولية، ومتوسعة فيها للتعامل مع ممثلين جدد واستراتيجيات جديدة لتحقيق هذه الحقوق. وبحسب Alza (n.d.)، فهي تشكّل مقارنة مبنية على الحقوق، بالدرجة الأولى، كأداة منهجية تستخدم خطاب نظرية حقوق الإنسان الدستورية والدولية، ولكنها تذهب إلى ما هو أبعد ليشمل هذا التحليل بعداً سياسياً.

لماذا يصعب إلى هذا الحد الكلام على جنسانية الفقراء ولذتهم؟ في العديد من سياسات التنمية لقد اعتُبرت الجنسانية أداة لتحديد النسل، وبذلك فهي تصوغ وتحدّد شروط الصلات المحتملة بين الجنسانية والنمو الاقتصادي والفقر. بعد ذلك شجّعت قضايا الإيدز على أن تشمل هذه الشروط الجنسانية واللذة "كعوامل مجازفة" بالنسبة لصحة الناس ومنفعتهم. ويضاعف هذا التركيز الضيق اعتبار القضايا المتعلقة بالحقوق الجنسية إضافية بالنسبة "للقضايا الحقيقية والهامة" كالإسكان والتعليم والتوظيف إلخ، والتعامل معها على هذا الأساس. نتيجة لذلك، نادراً ما تُرجمت الحقوق الجنسية إلى سياسات محددة وواضحة، على الرغم من ورودها في خطاب التنمية.

بالنسبة لنظام الأمم المتحدة (United Nations 2003) فأية مقارنة مبنية على حقوق الإنسان تعني ضمناً:

1 إنَّ جميع برامج التعاون بهدف التنمية والسياسات والمساعدة التقنية الخاصة بالتنمية تعزّز تحقيق حقوق الإنسان كما نصّت عليها الشريعة العالمية لحقوق الإنسان وغيرها من الآليات الدولية لها. 2 إنَّ جميع معايير حقوق الإنسان في الشريعة العالمية لحقوق الإنسان وغيرها من الأدوات الدولية لحقوق الإنسان، والمبادئ التي تستمدّ منها، ترشد كل تعاون بهدف التنمية والبرمجة للتنمية في القطاعات كافة وجميع مراحل عملية البرمجة.

ولكن ما علاقة أمر يبدو "غير مفيد"، كالجنسانية، بالحقوق والمواطنة والتنمية؟ في هذه المقالة سأحرّي الصلات بين الحقوق الجنسية وغيرها مما تعتبر "حقوقاً أهم". لا أقول إنَّ الحقوق الجنسية ليست أقل أهمية من الحق بالتعليم والصحة أو العمل، وإنما الحقوق الجنسية هي هذه الحقوق جميعاً.

2 الحقوق كتنمية

في الماضي أدّت مقاربات تنمية مبنية على الحاجات، بالإضافة إلى تردّد في اعتبار الجنسانية واللذة الجنسية حاجات أساسية ذات صدى في مظاهر الحياة كافة، إلى حجب الصلات بين الجنسانية والتنمية ومنعت تحرّرها. وفي السنوات الأخيرة، تحوّلت مقاربات التنمية لتبني على الحقوق، مما ساعد على جعل هذه الصلات أوضح:

• إنَّ الحقوق الجنسية تسمح للناس بأن يطالبوا بمحاسبة أصحاب السلطة حول العلاقات الأكثر خصوصية وحميمية.

• إنَّ الحقوق الجنسية تمكّن الناس، ليس فقط فيما يتعلق بقراراتهم في حياتهم الجنسية، وإنما أيضاً من خلال توليدها احتراماً للذات، فهماً جديداً للمواطنة، وتحكماً بحيواتهم في مواضع أخرى كالصحة والتعليم والعمل، الخ.

• إنَّ الحقوق الجنسية تزيد نوعية المشاركة من حيث اتساعها (من يشارك) وعمقها (فيما يشاركون).

• إنَّ الحقوق الجنسية تُظهر إلى العيان الناس الذين يعانون/التمييز، والفئات المعرضة للأذى التي بقيت إلى حد بعيد مهملة من قبل وكالات التنمية والحكومات وبرامجها. وليس للحقوق الجنسية صلة وثيقة بمشاريع الصحة الجنسية والإنجابية فحسب، وإنما تشكل أيضاً عنصراً هاماً يجب أخذه بعين الاعتبار في استراتيجيات أوسع لمعالجة الفقر.

للحقوق الجنسية تعريفات مختلفة، تناقشها باستمرار مختلف الأجناس السياسية الصاخبة. ولقد حقّق برنامج العمل المنبثق من مؤتمر بيجين المعني بالمرأة 1995 تقدماً في ترسيخ حقوق جنسية بالطريقة التالية:

96. الحقوق الإنسانية للمرأة تشمل حقها بالتحكم بجنسائيتها وأن تقرّر بحرية ومسؤولية قضايا متعلّقة بجنسائيتها، بما فيها الصحة الجنسية والإنجابية، من غير إكراه وتمييز وعنف. إنَّ علاقات متساوية بين النساء والرجال في أمور العلاقات الجنسية والإنجاب، بما في ذلك احترام كامل لسلامة المرء، تقتضي إحتراماً متبادلاً والموافقة ومسؤولية مشتركة وذلك بالنسبة للسلوك الجنسي ونتائجه.

3. إنَّ التعاون بهدف التنمية يساهم في تنمية قدرات "حاملِي المسؤولية" لكي يقوموا بواجباتهم و/أو "أصحاب الحقوق" لكي يطالبوا بحقوقهم.

تختلف خطابات الحقوق عند الداعمين باختلاف سياساتهم. مثلاً، بالنسبة للوكالة السويدية للتعاون الدولي على التنمية (SIDA) تعني مقارنة حقوق الإنسان أن حقوق الناس الاقتصادية والثقافية والمدنية والسياسية والاجتماعية تراعى في جميع أقسام عملية التنمية. والهدف هو تعزيز توفير حقوق الإنسان وتحسين تعاون التنمية وجعله أكثر فعالية (SIDA 2001: 2).

مع أن هناك صيغاً كثيرة لمقاربات مبنية على الحقوق وممارساتها يمكن تعيين بعض العناصر المشتركة، ومنها:

- صلة دقيقة وواضحة بالحقوق
 - التركيز على المساءلة
 - التركيز على التمكين
 - التركيز على المشاركة
 - إهتمام خاص بعدم التمييز وبالفئات المعرضة للأذى. (Marks 2005: 102)
- في القسم التالي سيتم تطوير العلاقة بين الحقوق والجنسانية من خلال استخدام هذا الإطار.

3 الحقوق والجنسانية: إقامة الصلات

كيف نستطيع أن نتحرى الصلات بين مقاربات مبنية على الحقوق وبين الجنسانية؟ سنستخدم العناصر المذكورة أعلاه لاكتشاف بعض الصلات:

- للحقوق الجنسية علاقة واضحة بحقوق الإنسان. إنَّ مبادئ التكامل وعدم القابلية للتجزئة تسمح بالكلام على الحقوق الجنسية كونها متوقفة على الحق بالصحة والإسكان والطعام والعمل.

- إختيار الشريك.
 - قرار ممارسة الجنس أو الامتناع عنه.
 - علاقات جنسية بالتراضي.
 - زواج بالتراضي.
 - قرار إنجاب الأولاد أو عدمه، ومتى.
 - متابعة حياة جنسية مرضية وأمنة وممتعة.
- (WHO 2006)

4 أبعد من الحقوق الجنسية

لعل أكثر الروابط إنتاجاً بين الحقوق والجنسانية هو مبدأ عدم تجزئة حقوق الإنسان. ونص المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان في فيينا عام 1993 أن جميع حقوق الإنسان هي عالمية ولا تتجزأ، مترابطة ومتعلقة ببعضها البعض. وينبغي للدول أن تتعاطى مع مختلف حقوق الإنسان بهذه الشدة نفسها.

هذه المبادئ مبنية على واقع لا يمكن إنكاره، وهو أن انتهاك حقوق معينة يؤثر في غيرها. إن مبادئ التكامل وعدم التجزئة والترابط تجعلنا نتناول الحقوق الجنسية بأنها ذات علاقة وطيدة بالحق بالعلم والعمل والصحة والمشاركة السياسية والاستقلالية وحرية التنقل (mobility)، كما لها تأثير في الهجرة والطعام والإسكان، إلخ.

على الرغم من الإجماع النظري على التكامل، فنادر ما حاول صانعو السياسات الاهتمام الفعلي بالصلات الحقيقية والعملية الكثيرة بين الحقوق الجنسية وغيرها من الحقوق. وفيما يلي وصف لبعض هذه العلاقات.

4.1 في الصحة

إن ختان الإناث هو محاولة للقضاء على اللذة الجنسية. ولكن هناك تشويهاً أخرى غير جسدية تقضي على متعة النساء، كالعار والشعور بالذنب وتحديد أدوار ثابتة لهن. إن هذه التشويهاً

استخدمت السويد هذه المادة كتعريف لحقوق النساء الجنسية يمكن تطبيقه (Ministry of Social Affairs, Sweden, 2006: 7). ثم إن السويد تعتبر أن الحقوق الجنسية تشمل حقوقاً إنسانية معترفاً بها من قبل، مثل الحق بحياة خاصة (شريعة الأمم المتحدة العالمية لحقوق الإنسان، المادة 12) والسلامة الشخصية (اتفاقية الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز على أساس العرق، المادة 5 ب). إن من حقوق الإنسان المبدئية أن لا تتعدى حقوق الفرد على حقوق غيره. وفي العلاقات الجنسية أو القضايا الخاصة بالجنسانية والإنجاب، لا بد من احترام السلامة الشخصية والجسدية. على ضوء ذلك، تعرف الحكومة السويدية الحقوق الجنسية بأن للناس حقاً على أجسادهم وجنسائيتهم، بصرف النظر عن جنسهم وعمرهم وعرقهم وإعاقاتهم وهوية النوع الاجتماعي وميلهم الجنسي. بالإضافة إلى ذلك، فإن الوكالة السويدية للتعاون الدولي على التنمية تراعي أيضاً المبدأ العام لحقوق الإنسان الذي يناهض التمييز على أسس جنسية أو غيرها، كالميل الجنسي أو هوية النوع الاجتماعي.

بناءً على التعريف الذي أقرته منظمة الصحة العالمية (WHO)، إن الحقوق الجنسية تشمل حقوقاً إنسانية اعترف بها سابقاً في قوانين قومية ووثائق دولية لحقوق الإنسان وغيرها من التصريحات التي تمت الموافقة عليها بالإجماع. وهذه تشمل حق الجميع، بعيداً عن الإكراه والتمييز والعنف بـ:

- أعلى مستوى ممكن من الصحة الجنسية، بما في ذلك إمكانية الحصول على خدمات في الصحة الجنسية والإنجابية.
- السعي إلى معلومات متعلقة بالجنسانية والحصول عليها ونقلها.
- تربية جنسية.
- احترام السلامة الجسدية.

إن الـ 124 رجلاً الذين تمت مقابلتهم لهذه الدراسة ذكروا صعوبات كثيرة واجهوها بسبب ممارساتهم وهوياتهم الجنسية ... إن نصف المستجوبين (48 بالمئة) تقريباً قالوا إن زملاءهم الطلاب أو المعلمين ضايقوهم باستمرار في المدرسة أو الكلية لأنهم كانوا متأنثين، واعتقد معظمهم أن دراستهم تأثرت بذلك ... و"واضح من المقابلات المعمقة ومن المناقشات مع المجموعة الارتكازية" أن الحرمان الاقتصادي جاء نتيجة المضايقة المستمرة في أثناء الدراسة" كما ورد في الدراسة. (Naz Foundation International 2002, cited in Gosine 2005:7-8)

كثيراً ما تضطرّ الأمهات المراهقات إلى مغادرة المدرسة بسبب ضغوطات اجتماعية أو عقوبات مسلكية، مما يساهم في خلق دائرة مفرغة من الحمل في سن المراهقة وتدني التعليم والفقر. ونادراً ما تعود إلى الدراسة شابات طردن من المدرسة بسبب حملهن: وقد وجدت دراسة أجريت في جاميكا عام 1993 أن 32 بالمئة من الشابات حملن للمرة الأولى وهن في المدرسة، وأن 60 بالمئة تقريباً من حالات الحمل هذه حدثت قبل السنة الرابعة من المرحلة الثانوية. إن 16 بالمئة فقط من الشابات عدن إلى المدرسة بعد ولادة الطفل الأول. و86 بالمئة من اللواتي حملن وهن في المرحلة الابتدائية لم يصلن إلى المرحلة الثانوية (Morris et al. 1995, cited in Advocates for Youth 2006).

إن التربية الجنسية هي القضية المتعلقة بهذا الموضوع، والفرص ستقل إن لم تدخل الحكومات الجنسية كجزء هام من برامجها القومية، (ولا سيما المراهقين والشبان والشابات) لاتخاذ قرارات واعية فيما يتعلق بالأبوة والإطلاع على الجنس والشروع فيه والحماية من فيروس نقص المناعة المكتسبة، إلخ. إن التربية الجنسية توفر

الرمزية تؤثر في أناس كثيرين آخرين، من النساء وغيرهن، مخالفين جنسيين أو غير مخالفين، ولها تأثير مباشر في صحة الناس العقلية وخيرهم. إن اعتبار الجنسانية المغايرة معياراً يؤثر في صحة العديد من الرجال والنساء، ويؤثر في إشراكهم في الحياة الاقتصادية. إن مسار فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز مثل جيد على ذلك. والعنف والإقصاء اللذان يعانیهما أناس كثيرون نتيجة خطاب اعتبار الجنسانية المغايرة معياراً يعيقهم عن علاقات جنسية أكثر أماناً. وأكثر من يتأثر في ذلك هي فئة الرجال الذين يتعاطون الجنس مع رجال آخرين. مثلاً، بيّنت الأبحاث التي أجريت في تايلاند انتشار فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز بين 16 بالمئة من الرجال المثليين، بالمقارنة مع حوالي 1 بالمئة بين عامة البالغين (Samelius & Wägberg 2005: 24). وفي الوقت نفسه إن عدم معاملة الأزواج المثليين على قدم المساواة مع غيرهم يحدّ من إمكانية حصولهم على تأمين صحي.

ومن جهة ثانية، إن الإقصاء من أماكن العمل والبيئات الاجتماعية والعائلية يمكن أن يعرضهم بسهولة لأذى جسدي وعدوان نفسي. وفي كلتا الحالتين يجازف بصحة الناس. إن الكآبة والشدة اللتين يعانیهما المثليات والمثليون ومزدوجو الميول الجنسية ومغيّرو النوع الاجتماعي (م.م.م.م.) المضطرون إلى إخفاء ميولهم الجنسية هما عنصران جديران أيضاً بالاهتمام.

4.2 في التعليم والتربية

لم تجرَ أبحاث كافية في تأثير إنتهاكات الحقوق الجنسية في التعليم. وبحسب Andil Gosine (2005: 7-8) بيّنت دراسة في بنغلاديش سنة 2002 أن الصبيان "الأنثويين" أكثر عرضة للتنمر في المدارس والتسرّب منها حتّى ينتهي بهم الأمر إلى الفقر.

إلى الهجرة وهي الفرص المحدودة بالنسبة إلى الـ م.م.م.م. في أن يحبوا ويؤسسوا عائلة أو يطوروا هوية أو حياة جنسية معينة في بلادهم؛ ففي حوالي 70 دولة في العالم تعتبر المثلية جريمة.

4.3 في العمل

وبحسب Samelius & Wagberg (2005:22) فإنَّ في السودان والسعودية وأفغانستان وباكستان وإيران وموريتانيا قوانين تقرَّ عقوبة الموت للذين يتعاطون علاقات جنسية مثلية بالتراضي. وإنَّ أعضاء المنظمات الذين يدافعون صراحة عن حقوق الـ م.م.م.م. معرَّضون للسجن في بعض البلاد بسبب تعزيزهم نشاطات غير قانونية. وقد يشمل العقاب السجن حتى عشر سنين، أو الأشغال الشاقة أو غرامة مرتفعة جداً أو عقاباً جسدياً.

وفي بعض البلاد يختلف الوضع القانوني بالنسبة للأزواج المثليين عنه للأزواج المغايري الجنس، مما يؤدي إلى قضايا كثيرة مختلفة في علاقات الـ م.م.م.م. إنَّ اعتبار الجنسية المغايرة معياراً أدى إلى وضع سياسات تسمح بدخول عائلات المهاجرين القانونيين: إنَّ الوضع القانوني المتوافر للمهاجرين من خلال الزواج بين مغايري الجنس نادراً ما يتوافر من خلال علاقات الـ م.م.م.م. وتترتب على ذلك نتائج اقتصادية: فهناك عوائق أكثر أمام المهاجرين من الـ م.م.م.م.، وهم أكثر عرضة لأن يعتبر وضعهم غير شرعي ويقصوا اجتماعياً.

ثم إنَّ النظام الأبوي والشوفينية الذكورية ولدا بالنسبة للحقوق الجنسية أسباباً تدفع النساء مغايرات الجنس إلى الهجرة. مثلاً، إنَّ عنف ختان الإناث أو الضغوطات الاجتماعية والاقصاء نتيجة ما يحيط بسمعة المرأة الجنسية، قد تشكل دافعاً قوياً إلى الهجرة الداخلية أو الدولية.

فرص تمكين المواطنين ومنحهم القدرة على اتخاذ القرارات المتعلقة بحياتهم الخاصة وأجسادهم. فافتقاد ذلك يفتقر الناس.

إنَّ اعتبار الجنسية المغايرة معياراً يقيد حقوق الـ م.م.م.م. في العمل. ليست المشكلة فقط في إمكانية حصولهم على العمل، وإنما أيضاً في البقاء فيه. تتفاقم هذه المشكلة وخصوصاً في ميادين معينة كالـ تعليم والقوى المسلحة.

بناء على مسح إستكشافي حول التمييز في التوظيف الذي تعرَّضت له مثليات في كولومبيا (ADEIM-Simbiosis et al. 2006: 76-8) طردت من الوظيفة 14 بالمئة من المستجوبات مرَّة واحدة على الأقل بسبب ميلهن الجنسي، فيما حُرمت 16 بالمئة من التوظيف للسبب عينه. كما أنَّ مجموع 30 بالمئة من المستجوبات واجهن في التوظيف تمييزاً شديداً بسبب ميلهن الجنسي. و26 بالمئة من اللواتي استجوبن قلن إنهن عانين سوء معاملة في الوظيفة، وقالت 36 بالمئة إنهن عرفن مثلية أخرى أسبَّت معاملتها. والحصول على وظيفة أصعب بكثير بالنسبة لمغايري النوع الاجتماعي. نتيجة لذلك يضطر العديدون منهم إلى احترام البغاء.

إنَّ إنتهاكات الحقوق الجنسية تولد حلقة سلبية من الفرص المحدودة في التعليم بالإضافة إلى فرص محدودة في التوظيف بسبب التمييز. ويؤدي ذلك إلى نقص في القدرات ثمَّ إلى الفقر.

4.4 في الهجرة

إنَّ للهجرة ونتائجها الاقتصادية علاقة مباشرة بالحقوق الجنسية. إنَّ لدى الذين يعانون التمييز ضدهم في التوظيف والتعليم أسباباً إضافية ليجتثوا عن ضمانة اقتصادية من خلال الهجرة الداخلية أو الدولية. وهناك عناصر أخرى تدفع

4.5 حقوق أخرى

إنّ التمييز والتحامل فيما يتعلق بالجنسانية يؤثران أيضاً في حق الناس بالمشاركة السياسية. مثل على ذلك قضية Lourdes Flores التي كانت أكثر المرشحين للرئاسة شعبية خلال الحملة الانتخابية في البيرو عام 2006. كانت أول امرأة في البيرو ذات حظ كبير في الفوز بالانتخابات، ولكن المرشحين الآخرين هاجموا على أساس أنها ليست أمّاً أو متزوجة، ويبدو أن افتقارها لحس الأمومة جعلها غير جديرة بإدارة البلد. ومما يلفت النظر أن المشكلة هنا ليست كونها امرأة، وإنما ما تمتعت به من حقوق جنسية كونها بقيت عذباء ومن غير أولاد في سن الخامسة والأربعين. وكما يحدث في بلاد أخرى كان التحامل وراء قرارات الناخبين وليس ما اقترحته الحكومة.

قد يؤثّر إنتهاك الحقوق الجنسية أيضاً في الحق بالغذاء. فقد تناول Amartya Sen العلاقة بين الحرية والنجاح في السعي إلى إطعام الجميع قائلاً:

بما أن السياسة العامة في مكافحة الجوع والمجاعة - بما في ذلك التدخل السريع ضد التهديد بمجاعة - قد تعتمد على فئات ضغط سياسية وفعاليتها لحض الحكومة على العمل، ويكون للحرية السياسية أيضاً علاقة وثيقة بتوزيع الإغاثة والطعام على الفئات المعرضة للأذى ... إنّ حرية جني الربح ليست الحرية الوحيدة التي يجب التنبيه إلى عواقبها. وعليه، فإنّ الروابط بين الغذاء والحرية والتي قد تبدو في الظاهر روابط بعيدة، قد تكون في الواقع صلات ذات أهمية بالغة وغنية جداً بالتأثيرات المختلفة التي تعمل بكلا الاتجاهين بين الغذاء والحرية. (Sen 1987: 2)

كثيراً ما حدّت الافتراضات المعيارية التي تعيّن التنظيم السليم للجنسانية من حق النساء بمكاسب

التنمية. أود أن أذكر هنا تجربتي الشخصية حين ذهبت إلى مجتمع "أندي" الريفي (Andean rural community) في جنوب أياكوشو في البيرو عام 2001. فقد كنت أترأس مجموعة جامعية لتقديم المعونة إلى أناس تأثروا بالزلازل. وبناءً على طلب المنظمة المشاركة تم توزيع الغذاء والأدوية بحسب قوائم قدمها رؤساء هذه القرى. قرّر هؤلاء توزيع المساعدات بحسب الأسر، وقرروا أن الأمّهات غير المتزوجات وأولادهن لا يعتبرون أسرة. كان آباء هؤلاء النساء فقط في عداد من ينال المساعدة، وكان عليهم أن يقرّروا كيف يوزعون المساعدات داخل أسرهم الموسعة.

5 ملاحظات أخيرة

رأينا أن إنتهاكات الحقوق الجنسية تستطيع أن تؤثر في الصحة والتوظيف والتعليم والهجرة والمشاركة السياسية. إنّ نظرة جدية في هذه الإنتهاكات تتطلب عملاً على مختلف الجبهات. أولاً، هناك حاجة ملحة إلى توثيق الصلات التي سلّطت هذه المقالة الضوء عليها، وانتهاكات حقوق الإنسان المتعلقة بالجنسانية، وإبرازها أكثر للعيان. ويكون للبحث والتوثيق قيمة خاصة في قياس ما لانتهاكات الحقوق الجنسية من تأثير اقتصادي، وفي تسليط الضوء على الكلفة الاقتصادية والبشرية الناجمة عن حرمان الناس حقوقهم هذه. ثانياً، لا بد من السعي إلى مزيد من الانخراط من قبل منظمات دولية تعمل في حقل التعليم والعمل والهجرة ومكافحة الفقر، مثل منظمة العمل الدولية وبرنامج الأمم المتحدة العالمي للتغذية ومندوب الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان. إنّ قضايا الجنسية ترتبط بكثير من أبعاد عملها، سواء كان في مجال الصحة أو التعليم أو الغذاء أو حرية الرأي والتعبير أو الإسكان أو الهجرة أو الفقر. يجب أن يشمل عمل هذه المنظمات الجنسية والحقوق الجنسية مباشرة، وأن تعترف بما تتضمن من معان بالنسبة لكل ما تسعى إليه.

ملاحظات

* وضعت هذه المقالة بإسهام ومساعدة لا يقدران من قبل:

Carolyn Williams, Gustavo Zambrano Chàvez
Margarita Diaz Picasso, Susie Jolly,
Andrea Cornwall Ulrica Risso Engblom.

إنني أشكرهم على ملاحظاتهم، والوثائق التي قدموها
وأحاديثهم وتبصرهم وتعليقاتهم وصادقتهم.

إن هذه الصلات واضحة، فالحقوق الجنسية من حقوق الإنسان وتجاهل وجود المشكلة يؤدي إلى إضعاف الاستراتيجية الأوسع لتعزيز حقوق الإنسان. وإذا ظلت هذه الصلات محجوبة تجاوزت نتائجها الانتهاكات الكثيرة لحقوق الإنسان التي ستبقى في الظل. إن لم نعترف بما للجنسانية من دلالة بالنسبة لكل ما يكون "التنمية"، يزداد شكنا في أن تتمكن الجهود المبذولة لتحسين سلامة الفقراء وخيرهم من أن تحقق تغييراً حقيقياً ومستمراً.

المراجع

- ADEIM-Simbiosis, Artemisa, Cattrachas, Criola, IGLHRC and Red Nosotras LBT. (2006). 'Unnatural', 'Unsuitable', 'Unemployed! Lesbians and Workplace Discrimination in Bolivia, Brazil, Colombia, Honduras and Mexico, Buenos Aires: International Gay and Lesbian Human Rights Commission (IGLHRC)
- Advocates for Youth (2006) *The Impact of Early Pregnancy and Childbearing on Adolescent Mothers and Their Children in Latin America and the Caribbean*, www.advocatesforyouth.org/publications/factsheet/fsimpact.htm (accessed 15 March 2006)
- Alza Barco, Carlos (no date) 'Enfoque de Derechos en los Servicios Públicos: La Defensoria del Pueblo y el Derecho Humano al Agua' (unpublished)
- Gosine, A. (2005) *Sex for Pleasure, Rights to Participation, and Alternatives to AIDS: Placing Sexual Minorities and/or Dissidents in Development*, IDS Working Paper 228, Brighton: IDS
- Marks, S.P. (2005) 'Human Rights in Development', in S.Gruskin, M. Grodin, G.Annas and S. Marks (eds), *Perspectives on Health and Human Rights*, New York: Routledge
- Ministry of Foreign Affairs, Sweden. (2006). *Sweden's International Policy on Sexual and Reproductive Health and Rights*, Stockholm: Ministry for Foreign Affairs
- Morris, L., Sedivy, V., Friedman, J.S. and McFarlane, C.P. (1995) Contraceptive Prevalence Survey, Jamaica 1993, Vol. 4, *Sexual Behavior and Contraceptive Use Among Young Adults*, Atlanta, GA: US Department of Health and Human Services and Center for Diseases Control and Prevention
- Naz Foundation International. (2002). *Social Justice, Human Rights and MSM*, Naz Briefing Paper 7, London: Naz Foundation International
- Samelius L. and Wägberg, E. (2005) 'Sexual Orientation and Gender Identity Issues in Development', *A Study of Swedish Policy and Administration of Lesbian, Gay, Bisexual and Transgender Issues in International Development Cooperation*, Stockholm: Swedish International Development Cooperation Agency (SIDA)
- Sen, A. (1987) *Food and Freedom*, Sir John Crawford Memorial Lecture, Washington DC
- SIDA. (2001). *A Democracy and Human Rights Based Approach to Development Cooperation*, Stockholm: Swedish International Development Cooperation Agency (SIDA)
- United Nations (2003) *Statement on a Common Understanding of a Human Rights-Based Approach to Development Cooperation, as Agreed at the Stamford Workshop and Endorsed by UNDG Programme Group*, http://portal.unesco.org/shs/en/ev.php-URL_ID=7947&URL_DO=DO_TOPIC&URL_SECTION=201.html, Paris: United Nations (accessed 15 March 2006)
- World Health Organization (WHO) (2006) *Gender and Reproductive Rights*, www.who.int/reproductive-health/gender/sexual_health.html (accessed 15 March 2006)

“العرق”، الثقافة، السلطة، الجنس، الشهوة، الحب: الكتابة عن “الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين”

أنديل غوسين

1 المقدمة

الناشطون الرئيسيون في التنمية الدولية من سباتهم العميق، ووضع على الأجندا (أخيراً) أسئلة حول الجنسانية. وعليه، فإن الناس الذين كانوا سابقاً منسيين صاروا منظورين، ونجد اليوم إهتماماً أكبر بالخيارات التي يتخذونها وبالحيوات التي يحيونها. إنَّ أحرار الجنس موجودون بيننا، وقد أخذت المؤسسات، كالبנק العالمي ووكالات الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي، بالإضافة إلى الحكومات المتعاملة معهم تتعود على ذلك.

إنَّ بعض الناشطين والعاملين في مجالات الصحة تدفعهم الرغبة في مناقشة قضايا الجنسانية في التنمية، كما يشجعهم الاعتراف المتزايد بالتنوع الجنسي بين بعض أهم العاملين في هذا الحقل. ولكنني أظن أنَّ من الضروري والمهم في هذه اللحظة أن نفكر في طبيعة هذه المناقشات الناشئة وفي كثرتها، وأن نسأل: كيف يُقحم المخالفون جنسياً و/أو الأقليات؟ في هذه المقالة القصيرة أبدأ بالنظر في الطريقة المعتمدة لتناول الجنسانية في أبحاث التنمية وفي الممارسات، وذلك من خلال تنظيم التحاليل والسياسات حول الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين.

2 ما دلالة لقب؟

ألقاب كثيرة تعطي لهويات و”أشكال سلوك” وممارسات توحى أو تتضمن علاقة جنسية بين الرجال: شاذ، مثلي، طبعي، خنثى، مختل، ملكة، أعزب، مخنث – لدي ”موسوعة جيب مركزة على أوروبا وتصور الحب الجنسي المثلي” عنوانها

“إننا أحرار الجنس (queer)، ونحن هنا! (تعودوا على ذلك!)” لازمة عزيزة وقوية ترددها حركات المثليين والمثليات. إنَّ المخالفين جنسياً محذوفون من النصوص التاريخية ومغيبون في النصوص المعاصرة، ولذلك كثيراً ما يشكل هذا التأكيد نقطة بدء ضرورية في دروب النضال من أجل صون الحقوق والموارد والعدالة الإجتماعية. ويبدو أن هذا التحليل يصح بالنسبة إلى حقل التنمية الدولية. ربّما تميّز مهندس الرئيس John Maynard Keynes بنشاطات مثلية خلال حياته¹، ولكننا، منذ تأسيس مؤسسات Bretton Woods نرى أن خطابات التنمية المهيمنة قدّمت العالم الثالث أنه لا يأتي إلا مغايري الجنس. إنَّ نظريات اقتصادية جزئية (micro) وكلية (macro) وبرامج اجتماعية وسياسات البنك العالمي وصندوق النقد الدولي وشركاء مساعدين، هؤلاء جميعاً افترضوا وفرضوا إعتبار الجنسانية المغايرة معياراً في الجنوب، وفعلياً تأمروا مع قوى أخرى (أشكالاً محلية من القومية والنظام الأبوي ورهاب المثلية، إلخ) على إنكار وجود و/أو شجب أي فعل أو من لا يؤيد ذلك.

بدأت هذه النظرة تتغير مؤخراً بشكل جزئي، بفضل جهود المدافعين عن الحقوق الجنسية وحلفائهم، وبسبب فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز. إنَّ تأثير هذا الفيروس الموهن، ليس بالنسبة لضحاياه من الأفراد فحسب، وإنما أيضاً بالنسبة لجماعات كاملة ولإقتصادات قومية، إن هذا التأثير أيقظ

3 قبل

إنَّ تسمية "الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين" أضيفت حديثاً إلى قاموس التنمية الدولية - ولم تستخدم المؤسسات الرئيسية هذه التسمية إلا بعد عام 2000 - إلا أنَّ تاريخها أقدم. فقبل ذلك بعدد من السنين نجد أنَّ ناشطين قاعديين وعاملين في الصحة أقلقهم التأثير المدمر للأمراض المعدية جنسياً في مجتمعاتهم، فوضعوا المصطلح بديلاً من رجل "مثلي" أو "مزدوج الميول الجنسية". كان ذلك في حينه خطوة راديكالية وهو رفض قاطع للخطابات السائدة حول الميول الجنسية والسلوك الجنسي التي كانت تنشرها منظمات على رأسها رجال مثليون بيض.

أكدت منظمات رجال غير بيض يعيشون في مدن غربية أنَّ الجنسانيات تنظم بطرق أخرى، وأنَّ هناك أساليب أخرى للتعبير عن الهويات الجنسية. إنَّ جماعات مثل Naz Project London نهت إلى أنَّ رجالاً كثيرين من غير البيض ممَّن لهم علاقات مثلية لا يرتبطون بالتعبير السائد للثقافة المثلية الأورو-أميركية في مدنها، ونتيجة ذلك أغفلوا في التربية حول الصحة الجنسية واستراتيجيات الترويج. كما أنَّ تعبير "الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين" رفض ربط الهويات بالمرض، وركَّز الاهتمام على الأفعال الجنسية. ولقد وفرت هذه التسمية طريقة للكلام على ممارسات جنسية سليمة من غير تحديد الناس بهويات ثابتة ذات ثقافة معيّنة ("مثلي"، "ثنائي الجنس"، إلخ)، ومن غير اللجوء إلى خطاب وعظي. ولكن Naz كانت أيضاً في طليعة من وضع أجندا سياسية في عملها في الصحة الجنسية ولم تركَّز على الأفعال الجنسية وحدها.

وعلى غرار منظمات كثيرة أخرى للرجال السود واللاتينيين والآسيويين في أميركا الشمالية وأوروبا، انهمكت Naz في توفير حياة أفضل

Outbursts، وهي تحتوي مئات المرادفات المؤيدة أو المحقّرة في اللغة الإنكليزية وحدها (Peterkin 2003). أما التنمية الدولية فقد فضّلت تسمية MSM أي الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين وليسوا بالضرورة مثليين من بين آلاف التسميات الأخرى. إنَّ البنك الدولي (World Bank)، وبرنامج الأمم المتحدة المشترك عن فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز (UNAIDS)، ومنظمات مانحة تدعمها الدول، ومؤسسات أكاديمية ومختلف المنظمات الدولية غير الحكومية تقوم بأبحاث وتكتب مقالات و/أو تؤيد أو تدعم استراتيجيات وبرامج موجهة للرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين. مثلاً، في العام 2006 كان برنامج الأمم المتحدة المشترك عن فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز (UNAIDS) قد نشر 200 وثيقة عن الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين، أو أشار إليها، ومعظم المنظمات العاملة على فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز بيّنت أنَّهم الفئة الأكثر حاجة إلى مساعدات في الصحة الجنسية.

إنَّ تسمية "الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين"، ليست بلا عواقب. بل إنَّ لها تاريخاً وهي تشير افتراضات هامة واقتراحات قوية ومعقّدة، وإنَّ تحليل اختيارها وتطبيقها مفيدان في الكشف عن كيفية صياغة الجنسانية في التنمية الدولية. إنَّ التنبّه إلى الأهداف والاستخدامات والتأثيرات الموجودة في خطاب الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين يعرقل سهولة انتشاره، ويشجّعنا على إدراك أمرين: أولاً، أنَّ أفكاراً معيّنة عن "العرق" والثقافة والسلطة والجنس والشهوة والحب، تتكوّن من خلال انتشار هذا الخطاب؛ ثانياً، النتائج المترتبة من هذه المفاهيم بالنسبة للرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين.

الجنس“ نشأت في ظروف اجتماعية واقتصادية معينة مستندة مبدئياً إلى تعابير ثقافة البيض في المدن عن الجنسية، فإن “الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين” كانت (ولا تزال في نظر البعض) وصفاً أنسب وأشمل. في الواقع، إن تسمية “الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين” كانت تعني في الماضي مجرد وصف وليس حالة كائنة، والفئات التي استخدمت هذا التعبير مالت إلى تأكيد فكرة أن الهويات الجنسية مرنة. إن دليل Naz 2004 (الهند) عن العلاقات الجنسية بين الرجال يعكس هذا الفهم بتسليمه بأن “بعضهم يؤمن بفكرة هوية جنسية، وخصوصاً باستخدام مصطلح “المثلي” على أنه مستورد من الغرب وقد لا يكون مناسباً أو ملائماً لبلاد جنوبي آسيا” (Naz Foundation (India) Trust 2004: 9). ولكن بعد أن أصبح المصطلح أكثر انتشاراً في عمل التنمية الدولية، يبدو أن تحديه للسلطة الغرب بدأ يضعف.

أولاً، من خلال استخدامه كوصف واسع لرجال حيوان حيوات مختلفة في بيئات مختلفة جداً، فإن تسمية الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين قلّدت استراتيجيات المستشرقين في إزالة الفوارق الثقافية بين أناس غير غربيين (وغير بيض)، ووصمهم كـ “آخرين”. كوتيس (Kothis) في بنغلادش، إبي (ibbi) في السنغال، يان داودو (yan daudu) في نيجيريا، الرجال الأفريقيون الأميركيون والأميركيون الجنوبيون “المحتقرون” وفي الولايات المتحدة، والهجرة (hijra) في الهند، يسمّون جميعاً “رجالاً يمارسون الجنس مع رجال آخرين” على الرغم من أنهم يتكلمون لغات مختلفة، ويؤمنون بمعتقدات دينية متباينة، ويشغلون مراكز اجتماعية مختلفة في بيئات متعددة، وذو ممارسات جنسية وعلاقات عاطفية مختلفة.² ومن المثير للاهتمام أن هذا الكلام حول الجنسية الممتد في كل الجنوب يحدث أيضاً في وقت يزداد

للمثليين وكان هذا من أولويات جهودها. لقد شنت هذه المنظمات حملات ضد هلع رهاب المثلية في مجتمعاتهم، وضد العنصرية في المجتمعات المثلية. كما أنها انضمت إلى مجموعات أخرى للإعتراض على مختلف أشكال الإقصاء المبني على “العرق” والنوع الاجتماعي والطبقة والجنسانية. وربما يكون أهم من ذلك أن Naz ومجموعات مثل التحالف الأسود لمنع الإيدز (Black CAP)، والتحالف لمنع الإيدز في جنوبي آسيا (ASAAP) بيّنت أهمية التعبير الجنسي من خلال تنظيم حفلات اجتماعية وتقديم المساعدة والتشجيع للرجال الذين يبحثون عن شريك. إن الجهود لمنع فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز وضبطه ومعالجته كانت بالنسبة لهم جزءاً لا يتجزأ من النضال من أجل الحقوق والعدالة والحرية، وكذلك من أجل الفرح والحب.

4 منذ / بعد

فيما جرى إدخال تسمية “الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين” في آلية التنمية، بقي بعض أهدافها الأصلية دون أن يمس، لا سيما فيما يبدو أنه أكثر صفات هذه التسمية جاذبية أي تركيزها على ممارسات معينة (مثلاً، علاقات جنسية شرجية بين الرجال) بهدف ضبط فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز ومنعه. في الوقت عينه يبدو أن المعنى الأكثر راديكالية لهذا التعبير أخذ يضعف.

5 “العرق” / الثقافة

“الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين” تسمية كانت ولا تزال مستخدمة في كثير من منظمات رجال غير بيض في أميركا الشمالية وأوروبا في تحدّي الأساليب الغربية في تسمية الجنسية ومعرفتها والكلام عليها. بما أن مصطلحات أخرى لتسمية المثلية على غرار “مثلي” و “مزدوج الميول الجنسية” و “أحرار

فيه الاعتراض على نماذج مسيطرة في الغرب.

إنَّ وصف الناس بطبيعيين لأنهم مغايرو الجنس وآخرين بأنهم منحرفون لأنهم "مثليون" حصل في ظروف سياسية واقتصادية معينة في أوروبا الغربية. فهو ليس تقسيماً طبيعياً أو عالمياً. فمن دراسة أجراها Shivananda Khan عام 1990 على بضعة آلاف من الرجال الهنود استنتج أن "ليس في الهند ذوو جنسية مغايرة"; فالأشكال المحلية لعلاقات جنسية بين الرجال ليست وفقاً على قلة من الرجال "المثليين"، وإنما كانت جزءاً من ممارسات جنسية عامة، وبذلك تدحض الادعاء أن الرجال الذين يمارسون علاقات مثلية هم أقلية، وأن العلاقات الجنسية المغايرة الحصرية هي "الطبيعية" (Khan 1998:5). ففي بلاد كثيرة في مختلف أنحاء العالم الثالث أدى إدخال مفاهيم الغرب عن الجنسية إلى وصم ممارسات كانت مقبولة في السابق بأنها منحرفة وخطيرة. مثلاً ينسب Robert Mugabe إلى Oliver Phillips القائد الشهير الذي يعاني رهاب المثلية أنه:

...لم يكن فقط مسؤولاً عن إدخال فكرة الجنسية المثلية في زيمبابوي، وإنما أيضاً فكرة الجنسية المغايرة. كل هؤلاء الزيمبابويين الذين لم يكونوا قد خطرت لهم في السابق هذه الفكرة عن "الجنسانية" وجدوا أنفسهم فجأة يتبركون بها - فباختبار آخرين "مثليين" تكون قد اعتبرت بطريقة آلية أن المعيار هو "الجنسية المغايرة". وفجأة أخذ العديد من الزيمبابويين ينظرون إلى أنفسهم أنهم "ذو جنسية مغايرة" فيما لم يعوا مثل ذلك من قبل. (Phillips 2000: 30)

إنَّ النسوية الكاريبية M. Jacqui Alexander تشير أيضاً إلى أن اعتبار المثلية جريمة في معظم أنحاء العالم النامي لم يكن إلا نتيجة الاستعمار، والقوانين المعاصرة التي تمنع العلاقات المثلية هي مراجعات لنصوص استعمارية سابقة (Alexander 2005: 21-65).

هؤلاء الباحثون والمتخصصون بالعناية الصحية وغيرهم من الذين يبحثون في الجنسية والممارسات الجنسية في البلاد الشمالية أصبحوا أكثر تقديراً لتعقيداتها، مع أنهم لا ينجحون دائماً. مثلاً، أصبحنا أحرص على التنبيه إلى أنه ليس ضرورياً أن تقوم علاقة بين التعبير عن النوع الاجتماعي والجنسانية، وعليه نعرف أن الصبيان الذين يقومون "بأعمال أنثوية" (حسيما تعتبرها المعايير الثقافية السائدة) قد لا يمارسون علاقات مثلية، والذين يولدون بأعضاء جنسية أنثوية ويجرون عملية جراحية للحصول على أعضاء ذكورية، قد لا يكون دافعهم إلى ذلك رغبة جنسية. وفي الواقع، أثبتت الأبحاث أن الدافع في معظم الحالات ليس الرغبة الجنسية. ولكن، بالنسبة لعمل التنمية الدولية إن ربط هويات النوع الاجتماعي بالأعضاء الجنسية أو بتعابير خاصة بالأنوثة أو الذكورة أمر مسلم به عادة، مع أن كثيرين من الرجال الذين يُعتبرون "رجال يمارسون الجنس مع رجال آخرين" لا ينظرون إلى أنفسهم على أنهم "رجال" أو ذكور، حتى أن البعض، كالهجرا (hijra) أزالوا أعضاءهم الجنسية الذكورية. وبالتالي، نتيجة لاعتبار غير البيض الذين يبدون رغبتهم في أشخاص من جنسهم "رجال يمارسون الجنس مع رجال آخرين"، تختفي طبقات المعاني المعقدة التي تشكل جزءاً لا يتجزأ من صورة الهويات والأعمال الجنسية، والتي يصعب تمييزها.

ثانياً، تصوير الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين بأنهم مخالفون جنسياً ويتجاوزون التعبير الطبيعي عن النوع الاجتماعي والجنسانية، إن هذا التصوير ناتج أيضاً عن تطبيق أطر الجنسية الغربية، وقد لا يمثل بصدق ما تعتبره الثقافة الجنسية "طبيعياً" في بيئات غير غربية.

ثالثاً، إنّ تحويل فكرة ”الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين“ إلى أمر محسوس يتضمّن هرمية عرقية في التعبير الجنسي لا يزال يمنح الامتياز لممارسات الهوية الجنسية الخاصة بالببيض في المدن. مثلاً، إنّ الاهتمام العالمي للناشطين والمنظمات غير الحكومية والعاملين في المجال الصحي وصانعي السياسات بـ”إخفاء“ الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين يأتي نتيجة توقع التصريحات العامة عن الهويات الجنسية في الغرب وتمجيدها. كما يلاحظ Alan Sinfield، ”إذا كان هناك ما يميّز الهويات المثلية في المدن فهو ”إخراجها إلى العلن“، وهذا تقليد يسمح بافتراض أن هذا النوع من المثلية كان دائماً موجوداً بانتظار الكشف عنه.“ إنّ إدراك ذلك ”يؤدي إلى أننا كنّا في الحقيقة نعرف دائماً بوجوده، كأفراد وكثقافة، ولكننا رفضنا الاعتراف به“ (Sinfield 2000: 21–2). ولكن كما لاحظ العديد من علماء العالم الثالث وناشطيه، إنّ التصريح بالنشاطات الجنسية – أيّاً كان نوعه – لا يعتبر ضرورياً. وبناءً على ذلك، فإن المطالبة بالمزيد من العلانية للرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين، وذلك بواسطة تنظيم أماكن اجتماعية وسياسية تقلّد حركات المثليين والمثليات في الغرب (كجماعات المثليات والمثليين ومزدوجي الميول الجنسية ومغيّري النوع الاجتماعي (م.م.م.م)، والملاهي الليلية الخاصة بالمثليين (gay bars)، إلخ) تفترض أن غير الغربيين أخطأ. إنّ Kim مهاجر هندي إلى الولايات المتحدة، وفي وصف تجربته في وطنه يعترض على التفوّق الذي تدعّيه استراتيجيات التحرّر الجنسي في شمال الكرة الأرضية يقول:

لمرة واحدة دعونا ألا نفرض قوالبنا لما يجب أن يكون مجتمعاً هنيئاً على من هم موجودون عند منتصف الطريق حول العالم. لنحاول أن نعي الوضع هناك، أن نبذل جهدنا لفهم كيف

كذلك تقترح Connie S. Chan:
لعلّ القيود الثقافية المفروضة في شرقي آسيا
على التعبير الصريح عن الجنسية تحد من
تصنيف أنواع السلوك الجنسي والفصل بين
مغاير الجنس ومثلي لا بل من الممكن أن تؤدي
هذه القيود بالنظر إلى الأهمية التي تُعطى
لكون التعبير الجنسي أمراً خصوصياً خالصاً،
إن يفتح المجال في الواقع أمام مرونة أكثر في
السلوك الجنسي. (Chan 1997: 247)

إنَّ الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين في الهند أو شرقي آسيا قد يكونون أفضل حالاً من نظرائهم في أوروبا وأميركا، أو لا يكونون، ولكن مجرد قياس التجارب في ظروف ثقافية ومادية مختلفة جداً بمقياس واحد لا بد أن يشوّه طرقاً أخرى في التعبير عن الجنسانية.

6 السلطة

في مواجهة موقف Chan المذكور أعلاه، يعتقد كثيرون أن التصريح العام بوجود المثليين والمثليات ضروري من الناحية السياسية في العالم الثالث كما كان بالنسبة لهم في الغرب. يبدو أن الناشطين في حقوق الإنسان والمدافعين عن الحقوق الجنسية يعتقدون أن الاعتراف بالرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين في العمل على مكافحة فيروس نقص المناعة المكتسبة/ الإيدز سيوفر فرصة للكلام على الحقوق الجنسية وتمكين الفئات المهمشة والعمل لتحقيق ذلك. ولكن ليس واضحاً ما إذا كانت الفرص السياسية لتغيير العلاقات السلطوية السائدة ستتحقق بالضرورة إذا صار ظاهراً وجود الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين بالتحديد.

وعليه تُفهم تسمية ”رجال يمارسون الجنس مع رجال آخريين“ كـ”تسمية محايدة سياسياً“، وهي اتفاق ضماني بين وكالات التنمية الأوسع والدول على أن تعيّن الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخريين كـ”فئة أساسية مستهدفة للتحكم بفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز، لن يُجبر أحد الطرفين على التوسع في الكلام على ”أساليب حياتهم“ أو حقوقهم - فهذه تعتبر قضايا متعلقة بالرجال المثليين، لا بالذين يمارسون الجنس مع رجال آخريين. وعليه ظهرت الإشارات إلى ”رجال يمارسون الجنس مع رجال آخريين“ في خطط الإيدز القومية التي يضعها البنك الدولي في البلاد التي تجرّم المثلية الجنسية، مثل السنغال وأوغاندا والهند وسانت لوسيا وترينداد وتوباغو وبربادوس. بينما لا ترى بعض الحكومات تناقضاً بين توظيف المال في برامج الصحة الجنسية التي تستهدف ”رجال يمارسون الجنس مع رجال آخريين“ ومعاقبة الممارسات الجنسية المثلية. لعل السبب الذي أضعف من أجندات المنظمات غير الحكومية ومجموعات الناشطين، هو توافر تمويل أكبر للجماعات التي تركّز عملها على الصحة الجنسية للرجال الذين يمارسون الجنس مع الرجال آخريين. ولكن، في إعادة تحديد برامج عملهم بناءً على أولوية اهتمامات الممولين بالتحكم بفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز ومنعه، قد تضعف الأسئلة المتعلقة بالحقوق والسلطة والعدالة، ويتم التّخفيف من أهميتها.

7 الجنس

إنّ تضيق التركيز هذا على فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز والرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخريين، تتضح نتائجه خصوصاً حين تُبحث قضايا متعلقة بتمثيل النساء. تُصوّر النساء

يبدو أن تسمية ”الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخريين“ أصبحت أسلوباً في الكلام على الجنسية من غير أن تفرض (مع أنها لا تزال تتيح) درس الأساليب التي تنظم الممارسات والهويات الجنسية وتكتبها، ومن دون محاسبة مسؤولين مختلفين عن التهميش المبني على الجنسية. هذه الاستراتيجية واضحة في دليل مؤسسة Naz Foundation (India) Trust لعام 2004 الذي يتضمن وصفاً يحدّد الاختلافات بين ”رجال مثليين“ و”رجال يمارسون الجنس مع رجال آخريين“. يقول الدليل إن تسمية ”رجال يمارسون الجنس مع رجال آخريين“:

... تميّز أن رجالاً كثيرين قد يمارسون الجنس مع رجال آخريين، ولكنهم لا يعتبرون أنفسهم بالضرورة مثليين. كما لا يعتبرون لقاءاتهم برجال آخريين دليل هوية جنسية أو ميلاً جنسياً.

وفي المقابل،

... المثلية هي هوية أو ”أسلوب حياة“. إنهم ينظرون إلى هويتهم المثلية بأنها ميزة تقرأ أو تحدّد اختيار أسلوب معين في الحياة. قد يشمل ذلك العزوبة والعيش مع شريك ذكر، إلخ. وفي بعض الحالات يصرّح المثليون بمثليتهم، أو يقرّون بجنسانيتهم للأسرة والأصدقاء وزملاء العمل وغيرهم.

يسلم المؤلفون أيضاً بأن بعض الذين يوصفون بأنهم ”مثليون“،

... يفعلون ذلك كوسيلة لتسييس المثلية. ويهمهم أن يزداد الرجال المثليون ونضالهم من أجل حقوقهم ظهوراً للعيان. بهذا المعنى، يزداد تبني مصطلح ”المثلي“ كهوية إجتماعية

أخرى، كما يجهلن الخطر الذي يتعرّضن له ويرجع سبب ذلك في حدّ بعيد إلى كون هذا الفعل من المحظورات. (UNAIDS undated)

إنّ تصوير النساء بأنّهنّ ضحايا رجال يمارسون الجنس مع رجال آخرين وأن هؤلاء الرجال غشاشون غير مسؤولين يساعد على تحميلهم مسؤولية نقل فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز - بدلاً من التنظيمات القانونية والإجتماعية والثقافية التي تجبر أصحاب الممارسات الجنسية المختلفة على التخيّي. كما أن هذا التصوير يؤكد مجدداً تركيز قضايا الجنسية في التنمية على عدوى فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز - بدلاً من حقوق أكثر الناس تهميشاً بسبب انتشار المرض وصحتهم المعنوية والجسدية - وعليه لا يتم تناول حقوق النساء الجنسية وصحتهن المعنوية والجسدية إلا بالنسبة إلى مصلحة الرجال وتجاربهم إلى جانب أدوارهن الإيجابية المفترضة.

إنّ منح النساء مزيداً من الاهتمام يحثّ الناشطين وصانعي السياسات والعاملين على أن يحسنوا ربط النضالات المعاصرة من أجل الحقوق الجنسية (وإشراك المخالفين جنسياً في عمليات حسن الإدارة) بنضالات سابقة كانت قد قادتها النسويات. كثيراً ما كانت مجموعات النساء، في البلاد الجنوبية والشمالية على السواء، أول ما لجأ إليه المثليون وغيرهم من الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين في سعيهم إلى الدعم والموارد. كذلك كانت المجموعات النسوية منذ زمن بعيد أكثر من أيّد الحقوق الجنسية في التنمية الدولية. مثلاً، في المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة ناضلت الناشطات ضد المعارضة المنظمة لتأييد استقلالية النساء ودورهن الفعّال في تحديد ومتابعة الهويات الجنسية وأساليب التعبير. ورفضت الوكالات المتعدّدة الأطراف ومعظم الدول محاولات إدخال الاعتراف بالنساء اللواتي

في الكتابة عن الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين بطريقتين. أولاً، النساء اللواتي يمارسن الجنس مع نساء، هؤلاء يكاد لا يكون لهن وجود في خطابات الجنسية في التنمية. وسبب هذا الغياب معروف: بما أنهن يعتبرن قليات التعرض للإصابة بفيروس نقص المناعة المكتسبة، لم يعدن مهمّات. إنّ الدراسات وأوراق خطط العمل التي تتناول هؤلاء النساء قليلة جداً، وتكاد تقتصر كتابتها على باحثات نسويات يعملن خارج المؤسسات العادية للتنمية. إنّ إحدى صانعات السياسة تعمل في وكالة رئيسة لتمويل فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز، وصفت اهتمام منظّمتها بالنساء اللواتي يمارسن الجنس مع النساء بأنه "أقل من نقطة في دلو" (Gosine 6: 1998). إنّ بحثاً أجري في آذار 2004، موجود على الموقع الإلكتروني لبرنامج الأمم المتحدة المشترك عن فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز (UNAIDS)، قدّم مئات الوثائق المتعلقة بالرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين، ولم تظهر وثيقة واحدة عن النساء اللواتي يمارسن الجنس مع نساء أخريات.

ثانياً، من المقلق أيضاً، أساليب تصوير النساء في العمل القائم حول الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين. وفي أكثر الأحيان يكتّف في المكانة التي تظهرها الفقرة التالية المقتطفة من بيان برنامج الأمم المتحدة المشترك عن فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز (UNAIDS) حول الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين، وقد كرّرها كثيرون آخرون:

يحدث الجنس بين الرجال في جميع المجتمعات بدون استثناء، مع أنه فعلٌ موصوفٌ في أكثرها وهو رسمياً ممنوعٌ في عددٍ منها. كثيراً ما تجهل شريكات الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين أنّ لشركائهنّ علاقات جنسية

يمارسن الجنس مع نساء أخريات في خطة العمل. ولكن على الرغم من ذلك ساعدت جهود النسويات على حث وإعادة إحياء المناقشات حول الحقوق الجنسانية للمهمشين وإنعاشها.

في البيئة من "زيادة السكان المفرطة". خلال ذلك كله تُنكر رغبات النساء الجنسية أو تُدان. إنَّ القلق على العرق الذي طبع عهد الاستعمار، والمخاوف من خصوبة الشعوب غير البيضاء التي لا حد لها ومن جنسانية المتوحشين النهمة، كل ذلك ينعكس في إلقاء اللوم على فقراء العالم الثالث، لا سيما النساء، على تدهور البيئة والفقر وقلة الموارد والصراع. اعتبر الهلع الأخلاقي بسبب فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز ممارسة الرجال الجنس مع رجال آخرين تهديداً شبيهاً، والجنس بين الرجال كنشاط سلبي يتعاطاه الذين لا يستطيعون التحكم برغباتهم الجنسية، أو يختبرون الحب من خلال التعبير عن دافع فردي.

من المهم أن نلاحظ أنَّ الرجال غير البيض وحدهم يوصفون بأنهم "رجال يمارسون الجنس مع رجال آخرين". حتَّى حين يستخدم هذا التعبير في شمال الكرة الأرضية يقتصر عادة على أجساد غير بيضاء. إنَّ وصف الرجال غير البيض الذين يشاركون في ممارسات جنسية مثلية على أنهم "رجال يمارسون الجنس مع رجال آخرين" يتضمَّن إحياءات معيَّنة تتعلَّق بقدراتهم المعرفية وكرامتهم وقيمتهم وتكشف عن تمسُّك مزعج بميول عرقية تقليدية ترى الشعوب من غير البيض مقتصرة على أجسادها ووظائفها الجسدية، لا غير. مثلاً، Khan يرى أنَّ السلوك الجنسي في الهند يحل محل الجنسانية بين الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين:

إنَّ سلوك الذكور الجنسي يصبح منهمكاً في نفسه، ويقتصر على القذف بدلاً من الرغبة في الشخص الآخر. فيغدو السلوك الجنسي خالياً من العلاقة الشخصية، وتفقد الجنسانية معناها. كما يصبح العمل الجنسي وحشياً سواء كان بين ذكر وأنثى أم بين ذكر وذكر. (Khan 1996: 3)

إنَّ الإعتراف بهذا التاريخ لا يعمل فقط على إزاحة تركيز النقاش على النوع الاجتماعي (أي على الرجال)، وإنما يوفر أيضاً فرص تعليم هامة. مثلاً، جهود النسويات لإعادة تأليف البرامج المحدودة حول تنظيم الأسرة والصحة كي تصبح أوسع وتهدف إلى تحقيق الحقوق الإنجابية والجنسانية، إنَّ هذه الجهود توفر بصيرة نافذة عملية واستراتيجية عن كيفية إعادة تصوُّر مبادرات تركَّز بالدرجة الأولى على التحكم بفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز لتتحول إلى أحاديث أوسع أفقاً حول حقوق وما فيه منفعة للرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين والنساء اللواتي يمارسن الجنس مع نساء أخريات وغيرهم ممن يشاركون في ممارسات جنسية مهمَّشة ومجرَّمة. إنَّ زيادة التنبُّه إلى هذه التجارب يحسِّن أيضاً إعداد الناشطين والعاملين في مجالات الصحة، إلخ. ليشقُّوا طريقهم في المفاوضات السياسية التي يتطلبها بناء المعرفة والبرامج المتعلقة بالجنسانية.

8 الرغبة/الحب

من الثوابت الكثيرة التي تتكرَّر في الخطابات حول تنظيم الأسرة والإنجاب وتحديد النسل والجنسانية هي الطريقة التي تقدِّم بها رغبات شعوب العالم الثالث الجنسية. حين كان/يكون نمو السكان همّاً ملحاً عند صانعي السياسات، إتَّجهت/تتجه الجهود نحو تنظيم خيارات النساء الجنسية والإنجابية، إما بالإكراه (مثل سياسة الصين بإنجاب ولد واحد، والتعقيم الإجباري في آسيا، أميركا اللاتينية والكاريبيان) أو بتطبيق إجراءات تتضمن مثل هذا التنظيم لخيارات النساء، كبرامج تربية تحذّر النساء من كثرة الأطفال، أو ما ينتج

عن "العرق" والسلطة والثقافة والجنس والرغبة والحب مع التوضيح المعاصر لتسمية "رجال يمارسون الجنس مع رجال آخرين": هما كتاب J.L. King (2004) *نحو الأسفل: رحلة في حيوات رجال سود "مستقيمين"* يمارسون الجنس مع رجال آخرين وفيلم Ang Lee الشهير *جبل بروكباك*. يسرد العمل الأول تجارب المؤلف مع رجال أميركيين-أفريقيين ذوي جنسية مغايرة يمارسون الجنس مع رجال آخرين، محلاً هذه التجارب. مع أنهم من العالم المتحضر، فإن الرجال الذين يصفهم الكتاب تنطبق عليهم ثلاثة معايير يقال إنه يشترك فيها كل الرجال الذين يوصفون بأنهم "رجال يمارسون الجنس مع رجال آخرين" في جميع أنحاء العالم النامي، على الرغم من اختلاف بيئاتهم الثقافية والطقوس الجنسية التي يمارسونها:

- 1 يعترفون بأنهم رجال لأنهم ولدوا ولهم أعضاء جنسية ذكورية.
- 2 يعترفون عن الجنسانية بطرق مباينة لمعايير النظام الأبوي والتي تميز ضد المثليين.
- 3 ليسوا بيضاً.

ترأس كتاب King المبيعات في العالم بعد أن ظهر المؤلف في برنامج حوار مع Oprah Winfrey وأثار نقاشاً عاماً طويلاً. وخلال النقاش كله لم تتغير اللهجة: اعتبر الرجال السود مرضى ودينوا بسبب سلوكهم "المضلل" و"الخطير" و"غير المسؤول"، ووضعوا في موقع من "يهدد" النساء والوطن. وفيلم Lee الذي وفر له أرباحاً طائلة كان أيضاً عن رجال أخفوا علاقاتهم الجنسية عن زوجاتهم وأصدقائهم وأسرهم. ولكن، خلافاً للإخوة في كتاب King، كان بطلا فيلم Lee Jack و Innis رجلين من مربّي المواشي، أبيضين متزوجين، قدّمهما المؤلف بأنهما رجالان محترمان وصاحباً مسؤولية، وهما، على الرغم من خيانتهم، يحبان زوجتيهما. احتفل بـ Jack و Innis كبطلين رومنتيقيين، والفيلم الذي نال جوائز عدّة - وهو قصّة ينتصر فيها الحب - قدّمته Winfrey في

يحاكي هذا الوصف التعريف التاريخي للشعوب من غير البيض المستعمرة على أنها لا تملك إلا أجساداً، ولا عقول لها. إن تصوير الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين كرجال أنانيين ومضللين وقليلي التحكّم بدوافعهم البدائية، هو مزاعم ترد في نصوص أخرى كثيرة عن الصحة الجنسية، معيدة بذلك إنتاج الروايات الاستعمارية العرقية عن الميول "الطبيعية" للرجال غير البيض، ومدّمة المفاوضات المعقّدة التي يقومون بها في التعبير عن خيارات جنسية.

9 *جبل بروكباك*³ / *نحو الأسفل: رحلة في حيوات رجال سود "مستقيمين"*⁴ *يضاجعون رجالاً*⁴ بعد تجاهل وجود المخالفين الجنسيين و/أو الأقليات طويلاً، أصبحوا يُذكرون الآن في التنمية الدولية. وفيما الاعتراف بالتنوع الحقيقي للممارسات والهويات الجنسية مهم، يجب أن نتنبّه إلى الاستراتيجيات الخاصة التي تستخدم لتمثيل تجارب ووضع المخالفين جنسياً و/أو الأقليات الجنسية. إن استخدام تسمية "رجال يمارسون الجنس مع رجال آخرين" كتصوّر يمكن أن تبني حوله تحاليل للجنسانية وسياساتها محفوف بالمشاكل. وبحسب معظم إستخداماته الراهنة في هذا الحقل، يبدو أنّ تسمية "الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين" تشي بأفكار إستعمارية -إمبريالية عن الجنسانية و"العرق"، وقد تؤدي إلى تحويل الهويات الجنسية إلى شيء مادي وإلى تهمة النساء. ولا يعني ذلك أن نرفضها كلياً - وإنما يجب أن نكون أكثر يقظة في تقييم أوجه استخدامها.

في ختام هذا النقاش - ليست هذه النقطة سوى مقدّمة له - أود أن ألفت النظر سريعاً إلى تصويرات مفارقة للجنسانية المثلية في نصّين أميركيين شعبيين ومتداولين دولياً، تصويرات تصوّب الطريقة التي يشترك فيها توضيح بعض الأفكار

3 تلاحظ موسوعة ويكيبيديا (Wikipedia) حول تسمية "الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين" (MSM) أن هذه التسمية تستخدم بصورة خاصة في وصف الأميركيين الأفريقيين. وسلوك الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين معروف أيضاً "بأنه سرّي ... ويرتبط بهذه التسمية كل من الأنماط التالية: السجين السابق، قاطع الطرق، والعضو في عصابة مجرمين." فيما يكون الشريك الذكر لهؤلاء الذين يعيشون هذا السر عارفاً ازدواجية الحياة التي يتضمنها مثل هذا النشاط الجنسي ويتابع المؤلف تفسيره أن "الزوجات والصديقات لا يعرفن عادة هذه الممارسات." وفي النهاية، "تستخدم هذه التسمية أيضاً في سياق ثقافة "الذكورة المبالغ فيها" (macho) والثقافات الفرعية للتمييز بين الشريك "الفاعل" و"الشريك في دور المتلقي" في الجنس، حيث لا يعتبر الشريك "الفاعل" نفسه مثلياً" (ويكيبيديا، غير مؤرخ).

4 عنوان الكتاب باللغة الانكليزية هو: *Brokeback Mountain*

5 عنوان الكتاب باللغة الانكليزية هو:

On the Down Low: A Journey into the Lives of "Straight" Black Men Who Sleep with Men

برنامج آخر من برامجها الحوارية. ومما جعل هذا الإحتفال ممكناً أن البطلين، بصفتها رجلين أبيضين، قدما كإنسانين معقدين، بإمكانهما التفكير في حياتهما والتحكم بها، وقد وجدا الفرحة واللذة في علاقاتهما الجنسية، وليس فقط في "القذف" - وهذه صفات عبّرت عنها هويتها البيضاء التي يبدو أنها كفلت عدم وصمهما "كرجال يمارسون الجنس مع رجال آخرين."⁵

ملاحظات

- 1 ميول الخبير الإقتصادي Keynes المثلية المذكورة في عدة سير حول حياته، مثلاً (1995) Escofier
- 2 الكوثي *Kothis* والإيبي (*ibbi*) يتألقون كالإناث، *yan Daudu* يرتدون أزياء النساء، الهجرا (*hijra*) يمثلون أدواراً أنثوية ويزيلون أعضاءهم الجنسية الذكورية، ولجميعهم علاقات جنسية مع رجال، ولكن ليس بالضرورة فقط مع رجال. وإن بعضهم، وليس جميعهم، يعمل في الجنس.

المراجع

- Alexander, M. Jacqui (2005) *Pedagogies of Crossing Mediations on Feminism, Sexual Politics, Memory and the Sacred*, New York: Durham
- Chan, Connie, S. (1997) 'Don't Ask, Don't Tell, Don't Know: The Formation of a Homosexual Identity and Sexual Expression among Asian American Lesbians', in B. Greene (ed.), *Ethnic and Cultural Diversity among Lesbian and Gay Men*, London: Sage
- Gosine, Andil (1998) *Sex for Pleasure, Rights to Participation and Alternatives to AIDS*, IDS Working Paper 228, Brighton: IDS
- Escoffier, Jeffrey (1995) *John Maynard Keynes, Lives of Notable Gay Men and Lesbians*, New York: Chelsea House
- Khan, Shivananda (1998) 'There are no Heterosexuals ... There are Married Men and Men Who Will Get Married', *Ki Pukaar* 20, London: Naz
- Khan, Shivananda (1996) *Making Visible the Invisible: Sexuality and Sexual Health in South Asia*, London: Naz
- Kim (1993) 'They Aren't that Primitive Back Home', in Rakesh Ratti (ed.), *A Lotus of Another Color: An Unfolding of the South Asian Gay and Lesbian Experiences*, London: Gay Men's Press (GMP)
- King, J.L. (2004) *On the Down Low: The Lives of 'Straight' Black Men Who Sleep with Men*, New York: Broadway Books
- Naz Foundation (India) Trust (2004) *Training Manual: An Introduction to Promoting Sexual Health for Men Who Have Sex with Men and Gay Men*, New Delhi: Naz
- Philips, Oliver (2000) 'Constituting the Global Gay: Issues of Individual Subjectivity and Sexuality in Southern Africa', in C. Stychin and D. Herman (eds), *Sexuality in the Legal Arena*, London: Athlone Press
- Peterkin, A. (2003) *Outbursts: A Queen Erotic Thesaurus*, Vancouver: Arsenal Pulp Press
- Sinfield, Alan (2000) 'The Production of Gay and the Return to Power' in Richard Philips, Diane Watt and David Shuttleton (eds), *De-centring Sexualities*, London: Routledge
- UNAIDS (undated) *Men who Have Sex with Men*, www.unaids.org/en/Issues/Affected_communities/men_who_have_sex_with_men.asp (accessed 10 April 2006)
- Wikipedia (undated) *Men Who Have Sex with Men*, www.wikipedia.org (accessed 5 April 2006)

إسترداد تواريخ الترافستي*

جيسيبي كامبوزانو

1 أوامر وإفتراضات إستعمارية

إذا ارتدى أي ذكر هندي ملابس أنثى هندية أو أية هندية ملابس ذكر هندي، تحتم على رئيس البلدية اعتقالهم. في المرة الأولى يُجلد الفرد مئة جلدة ويقص شعره أمام الناس وفي المرة الثانية يُشد ست ساعات برباط إلى عمود في السوق لكي يراه الجميع وفي المرة الثالثة يُرسل إلى عمدة الوادي أو إلى رئيس بلدية فيلا دي سانتياغو دي ميرافلوريس (Villa de Santiago de Miraflores) لينال العقاب الذي يفرضه القانون. (Gregorio Gonzales de Cuenca Ordenanzas de los Indios [Ordinances of the Indians], 1556)

كانت الأوامر التي صدرت عن الحكومة الاستعمارية الإسبانية قبل 450 سنة أول تحریم قانوني يستهدف الترافستي في البيرو ويعود أصل ذلك إلى التوراة: "لا يكن متاع رجل على امرأة ولا يلبس رجل ثوب امرأة لأن كل من يعمل ذلك مكروه لدى الرب إلهك" (تثنية 22: 5)، و"أولست الطبيعة نفسها تعلمكم أن الرجل إن كان يرخي شعره فهو عيب له. وأما المرأة إن كانت ترخي شعرها فهو مجد لها لأن الشعر قد أعطي لها عوض برقع" (1 كورنثيوس 12: 15-14).¹ يلاحظ Bonnie Vern Bullough "بما أن محاكاة تغيير الجنس كثيراً ما كان جزءاً من طقوس الخصوبة في ذلك الزمن، كان كتاب التوراة أكثر عداء لتقاطع الأزياء في حينه من معلقين جاءوا فيما بعد" (Bullogh 1993: 40). إستهانوا بمستوى العداء اللاحق.

منذ حوالي 500 سنة جاء المستعمرون إلى أميركا اللاتينية ليأخذوا على عاتقهم السيطرة على إمبراطورية الإنكا (1538 AD - c. XIII). وكانت رغبتهم بما أشيع عن الذهب الذي لا حدود له سبب استيلائهم إلى حد بعيد على القارة، فضلاً عن هبة الإمبراطورية والحصول على قوى عاملة رخيصة. قدّم القاضي Gonzales de Cuenca مرسوم الهنود Ordenanzas de los Indios على أنه ولادة نظام جديد. وقد خالف هذا نظام "الإنكوميندا" (encomienda) حيث مُنح المستوطنون أماكن أهلية كي يديروها، وحيث تحولت الأماكن الأهلية إلى المسيحية قبل أن تُعاد إلى مديريها الهنود السابقين. لقد توقع النظام الملكي إستعادة السيطرة على الإنتاج بدمج الإدارة الهندية بخطة السلطة الاستعمارية. وكذلك ادّعت الإدارة الجديدة، على الورق بالأقل، المحافظة على أجزاء من الثقافة المحلية. ولكن اشتراط إعتناق المسيحية وإعطاء الإنتاج الأولوية أتيا عكس ذلك، وأديا إلى قمع بعض الهويات المحلية.

إنّ الترافستي هو مصطلح لا يزال يستخدم اليوم، وفي أميركا اللاتينية يصف من يبدلون سلوكهم بحسب النوع الاجتماعي، ويبتكرون بملابس الجنس الآخر، ومصدره إحدى الهويات المقموعة. إنّ مفهوم الترافستي نفسه (ومعناه الحرفي "عبر الملابس") ابتكره المستعمر بسبب تركيزه على ثنائية النوع الاجتماعي، بما في ذلك ضرورة اللبس بحسب مكانة المرء ضمن إنقسام جامد للنوع الاجتماعي الذي فيه جنسان محدّدان واضحان ونوعان

إجتماعيان قائمان على هذين الجنسين.² من خلال هذه العدسة قرئ النوع الإجتماعي قبل عهد الإسبان؛ وضمن هذه المنظومة أصبح الترافستي مصطلحاً يشير إلى تجاوز تلك الثنائية.

فيما كان الترافستي أصلاً صفة محقرة، أعاد صياغتها الناشطون الترافستي في الأرجنتين والبيرو ليصبح إسماءً سياسياً، وأعادوا تسمية "الثنائية بأنها سلطة"، كما كان معنى الخنثوية وازدواجية الجنس في الثقافات القديمة في الشرق والغرب على السواء. وفي هذه المقالة أتتبع تاريخ الترافستي في البيرو قبل العهد الإسباني وأتحرى ما يقدمه استرداد قيمة دور الترافستي في الثقافة المحلية لنضال الترافستي من أجل حقوقهم والاعتراف بهم في البيرو المعاصرة.

2 السلسلة المتصلة لمفهوم النوع الإجتماعي في

عهد ما قبل الإسبان وردة فعل الاستعمار في العهود السابقة للإسبان، لم يقتصر النوع الإجتماعي على الذكوري أو الأنثوي وحدهما. ولا تزال مبادئ التفكير غير الثنائي ظاهرة في تصاميم كيس الأيمارا الذي ينسج تقليدياً في الأنديز (Andean Aymara bag). إنه يصنع بتكرار عصابتين ذاتي خيوط مختلفة الألوان بطريقة تجعل لكل منهما عصابتين في النصف المقابل من الكيس (Cereceda 1986). ويكون مجموع عدد العصابات دائماً مفرداً بحيث تبقى إحداها باستمرار من غير زوج، مشكلة بذلك المحور المركزي الفاصل بين هذين النصفين (Chhima) وفي الوقت نفسه الرابط بينهما. ويمكن استخدام هذه الفكرة "واحد بين أشياء مزدوجة ولكن من غير زوج" (Chhullulu)، لإعادة تفسير الأشخاص كما رُسّموا أدناه بأقلام مؤرخين إسبان خلال عهد أميركا الاستعمارية:

... يعتقد الأنديون (Andean) واليونغا (Yungas) عادة أن الشيطان أخفى هذه الرذيلة

تحت نوع من القدسية، بحيث أن يكون في كل معبد ومكان أساسي للعبادة رجل أو اثنان أو أكثر، وهذا يتوقف على الوثن، يرتدون ملابس النساء منذ طفولتهم، ويتكلمون كالنساء، مقلّدين إياهن في تصرفاتهم وملابسهم، وفي كل شيء. ففي الأعياد والحفلات الدينية يقيم الأسياد والأشراف علاقات جسدية غير محتشمة مع هؤلاء الناس. أعرف ذلك لأنني عاقبت إثنين منهم: أحدهم هندي من الأنديز في معبد يسمونه Guaca من مقاطعة كونشوكوس (Conchucos) على حدود مدينة هوانوكو (Huanuco)؛ والآخر من مقاطعة شينشا (Chincha). كلمتهم عن هذا الفعل الرديء الذي يأتونه، وضاعفوا رداءة هذه الخطيئة بأن جاوبوا أنهم ليسوا مسؤولين، لأنهم منذ طفولتهم وضعهم رؤسائهم هناك ليرتكبوا هذه الرذيلة الشنيعة وأن يكونوا كهنة ويحرسوا المعابد وأوثانها. (Pedro Cieza de León 1553, *La Crónica del Perú* [The Chronicles of Peru, author's ([translation

بالنسبة للمستعمرين الكاثوليك لا مكان لأدوار بديلة خاصة بالنوع الإجتماعي. ولكن، لم أثار الذين اقتبسوا هذه الأدوار ما وصف أعلاه من حقد وإدانة وعقاب؛ ألقى ضوءاً على هذا السؤال أتوجه إلى قول Murray Davis:

كل ما يقوّض الثقة بمشروع تصنيف يبني عليه الناس حياتهم يُعلّم كأنما تنهار فجأة الأرض التي يقفون عليها. إن الدوار الذي يحدثه فقدان التوجيه المعرفي شبيه بدوار يحدثه فقدان التوجيه الجسدي ... فسينظر الناس إلى أية ظاهرة تسبّب مثل فقدان هذا التوجيه بأنه "مقرف" أو "قذر". ولكن لكي يُنظر إليها هكذا، ينبغي أن تهدد الظاهرة بتدمير نظامهم

المعرفي بكامله، وليس فقط أحد مقولاته المعرفية الأساسية. (Davis 1983, cited by Bornstein 1994: 72)

لننتقل الآن إلى البيرو المعاصرة حيث نجد في بعض مناطق الأنديز أن الترافستي يمثلون طقوس حصاد قديمة جداً - تقدّم الآن "كعروض رقص" لا تزال تؤدّي دوراً اجتماعياً هاماً داخل المجتمعات المحلية. إستبدلوا calientito (مشروب من الأنديز) بالبيرة والأحذية ذات الكعوب المنخفضة بأخرى شفافة خاصة بالمرشح، فيما يحولون طقوسهم إلى عرض رقص تقني تحوّلاً ناجحاً. من المفيد أن نلاحظ أن هذا يحدث في أماكن لم تتقدّم فيها التنمية تماماً. ولا يعني ذلك أن التنمية تشكل تدميراً، ولا أن المجتمعات ظلت "نقية". ما أريد قوله هو أن تناقص تأثير التنمية ربما سمح ببناء جسر، قد لا يكون متيناً أو منهجياً، ولكنه كاف للسماح بالمزج من خلال الربط بين ثقافتين، ماضية وحاضرة.

وفي ما بعد عهد الاستعمار تمّ تفسير الترافستي على ضوء هويات "م.م.م.م." (مثلثات ومثليين ومزدوجي الميول الجنسية ومغيّري النوع الاجتماعي). إن إدخال الترافستي في هذه الهويات الجنسية المعيارية يبيّن كيف صُنّفت أنواع اجتماعية بديلة في فئات من خلال عدسة الجنسانية، نتيجة عدم وجود منظور تاريخي. فلقد

لقد اختلفت ممارسات هؤلاء "الكهنة" عن نظرة الإسبان المركّزة على الدين وعلى العضو الذكريّ اختلافاً جعل الإسبان يعتقدون أنهم كانوا يخلّصون السكان المحليين، فيما كانوا في الواقع يستغلّونهم ويمحون بعض عناصر ثقافتهم. لقد نظمت قوانين الاستعمار الهنود فصنّفتهم وعدّتهم، وكانت هذه أداة فعّالة لفرض سهولة انقياد الأجساد الهندية والانتفاع منها.

3 التحكم بالأجساد

يشير (الرسم 1) إلى صورة من عهد ما قبل الإسبان التي يتفق عدد من الأنثروبولوجيين أنها تصوّر حدثاً دينياً يُظهر رجالاً مجنّحين يُعدّون ويقدمون سائلاً لزوجين يتضاجعان، أحدهما فوق بشري والثاني "ثنائي النوع الاجتماعي"، فيما يتفرّج عليهما الآلهة والناس منتظرين، ويأكلون لحوماً بشرية كجزء من الطقس (ritual). والجسم المتنكر يبدو وسيطاً بين العالمين الطبيعي وفوق الطبيعي.

الرسم 1: طبعة بالحجر من خزف ثقافة موش (Moche) الأصلية، في أربوليدا (Arboleda 1981)



الوسطاء داخل المجتمع، في الماضي ككهنة يستخدمون السحر (Shamans) واليوم كمجملين أو سحرة، معالجين نفسانيين يستمعون ويغيرون بواسطة حقن أجسام زملائهم بسائل السليكون.³ هذا المشهد المعاصر يشبه إلى حد بعيد ذلك الذي نراه على الفخار الموش (Moche) الرسم رقم 1: مجموعة من الأصدقاء الترافستي يُحميهم مشروب كحولي يقدمه "المريض"، يتحدثون عن الإجراء المسمم غير المخدر الذي ينوون تحقيقه ويخططون له - ليحققوا أنفسهم. تحرّي الذات، مع ما ناله من تغييرات ما بعد الحداثة، يبقى سليماً. يربط الترافستي مختلف نواحي الكائنات: الروحاني والمادي والحقيقة والحلم. لا هم اختفوا ولا أدوارهم. إنهم تحوّلوا.⁴

4 ترافستي القرن الحادي والعشرين

إنّ المعارك القانونية الحديثة حول الاعتراف بهوية مغيري النوع الاجتماعي خاضعة لمعيارية النوع الاجتماعي وهي تعيد إنتاجها. حتى أكثرهم تقدّمية، كما في بلجيكا وألمانيا والمملكة المتحدة وإسبانيا، لا يوافقون رسمياً على التعبير عن الذات الذي يلتبس فيه النوع الاجتماعي. مع أن الناس في هذه البلاد كسبوا حقوقاً معينة لتغيير جنسهم، لا حق لهم حتى الآن بالبقاء في وضع بين الإثنين، أو بالانتقال بين وضع وآخر ذهاباً وإياباً. إنّها تستخدم أفكاراً مثل "عدم ارتياح الشخص للنوع الاجتماعي المنسوب إليه" (gender dysphoria) أو "اختلال هوية النوع الاجتماعي" (gender identity disorder) لتبرير عمليات تغيير الجنس والاعتراف قانونياً بالجنس الذي تغير. إلا أن هذه الأفكار نفسها مبنية على معيار النوع الاجتماعي المألوف وهي تنكر ازدواجية الجنس والترافستي أحياناً. وفي إطار معيار النوع الاجتماعي المألوف هذا تبني بعض الترافستي ممارسات "هستيرية" ساعين إلى أنوثة مثالية. وهذا ما سنبينه الآن.

أدّى ربط الترافستي بهويات جنسية - لا بنوع اجتماعي بديل - أدّى إلى تعرّضهم للتمييز ضدهم وللمهاجمة على أساس جنسانيتهم المفترضة. وإنّ تقريراً لهيئة المواطنين لحقوق الإنسان (CCHR) ويظهر أن حركة توباك أمارو البيروفية الثورية (MRTA) "تميل إلى اعتبار المثليين والمثليات 'مناهضين للثورة' أو 'نتاج انحطاط برجوازي'، وعليه يشكلون تهديداً لمشروع اليسار السياسي" (ICCHRLA 1996:19). وينقل Chauvin (1991) أنه في عامي 1990 و1991 تمّ قتل أكثر من 40 ترافستي في ليما، البيرو، على أيدي جماعات يمينية معروفة بـ ماتا كابروس (mata cabros) أي "اقتلوا الخنثويين". كما يسجل التقرير النهائي لهيئة بيرو للحقيقة وفرض النزاعات أن أعضاء MRTA "هدفوا إلى الظهور بمظهر شرعي أمام الشعب، مشجعين الأحكام الاجتماعية المسبقة حول الجنسية المثلية" (IFCVR 2003: 433).

إنّنا نرى هنا نتائج سوء فهم مأساوي: ففي ثورتهم على الحريات الجنسية بعد الاستعمار رسّخ مناهضو الاستعمار أيديولوجية المستعمرين. هنا نرى الأيديولوجية التوراتية تؤكد على أيدي اليسار (الملحد) المتطرّف. إنّ الناشطين والباحثين في الجنس يساهمون في استمرار هذا الوضع الذي يزداد سوءاً لأنهم يعملون ضمن إطار إستعماري بدلاً من أن يؤسّسوا التنمية على الخطاب السابق للاستعمار.

لقد فقد النوع الاجتماعي رحابته وعمقه ومرونته خلال تبادل المعتقدات والأيديولوجيات الاستعمارية. ولم يسترد جزءاً من ذلك فيما بعد عهد الاستعمار. ولكن الترافستي البيروفي يبقى بمثابة مِفْصلة بين الأزواج إذ وصل في السابق بين عوالم الآلهة والناس والأحياء والأموات في عهد ما قبل الإسبان، ويصل الآن بين الماضي والحاضر. ويستمر الترافستي في القيام بأدوار

4.1 تغيير الجسم

العديد من زملائي وأصدقائي الترافستي يحقنون أجسادهم بسائل السليكون ليزيدوا من شهوانية صدورهم وأوراكهم وأردافهم، على الرغم من احتمال التشويه وتهديد صحتهم (مثلاً، تنقل المادة في أجزاء الجسم، أورام، موت الأنسجة، التهاب، انسداد الرئة أو الموت). ولهذا "القرار" أسباب عدّة. معظم الترافستي فقراء، وعليه لا يمكنهم اللجوء إلى خيار أكثر كلفة في تغيير أجسامهم، بما أن سياسات التأمين الصحي تعتبر هذه الإجراءات "تجميلية"، مع أنها ضرورية لصحتهم النفسية. كذلك يسعى الترافستي إلى خدمات بديلة - ككهنة يستخدمون السحر، وأخصائيي تجميل، طبيب ذاتي - بما أنهم لا يتقنون بالخدمات الصحية. فهذه العوامل، بالإضافة إلى الجهل والانخفاض في تقدير الذات، تؤدي إلى عودة معقدة لسائل السليكون كوسيلة وحيدة لتحقيق هدفهم. ثم إن الغرس بجراحة تجميلية وحقن هورمونات ممزوجة بمادة طبية قد يكونان "ناجحين" مبدئياً، إلا أنهما قد يخفقان على المدى المتوسط أو البعيد نتيجة مفاعيل جانبية أو تغييرات في الاتجاهات الجمالية.

كانت Carla الصديقة قد حقنت جبهتها ووجنتيها وصدورها ووركها وردفيها بسائل السليكون لتتألق الشهوانية المطلوبة. بعد أن هاجرت إلى أوروبا وكسبت مالاً كافياً، تغيرت تصوراتها الجمالية والإجرائية، فقررت اللجوء إلى أغراس سليكونية. قال لها الجراح إن هذا يقتضي أن تزيل مسبقاً كل سائل السليكون من أجزاء الجسم التي انتقل إليها. قررت كارلا الإقدام على هذا الإجراء المؤلم الذي خلف ندوباً واسعة. حين سألتها عما إذا كانت راضية عن النتائج أجابت نعم. هل كانت تستهدف إلى غايات مختلفة أو وسائل أخرى لولا الضغوطات المعيارية؟

4.2 إختيار شركاء مغالين في ذكورتهم (macho) وعلاقات عنيفة

التقيت بروزا (Rosa) حين كنا مرافقين. بعد بضع سنوات رأيتها صدفة في ناد وسألتها أين كانت قد اختفت. أجابت أنها الآن مع شريك عنيف متسلط لا يسمح لها بمغادرة المنزل، وأنها لم تخرج الآن إلا لأنه غائب في رحلة عمل. بعد فترة التقيت بها ثانية. قالت لي إن كل شيء قد تحسن، إن الأشياء تغيرت منذ أن بدأ بعلاقات جنسية "حديثة" (يتبادلان دوري الفاعل والمتلقي) وقد توقّف الضرب والعنف الشفوي والعزلة. إن الممارسات التي تحطم النوع الاجتماعي حرّرت الشريكين معاً.

4.3 إنكار دورهم الجنسي الفاعل

يعترف الترافستي عادةً بأنهم لا يمارسون إلا دور المتلقي مع شركائهم في الجنس، وقد يسخرون من الذين يخالفون ذلك. حين التقيت بغاتا (Gata) في حانة رقص أخذنا نتكلم بسرعة على الرجال والجنس. فيما بعد قال لي صديق مشترك إن لغاتا شريكة أنثى وولدين وأنها تمارس الجنس لكسب قوت أسرتها. سألت صديقنا المشترك لماذا لم تقل لي غاتا ذلك. فأوضح الصديق أن الترافستي الآخرين يضايقون غاتا بسبب ذلك، وهذا يثيرها. وبطريقة ما، كانت غاتا قد نمت نوعين اجتماعيين، واحداً لدورها الاجتماعي وعملها، والآخر لحياتها العائلية.

4.4 إنكار الذكر الذي كانوه "سابقاً"

حين قرّر جنى (Jana) أن يلبس ملابس النساء مزّق الصور الفوتوغرافية التي أظهرته كرجل وطلب من والدته أن تعطي الكنيسة كل ملابس الرجالية. في الوقت نفسه ترك عمله كأستاذ دين وأصبح "مزيّنة شعر". بعد بضعة أيام "التقت" بنفسها في البيت: لم تكن أمّها قد أطاعتها، فأعطت أختها ملابسها. جنى اليوم ترافستي ناشطة تحمل شهادة ماجستير في دراسات النوع الاجتماعي. كانت تتابع شريط

فيديو عائلياً حين رأت على الشاشة رجلاً غريباً؛ فجأة أدركت أنها هذا الرجل. حين سئلت عما أحست حين واجهت "نفسه" مجدداً، عجزت عن وصف مشاعرها. وطفح وجهها شفقةً، ربما حرجاً، ربما توقفاً إلى الماضي: "يبدو كأن هذا الرجل حدث منذ زمن بعيد."

أعضاء جنسية نسائية.⁵ يحتاج الترافستي إلى تحريرهم من ضغوطات معيارية ليستطيعوا تحقيق تعبير عن الذات خاص بهم. بعيداً عن كونهم نتاجاً ثقافياً غير مفكر، يخضع الترافستي لعمليات نقد الذات قد يفيد نشرها في مجال أوسع.

4.5 أسوأ ما في أدوار كل من النوعين

الاجتماعيين

ورث الترافستي أسوأ ما في أدوار النوعين الاجتماعيين. حين يُضرب ترافستي ينظر إليه رجال الشرطة أو غيرهم كذكر يمكنهم ضربه بحرية، وفي العلاقات الشخصية، يتوقف ذلك على أمور أخرى. أحياناً تسود الذكورة حين يقتضي الأمر العمل لإعالة الأسرة و/أو الشريك وأحياناً تغلب الأنثوية بما أن الترافستي عرضة للعنف والتضحية بهن من قبل العائلة نفسها. فجأة تسود الذكورة مرة أخرى حين يحكم القانون. وفي سوق العمل، يعني التمييز أن خدمات الجنس قد تكون الخيار الوحيد المتاح.

4.6 مغيرو النوع الاجتماعي ما بعد النسوية؟

أين أصبح مغيرو النوع الاجتماعي ما بعد النسوية؟ متى ضاعت الملابس كرموز سلطة والخنثوية كمرادف مزدوج للكمال؟ كيف حصل إنكار اعتبار غنى تعدد وجهات النظر حسنة رئيسة (من قبل: أنثى داخل جسد ذكر؛ من بعد: ذكر داخل جسد أنثى)؟ إن للجهود المبذولة لاستعادة ذاتية الترافستي تشعبات تؤثر في النساء أيضاً. الإعتراض على إقصاء الترافستي لا يكفي بحد ذاته. يجب أن توازنه دراسات تناول ذاتيات البيروفيات في ما قبل العهد الإسباني، والاعتراض على الأنماط التي تقصيهن وتقمعهن.⁶ إن مطالبة الترافستي بالاعتراف بهم وتمكينهم كنساء لا شك فيهن تعترض على التنميط أن فقر البيروفيات وعجزهن أمر طبيعي ويمكن السماح باستمراره. وعليه تكون المطالبة بحقوق الترافستي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بأهداف الحركة النسوية لتحرير النساء، أية كنّ وحيثما كنّ.

5 تأملات

لا يمكن لأدوات السيد أن تفكك بيت السيد. وقد تسمح لنا مؤقتاً بأن نغلبه، ولكنّها لن تمكّننا أبداً من تحقيق تغيير أصيل. (Lorde) (1984: 112)

بالنسبة لترافستي البيرو يمكن تقوية نضالهم من أجل الحقوق والاعتراف فيما لو كان باستطاعتنا أن نستردّ تاريخنا. إن العودة إلى تقاليد ما قبل العهد الإسباني التي تظهر وجود أنواع اجتماعية متخالطة تبين كيف أجبرنا على مطابقة ثنائيات

تفاقم هذا الوضع القائم على خطأ المكان/الزمان بالنسبة للترافستي المعاصرين مع التضارب بين ممارساتهم الحسية التي تتحدى حدود النوع الاجتماعي، وخطاب ثنائية النوع الاجتماعي الذي يعدّ الحجر الأساس لبناء الهوية. خلال رحلتهم، من الملابس إلى الأجسام، حول الترافستي "اعتبار جسم المرأة هستيرياً" - كما قال Foucault في نسخة قديمة لكتابه تاريخ الجنسية (Foucault 1979) - إلى جوهر وضمّنه خطابهم؛ بذلك حولوا العنف من الخارج ليدخلوه في عقولهم وأجسادهم.

ليست القضية ببساطة أن نعيّن الترافستي نوعاً اجتماعياً أو جنسانية فريدين، ولا أن نسلم بمثليتهم أو برغبتهم في أن يصبحوا امرأة ذات

الإجتماعي يؤدي الى تنمية أصح وأكثر حكمة، تنمية تمكن الناس من المطالبة بحقوقهم بمزج وعبور واختيار الأنواع الإجتماعية.

ملاحظات

* مصطلح "الترافستي" لا يترجم. فهو خاص بأميركا الجنوبية ويمثل رجالاً لهم أجساد رجال ولكنهم يشعرون كنساء ويلبسون ملابس نساء ويوضحون أنهم ليسوا نساء بل يعتبرون أنفسهم نوعاً إجتماعياً ثالثاً.

1 ثنائية 22: 5 و1 وكورنثون 12: 4-5، من ترجمة صدرت عن المطبعة الأميركية في بيروت 1909.

2 الكثير من عمل النسويين أثار إشكالية ثنائية النوع الإجتماعي (مثلاً، Butler 1990). هناك أيضاً أبحاث عديدة حول صيغ بديلة لمغيري النوع الإجتماعي في الدراسات الأنثروبولوجية والتاريخية التي تتناول التقاليد الروحية، مما يؤكد اعتبار النوع الإجتماعي سلسلة متصلة (انظر مثلاً Bullogh and Eliade 1964، 1993، Conner et al 1997 and Herdt 1996).

إن مركب أديان اليهودية/المسيحية/الإسلام (Judeo-Christian/Muslim complex of faiths) وحده يصر على تجاوز ثنائية الجنس والنوع الإجتماعي.

3 مثل هذه الأمثلة اعتبرتها السلطات القانونية والصحية غير أخلاقية/إجرامية، ولكن هذا لا يختلف عن ردة الفعل على السياسات ضد الإجهاض، وغياب فرص خاصة بالنوع الإجتماعي ومجتمع على استعداد أن يجد مذنباً غير نفسه.

4 من هذا القبيل يكون المعنى الحقيقي للاستعارة المستخدمة في أميركا اللاتينية للمتكر *travesti* مفيداً: إن لا يكون التكر *travestism* نموذجاً مجازياً بل يصبح نموذجاً تاريخياً للتنمية الثقافية في أي بلد مستعمر كالأميركيتين.

5 عمل الجنس استعارة مثالية للعمل على هذه القضية: فلا يكون النوع الإجتماعي والشهوة رغبات بالنسبة لسوق الجنس وتصنيف النوع الإجتماعي، بل هو بالأحرى من نتائجهما.

6 يعيد البحث "إلهي وإنساني" الذي نفذته Marisa Villavicencio وعرضته عام 2004 في البيرو والمكسيك والولايات المتحدة أدوار النساء في المجتمعات البيروفية السابقة إلى بينتها.

النوع الإجتماعي الإستعماري. وليس الترافستي في البيرو وحدهم دون غيرهم: فالهويات المحلية لمغيري النوع الإجتماعي وجدت عبر الثقافات والمكان والزمان في أنحاء العالم كافة، وقد قمعتها ولعنيتها الديانات المسيحية خلال الاستعمار. إن إسترداد تاريخنا لا يتطلب فقط أن نعيد بناء ثقافة الماضي الشاملة، إنما أن نسترد أيضاً هويات الترافستي بجميع أنواعها. يجب أن نبحث في ماضي الترافستي في جميع أجزاء بلدنا لكي نقر الترافستي في الحاضر ونحصل على احترام رغبات الترافستي المعاصرين وحاجاتهم، سواء كانوا مستهلكين أم متدينين أم عمال جنس أم خنثويين أم أهلاً أم نساء. كما تظهر هذه المقالة ويبيّن ناشطون مثل متحف البيرو للترافستي - وهو عرض متنقل يحتفل بثقافة الترافستي قبل العهد الأسباني واليوم - أنه يمكن استخدام البعد السياسي للفن ليكون ذا تأثير فعال في هذا النضال.

ربما حان وقت اعتراض جديد على بنية "بيت السيد" الذي لا يمكن تفكيكه باستخدام أدوات السيد، كما لاحظت النسوية المثلية الأفريقية - الأميركية Audre Lorde. إن الترافستي في الواقع هم من أغراض النوع الإجتماعي. ولكنهم أيضاً أشخاص باستطاعتهم تحديد النوع الإجتماعي لذواتهم، كما طالبت نسويات كثيرات في ستينات القرن العشرين. حان وقت الاستماع إلى القصص النقدية المتنوعة كثيراً لمزدوجي الجنس ومغيري النوع الإجتماعي، وأن نتعلم ممّا يعتبرونه إشكالية التفكير المألوف حول النوع الإجتماعي، ومن تجاربهم. ولكي نفعل ذلك يجب أن نعمل مع الحركات النسائية كي نتخطى الانقسامات المقيدة التي تكبحنا. إن تطبيق مبدأ النسبية في النوع

- Arboleda, Manuel (1981) 'Representaciones Artísticas de Actividades Hhomoeróticas en la Cerámica Moche', 'Artistic Representations of Homoerotic Activities in Moche Pottery', *Boletín de Lima*: 16–18
- Bornstein, K. (1994) *Gender Outlaw; On Men, Women, and the Rest of Us*, New York: Vintage Books
- Bullough, Bonnie and Bullough, Vern (1993) *Cross Dressing, Sex, and Gender*, Philadelphia: University of Pennsylvania Press
- Butler, Judith (1990) *Gender Trouble, Feminism and the Subversion of Identity*, London: Routledge
- Cereceda, Verónica (1986) 'The Semiology of Andean Textiles: The Talegas of Isluga', in J.V. Murra, N. Wachtel and J. Revel (eds), *Anthropological History of Andean Politics*, Cambridge: Cambridge University Press: 149–73
- Chauvin, Lucien (1991) 'Struggling in Peru: A Steady Diet of Oppression Fails to Extinguish the Gay and Lesbian Movement in Peru', *Gay Community News*, 18–24 March: 8
- Conner, Randy P., Sparks, David, Sparks, Mariya and Anzaldúa, Gloria (1997) *Cassells Encyclopedia of Queer Myth, Symbol and Spirit: Gay, Lesbian, Bisexual and Transgender Lore*, London: Cassells
- Davis, Murray, S. (1983) *Smut: Erotic Reality/ Obscene Ideology*, Chicago: University of Chicago Press
- Eliade, Mircea (1964) *Shamanism, Archaic Techniques of Ecstasy*, New York: Bollingen Foundation
- Foucault, M. (1979) *The History of Sexuality*, Part 1, Harmondsworth: Penguin
- Gonzales de Cuenca, Gregório (1556) Ordenanzas de los Indios (Ordinances of the Indians), *Archivo General de Indias*, Patronato 189, (translation by author), Ramo 11
- Herd, Gilbert (ed.) (1996) *Third Sex, Third Gender; Beyond Sexual Dimorphism in Culture and History*, New York: Zone Books
- ICCHRLA (1996) 'Violence Unveiled: Repression against Lesbians and Homosexuals in Latin America', *ICCHRLA Special Bulletin*, Toronto: Inter-Church Committee on Human Rights in Latin America (ICCHRLA)
- IFCVR (2003) *Truth and Reconciliation Commission Final Report*, Lima: El Informe Final de la Comisión de la Verdad y Reconciliación (IFCVR)
- Lorde, Audre (1984), 'The Master's Tools Will Never Dismantle the Master's House', in A. Lorde (ed.) *Sister Outsider: Essays and Speeches*, Freedom, CA: The Crossing Press

الحقوق الجنسية هي من حقوق الإنسان - ولكن كيف يمكننا إقناع الأمم المتحدة؟*

كيت شيل *

1 المقدمة

في أنحاء العالم كافة، يكثر الكلام على الحقوق الجنسية والعمل من أجلها: ينظم الأفراد حملات؛ تدير المنظمات برامج؛ ينشر الأكاديميون أبحاثاً؛ ويمارس الناشطون الضغط. تعلّمنا كثيراً وفرحنا بانتصارات. ولكن مع أنّ عشر سنوات قد ولّت منذ ذكر الحقوق الجنسية للمرة الأولى في منهاج عمل بيجين (BPFA)، إلا أنّ القليل من التقدم قد تحقق وجرى الكثير من الإعتراض على صعيد حقوق الإنسان الدولية. من هنا سأدرس في هذه المقالة بعض القوى المحركة للحقوق الجنسية في خطاب حقوق الإنسان على المستوى الدولي والتبادل بين الحكومات.

تدخل الحقوق الجنسية ضمن حقوق إنسانية معترف بها في قوانين وطنية ومعايير دولية لحقوق الإنسان. الاتفاقيات نفسها لا تشير صراحة إلى "الحقوق الجنسية" ولا تعرّفها، إلا أنها تشمل حقوقاً ذات تأثير مباشر في الصحة الجنسية والحقوق الجنسية، بما فيها الحق بالحياة (المعاهدة الدولية للحقوق المدنية والسياسية (ICCPR)، المادة 6)؛ وبالحرية والأمن الشخصي (المعاهدة الدولية للحقوق المدنية والسياسية، المادة 9.1)؛ وبالإستفادة من منافع التقدّم العلمي (المعاهدة الدولية للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية (ICESCR)، المادة 15.1 (ب))؛ والحق بحرية التعبير، بما في ذلك حق السعي إلى المعرفة وتلقيها ونشرها (المعاهدة الدولية للحقوق المدنية والسياسية، المادة 19)؛ والحق بالزواج وتأسيس أسرة (المعاهدة الدولية للحقوق

المدنية والسياسية، المادة 23)؛ والحق بالصحة (المعاهدة الدولية للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، المادة 12)؛ وحق النساء بالمساواة في الحصول على خدمات صحية، بما فيها تنظيم الأسرة (اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (CEDAW)، المادة 12).

لقد جرى التعبير عن مفهوم الحقوق الجنسية لأول مرة في وثيقة للأمم المتحدة عام 1995، حيث تمّ تبني منهاج عمل بيجين الذي انبثق من مؤتمر الأمم المتحدة الرابع المعني بالمرأة بالإجماع¹.

إنّ الحقوق الإنسانية للنساء تشمل حق التحكم بأجسادهن، وأن يقررن بحرية ومسؤولية في قضايا متعلّقة بجنسائتهن، بما في ذلك الصحة الجنسية والتناسلية، بعيداً عن كل إكراه أو تمييز أو عنف ... (مقطع 96)

كثيراً ما تشكّل الحقوق الجنسية محوراً تتقاطع حوله الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، ومثل جيّد على ذلك هو فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز. ليست الحقوق الجنسية منفصلة عن الأهداف الأوسع لحركة حقوق الإنسان. إنّ حقوق الإنسان عالمية وغير قابلة للتقسيم والتحويل. ويقتضي تحقيق الحقوق الجنسية مساواة النوع الاجتماعي في المجتمع، كما فيه تحدّ لتحاملات عرقية مترسّخة، ويدفعنا للمطالبة بالتصدّي للمفاهيم المحدودة للجنسانية والمطابقة للنوع الاجتماعي السائد والسلوك الجنسي المطابق "للمعيار" الاجتماعي السائد. إنّ

إتخاذ مقاربة من الجنسانية مبنية على الحقوق هو جزء هام من النضال للحصول على المساواة ووضع حد للعنف وتحقيق العدالة للجميع.

2 التوقيت والبيئات

إنَّ الوقت مناسب للنظر في خطاب حقوق الإنسان المتعلّق بالحقوق الجنسية والجهود المتبادلة بين الحكومات للتقدّم في تحقيقها أو مقاومتها. معظم هذه المقالة يتناول أحداث جرت خلال عام 2005 قدّمت فرصاً عديدة لتعزيز خطاب الحقوق الجنسية، تشمل جلسات الأمم المتحدة السنوية للجنة وضع المرأة (CSW) ولجنة السكان والتنمية (CDP) ولجنة حقوق الإنسان (CHR)، ومراجعة ما بعد الخمس سنوات للأهداف الألفية للتنمية (MDGs). إلا أنَّ واحدة من هذه جميعاً لم تنجح بالدرجة التي كنّا نأمل. على ضوء النضال من أجل إدخال حقوق الإنسان، وأقل منها الحقوق الجنسية، على أجندا قمة الأمم المتحدة العالمية، وإخفاق الدول في التعهّد بتطبيق كل ما اقترح من إصلاحات هامة بالنسبة لحقوق الإنسان تقريباً، إنَّ هذا يلقي بظله على المنتديات التي ستناقش الحقوق الجنسية في المستقبل.² ويبدو واضحاً أننا سنواجه باستمرار الاعتراضات على جهودنا لوضع أجندا تقدّمية لتحقيق الحقوق الجنسية.

المكتسبة/الإيدز³ والمساهمة في تطبيق منهاج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية (ICPD)⁴ في أهداف الألفية للتنمية (MDGs)⁵. وانهقدت جلسة لجنة حقوق الإنسان الحادية والستون بعد لجنة وضع المرأة مباشرة متزامنة مع لجنة السكان والتنمية. كما أنه خلال عام 2005 اتّخذت ستّة قرارات في لجنة حقوق الإنسان متعلّقة بقضايا الحقوق الجنسية: إمكانية الحصول على الدواء،⁶ والحق بالصحة،⁷ والعلم،⁸ وفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز،⁹ والإعدام خارج عن اختصاص محكمة أو الإعدام العاجل أو الاعتباطي¹⁰ والعنف ضد النساء.¹¹

فيما لا تتكلّم أهداف الألفية للتنمية مباشرة على الحقوق الجنسية، إلا أنّها تتناول بعض نتائج حرمان الحقوق الجنسية والتناسلية حين تلتفت إلى أزمة صحة الأمومة (الهدف 5) وباء الإيدز (الهدف 6). إلاّ أنه من غير اتّخاذ خطوات لتحقيق حقوق الأفراد الجنسية والتناسلية لا يمكن تحقيق أهداف الألفية للتنمية.¹² في الواقع، إن الحقوق الجنسية والتناسلية أساسية في النضال المعاصر ضد الفقر في العالم.¹³

3 ما هي العقوبات التي تعترض سبيل التقدم؟

إنّ عدداً من الحكومات يحاول الانسحاب من ضرورة إحترام حقوق الإنسان الذي التزمت به حين وقّعت ووافقت على المعايير الدولية وانضمت إلى الإجماع في المؤتمرات العالمية. وقد يبدو أنّ الامر يتخطى الحقوق الجنسية ليشمل الاعتراض، في سياق مكافحة الإرهاب، على منع التعذيب منعاً باتاً،¹⁴ إلاّ أنّ الجهود لإعادة تحديد قضايا الحقوق الجنسية بأنّها من ضمن الصحة الجنسية وحدها، تبينّ بوضوح التركيز على هذه الحقوق. مثلاً، في مؤتمر السكان والتنمية عام 2005، كادت القرارات حول فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز والصلاات بين إجماع المؤتمر الدولي للسكان

في آذار 2005 قامت لجنة وضع المرأة بمراجعة للسنوات العشر التي تلت منهاج عمل بيجين. وعلى الرغم من المعارضة التي قادتها الولايات المتحدة، والتي أدرجت على أنّها ضد "حقوق الإنسان الدولية الجديدة"، أعيد تأكيد منهاج عمل بيجين، وتحدّث عدد من الدول عن حق النساء بالحكم بجنسائتهن، بينها نيجيريا متكلّمة باسم الاتحاد الأفريقي، ونيوزيلندا باسم كندا وأستراليا، والاتحاد الأوروبي. في نيسان من السنة ذاتها نظرت لجنة السكان والتنمية في قضيتين متعلّقتين بالحقوق الجنسية: فيروس نقص المناعة

التنوع؟ في اجتماع ناشطين/مهنيين عقد مؤخراً لمراجعة السنوات العشر منذ تبني منهاج عمل لجنة السكان والتنمية الدولية، كان من اللافت ندرة الكلام على الجنسية التي ظلت هامشية. وفي الجلسات العامة، باستثناء جلسة واحدة، لم يتطرق أحد إلى الكلام على الجنسية ولا، طبعاً، على الجنسيات المخالفة للمعيار المألوف. ما معنى ذلك؟ هل يتصدّع الإجماع بسبب "أحرار الجنس"؟ ومكاسب المؤتمرات العالمية في تسعينات القرن العشرين، هل يمكن الإبقاء على كل ما تقتضيه الحقوق الجنسية؟ كل هذه تساؤلات تطرح نفسها في ظل الواقع التالي. حين وُضعت حقوق المثليات والمثليين ومزدوجي الميول الجنسية ومغيري النوع الاجتماعي (م.م.م.م.) بوضوح على بساط البحث في لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان في عام 2003، كانت ردّة الفعل عنيفة إلى حد أنها هدّدت أساس حقوق الإنسان نفسه - فكرة الشمولية.¹⁶

حتى حين لا تكون الدول بصراحة ضد الحقوق الجنسية، فإن الخلاف الذي يبدو كامناً في هذه الحقوق يمنحها قيمة قد تصبح أداة مقايضة مفيدة جداً في المفاوضات. كثيراً ما رأينا حكومات "صديقة" تستخدم الخلاف حول الحقوق الجنسية كتهديد ضمني يشهر لكسب الموافقة في مجال آخر، ضامنين بذلك تبني لغتهم في قضية أخرى.

ثمّة عقبة كبيرة أخرى وهي حجم النقاش. فخلافاً للتحدي الذي يشكله تنظيم المؤتمرات الدولية، هنالك الآن عدد هائل من اجتماعات الأمم المتحدة حيث تبدو الحقوق الجنسية في خطر، ولكن الكلفة البشرية والمالية والزمنية تجعل الاشتراك في كل اجتماع مستحيلاً، حتى بالنسبة للمنظمات الكبرى التي نالت التفويض المطلوب من الأمم المتحدة. علينا أن نعمل معاً لتطوير استراتيجيات تضمن وجودنا في هذه المنتديات الكثيرة والمشاركة في

والتنمية في القاهرة وأهداف الألفية للتنمية، لا تذكر حقوق الإنسان.¹⁵ لعلّ ذلك لا يفاجئنا بما أن أهداف الألفية للتنمية نفسها لا تستخدم إطار الحقوق. وقد ناضلنا لنضع حقوق الإنسان في صلب مراجعة هذه الأهداف ومحاولات الأمم المتحدة الإصلاحية. إلا أننا نسأل بالإضافة إلى تهديد إطار حقوق الإنسان، ما هي العقوبات الأخرى التي علينا التغلب عليها لتحسّن الحقوق الجنسية؟

كُتِبَ الكثير عن معارضي الحقوق الجنسية الناشطين في مندييات الأمم المتحدة (أنظر مثلاً Buss & Herman, 2003) ولكن علينا أن نفكر أيضاً بنشاطاتنا نحن إذا أردنا أن نحقق أهدافنا. على العموم يفوق عدد مناهضي الحقوق الجنسية عدداً، وهم أحسن تنظيماً وأكثر مالأً من ناشطي الحقوق الجنسية. وهؤلاء الناشطين المحافظين والمنظمات والدول المحافظة الذين يدفعهم اعتقادهم أنّ مؤتمرات حقوق الإنسان التي انعقدت في تسعينات القرن العشرين كلها أخفقت، يشكلون الآن معارضة صاخبة في كل مندييات الأمم المتحدة التي تطرح قضايا الحقوق الجنسية على بساط البحث. منذ عشرينات وهم يحسّنون تكتيكهم والآن يفرضون قواعد العمل.

قد تكون جهود مقاومة التقدم أو إنكار وجود التزامات الحقوق الجنسية قوية إلى حد أنها تسحق استراتيجياتنا الخاصة، فنجد أنفسنا مجدداً على خط الدفاع. فبدلاً من التركيز على ما نبغي، بما في ذلك الحاجة إلى أن نبني على المفاهيم الجديدة حول الحقوق الجنسية، نجد أننا نكاد نضيع كل وقتنا في مقاومة أجندات خصومنا.

يجب أن نكون أكثر إيجابية في وضع أجندتنا. ماذا نعني بالحقوق الجنسية؟ هل نتفق على التعريفات والاستراتيجيات التي علينا إتباعها؟ لسنا حركة متجانسة. فما هي أفضل وسيلة للتعامل مع هذا

ما دار فيها من نقاش، طالما أن الدول والمنظمات المعارضة كثيراً ما تستخدم الاستراتيجيات عينها في الاجتماعات المختلفة.

4 تحديات الوضع الراهن والمحافظة عليه

حتىّ منهاج عمل بيجين يقدّم تعريفاً للحقوق الجنسية لا ينطبق إلا على النساء، فهو لا يتكلم إلا على العنف، ولم يأت، إلى حدّ ما، إلا نتيجة لوعي تأثير المرض (وباء فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز). فإنّ كنّا نريد تحقيق كل ما تعنيه الحقوق الجنسية، علينا أن نتخطى نموذج حقوق الإنسان القائم فقط على الحماية من الانتهاكات (مراجعة كتابات أخرى مثل: Kapur 2002, Mahoney 1994, Miller 2004). أعني بذلك النموذج الذي يركّز فقط على التعبير السلبي عن الحقوق أي التركيز على حق الإنسان في أن يتحرّر "من" أمر ما أكثر من التركيز على أن يكون حراً ليفعل أمراً ما، والتركيز على الحماية من المرض والأذى والخطر، مما يعني أنّ السعي يجري فقط للحد من الحقوق الجنسية فقط. علينا أن نعترف باختلاف أشكال التعبير عن الفاعلية الإنسانية وأن نضمن وجود طرق ووسائل لتعزيز وحماية المطالبة الإيجابية بالجنسانية ومختلف التعبيرات عنها. علينا مثلاً أن نضمن الظروف التي توفر للناس المتعة الجنسية إذا طلبوها ومنها وقف العنف الجنسي والتربية الجنسية والخدمات الصحية الكافية والمتوافرة ومساواة النوع الاجتماعي، وإجراءات ضد التمييز والاعتراف بالشراكة، إلخ.

إن استخدام الخطاب الذي يصوّر الإنسان بأنه ضعيف دائماً ومعنّف ومضطهد (victimization rhetoric) ونموذج حقوق الإنسان القائم على الحماية في الماضي، ليسا وحدهما ما يقيد إمكانية قيامنا من أجل الحقوق الجنسية، وإنّما استراتيجياتنا الدفاعية بدأت تعمل ضدنا أيضاً.

وقد حاولت الولايات المتحدة أن تكبح الجهود لتعزيز الحقوق الجنسية إذ عارضت خلق حقوق "جديدة"، واعتبرت أن الحقوق الجنسية جديدة. وبذل ناشطو الحقوق الجنسية جهوداً كبيرة لرفض ذلك من خلال الإحالة إلى البنود في الاتفاقيات الدولية (التي لخصتها في مقدمتي) لبيّنوا أنّ المبادئ الأساسية للحقوق الجنسية تتضمنها النصوص الموجودة. إلا أنّ المعارضة تستخدم حججنا ضدنا، أي أنّهم يستخدمون هذه الحجة ليظهروا أنّه إذا لم تنظم حقوق محدّدة بصراحة في نصوص تمّ التفاوض عليها سابقاً - ويبينون أنّنا نوافق على ذلك - لن تكون الاتفاقيات الدولية قد وافقت عليها. واستخدمت مؤسسة الأسرة الكاثوليكية وحقوق الإنسان اليمينية (Catholic Family and Human Rights Institute) في الولايات المتحدة في بيجين زائد عشرة دحض الناشطين هذا لترفض حقوق الإجهاض، ومن هنا كانت المقالة التي تؤكّد هذا الموقف والتي أتت بعنوان "مدافعو الأمم المتحدة عن الإجهاض يؤيدون إقصاء بيجين حقوق الإجهاض"¹⁷. من السهل توسيع حجّتهم لتشمل قضايا أخرى من الحقوق الجنسية مثل حقوق الـ م.م.م. أو حقوق عمّال الجنس، ولكن الواقع هو أن المعارضة أتت شديدة جداً لمجرّد أنه أُشير إلى الرجال الذين يتعاطون الجنس مع رجال آخرين وعمّال الجنس في الوثيقة الختامية السياسية (political outcome document) التي انبثقت من اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي عُقد يوم 30 أيار 2006، والذي يُعقد عادة كل خمس سنوات لتقييم التقدم الذي أحرز في مكافحة مرض فقدان المناعة/الإيدز (UNGASS review)¹⁸.

من هنا نسأل، إن لم تكن الحقوق الجنسية حقوقاً جديدة، فهل باستطاعتنا على الأقل استخدام لغة جديدة؟ يبدو أنّ الجواب على هذا السؤال هو "كلا". فالتكتيك الذي استخدمته الدول المعارضة المشاركة في لجنة حقوق الإنسان عام 2005،

توجيهات الأمم المتحدة التقدمية حول فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز وحقوق الإنسان قد بدأت تضعف،²¹ مع أنه قد جرى تبني التوجيهات عام 1997، وقد أُشير إليها في الكثير من قرارات اللجان منذ ذلك الحين - في الواقع، لم يأت قرار نقص فيروس المناعة المكتسبة/الإيدز إلا نتيجة لهذه التوجيهات. إنَّ الاهتمام بقضايا كقضية الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين ونقض قوانين "الواط" والزواج بين المثليين وعدم تجريم العمل الجنسي، كلها كانت على الأرجح وراء تحدي التوجيهات في الدقيقة الأخيرة. والبرهان هو "تفسير الولايات المتحدة لموقفها" من قرار فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز، والذي عبّرت فيه عن قلقها لأن أعضاء اللجنة سعوا إلى العمل على "عدد من القضايا المتعلقة بالجنسانية التي تثير الكثير من الجدل وتباين حولها الآراء كثيراً ..."²²

هذا التساؤل عما أنجزته مؤتمرات الأمم المتحدة العالمية وغيرها في تسعينات القرن العشرين يكوّن هجوماً على إطار حقوق الإنسان. إنَّ مراجعة 2006 لشرعة 2001 حول التزام فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز تهمّش المقاربات المبنية على حقوق الإنسان. وقد علق تجمّع حقوق الإنسان في مراجعة الجلسة الخاصة للهيئة العامة للأمم المتحدة (UNGASS) بالقول: " ... يقلقنا فقر اللغة التي تؤكد ضرورة مقاربات مبنية على الحقوق من سياسة وبرمجة وخدمات فيروس نقص المناعة المكتسبة والإيدز. وما يقلقنا ليس فقط أن هذا من واجبات الحكومات، وإنما أيضاً لأنه يزيد فعالية العمل. إنَّ المقاربات المبنية على الحقوق تقتضي مشاركة المجتمعات المصابة، وعدم التمييز في وضع البرامج، والتنبّه إلى بيئة القانون وخطط العمل التي تجري فيها التدخّلات، والمساءلة عما يُنفَّذ وكيف يُنفَّذ."²³

يذهب إلى رفض أية لغة لم تكن قد ظهرت سابقاً في اتفاقية دولية منجزة. إنَّ النصوص المناطقية لا تكفي، مما يستبعد الإشارة الوحيدة إلى الحقوق الجنسية والتناسلية في النص الوحيد الذي أعرف أنه أنجز مناطقياً، في إجماع مدينة مكسيكو.¹⁹ كذلك لم يقبلوا بتوسيع فكرة الحقوق الجنسية التي يتضمّن منهاج عمل بيجين - الوثيقة التي جاءت نتيجة مؤتمر نسائي - لتشمل الرجال. كيف نستطيع أن نتقدّم إنَّ لم نستعمل لغة غير مستخدمة سابقاً؟

ولكنّ الهجوم يتناول ما هو أعمق من ذلك - يبدو أنه لا يسمح لنا باستخدام أية لغة قديمة. عام 2005 في كل من قرارَي لجنة حقوق الإنسان عن العنف ضد النساء وفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز كان منتظراً أن تعارض بعض الدول قضايا الحقوق الجنسية، ولكن ما فاجأنا أكثر كانت معارضة الحقوق التناسلية التي رُسّخت منذ زمن. إنَّ الحقوق الإنجابية قد رُسّخت منذ فترة طويلة، إذ كانت قد عُرضت للمرة الأولى في وثيقة للأمم المتحدة في برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية (1994) الذي كان ذا تأثير في لغة الحقوق التناسلية في منهاج عمل بيجين (1995). فيما تعودنا على تصريحات توضح رفض الإجهاض والتي تلت تبني قرار نبذ العنف ضد النساء، أبدت كلاً من غواتيمالا والإكوادور والهندوراس وكوستا ريكا ملاحظات شديدة اللهجة على المصطلح "حقوق تناسلية"، على الرغم من التأييد الواضح للحقوق الجنسية والتناسلية في المؤتمر التحضيري لبيجين زائد عشرة (Beijing+10) في أميركا اللاتينية والكارييب.²⁰

في قرار فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز عارضت الصين ودول معيّنة من أميركا اللاتينية بشدّة الحقوق التناسلية (في مقابل الصحة التناسلية). كلا القرارين بيّنا أيضاً أن الإشارة إلى

5 الفرض التي يجب انتهازها

يجب انتهاز فرص مثل ورشة عمل معهد دراسات التنمية (IDS) الذي كان وراء نشرة معهد دراسات التنمية (IDS Bulletin) هذه، وإقامة علاقات بين الكثيرين ممن يعملون في مختلف قضايا الحقوق الجنسية، بما فيها فيروس نقص المناعة المكتسبة/ الإيدز، وحقوق الم.م.م.، والصحة الجنسية، سواء كان ذلك نتيجة خطة عمل أم ممارسة، على نطاق محلي، وطني، مناطقي أم دولي. ونستطيع فقط من خلال مثل هذا التبادل أن نضع حدًا للتقسيم الذي يمنع تبادل الدروس والشواهد التي يستطيع أن يساهم فيها مختلف المهنيين في المناقشات وجهود الناشطين/الناشطات. ينبغي لنا أن نستمر في معارضة فرض القيود على التمويل، فهذا يخرس العديد من العاملين في مجال الحقوق الجنسية ويؤدي إلى فقدان هؤلاء المتخصصين في مجالات التفاوض. كما يجب أن نعتد حججنا ومداخلتنا في حقوق الإنسان، وأن نمارس الضغط لإدخال لغة تستعمل مقاربات مبنية على الحقوق وتكون واضحة التعبير.

لعلنا بحاجة إلى تحريك النقاش. إن المؤتمرات الإقليمية التمهيدية لبيجين زائد عشرة والقاهرة زائد عشرة عرفت لغة تقدمية عن الحقوق الجنسية أكثر مما نرى على النطاق الدولي. كيف يمكننا أن نزيد هذه النجاحات التنظيمية الإقليمية إلى أقصى حد؟ هل ينبغي لنا أن نوجه جهودنا إلى مؤسسات حقوق الإنسان الإقليمية (حيث توجد)؟ كيف يمكننا أن ندول أرباحنا على النطاق الإقليمي؟

علينا أيضاً أن نذيع الخبر. يستحيل أن يغطي كل واحد منا جميع الاجتماعات، ولذلك يجب أن نقدم لغيرنا أدوات الترويج لقضايانا، أو على الأقل، درء أسوأ الهجمات. إن مهنيين ضاغطين كثيرين يعملون في الأمم المتحدة، ويغطون نطاقاً واسعاً من القضايا وبالتالي يجب أن نضمن فهمهم

لقضايانا نحن. كذلك يجب أن نربي مفوضين في حكوماتنا الحليفة ليمكنوا من تطوير خطاب حقوق الإنسان عندما تتاح لهم الفرص.

لدينا الفرص الجديدة التي وفّرها مجلس حقوق الإنسان (الذي حل محل لجنة حقوق الإنسان في 2006). في حين أننا سنبقى دائماً بحاجة إلى التيقظ ضد الهجمات على مكاسبنا السابقة، يجب أن نتخطى مجرد التكتيكات الدفاعية وأن نطور استراتيجيات متكاملة وواضحة لكي نستطيع التقدم لنحقق كامل ما وعد به أول تعبير عن الحقوق الجنسية. إن الحقوق الجنسية هي حقوق إنسانية – لقد حان الوقت لأن نظل أقوياء وجريئين.

ملاحظات

* إن كيت شيل هي منسقة الحملة حول التمييز على أساس الهوية في برنامج خطة العمل والتقييم التابع لأمانة السر الدولية في منظمة العفو الدولية. الآراء هنا هي آراء المؤلفة ولا تمثل آراء منظمة العفو الدولية.

1 A/CONF.177/20, 17 October 1995

2 قمة الأمم المتحدة: خيانة حقوق الإنسان بإخفاق القيادة، منظمة العفو الدولية (AI Index No: IOR 41/059/2005)

12 نيسان 2005.

3 السكّان، التنمية وفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز مع تأكيد بصورة خاصة على الفقر E/CN.9/2005/L.4، 11 نيسان 2005.

4 تم تبني منهاج عمل المؤتمر الدولي للسكّان والتنمية (ICPD) بالإجماع في 1994 وبين القضايا التي يتناولها حقوق الإنجاب والصحة الجنسية والتناسلية. الفصل 7 من منهاج عمل المؤتمر الدولي للسكّان والتنمية عنوانه "حقوق الإنجاب والصحة التناسلية" ويستخدم نموذجاً يشمل الإنسانية، انظر بصورة خاصة الفقرتين 7.2 و7.3 (www.unfpa.org/icpd/icpd_poa.htm#ch7)

5 مساهمة تطبيق منهاج عمل المؤتمر الدولي للسكّان والتنمية (ICPD)، بجميع مظاهره، في تحقيق أهداف التنمية المتفق عليها دولياً، بما فيها تلك التي يشملها إعلان ألفية الأمم المتحدة، 11 E/CN.9/2005/L.5، نيسان 2005.

6 إمكانية الحصول على أدوية خلال أوبئة مثل فيروس

المكتسبة/الإيدز، http://data.unaids.org/pub/PressStatement/2006/20060620_PS_HLM_en.pdf

19 "مراجعة وتطبيق القانون الذي يضمن الممارسة المسؤولة لحقوق الجنسية والتناسلية وعدم التمييز في الحصول على خدمات صحية، بما في ذلك الصحة الجنسية والتناسلية" - من تقرير الجلسة التاسعة لمؤتمر النساء المناطقي في أميركا اللاتينية والكاراييب [الاجتماع المناطقي التمهيدي لبيجين زائد عشرة]: مدينة مكسيكو، LC/G.2256 (CRM.9/6, 10-12 June 2004, para. 6 (xi))

20 تقرير الجلسة التاسعة لمؤتمر حول النساء في أميركا اللاتينية والكاراييب: مدينة مكسيكو، (LC/G.2256) (CRM.9/6, 10-12 June 2004)

21 توجيهات الأمم المتحدة حول فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز وحقوق الإنسان،

www.unaids.org/NetTools/Misc/DocInfo.aspx?LANG=en&href=http://gva-doc-owl/WEBcontent/Documents/pub/Publications/IRC-pub02/JC520-HumanRights_en.pdf

22 المادة 14: حقوق الإنسان والإيدز. تفسير موقوف. تصريح ليونارد أ. ليو، موفد الولايات المتحدة العام. قدمها أمام لجنة حقوق الإنسان في 21 نيسان 2005.

23 تصريح تجمّع حقوق الإنسان في اجتماع المستوى العالي حول فيروس نقص المناعة المكتسبة والإيدز، نيويورك، 2 حزيران 2006.

المراجع

- Buss, Dora and Herman, Didi (2003) *Globalizing Family Values. The Christian Right in International Politics*, Minneapolis/London: University of Minnesota Press
- Kapur, Ratna (2002) 'The Tragedy of Victimization Rhetoric Resurrecting the "Native" Subject in International/Post-Colonial Feminist Legal Politics', *Harvard Human Rights Journal* 15: 1-38
- Mahoney, Martha, R. (1994) 'Victimization Or Oppression? Women's Lives, Violence, and Agency', in Martha Albertson Fineman and Roxanne Mykitiuk (eds), *The Public Nature of Private Violence. The Discovery of Domestic Abuse*, New York: Routledge: 59-92
- Miller, Alice M. (2004) 'Sexuality, Violence Against Women, and Human Rights: Women Make Demands and Ladies Get Protection', *Health and Human Rights* 7.2: 17-47

نقص المناعة المكتسبة/الإيدز، السل والملاريا: Human Rights Resolution) 2005/23

7 حق الجميع في التمتع بأعلى المستويات الممكنة من الصحة الجسدية والعقلية.

Human Rights Resolution) 2005/24

8 الحق في العلم. Human Rights Resolution 2005/21

9 حماية حقوق الإنسان في ظل فيروس نقص المناعة

المكتسبة والإيدز. Human Rights Resolution 2005/84

10 الأحكام غير القضائية أو المستعجلة أو التعسفية:

Human Rights Resolution 2005/34

11 القضاء على العنف ضد النساء:

Human Rights Resolution 2005/41

12 A/59, 27 أيلول 2004، تقرير المقرر الخاص المرفوع

إلى الهيئة العامة للأمم المتحدة عن حق الجميع في التمتع بأعلى المستويات الممكنة من الصحة الجسدية والعقلية، الفقرة 30

13 المرجع نفسه، الفقرة 31

14 انظر، مثلاً، تقرير منظمة العفو الدولية AI Index: POL

10/001/2005؛ المملكة المتحدة: يؤكد لوردات القانون

أن الدليل الذي يتم انتزاعه عن طريق التعذيب مرفوض

45/057/2005

15 AI Index: EUR القرار عن "السكان والتنمية وفيروس

نقص المناعة المكتسبة/الإيدز مع تأكيد بصورة خاصة

على الفقر، "E/CN.9/2005/L.4 11 نيسان 2005، يشير

إلى الحقوق في أربعة مواضع، ولكننا نجد أن قرار

"مساهمة تطبيق منهاج عمل المؤتمر الدولي للسكان

والتنمية، بكل مظاهره، في تحقيق أهداف التنمية التي

اتفق عليها دولياً، بما فيها تلك التي شملها إعلان الألفية

لهيئة الأمم "E/CN.9/2005/L.5 11 نيسان 2005، لا

يشير إلا مرة واحدة بوضوح إلى حقوق الإنسان، مؤكداً

فقط أهمية تعزيز تمتع المرأة كاملاً بكل حقوق الإنسان

والحريات الأساسية (الفقرة 7).

16 منظمة العفو الدولية، لجنة الأمم المتحدة لحقوق

الإنسان: العالمية تتعرض للتهديد بسبب قرار الميول

الجنسية، AI Index: IOR 41/013/2003، 22 نيسان 2003.

17 معهد الأسرة الكاثوليكية وحقوق الإنسان: "مؤيدو

الإجهاض يعترفون بأن بيجين تقصي حقوق

الإجهاض"، 4 آذار 2005، www.c-fam.org/FAX/

Volume_8/faxv8n11.html

18 تصريح برنامج الأمم المتحدة المشترك عن فيروس

نقص المناعة المكتسبة/الإيدز UNAIDS عن

الإعلان السياسي حول فيروس نقص المناعة

تنمية الحقوق الجنسية: تحديات واتجاهات في أميركا اللاتينية

روجير روب ريوس

1 المقدمة

في وجه الاعتراف بهذه القوانين وتطبيقها مكوّناً بذلك مادّة أساسية لفهم أفضل للواقع، حتّى تصلح للاستخدام من قبل الباحثين والناشطين. وبما أن القانون (سواء بنصوصه الرسمية أم بتنفيذه على أيدي هيئات قانونية) جزء من الواقع الاجتماعي، يجب فهمه وتحليله لكي نستطيع أن نفكر فيه ملياً وأن نطبقه. من هنا، إذاً، تنشأ أهميّة المنظور القانوني.

على ضوء ما ذكرناه أعلاه، تبدأ هذه المقالة بتصنيف للأطر القانونية فيما يتعلّق بمدى قمعها (أو حمايتها القانونية) للمثليات والمثليين ومزدوجي الميول الجنسية ومغيري النوع الاجتماعي (م.م.م.م.). يتبع هذه الخطوة الأولى سرد للتوجهات والتحديات في أميركا اللاتينية بهدف فهم الوضع الراهن والتوقعات فيما يتعلق بهذه الحقوق. وأختم بملاحظات حول ما يمكن عمله لتعزيز الجهود للتغلب على التمييز على أساس الميل الجنسي.

2 الوضع الشرعي للأشخاص الم.م.م.م. في أميركا اللاتينية

نستطيع أن نفكر في الوضع القانوني للأشخاص الم.م.م.م. في أميركا اللاتينية بطرق عدّة. ثمة منظوران يسودان، "الوصفي" و"العملائي". يتطلب "المنظور الوصفي" جمع التشريع المطبّق في المنطقة ومراجعتة مراجعة منظّمة. مع أن هذا الجمع مهم من دون شك، إلا أنه ليس من أهداف هذه المقالة التي ترمي، بالدرجة الأولى، إلى تحليل فعالية القانون بالنسبة إلى واقع التمييز

يمكن درس الوضع الراهن لحقوق المثليات، المثليين ومغيري النوع الاجتماعي في أميركا اللاتينية من منظورات عدّة. وقد تشمل هذه المنظورات تحليلاً للنجاحات والإخفاقات والحدود والإمكانيات، واعتراف دول أميركا اللاتينية الرسمي بهذه الحقوق، إذا ما كان النهج المعتمد أقرب إلى العلوم السياسية. كذلك يمكن اقتراح دراسات عن فعالية الحقوق الموجودة مبنية على مدى إلزام المؤسسات الحكومية المختلفة المنخرطة في تطبيقها، فيكون المنظور هنا أقرب إلى علم الاجتماع. كذلك يمكن أن ترينا الأبحاث الأنثروبولوجية ما قد يكون للإعتراف الرسمي بهذه الحقوق من تأثيرات في الأفكار التي يكوّنها المجتمع عن هذه الفئات، سواء داخل الفئات نفسها أم خارجها.

أودّ في هذه المقالة أن أدرس الوضع الراهن لحقوق المثليات والمثليين ومزدوجي الميول الجنسية ومغيري النوع الاجتماعي (م.م.م.م.) (LGBT) من منظور قانوني. ماذا يقتضي مثل هذا التحليل؟ ما صلة المنظور القانوني بهذه القضية؟ يجب أن نبدأ بالتمييز بين تحليل قانوني ومجرد قائمة جرد للقوانين المنشأة بموجب المقررات السابقة الصادرة عن محاكم الاستئناف (case law) المتعلقة بالموضوع. يتضمن التحليل القانوني أكثر من جمع معلومات؛ بل بالعكس، إنه يتطلب دراسة نقدية للتشريع السائد وإمكانياته ومحدوديته للتعامل مع هذه الحقوق، سواء كان للتشريع علاقة صريحة بالحقوق الجنسية أم لا. إنّ أي تحليل قانوني يجب أن يغطّي أيضاً التوجهات والتحديات التي تقف

وبدرجات متفاوتة) أطلق شكلاً جديداً في العلاقة بين هذه الأطر القانونية والجنسانية (Heinze 1995). تاريخياً، وبالتركيز على الحادثة، نلاحظ ظهور هذه الحقوق في ثمانينات القرن العشرين، حين اتخذت المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان قراراً شكّل حدثاً إذ نقضت قانوناً يجرم اللواط، وذلك على أساس أن هذا القانون ينتهك حقاً إنسانياً أساسياً، أي حق الخصوصية.

منذ ذلك الحين أصبح من الممكن الكلام على مستويات مختلفة عن حماية الحقوق الجنسية للأشخاص الـم.م.م.، ومن هنا التصنيف التالي للأطر القانونية:

1 أطر تشريعية ذات أدنى درجة من الحماية:

تلك التي نقضت التحريم التقليدي للممارسات الجنسية التي تخالف المعايير المسيطرة (خصوصاً المرتبطة بقانون العقوبات).

2 أطر تشريعية ذات درجة متوسطة من الحماية: تلك التي، إلى جانب عدم تجريمها الممارسات الجنسية، تتخذ إجراءات لمعاقبة أعمال التمييز، خصوصاً منع التمييز على أسس الميل الجنسي.

3 أطر تشريعية ذات أقصى درجة من الحماية: تلك التي، إلى جانب عدم تجريمها الممارسات المذكورة أعلاه ومعاقبة أعمال التمييز، تتخذ كذلك إجراءات إيجابية لحماية المثليات والمثليين ومزدوجي الميول الجنسيّة ومغيّري النوع الاجتماعي والإعتراف بممارساتهم وهوياتهم الجنسية.

في أميركا اللاتينية، جرى تطبيق هذا التصنيف للأطر القانونية بالنسبة إلى مدى الحماية لحقوق الـم.م.م.، وهذا التطبيق يسمح بتقييم الوضع بالنسبة لهذه الحقوق في المنطقة. ليس هدف هذه المقالة رصد الوضع في كل بلد على حدة (فهذه مهمة تقتضي جهوداً مشتركة يبذلها باحثون عدّة

ضد الميل الجنسي، أكثر مما تهدف إلى وصف المصادر التشريعية والإدارية للتوجيهات المتعلقة بالقضية في أميركا اللاتينية. إنّ إتخاذ "منظور عملائي" يتضمّن تنظيم ومناقشة الحجج القانونية والاستراتيجيات الإجرائية الأكثر فعالية للتوصل إلى أفضل حماية ممكنة بالنسبة للأشخاص الـم.م.م. وبما أنّ هذا المنظور مبني على تفسيرات قانونية مكرّسة في النظرية القانونية، فهو يتطلب فهماً قانونياً وسياسياً أوسع لدور قانون التمييز ضد الميل الجنسي في المنطقة. إنّ مثل هذا الفهم يمكن مهنيين قانونيين وباحثين وناشطين من استخلاص أكبر فعالية ممكنة في مواجهة واقع التمييز، وفي الوقت نفسه، متابعة أكثر الاستراتيجيات الإجرائية ملائمة.

3 تصنيف الأطر القانونية المتعلقة بحقوق الأشخاص الـم.م.م.

إنّ النظرة التي تعتبر العلاقة بين الجنسانية والقانون إطاراً قانونياً (أي، مجموعة أدوات الدولة المعيارية السائدة في حقبة معيّنة في بلد معيّن، شاملة الأفعال التشريعية وقرارات المحكمة) هي نظرة قديمة جداً. تقليدياً، وُضعت قوانين الدولة أداة لتعزيز أكثر المعايير الجنسية الأخلاقية السائدة والمحافظة عليها. ولقد عمل قانون الدولة على تأكيد العلاقات والممارسات الجنسية المسيطرة. ومن الأمثلة على ذلك تكريس الأسرة البرجوازية الصغيرة النووية، إسناد الحقوق والواجبات الجنسية إلى كل من الزوجين، وتجريم العلاقات المثلية.

مع ظهور حركات إجتماعية تطالب بقبول ممارسات وعلاقات بعيدة عن هذا النموذج، تحوّلت قضية الحقوق الجنسية، لا سيما تلك التي تخص الأشخاص الـم.م.م.، إلى الساحة السياسية ومن ثم إلى النقاش القانوني. إنّ ظهور هذه المطالب والاعتراف ببعض الحقوق (مع أن ذلك حصل ببطء

بواسطة وزارة الصحة) لحملات توضيح واهتمام خاص بجماعات المثليين والمثليات.

في سياق الأطر الحامية يجب تسليط الضوء على الإكوادور بسبب منع دستورها بصراحة التمييز على أساس الميل الجنسي (Leon 1999) وقد نصّ عليه بما يلي:

يعتبر الجميع متساوين (أمام القانون) وينبغي لهم أن يتمتعوا بالحقوق والحريات والفرص نفسها، من غير تمييز على أسس الولادة، العمر، الجنس، العرق، اللون، الأصل الاجتماعي، اللغة، الدين، الانتماء السياسي، الوضع الاقتصادي، الميل الجنسي، الوضع الصحي، الإعاقة، أو أي اختلاف آخر مهما كانت طبيعته.

إنّ مسحاً أوسع لحقوق الـ م.م.م.م. في أميركا اللاتينية يبيّن أيضاً في الممارسة، غياب تنظيم قانوني من منظور حقوق الإنسان في التعامل مع الوضع الخاص بمغيّري الجنس أو الترافستي (المتكرين بأزياء نسائية)². في هذا المجال تغلب عادة المقاربة الحيوية - الطبية (biomedical approach)، لا سيما فيما يتعلق بمغيّري الجنس. أما فيما يخصّ معالجة الترافستي، حتى في البلاد التي لا تعتبر التكر غير قانوني، تسود مقاربة قمعية فيما يتعلّق بممارستهم البغاء في الشوارع وغير ذلك من أشكال العمل الجنسي، بناء على تجريم ما تعتبر تصرفات فاحشة في الشوارع الفرعية العامة وعلى قمع البغاء. بعد هذه الإشارة الموجزة إلى هذه العناصر نستطيع أن ننقل الآن إلى القيام بجدد اتجاهات حقوق الـ م.م.م.م. في أميركا اللاتينية والتحديات التي تواجهها.

4 اتجاهات في تطور حقوق الـ م.م.م.م.

يمكن استخلاص عدد من الاتجاهات من نشأة حقوق الـ م.م.م.م. في أميركا اللاتينية وتطورها.

وجمع معلومات مفصلة، بالإضافة إلى متابعة الديناميكية التي تميّز النتاج الشرعي والقضائي في مثل هذه المنطقة الشاسعة). ما تسعى إليه هذه المقالة، بالأحرى، هو تعيين أبرز العناصر في هذا المضمار، مما يسمح بتحليل اتجاهات هذه الحقوق في أميركا اللاتينية والتحديات التي تواجهها.

إنّ نظرة إلى الوضع في أميركا اللاتينية بالاستناد إلى المعلومات المتوافرة تبين: (1) أنّه ليس في أميركا اللاتينية إطار شرعي يجزّم ممارسات جنسية مثلية، إلا في أماكن معيّنة كالمؤسسات العسكرية؛ (2) معظم الأطر الشرعية في أميركا اللاتينية تعاقب التمييز على أساس التعبير عن الجنسية (مثلاً في الأرجنتين، البرازيل، كولومبيا، الإكوادور، المكسيك والبيرو)؛ و(3) في قلة من الأطر الشرعية إجراءات إيجابية لحماية هذه الحقوق الجنسية والاعتراف بها (الأرجنتين والبرازيل). القانون الكوبي وحده يذكر بصراحة معاقبة إظهار المثلية في المجال العام (القانون الجزائي المادة 303). وفي بعض البلاد الأخرى، لم تلغ القوانين التي تجرم العلاقات بين المثليين إلا مؤخراً: في شيلي مثلاً، اعتبرت المثلية جريمة حتى 1998.¹

في غضون ذلك، وفي مجال أطر الحماية، تشكّل البرازيل والأرجنتين وكولومبيا أمثلة على بلاد لا تمنع التمييز فحسب، وإنما تعترف مؤسساتها رسمياً أيضاً بالاتحاد بين شخصين من الجنس نفسه (في البرازيل وكولومبيا بناء على أحكام المحاكم، وفي الأرجنتين بناء على تشريع واضح) (Golín et al. 2001; Cabal et al. 2001). إنّ درجة الحماية تختلف بين بلد وآخر. لقد أظهرت البرازيل درجة عالية من الحماية المؤسسية، على الأقل رسمياً، منذ أن جرى إطلاق البرنامج الثاني الوطني لحقوق الإنسان وخطة الحكومة "البرازيل من غير رهاب المثلية"، وطبعاً دعم الحكومة (خصوصاً

نقص المناعة المكتسبة/الإيدز. مع أن الوباء كان في البدء عاملاً في وضم المثليين والترافستي، إن ردات الفعل التي طوّرت لمكافحة الوباء مهّدت، مع الوقت، لتفكير وشبك أوسع بين مثل هذه الفئات (Cáceres et al. 2002)، مما ساعد في التوعية على التمييز، وتطلب التفكير في العلاقة بين القانون والجنسانية، وسلط الضوء على الحاجة إلى تبني نموذج لحقوق الإنسان في المنطقة. واتجاه هام آخر في تطور حقوق الـم.م.م. كان علاقتها بقضايا الحصول على خدمات صحية. إن البلاد التي تقدّم فيها خدمات صحية، وخصوصاً تلك التي تنوي زيادة حصول الناس على هذه الخدمات، تواجهها طلبات متعدّدة متعلّقة بالحقوق الجنسية (Parker & Corrêa 2003). وهذا يؤكّد الحاجة إلى توفير خدمات صحية تشمل الأوضاع الخاصة للفئات المطالبة بحقوق جنسية، كالترافستي.

في ختام هذا الجرد للاتجاهات في تطور حقوق الـم.م.م.م. في أميركا اللاتينية، ينبغي أن لا نغفل خاصية أميركية لاتينية حين نقارن بين تطور القضية هنا وبينها في أوروبا وأميركا الشمالية. من الوجهة القانونية بدأ (ولا يزال ينمو) في أوروبا وأميركا الشمالية الاعتراف بالحقوق الجنسية للـم.م.م.م. على أثر المطالبة بحق الفرد بالخصوصية وعدم التمييز (Heinze 1995). ويتضمن هذا ما يسمى "بحقوق سلبية"، أي الطلب بعدم تدخّل الدولة أو فريق ثالث في الخيارات والممارسات الفردية. وعلى سبيل المثال، فإن تاريخ القوانين المنشأة بموجب المقررات السابقة الصادرة عن محاكم الاستئناف (case law) في أوروبا والولايات الأميركية المتحدة يبيّن كيف أن التشديد على الخصوصية كحقّ مضان دستورياً كان يُستخدم لتأكيد على الحقوق الفردية والجماعية للـم.م.م.م. (Rios 2004).

إنّ التجربة الأميركية اللاتينية كشفت عن بدائل

على ضوء النظرة العامة السريعة أعلاه، سنؤكّد النقاط التالية: (1) الاعتراف بهذه الحقوق ضمن سياق عام لإعادة نشر الديمقراطية في أميركا اللاتينية؛ (2) تأثير وباء فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز؛ (3) الصلة بين هذه الحقوق وهموم الصحة العامة؛ و(4) تأكيد هذه الحقوق ضمن المطالبة بحقوق إجتماعية.

منذ منتصف ثمانينات القرن العشرين تعرّضت أميركا اللاتينية لعملية إعادة الديمقراطية نتيجة إعياء الدكتاتوريات العسكرية المختلفة، والتغييرات المتعلّقة بالنظام الدولي الناجمة عن تفكك الاتحاد السوفييتي السابق، وما تبع ذلك من انفراج في العلاقات بين الشرق والغرب. في هذا المجال الأوسع، نشأت مساحات لتقوية المجتمع المدني وحركات إجتماعية مختلفة، أدّت بينها الحركات النسوية المثلية أدواراً رائعة في مطالبة الدولة بحقوق الـم.م.م.م..

وصلت هذه الديناميكية بشكل خاص إلى الفروع التشريعية والقضائية، ليس فقط من خلال التأسيس التدريجي لأحلاف وحوار مع قوى تشريعية تقدمية، وإنما أيضاً من خلال تقوية الهيئات القضائية. متشجعة بدستورية القارة الأوروبية في أعقاب الحرب العالمية الثانية، إنفتحت السلطات القضائية على إمكانية حماية حقوق الإنسان، وهذه لم تتركّز في النظام الدولي وحده، وإنما أيضاً في الدساتير القومية الخاصة بكل منها. وقد كانت عاملاً هاماً لتطوير حقوق الـم.م.م.م. في أميركا اللاتينية. ثمّة محاكم دستورية في بلاد مختلفة كالبرازيل وكولومبيا والبيرو أصدرت أحكاماً تعاقب التمييز على أساس الميل الجنسي (Cabal et al. 2001).

عامل آخر هام في تطوير الحقوق الجنسية للـم.م.م.م. هو زخمها المتزايد منذ ظهور وباء

أخرى. إنَّ المطالبة بالحقوق الإجتماعية أدت النقاش حول حقوق الـم.م.م. ومثل على ذلك، المطالبة بحقوق الضمان الإجتماعي والمشروع الصحي التي كانت الاستراتيجية القانونية الرائدة والأنجح للاعتراف بحقوق الـم.م.م. في البرازيل (Vianna 2004).

5 تحديات في وجه تطوير حقوق الـم.م.م.

مع أن تطوير حقوق الـم.م.م. في أميركا اللاتينية حديث العهد، إلا أنه واجه تحديات كثيرة، بما في ذلك (1) صعوبة تطوير طريقة تفكير معينة متعلقة بالحقوق الجنسية، لا ترتبط بالضرورة بفكرة الحقوق التناسلية؛ (2) الحاجة إلى ارتكاز الحقوق الجنسية على مناهج لحقوق الإنسان فتكون أكثر من مجرد رعاية بالصحة الجنسية؛ (3) الحركة الارتجاعية الدينية المحافظة ضد الاعتراف بالحقوق الجنسية للـم.م.م.، وصعوبة إقرار دولة علمانية؛ (4) استمرار الحقائق الثقافية التي تتعارض وتطوير الحقوق الجنسية للـم.م.م.؛ و(5) الظروف الإجتماعية الاقتصادية التي ترافق الفقر وتؤثر في مجموعات سكانية ضخمة في المنطقة.

يبين تاريخ أدوات حقوق الإنسان الدولية أن الحقوق الجنسية لم تعتبر أصلاً قائمة بذاتها مستقلة عن الحقوق التناسلية. بل على العكس، اعتبرت كنوع من الملحق بفكرة الحقوق التناسلية. وفي الواقع، من الوجهة التاريخية، كان الهم الأساسي وراء التعبير "الحقوق التناسلية والجنسية" هو الحد من الظلم الذي تتضمنه علاقات النوع الإجتماعي وإنكار استقلالية التناسل. فنحن لا يسعنا إنكار أهمية النضال ضد الظلم التناسلي والظلم على أساس النوع الإجتماعي. ولكن كما توضحه حقوق الـم.م.م.، تتخطى الجنسية هذه الحدود إلى ما هو أبعد بكثير (Parker & Corrêa 2003). إنها تشمل حرية التعبير الجنسي ومختلف القضايا

المؤثرة في الأشخاص الـم.م.م.. بالإضافة إلى ذلك، يتضمن إقرار الحقوق الجنسية ممارسات جنسية لا تقترن بهويات معينة، والسادية المازوشية مثل جلي على ذلك.

ثمّة صعوبة هامّة أخرى تعترض إقرار الحقوق الجنسية للـم.م.م. كامنّة في الميل إلى تبرير طبي - حيوي لهذه الحقوق. ولتقريب هذا الاعتراض لا بد من التركيز على المعتقدات وراء المطالبة بهذه الحقوق. صحيح أن هموم الصحة الجنسية مهمة لتحقيق الحقوق الجنسية، ولكن حقيقة أخرى لا تقل عن هذه أهمية هي أن الاعتراف بالحقوق الجنسية ينبع من منظور أوسع من مجرد المحافظة على الصحة ورعايتها. إنَّ الحقوق الجنسية بصفة عامة، وحقوق الـم.م.م. الجنسية بصفة خاصة، مبنية على منظور حقوق الإنسان، وهو منظور قد يتعارض مع آراء طبية - حيوية أضيق. ويتجلى هذا الصراع بصورة خاصة في وضع الترافستي.

يشكل انتشار مقاومة بلاد أميركا اللاتينية لمجرد فكرة حقوق الإنسان جانباً أساسياً من هذا التحدي عينه. إنَّ قسماً كبيراً من شعبنا ينظر إلى مجرد فكرة حقوق الإنسان نظرة مشوّهة متحاملة، كما لو أن حقوق الإنسان كانت مكرّسة فقط لحماية المجرمين. هذه العقلية، نتيجة تاريخ طويل من الاستبداد والتسلط، متفشية في مؤسسات وفئات كثيرة داخل الدولة وخارجها على السواء، وهي مستمرة بذلك في تعطيل المطالبة بحقوق الـم.م.م. على أساس مبادئ حقوق الإنسان.

إنَّ ظهور حركات دينية أصولية يشكّل صعوبة أخرى كبيرة في وجه تطوير حقوق الـم.م.م. في أميركا اللاتينية. لا نرى هذا الاتجاه فقط في كثير من الكنائس البروتستانتية الجديدة المعروفة بكنائس البنتكوستال الجديدة أي كنائس عيد العنصرة الجديدة (neo-Pentecostal churches).

حتى في قلب الكنيسة الكاثوليكية أخذت التيارات المحافظة تقوى فيما يتعلق بالسلوك الجنسي. تردّ هذه الفئات معاً على تمكين حركة الـ م.م.م. بأن تقترح، مثلاً، قانوناً يهدف إلى ”هداية“ المثليين ليصبحوا مغايري الجنس، مستخدمين نظام الصحة العامة نفسها من أجل هذه الغاية. إنّ صعوبة إقرار طبيعة الدولة العلمانية في ديمقراطيات أميركا اللاتينية الفتية غير الناضجة، تشكل عقبة تؤثر في مصيرنا نظراً إلى أن لمجتمعاتنا تاريخاً طويلاً من الشراكة بين الكنيسة الكاثوليكية والدولة المدنية (Guesmez 2004).

إنّ الاستمرار في التعبير عن الدونية الأنثوية وخضوع النوع الاجتماعي، كما تعبّر عنهما صيغ ثقافية مثل الذكورة المبالغ فيها (machismo)، يشكّل صعوبة ثقافية أخرى في وجه تطوير الحقوق الجنسية للـ م.م.م. في أميركا اللاتينية (أنظر Power & Corrêa 2003، Alpizar & Bernal 2004). إنّنا نواجه محيطاً ثقافياً بعيداً كلّ البعد عن احترام مبادئ حقوق الإنسان، وفيه ممارسات قاسية قتل المثليين والتراستي كما تنتشر فيه حالات الاعتداء الجنسي على النساء.

في الختام، إن الظروف الاجتماعية الاقتصادية غير المستقرّة التي تؤثر في الجزء الأكبر من سكان أميركا اللاتينية تشكل عقبة في وجه فرض الحقوق الجنسية للـ م.م.م. إنّ العوز والفقر المدقع حاجزان حقيقيان يحولان دون الاستفادة من منافع مختلفة كالمرعفة والمعلومات وخدمات متعلقة بالجنسانية. إنّها تحدّ من إدراك المخاطر التي تتأتى من ممارسة جنس غير آمن، وتبقى حاجزاً دون التعليم الرسمي، وذات نتائج شنيعة إنّ حاولنا إقامة حياة اجتماعية خالية من التعصّب.

6 الخلاصة

في السنوات الأخيرة زاد الاهتمام المؤسّساتي في

أميركا اللاتينية بحقوق الأشخاص الـ م.م.م. لقد تحقّقت إنجازات تشريعية وقانونية في حقبات مختلفة، بعضها – مثل دستور الإكوادور وتشريع البرازيل المناهض للتمييز – مما يدل على تغييرات جذرية في المواقف عبر القارة. ولكن من الثابت أيضاً استمرار عوامل تقاوم هذه الحقوق مما يهدّد إقرارها وتثبيتها. إنّ كان ذلك ينطبق على البلاد التي اعترفت إلى حدّ بهذه الحقوق الجنسية، فكم بالحري في تلك التي لم تكد تنال هذه الحقوق.

ضمن هذا الإطار يصبح التعمّق في فهم وضع حقوق الـ م.م.م.، وفهمه فهماً كافياً، وكيفية حماية هذه الحقوق وتعزيزها على مستويات عدة، مهمة ضرورية على السلطات الشرعية والمهنيين والمجتمع المدني القيام بها. في اتباع ذلك يمكن إقامة حوار مثمر بين المشرّعين والقضاء والسياسات العامّة ومبادرات المجتمع المدني، بحيث يدور هذا الحوار كله في جوّ سليم. ستساعد هذه الديناميكية في التغلب على ثقافة ”مختلفين“، كما في التغلب على مقاومة حرية التعبير الجنسي.

في الواقع، يمكن أن تساهم ممارسات قانونية وفقاً لحقوق الإنسان في استجابة المجتمع ضد التمييز استجابة أفضل، كما يمكن أن تساعدنا في التغلب على عقليات إقصائية وقوانين قامعة، فتحدث قطيعة مع آليات عدم المساواة وقلة العدالة في كل من القانون والمجتمع عموماً (Rios 2004). إنّ مثل هذا النوع من التطوّرات القانونية التي تقرّ منظور حقوق الإنسان يشكّل خطوة حاسمة نحو العدالة والديمقراطية في أميركا اللاتينية، وخصوصاً بالنسبة إلى تلك الفئات التي تعاني انتشار التمييز الاجتماعي كالأشخاص الـ م.م.م. إنّ الوضع الراهن في بلادنا فيما يتعلق بحريّة التعبير الجنسي يشكل مثلاً على كون الحقوق والحقائق

المراجع

- Alpízar, Lydia and Bernal, Marina (2004) 'Youth, Sexuality, and Human Rights: Some Reflections from Experience in Mexico', *Health and Human Rights: Special Focus: Sexuality, Human Rights and Health* 7.2: 217, Boston: Harvard School of Public Health
- Cabal, Luisa, Roa, Mónica and Lemaitre, Julieta (eds) (2001) *Cuerpo y Derecho – Legislación y Jurisprudencia en América Latina*, Bogotá: Editorial Temis
- Cáceres, Carlos, Pecheny, Mario and Terto Jr. Veriano (2002) *Sida y Sexo Entre Hombres en América Latina: Vulnerabilidades, Fortalezas y Propuestas para la Acción*, Peru: Universidad Peruana Cayetano Heredia
- CLADEM (2003) *Diagnóstico Sobre la Situación de los Derechos Sexuales y los Derechos Reproductivos, 1995–2002*, Lima: Latin American and Caribbean Committee for Defence of Women's Rights (CLADEM)
- Golin, Célio, Pocahy, Fernando and Rios, Roger (2003) *A Justiça e dos Direitos de Gays e Lésbicas – Jurisprudência Comentada*, Porto Alegre: Editora Sulina
- Guesmez, Ana (2004) *Estado Laico, Sociedad Laica: un Debate Pendiente*, Ciudadania Sexual En America Latina: Abriendo El Debate, Lima: Universidad Peruana Cayetano Heredia
- Heinze, Eric (1995) *Sexual Orientation: A Human Right*, The Hague: Martinus Nijhoff
- Leon, Magdalena (1999) *Derechos Sexuales y Reproductivos. Avances Constitucionales y Perspectivas en Ecuador*, Quito: Fundación Ecuatonana de Acción, Estudios y Participación Social (FEDAEPS)
- Parker, Richard and Corrêa, Sonia (eds) (2003) *Sexualidade e Política na América Latina*, Rio de Janeiro: Associação Brasileira Interdisciplinar de AIDS (ABIA)
- Rios, Roger Raupp (2004) 'Apuntes Para un Derecho Democrático de la Sexualidad', *Ciudadania Sexual En America Latina: Abriendo El Debate*, Lima: Universidad Peruana Cayetano Heredia
- Vianna, Adriana (2004) *Direitos e Políticas Sexuais no Brasil: Mapeamento e Diagnóstico*, Rio de Janeiro: Centro de Pesquisas e Desenvolvimento para a Segurança das Comunicações (CEPESC)

والجهود المجتمعية والحكومية قطعاً من لغز اجتماعي وسياسي وقانوني معقد. ضمن مثل هذه الديناميكية المعقدة على الجميع أن يربط بين المبادرات والخبرة والجهود لكي يشاد مجتمع لا يُعدّ فيه عدم التمييز وحرية التعبير الجنسي من المبادئ القانونية والسياسية فحسب، وإنما أيضاً بدائل ملموسة بالنسبة للجميع.

ملاحظات

- 1 لمزيد من المعلومات عن الأطر القانونية والتجارب في هذه البلاد راجع (2001) Cabal et al. و (2004) Vianna و (2003) CLADEM.
- 2 فيما يقترن التنكّر في أوروبا وأميركا الشمالية عادة بالرجال الذين يفضلون علاقات جنسية مع نساء، في أميركا اللاتينية يفضل المتنكّرون (الترافستي) عادة علاقات جنسية مثلية. وكثيرون منهم يعملون في الجنس. راجع مقالة Campuzano في هذا العدد من نشرة معهد دراسات التنمية.

تأملات في لغة الحقوق من منظور أحرار الجنس

جايا شرما *

1 المقدمة

لانتهاكات حقوق الإنسان، وجذب حركات تقدمية إلى قضايا الجنسانيات المهمشة.

في هذا المنتدى استخدمنا لغة الحقوق لنطالب بالشرعية والتحرر من الانتهاكات التي يواجهها المثليون، وخصوصاً في مواجهة الدولة. ولكن كثيرين منا يجدون أن خطاب الحقوق لا يكفي للتعبير عن منظور نسوي مثلي للجنسانية والعمل من أجله. وفي هذه المقالة استوحي من تجارب عمل منتدى PRISM ومناقشاتهم داخل المنتدى مع ناشطين آخرين لدرس لغة الحقوق من منظور أحرار الجنس.² وأسعى إلى إظهار بعض الفرضيات خلف لغة الحقوق والاتجاهات التي تدفعنا هذه الفرضيات نحوها حين تستعمل تلك اللغة. كما أتفحص حدود لغة الحقوق على ضوء واقع وحاجات ناشطة أحرار الجنس، خصوصاً فيما يتعلق بالحوار مع مجموعات تقدمية أخرى. إن هذه المقالة تقترح أن التعبير عن قضايا أحرار الجنس بلغة الحقوق وحدها قد يحد من الخطاب عن الرغبة المثلية، وأن أطرًا نسوية بديلة قد توفر إمكانية أكبر لتطوير استراتيجيات تحقق العدالة والمساواة.

2 أفكار أحرار الجنس عن لغة الحقوق

2.1 قضية الهوية

الكلام على الحقوق من قبل عدد من المهتمين في الهند - بما فيهم حركات شعبية ومنظمات غير حكومية والدولة - غالباً ما يكون بلغة الهويات المبنية على النوع الاجتماعي، والعرق، والإثنية، والطبقة، والسوية/الإعاقة، والعمر، والميل الجنسي، إلخ. حتى حين تُستخدم مصطلحات

يمكن استخدام لغة الحقوق بطرق كثيرة. كما تقول Alice Miller (2004) يمكن للطرق التي تتم بها المطالبة بالحقوق أن تمتد من الإقرار بالوضع الراهن إلى التغيير، ولكن التفكير والحوار المتعلقين بمحدودية لغة الحقوق غير كافيين. وفي كثير من الأحيان تم قبول لغة الحقوق على أنها في النهاية لا بد أن تعزز السعي إلى العدالة.

لقد جاءت تأملاتي في هذه المقالة نتيجة تجربتي كعضو في PRISM، وهو منتدى يضم أشخاصاً ناشطين من أحرار الجنس (queer) في نيودلهي، الهند، وهو ينشط في قضايا متعلقة بالجنسانيات المثلية.¹ إنه موضوع لا تزال حركات "تقدمية" كثيرة تعتبره قضية "ترف" وليس من الأولويات. ولقد سعى هذا المنتدى إلى تسليط الضوء على الطرق التي تُنشر فيها مختلف الأيديولوجيات والمؤسسات السائدة (كتلك المتعلقة بالنظام الأبوي والأصولية الدينية) وتأويلات الجنسانية للحفاظ على عدم المساواة في توزيع السلطة والموارد والعذاب والفرح والمساحات، مما يضرّ بالتعبير الكامل والحرّ عن الجنسانية الإنسانية وحقوق الإنسان. ويسعى أيضاً المنتدى إلى إثارة الاسئلة حول أفكار الجنسانية ومعاييرها الأساسية. ويجهد إلى إثارة إشكالية فرض الجنسانية المغيرة واعتبارها معياراً، وفكرة أن الهوية والسلوك الجنسيين ثابتان منذ الولادة، ويركّز على قضايا متعلقة بالرغبة المثلية والتصرفات التي فيها تجاوز للنوع الاجتماعي. إن جزءاً أساسياً من نشاط المنتدى هو السعي لجعل هذه القضايا واضحة بالنسبة للمجتمع العادي، والاستجابة

كان لمنتدى PRISM مداخلة خلال الأيام الستة عشر لـ "الناشطة ضد العنف ضد النساء" قبل ثلاث سنوات. أثار المنتدى مع المنظمات النسائية التي كانت قد اشتركت في الحملة قضية انتحار المثليات،³ إذ أنه في الأشهر الأربعة التي سبقت الحملة أوردت الصحف خبر انتحار ثلاث مثليات على الأقل. كانت استجابة الجمعيات النسائية لإثارة قضية انتحار المثليات إستجابة إيجابية. قلن: "لماذا لا تثرن القضية وسندعمكن." بدورنا سألنا الجمعيات النسائية أليست قضية انتحار المثليات جوهرية في قضية الحركة النسائية؟ هذه هي المقاربة التي عبّر عنها المنشور الذي صدر عن منتدى PRISM مع عدد من المنظمات، بما فيها جمعيات نسائية.

بعد توثيق حالات انتحار المثليات الثلاث، ورد في النشرة ما يلي:

"إلى جانب الإغتصاب والتحرّش الجنسي وحرق العرائس، يقع العنف ضد النساء كلما أكرهت امرأة على الزواج، وكلما شعرت المرأة بالذنب لأنها تريد أن تكون سعيدة، وكلما وجب أن تموت امرأة لأن المجتمع يرفضها.

إنّ إنتحار المثليات هو نتيجة محاولة المجتمع أن يحدّد من خيارات النساء وأن يتحكّم بحيواتهن. إننا نحتج على هذا الموت بما أنه يشكل عنفاً ضد جميع النساء."

الهويات يشكّل مصدر قلق، خصوصاً فيما يتعلّق برغبات المثليين. منذ البدء لا بد من توضيح أنه لا يمكن إنكار أهمية إقرار الهويات، خصوصاً في بلد كالهند، حيث يسود تكتم شديد حول الرغبة المثلية. إنّ الهويات مهمّة أيضاً كي يستطيع المرء أن يشعر بالانتماء إلى مجتمع، وهذا لا يمكن التقليل من قيمته، خصوصاً في وجه الوصم والعزلة الشديدين. لذلك يجب تأكيد أن القضايا التي سنشير إليها أدناه لا تشكّل رفضاً للهويات مبنياً على سلوك جنسي. ولكن من المهمّ أيضاً أن نعترف بأن الهويات تبين مظهراً واحداً فقط من حقيقة الرغبة المثلية ومن الخطورة أن نعتبر أن ذلك يشمل الحقيقة بكاملها.

في مدن الهند اليوم، ما يفترضه في غالب الأحيان الناشطون الذين يتناولون قضايا متعلقة برغبة المثليين، وهم في الغالبية الساحقة من المثليات والمثليين ومزدوجي الميول الجنسية ومغيّري النوع الاجتماعي (م.م.م.م.) (LGBT)، هو أنّ السلوك الجنسي يعبر بالضرورة عن هويات مبنية على هذا السلوك. وعليه، نجد الفرضية مثلاً، أن كل

أوسع مثل حقوق الإنسان والحقوق الجنسية، فإن طريقة التعبير عنها تكون من منطلق الهويات. مثلاً، حين تثار حقوق الإنسان، تكون المطالبة بحقوق الإنسان لفئات معيّنة في المجتمع، كحقوق الإنسان للقبائل والنساء والأطفال، مع أنه هناك طرق أخرى لإثارة حقوق الإنسان. كما بيّنت سوزان جولي في تعليقها على مسوّدّة هذه المقالة، ممكن اعتبار الجنسية المغايرة معياراً بحد ذاته انتهاكاً لحقوق الإنسان! إلا أنه لم يعبر قط عن الحقوق بهذه الطريقة.

في الواقع، مع أن مفهوم الحقوق الجنسية شمولي، إلا إن طريقة استعماله في الحوارات أو النقاشات تشير إلى ميل في التعبير عن هذه الحقوق كأنها تعني فئات معيّنة فقط مثل الأقليات الجنسية والنساء وعمّال الجنس. إنّ إحتمال انطباق لغة الحقوق الجنسية على مختلف الهويات هو احتمال يُغفل في معظم الأحوال، حتى من قبل الناشطين في قضايا الجنسية.

إنّ منطق الحقوق الذي يحشرنا في إطار قائم على

ذكرت براياس (Prayas) وهي منظمة معروفة تدافع عن حقوق الطفل في نيودلهي، في المذكرة المفاهيمية (concept note) التي ورعتها عام 2003 حول موضوع تشريع المثلية ما يلي:

”إن الحرية ليست مطلقة. لا يحق لمستخدمي حُقن المخدرات والعاملين المنظمين في تجارة الجنس، أو الرجال الذين يتعاطون الجنس مع رجال آخرين، أن يستمرّوا في سلوكهم دون رادع بحجة أن لكل إنسان حقوقاً أساسية.

من الخطأ والحماسة القول إن لدينا ”مجتمعاً مثلياً“. لا بل أن الشروط المسبقة حتى نقول أن هناك مجتمعاً تكاد لا تتوافر هنا. في أحسن الأحوال، يشكّل المثليون مجموعة صغيرة حذرة من الأشخاص العجيبين والمنحرفين. وليس من الحكمة تجاهل هموم المجتمع الأوسع لتلبية أهواء هذه الفئات المتباينة الضئيلة.

من الخطأ أن نعتبر أن السلوك المثلي ليس ”ضد الطبيعة“. إنه غير موجود في أجناس حيوانية أخرى ولا في النظام الطبيعي. ولا يمكن اعتبار المثلية خفية تمارس بالسر ومنسجمة مع حقوق الإنسان.“

2.2 تقاطع عوامل التمييز بدلاً من تحديد

هوية الآخر

إنّ للنقاش حول الحقوق والهويات خاصية أخرى عندما يتعلّق الأمر بالرغبات المثلية. في حالة العرق والطبقة أو الإعاقة، هناك علامات واضحة للهوية. ولكن، بما أن منظور أحرار الجنس يرى أن في كل شخص إمكانية تنوع الرغبة الجنسية، بما فيها رغبات مثلية، من الصعب أن نرسم حدوداً. في رأيي، هذا يولّد قلقاً في داخل الذين يُعتبرون من مغايري الجنس مما يجعل ناشطية أحرار الجنس أكثر تحدياً. وفي هذا السياق يصبح أسهل بكثير، حتى بالنسبة للمتحرّرين، أن يدافعوا عن حقوق ”الآخر“. وبالتالي فإن لغة الحقوق توجد مسافة آمنة للتعامل مع الرغبة المثلية.

تتحدّى سياسة أحرار الجنس الميل إلى إبعاد المرء نفسه عن القضية. وبدلاً من ذلك تدفع أفراداً وحركات تقدمية إلى إدراك منطق ضم قضايا الجنسية الخاصة بأحرار الجنس الى جدول أعمالهم. إنّ بناء مثل هذا التحالف الأوثق لا يصبح ممكناً إلا بوضع الحقوق في إطار تقاطع عوامل التمييز. إنّ مثل هذا الإطار يعبر عن الصلات الأساسية بين المعايير والبنى التي تفرض

امراً تشعر برغبة في النساء تكون مثلية. ولكن في الهند نعرف أن الذين يعتبرون أنفسهم م.م.م.م.، أو حتى ذوي هويات محلية مثل كوثي (Kothi) وارانفاني (aravani) وجوغابا (jogappa)، والذين تختلف معاييرهم الخاصة المتعلقة بالتعبير عن النوع الاجتماعي والسلوك الجنسي، إن عدد هؤلاء أقل بكثير من عدد الذين يختبرون الرغبة المثلية.

وليست القضية قضية عدد فقط. إنّ القضية أساسية أكثر من ذلك وتتعلّق بطريقة فهم الجنسية. فالحديث عن الجنسية فقط من حيث الهويات يعزّز الرأي الذي ينظر إليها بأنها جامدة وأن من ينتمي إليها لا يمكن أن ينتمي إلى فئة أخرى. بينما أحرار الجنس مثلاً، يعتبرون أن التعامل الاجتماعي الذي يفرض الجنسية المغايرة يحاول خنق التنوّع الجنسي – ليس فقط في المجتمع ككل، وإنما حتّى في داخل كل منّا. إذا كانت هذه هي الجنسية في مفهومنا، يتّضح خطر إطار مبني على الهويات وحدها. إذا كانت المقدّمة إلى ذلك مجتمعات حدّت سلفاً بناءً على ميلها الجنسي، تواجهنا قضية استبعاد الذين لا تنطبق عليهم هوية معينة وتعزيز نظرة جامدة إلى الجنسية.

أجرت منظمة تعمل على النوع الاجتماعي والتربية في نيو دلهي تدريباً على النوع الاجتماعي والجنسانية. كان المشاركون معلمين غير رسميين منخرطين في مداخلات تربوية في ريف راجستان. وكان أحد نشاطات ”الترفيه“ أنتاكشيري (antakshiri) (لعبة مبنية على أغنية ينقسم فيها المشاركون إلى فريقين وعليهم أن يغنوا أغنية تبدأ بآخر حروف الأغنية التي غناها الفريق المقابل). كان الرجال في جهة والنساء في الجهة المقابلة يغنون أغاني رومنطيقية يتخاطبون فيها. إن هدف هذا النشاط هو التقليل من بعض مكبوتات الجنسانية، ولكنه قام على اعتبار الجنسانية المغايرة معياراً إلى أقصى حد. وكانت التجربة شبيهة بنوع النكت التي تعتبر الجنسانية المغايرة معياراً والتي يتبادلها زملاء في أماكن العمل.

2.4 مواجهة اعتبار الجنسانية المغايرة معياراً
خطر آخر متعلق بلغة الحقوق هو طريقة التعبير عن الحقوق والمطالبة بها التي قد لا تسمح بتناول موضوع عدم المساواة والمفاهيم السائدة الدفينة في العمق. يصبح في حالة جنسانية أحرار الجنس العجز عن تناول مسألة المعايير السائدة والدفينة حاسماً. إن طبيعة الانتهاكات التي يختبرها المثليون كثيراً ما تكون غير ملموسة، وهي تشمل التكتّم عن الرغبة المثلية في بيئات كالهند. وبسبب ذلك، كثيراً ما يشعر المثليون قبل أن يلتقوا، إذا التقوا بآخرين مثلهم، بأنهم وحدهم في العالم في مثل هذه الحالة. إن الادعاء المستمر والإقرار بأن الجنسانية المغايرة هي الحقيقة الوحيدة يهْمُشان المثليين باستمرار ويسعيان إلى إنكار تجربتهم. وإن ركّزنا فقط على انتهاكات ملموسة، كما يدفعنا إلى ذلك خطاب الحقوق الراهن، سيكون من الصعب أن نعبر عن الانتهاكات اليومية المستمرة أو أن نعالجها. يجب التركيز على البحث في اعتبار الجنسانية المغايرة معياراً لأن كل الانتهاكات المتعلقة بجنسانية أحرار الجنس، سواء كانت ملموسة أم غير ملموسة، نابعة من التهديد الذي تمثله الرغبة المثلية بالنسبة للمعايير والأنظمة القائمة والمتعلقة بالزامية الجنسانية المغايرة. إن سبب قسوة الانتهاكات المتراكمة هو التهديد الملحوظ لمعايير المجتمع التي تدعم الجنسانية المغايرة.

الجنسانية المغايرة والنظام الأبوي والتعصب العرقي والطبقية والأصولية الدينية وغيرها من الأيديولوجيات التي تسعى إلى تحديد الناس والسيطرة عليهم. إنه يرى أن كل محاولة لعزل بُعد واحد سيشكل مقارنة محدودة تعجز عن تناول ما وراءها من تأثير قوى متداخلة.

2.3 كيف يمكنك المطالبة بحقوق الإنسان إن لم تعد إنساناً؟

بالإضافة إلى محدودية التعريف الضيق لمقاربة مبنية على الحقوق في بناء تحالفات أعمق، هناك أيضاً محدودية إمكانية مثل هذه المقاربة في معالجة موقف الأشخاص المعادين للمثليين. في بيئة يحتقر فيها الكثيرون جنسانية أحرار الجنس ويجرمونها، لن تفيد لغة الحقوق كثيراً في المطالبة بالعدالة. ويصبح من الصعب أن يعترف المعادون بأن المثليين ”بشر“، ومن حقهم بالتالي أن يتمتعوا ”بحقوق البشر“. وفي بيئات أكثر تحرراً هناك من يقبل بأن للمثليين، كما لغيرهم من الناس، حقوقاً يجب عدم انتهاكها. ولكن حتى هنا، إن لم يعالج القلق والأحكام الأخلاقية ضد الرغبة المثلية، لا يكفي مجرد إقرار بالحقوق. بمعنى آخر، ليس هناك طريق قصير إلى معالجة المعتقدات والقيم الدفينة.

في تركيز لغة الحقوق المستعملة على الانتهاكات. إننا نجد في سياق الجنسية المثلية أنَّ من الأسهل علينا أحياناً، نحن الناشطين (سواء كنَّا نرغب في افراد من الجنس نفسه أم لا) المنهمكين في هذه القضايا أن نحصر الخطاب في الانتهاكات، وأن نحدث حولها إجماعاً. يفضّل الآخرون أيضاً حصر الالتزام ضمن حدود انتهاكات حقوق الإنسان. هناك ممانعة للاعتراف وللإقرار بإمكانية رغبة أحرار الجنس في تغيير المعايير، وسبب ذلك هي التنظيمات والإيديولوجيات المهدّدة. كما يجب إرجاع قسم من هذه الممانعة إلى المخاوف التي يثيرها التزام أعمق بقضايا الرغبة المثلية في الناشطين أنفسهم، ذلك لأن معظم الناشطين في منتدى PRISM حتى اليوم هم من الطبقة الوسطى التي تفهم وتختبر الجنسية كمجال حميم وشخصي جداً.

3 الخلاصة

سعت هذه المقالة إلى تسليط الضوء على بعض الفرضيات الكامنة وراء لغة الحقوق وما تتضمن من معان، مثل خطر أن ندفع إلى استخدام إطار يحصر الهويات في ميلها الجنسي. ويتعلّق جزء آخر من المعاني المتضمنة بطبيعة العمل مع حركات أخرى تقديمية تهتم بقضايا أحرار الجنس. في بيئة من القلق وخوف من التزام أعمق بهذه القضايا، تسمح لغة الحقوق لآخرين بتقديم دعمهم من مسافة "أمنة". وسعت المقالة أيضاً إلى لفت الانتباه إلى محدودية لغة الحقوق فيما يتعلق بفهم وتحليل تقاطع عوامل التمييز علماً أن هذا الفهم ضروري من أجل القيام بجهود لبناء تحالفات أمتن. كذلك سلّطت الضوء على محدودية هذه اللغة في إظهار وتحدي اعتبار الجنسية المغايرة معياراً (heteronormativity). وفي الواقع، إن استخداماً ضيقاً للغة الحقوق هو سبيل للتهرب من التطرق والتعامل مع اعتبار الجنسية المغايرة معياراً وقلب المعايير.

إلا أن لغة الحقوق لا تساعد على تفكيك المفهوم الذي يعتبر الجنسية المغايرة معياراً – أي لماذا توجد هذه المعايير؟ وكيف تخدم مصالح أنظمة السلطة القائمة؟ وكيف يمكن تحدي هذه المعايير؟ في الواقع، إن لغة الحقوق ولغة الخيار المتعلقة بها يمكن أن تبعدنا أحياناً عن تناول القضايا المهمة بالنسبة للمثلية. مثلاً، هنالك خطر في أن تحصر هذه اللغة قضية جنسانية أحرار الجنس في نطاق الخيار "الشخصي". ويضاعف هذا الخطر أن المساحة التي كان خطاب الحقوق يدور فيها تاريخياً تتعلّق بالفرد ضمن إطار ليبرالي. كما أن الانتقادات النسوية لمحدودية القانون وحقوق الإنسان التي تعتبرنا جميعاً أصحاب حقوق، هي أيضاً تشير إلى كون الخيار، أي خيار، بطبيعته وهماً. تشير هذه الانتقادات أيضاً إلى خطر المبالغة في تبسيط علاقات السلطة. ففي سياق الجنسية المغايرة المفروضة يكون المجال الذي نستطيع أن نمارس فيه الخيار والحقوق محدوداً جداً، بالنظر إلى القيود التي تمنع الاعتراف بتنوع الرغبة القائم في كل فرد منا.

إن محدودية لغة الحقوق في درس اعتبار الجنسية المغايرة معياراً هي شبيهة بالمحدودية التي بيّناها في المناقشة المتعلقة بتقاطع عوامل التمييز. أي أن لغة الحقوق بحد ذاتها لا توفر الأدوات التي تمكّن من تحليل كيفية تقاطع أو تفاعل محاور مختلفة كالنوع الاجتماعي والجنسانية والطبقة وغيرها. إنطلاقاً من هذا الواقع يبدو لي أن هذه ماهية لغة الحقوق – إنها لغة، أكثر منها "مقاربة" أو "عقيدة" بحد ذاتها.

2.5 تجنّب تغيير المعايير

كون لغة الحقوق لا تتناول عادة اعتبار الجنسية المغايرة معياراً يعني أيضاً أنها نادراً ما تتناول ما في جنسانية أحرار الجنس من قابلية لتغيير المعايير. يظهر عدم الالتزام هذا بشكل واضح ومهم

حاول التجمع الهندي للدراسات النسائية (IAWS) إقرار قرار معين في مؤتمر جوا (Goa) في أيار 2005، الذي كان موضوعه "السيادة والمواطنة". كتب القرار نسويات من أحرار الجنس (نساء يرغبن بأفراد من الجنس نفسه أو غيره) ونشطة تعمل أيضاً على قضايا الإعاقة. كان نص القرار ما يلي:

"نحن في الحركة النسائية أدركنا منذ زمن أن مفاهيم مثل "طبيعي" و "عادي" استخدمت لتقييدنا كنساء والتحكم بنا. كذلك ندرك أن ثنائيات صارمة مثل "رجل" و "أمرأة" وتصورات حول ما يشكل جسماً "طبيعياً" وتصورات حول ما يشكل سلوكاً جنسياً "مقبولاً"، إن هذا كله يحدد إمكانياتنا جميعاً. كذلك تمنع حقوق المواطنة عن أفراد ومجتمعات تُعتبر منحرفة عما هو "طبيعي". وتشمل هذه مثلاً، معوقين ومثليين ومثليات ونساء مزدوجات الجنس ومغيّرات النوع الاجتماعي. وهجرات (hijras) وعَمَل الجنس.

من هذا المنطلق، ينتهك القسم 377 من القانون الجزائي الهندي بوضوح جميع مبادئ المساواة والعدالة والمواطنة. يجرّم القسم 377 قائمة كبيرة من الممارسات الجنسية غير التناسلية التي تعتبر "ضد نظام الطبيعة". ويكون عادة تبرير هذا الشرط على أساس أنه يوفر عقاباً قانونياً للتعدي الجنسي على الأولاد. ولكنه ليس كافياً على الإطلاق في هذا المضمّر، بل إنه يستخدم في الواقع للتحرش والتسلط وتجريم الذين يهددون بنى النظام الأبوي الذي تؤيده إلزامية الجنسية المغايرة. إننا نناشد الحكومة أن تنقض القسم 377 وأن تكفل تطبيق قانون مستقل في أقرب وقت ممكن ليتعامل بفاعلية مع التحرش الجنسي بالأولاد. إنّ التدابير القانونية مثل القسم 377 تنتهك حرفية وروح الحقوق الأساسية التي نص عليها الدستور والتي تكفل المساواة والحرية لجميع المواطنين.

يلتزم التجمع الهندي للدراسات النسائية التعامل مع التجارب والمنظورات الناشئة التي تقدمها للحركة النسائية مجتمعات محلية تُعتبر منحرفة عما هو "طبيعي". مثل هذا الالتزام سيمكننا من قلب معايير مسبقة وضربها. وسيساعد أيضاً على تطوير إطار للمواطنة لا يكون مجرد إطار ليبرالي شمولي وإنما أيضاً إطار تحويلي وتحريري.

قامت المعارضة الوحيدة لهذا القرار من إحدى عضوات AIDWA، الجناح النسائي في حزب يساري، قائلة إن الجزء الخاص بالقسم 377 يجب أن يبقى، ولكن يجب أن يُحذف من القرار الجزء المتعلق بقدرة سياسة أحرار الجنس على قلب المعايير.

ينبغي لنا أن نعتمد على سياسات نسوية وأخرى خاصة بأحرار الجنس. لن يكون لاستخدام لغة الحقوق نتيجة فعّالة إلا بعد أن نكون قد قمنا بذلك. وحدها الأطر الأيديولوجية والتحليلية لأحرار الجنس والنسوية ساعدتنا كناشطين على استخراج الصلات بين مختلف أشكال القمع. كما بيّنا أعلاه، مع أن خطاب الحقوق يمنحنا مفاهيم هامة مثل "استحالة تقسيم الحقوق"، إلا أنه لا يمكننا من أن نحلّ بدقّة كيف تتداخل هذه القوى لتحديد حقائق حياتنا وتحكم بها. كذلك نرى أن إطار المفاهيم

أود أن أؤكد هنا اعتقادي إمكانية استخدامنا لغة الحقوق وتناولنا في الوقت نفسه تقاطع عوامل التمييز، واعتبار الجنسية المغايرة معياراً، وقلب المعايير، ويجب هكذا أن تكون المطالبة الفعّالة بالحقوق. إنّ قرار التجمع الهندي للدراسات النسائية الذي أوردناه أعلاه بذل مجهوداً لاستخدام لغة الحقوق بهذا المعنى. ولكي نعمل في إطار تقاطع عوامل التمييز، ولنتناول اعتبار الجنسية المغايرة معياراً، ولتسليط الضوء على ما في الرغبة الجنسية من إمكانية قلب المعايير،

ملاحظات

* تعتمد هذه المقالة على المناقشات التي دارت في PRISM حول لغة الحقوق. كانت المناقشات مع ناشطين وأكاديميين آخرين ذات قيمة كبرى في صياغة الآراء التي قدّمت هنا. أود أن أنوّه بصفة خصوصية بالآراء القيّمة لكل من Madhu Mehra، وهي مدافعة نسوية عن حقوق الإنسان والدكتورة Uma Chakravathy، المؤرّخة النسوية والناشطة في سبيل الحريات المدنية.

1 PRISM هو منتدى للمثلية والنسوية غير مدعوم وغير مسجّل، وهو موجود في دلهي، الهند. إنّ هذا المنتدى يشمل كل أصناف النوع الاجتماعي والتعبيرات والهويات الجنسية. وهو يعمل على إثارة قضايا متعلقة بالجنسانيات المثلية التي تقع خارج الإطار الذي يعتبر الجنسية المغايرة معياراً وإلى طرح الأسئلة حول هذا المعيار بحد ذاته.

2 أعني "بمنظور أحرار الجنس" منظوراً يرى الأخطار الكامنة في سياسة تحديد الهويات تحديداً ضيقاً، وهو يعترض على اعتبار الجنسية المغايرة معياراً يضع نفسه في إطار تقاطع عوامل التمييز الذي يراعي العلاقات بين أشكال مختلفة من النضال وتداخل هويات متعددة. إنّ أحرار الجنس يختلفون تماماً عن المثليين؛ بل إنّ المثليين قد لا يتبنون سياسات أحرار الجنس بينما يتبنّى أشخاص من بين الذين يرغبون في الجنس الآخر بمنظور أحرار الجنس بسبب طبيعة سياستهم.

3 هناك حالات كثيرة لشابات دفعن إلى عقد انتحاري مع عشيقاتهم. كثيراً ما تحدث هذه الانتحارات حين تضغط الأسر على النساء كي يتزوجن رجالاً.

المراجع

Miller, Alice (2004) 'Sexual Rights, Conceptual Advance: Tensions in Debate' presented at the 'Sexual, Reproductive and Human Rights Seminar' organised by CLADEM, in Lima, Peru

الذي توفره سياسة أحرار الجنس هو وحده الذي يمكننا من تحليل وتحدي اعتبار الجنسانية المغايرة معياراً والأنظمة الاجتماعية التي تدعمها والتي تعتبر الرغبة المثلية "شاذة" أو غير شرعية. وكثيراً ما يكون اعتبار الجنسانية المغايرة معياراً شائعاً وغداً وأو غير ملموس إلى حد أنه لا يمكن تحديده والاعتراض عليه فقط على أساس "انتهاك للحقوق الجنسية". إنّ لغة أحرار الجنس تتحدّى وتحاول تغيير معايير المجتمع الأساسية، أكثر من أنها تركّز فقط على انتهاك الحقوق.

إن استخدام الحركة النسوية الدقيق للغة الحقوق مؤخراً، سلط الضوء على محدودية هذا الإطار فيما يتعلق بالعدالة بالنسبة إلى النساء. وأرى أنّ انتقادات خطابات الحقوق المثلية للوضع الراهن تصبح ذات دلالة أبعد في مضمار جنسانية أحرار الجنس، وأن التمتع بحسنات لغة الحقوق يكون أصعب. على الرغم من هذه المحدودية ساهمت لغة الحقوق مساهمة كبيرة في النضال من أجل العدالة في بيئة تحيط بالرغبة المثلية بالتكتم وتصمها بوصمة عار وتعرضها للانتهاكات. ولكن ينبغي لنا أن نكون أدق في تحليل مساهمتها في نضالنا ضد اعتبار الجنسانية المغايرة معياراً. وهناك أيضاً حاجة إلى الاعتماد على لغة الحقوق استراتيجياً مع بقائنا مترسّخين في إطار خاص بأحرار الجنس ونسوي يستطيع أن يوفر خطابات أكثر فاعلية وتحريراً واستراتيجيات للعدالة والمساواة.

اللوّاط في الهند: من جرائم الجنس أم حق من حقوق الإنسان؟

سوميت بود*

1 المقدمة

أبيّن في هذه المقالة أن القسم 377 هو اعتداء على الحرية الشخصية لكل هندي حرّ. إنه انتهاك للإستقلال ولحرية الإرادة ولسلطة الناس على أجسادهم. ويقتصر تحليلي على علاقات جنسية توافقية (consensual) بين بالغين مستبعداً الاغتصاب والتحرّش بالأولاد، كما يشمل التدقيق في موقف القضاء من حقوق الإنسان.

2 تعريف الجنسانيات

هناك سلسلة كبيرة من الأفعال والممارسات والهويات الجنسية في أنحاء العالم كافة. إنّ لغة الجنسانية وحقوق الإنسان الحالية كما طوّرها تدقيق القضاء في دعاوى خارج الهند راسخة إلى حد بعيد في سياق الجنسانيات المثلية وهويات مغيّري/ات النوع الاجتماعي. إنّ الحركة المتعلقة بالحقوق الجنسية استعارت من لغة حقوق الإنسان. يظهر ذلك جلياً في المطالبة بعدم تجريم اللواط وعدم التمييز في أماكن العمل والمطالبة بالزواج/الشراكة المدنية بين مثليين. ولقد تراوحت الحقوق التي تمّ تناولها في معظم الأحيان ما بين الخصوصية والمساواة وما بين الحياة والكرامة الإنسانية.

في أثناء الاحتفال عام 2005 بالذكرى الثامنة والخمسين لاستقلال الهند حتّ رئيس وزراء الهند الدكتور Manmohan Singh كل هندي على التفكير في معنى "الاستقلال". هل الناس العاديون في الهند اليوم أكثر استقلالاً، أو يتمتعون باستقلال ذاتي أكثر مما كانوا عليه أيام الاستعمار البريطاني؟ إن كانوا كذلك، فمّم تحرّروا وممّن؟ ربما كان ذلك من نصيب رؤساء سياسيين نالوا مناصب عالية في حكومة جديدة. إنّ هذا الاستقلال الذاتي يعني أن هنالك نظاماً جديداً، وأنّ أعضاء المكتب التأسيسي فيه ليسوا عرضة للمساءلة من قبل بريطانيا. إلا أنّ النظام الجديد هو وريث حكومة الاستعمار البريطاني وليس وريث الذين حاربوا من أجل الحرية (Kannabiran 2004: 27)، وقد ورث قوانين الهند الاستعمارية وإدارتها. إنّ قسماً كبيراً من القوانين الإنكليزية لم يستمر في الهند المستقلة فحسب، وإنما ظل يتطوّر بواسطة تعديلات وإلغاءات واجتهادات قضائية. إنّ قانوناً استعمارياً واحداً بقي على ما كان عليه منذ وضعه في العام 1860 هو القسم 377 من قانون العقوبات الهندي:

377. إساءات غير طبيعية

إنّ كل من قام بملء إرادته بجماع جسدي ضد الطبيعة مع رجل أو امرأة أو حيوان يعاقب بالسجن مدى الحياة، أو بالسجن لمدة قد تمتد إلى عشر سنوات مع دفع غرامة (Ranchhoddas & Thakore 2002: 1818).¹

إنّ الشكل الذي تتخذه الجنسانية يتوقف على سلسلة من العوامل تشمل المزاج الشخصي والقيم المحافظة أو المتحرّرة وإحساس بالحشمة أو قلّته، إلخ. وبصرف النظر عن شكلها، سواء كانت في حالة سبات أم لا، تبقى الجنسانية متممة للتجربة الإنسانية. لماذا إذاً يجب تبرير أشكال الجنسانية

إنَّ القانون الموجود والمنشأ بموجب مقررات سابقة صادرة عن محاكم الاستئناف يشير مراراً إلى الحيوانية واللواط والفكرة التوراتية عن خطيئة عمورة وسدوم. هذا بحد ذاته، لا يساعد كثيراً. لقد تغيّر معنى السودومية عبر القرون والقارات والثقافات.² حتى إنَّ تفسيرها القانوني يختلف من تشريع إلى آخر. كذلك يصعب التوصل إلى تعريف قانوني للواط والحيوانية. ففي التفسير القانوني الوصفي الملحق بالقسم 377 إشارة تقول إنَّ ”الولوج“ كافٍ لحصول ”الجماع الجسدي“، ولكنها لا توضح ولوج ”ماذا“ و ”بماذا“؛ وبناءً على اجتهادات قانونية سابقة يبدو أن الولوج القضيبى (للشرح أو الفم) هو المعنى بذلك.³ حتى الاستمنااء القضيبى الذي يقوم به شخص لشخص آخر يعتبر ولوجاً.⁴

وفي دراسة لأحكام هندية تحت القسم 377 يظهر مجموع 46 دعوى، أنَّ أكثر من 60 بالمئة من الدعاوى تتناول تحرّشاً جنسياً بأطفال من قبل رجال. وفي 20 من هذه الحالات كان الطفل ذكراً، وفي 10 منها كانت أنثى (Narain 2004: 55). ومع أن المحاكم لم تركز على عامل الموافقة، إلا أنه من البديهي أن كلاً من هذه الحالات الثلاثين كان من دون موافقة الطفل. حتى في الدعاوى التي تشمل بالغين موافقين، ليس هناك تدقيق قضائي في عنصر الموافقة. وبعض الرجال في هذه الدعاوى يشار إليهم كـ ”لوطي/مأبون معتاد“ (habitual sodomite/calamite) ولكن الأحكام تؤكد أن لا صلة لماضي المتهم فيما يتعلق بنشاطه الجنسي أو تنكره بزي نساء. وبذلك تكون الخلاصة أن النوع الاجتماعي والجنسانية لم يجدا تعبيراً صريحاً في الخطاب القضائي الهندي وأن هناك تأكيداً مستمراً وضمنياً على أنَّ ولوج القضيب للمهبل وحده مطابق للطبيعة.

لقد تم تناول عنصر الموافقة بطريقة غير مباشرة

المختلفة إما بالحق في الخصوصية، أو المساواة، أو الكرامة الإنسانية؛ إنَّ سلسلة الحقوق نفسها المنطبقة على الجنسية تؤيد ضمناً ما يمكن تسميته الاستقلالية الجنسية. وكون الجنسية متممة للتجربة الإنسانية يشكّل في رأيي مطالبة بحق إنساني متميز، أي الحق بالاستقلالية الجنسية.

يتحدّى موضوع الجنسية من يود تعريفه، ليس فقط لأنَّ الموضوع واسع، بل لأنَّ المصطلحات المستخدمة هي نتيجة تفضيل لأيديولوجيات أو أطر معيّنة. يسعى بعض العلماء إلى استرداد مصطلح ”مثلي“ في محاولة إعطاء المصطلح سعة وحدثة لم تكن له يوماً في الحقيقة (Macdougall 2000). وهناك علماء آخرون يرفضون استخدام مصطلح ”مثلي“ لأنه استخدم بمعنى سلبي خلال سنوات طويلة (Wintemute 1994). في هذه المقالة فضّلت استخدام تعريف سياقي لهذا المصطلح ضمن إطار معيّن. كما أن تحليلي ركّز على القسم 377 وهو يسأل: ما مكانة الجنسية في القسم 377؟ وما معنى ”جماع جسدي ضد الطبيعة“؟ والأسئلة الأساسية التي سأعالجها هي: أليست إساءة ”جماع جسدي“ منافية لحقوق الاستقلالية الجنسية؟ وإذا كان هذا هو الحال، هل أنّ تعريف حق الاستقلالية الجنسية أكثر فعالية في تحدي مفهوم ”إساءة ضد الطبيعة“ من حجج الخصوصية (arguments of privacy) والمساواة والحياة و/أو الكرامة الإنسانية؟

3 إلزامية الجنسية المغايرة

ماذا يقول القسم 377 عن الجنس والجنسانية والميل الجنسي؟ في الظاهر، يبدو أنه لا يقول شيئاً. وقراءة بسيطة للقانون تُظهر ذلك، وتبيّن أنّه غير واضح وفيه التباس. بادئ ذي بدء، نطرح السؤال ماذا يعني ”جماع جسدي ضد الطبيعة“ في الحقيقة؟

من الواضح أنها كانت ملفقة فقط بسبب الشك في هويتهم الجنسية.⁶

ولقد بيّنت حادثة الجنس الشفوي في دلهي أنّ العلاقة بالتراضي بين شخصين مغايري الجنس، حتّى لو لم يكن هناك ولوج قضيب للمهبل، من المستبعد أن يتناول القسم 377 قضية تتناول حالة كهذه. من ناحية أخرى، يواجه الرجال الأربعة من لَكنّاو الآن إقامة دعوى عليهم بسبب ميلهم المثلي. وهذا الواقع مبني على قناعة متينة أنّ الجنسية المغايرة هي "عادية" أو "طبيعية". وفي المقابل، يكون كل ما هو خارج الجنسية المغايرة "غير عادي" أو "غير طبيعي". وبمعاقبة ما هو "غير طبيعي"، أي الجنس بين من هم ليسوا مغايري الجنس، يلزم القانون الناس أن تكون علاقاتهم الجنسية داخل حدود الجنسية المغايرة - بين رجل وامرأة. في الواقع يفرض القسم 377 إلزامية الجنسية المغايرة (Menon 2005). أي أنّه يحرم كل إنسان إمكانية تحديد ذاته الشهوانية والجنسية.

ولهذا دلالة خاصة في سياق القوانين التي ظهرت في أثناء أنظمة الاستعمار أو جاءت مبنية عليها. إنّ Jacqui Alexander (1997) في مطالبتها بتحرّر النساء الجنسي واحترام حقوقهن كمواطنات في البهاما تقول أنّ النظام الأبوي الذي يعتبر الجنسية المغايرة معياراً يُستخدم لاستئناف الاستعمار واستمراره، وللتمكن من إعادة إحياء ممارسات الإستعمار السياسية والاقتصادية. وهي تعرّف "إعادة الاستعمار" بأنها "محاولات الدولة ومصالح الاقتصاد المعولم التي تمثّلها، اغتصاب حق البهامويين في تحديد ذاتهم، اغتصاباً نفسياً وجنسياً ومادياً" (Alexander 1997: 63-100). وبطريقة شبيهة، فإن القسم 377 الذي يشكّل أداة قمع النظام الأبوي المغاير الجنس، يمكن الدولة من الوصم بالعار والاضطهاد والمراقبة الدائمة

في إحدى دعاوى الطلاق. حيث ادّعت الزوجة أنّ تكرار الزوج ولوج شرجها بقضيبه سبب لها ألماً مبرحة. فكان الاستنتاج أنّه يمكن اعتبار الزوج "مذنّباً لاقترافه اللواط مع زوجته إنّ لم تكن موافقة".⁵ ومع أنّ الدعوى كانت مدنية (في مقابل دعوى جزائية تحت القسم 377)، لا شك أن فيها إشارة هامة إلى عنصر الموافقة. لكن يبدو أنه لم يخطر لل قضاء أن هناك احتمالاً آخر. ماذا لو كان هنالك نساء يوافقن على "الواط" مع الرجل؟

في كانون الأول عام 2004 عرفت دلهي فضيحة عامة تتعلق بحادثة جنس شفوي بين فتى وفتاة كانا كلاهما في منتصف سن المراهقة. سجّل الفتى الحادثة على كاميرا هاتفه المحمول. وبعد ذلك، وبواسطة خدمة الرسائل متعددة الوسائط (MMS) نشر الصورة بين بعض أصدقائه. ولقد وجد هذا التسجيل طريقه إلى الإنترنت، وأصبح بمقدور الجميع رؤية الصور وشراؤها. حققت الشرطة في القضية واعتقل الفتى، ولكن ليس بناء على القسم 377 (The Hindu 2004). لم يلفت الإعلام أو تحقيق الشرطة إلى أنّ الجنس الشفوي هو "إساءة ضد الطبيعة" وأن الفتاة كانت مذنبة كالفتى. ولو كان هناك فتى مكان الفتاة لكانت قد ترتبت على ذلك نتائج مختلفة تماماً: كان من الممكن أن يواجها كليهما خطر مقاضاة فورية وحقيقية بحسب القسم 377.

وفي كانون الثاني 2006 اعتُقل أربعة رجال في لَكنّاو (Lucknow)، عاصمة أوتار براديش (Uttar Pradesh)، عملاً بالقسم 377. ومن غير تحقيق أو شكوى كانت الشرطة قد تتبعت رقم هاتف أحد المتهمين على موقع للمثليين وأعدت مقابلة. بعد ذلك أجبرته الشرطة على الاتصال بأصدقائه، فحضر منهم ثلاثة. واعتقل الأربعة بدعوى ملفقة عن القيام بعلاقات جنسية أمام الناس. في عملية الغش هذه عوقب أربعة أشخاص أبرياء في دعوى

والسيطرة على الذين يمارسون الجنس بطرق تختلف عن ولوج القضيب للمهبل.

4 الحجج القانونية المتوافرة

لقد خضعت قوانين اللواط مثل قسم 377 لمراجعات قضائية في كل أنحاء العالم. وقد أعلنت المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان أن مثل هذه القوانين تشكل انتهاكاً للحق في الخصوصية.⁷ ولقد اتخذت لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان موقفاً مشابهاً.⁸ بينما أعلنت المحكمة العليا في الولايات المتحدة أن قوانين اللواط هي مخالفة للحق في الخصوصية والمساواة في الحماية تحت سقف القانون.⁹ وقد حكمت المحكمة الدستورية في جنوب أفريقيا أن قانوناً كهذا يخالف الحق بالخصوصية والمساواة والكرامة الإنسانية.¹⁰

إن الحجج القانونية الثلاثة الشاملة التي تنبثق من عدم تجريم القضاء للواط، هي الخصوصية والمساواة والكرامة الإنسانية.¹¹ ترى حجة الخصوصية أن اختيار كل إنسان لسلوكه الجنسي يشكل قضية شخصية مما لا يجوز أي تدخل غير ضروري للدولة. وعليه يصبح "الجماع الجسدي ضد الطبيعة" خياراً مبدئياً. وتعتبر حجة مساواة الحقوق الميل الجنسي وضعاً ثابتاً شبيهاً بالعرق أو الجنس. ويُفهم "الجماع الجسدي ضد الطبيعة" أنه مشتق من ميل/ميول جنسية متميزة. بالنسبة لهذه الحجة لا بد من فهم ومقارنة هويات جنسية كتلك الخاصة بمغايري/ات الجنس والمثليين/ات. فكما أن مغاير الجنس ميال بطبيعته إلى ولوج القضيب للمهبل، كذلك يُعتبر المثلي ميالاً بطبيعته إلى "جماع جسدي ضد الطبيعة." أي أن هنالك مطالبة بمعاملة مغايري الجنس والمثليين كطبقتين مختلفتين لكن متساويتين في الحقوق. ومن منظور الكرامة الإنسانية، إن الذين يرغبون في "جماع جسدي ضد الطبيعة" ويمارسونه، كانوا وسيبقون، أقلية. ومن المعروف أن القمع

الذي تعرضوا له عبر التاريخ جعلهم أقلية مذمومة كثيراً وعرضة لازدراء شديد، أي أنهم عانوا انتهاك حقهم بالعيش الكريم.

إنطلاقاً من القانون المنشأ بموجب مقررات سابقة صادرة عن محاكم الاستئناف الذي ساهم في تكوين الحجج الثلاث، أثّرت الدعاوى بدون استثناء في إطار المثليين والمثليات. وقد نجحت الحجج الثلاث في خلق لغة حقوق جنسية، ولكن ليس من دون قيود أساسية. فهناك شرط مسبق لوضع الناس في فئات محددة كمغاير الجنس أو مثلي أو مثلية أو سوي. وما تفترضه حجة الخصوصية هو أن معظم الناس هم من مغايري الجنس، وأن أقلية ليست كذلك ولكن يجب أن يسمح لها بالخصوصية. إن حجة الكرامة الإنسانية مبنية على وضع متماسك في الظاهر لهذه الأقلية، وتفترض أن مغايري الجنس أكثرية وأن هناك أقلية واضحة محددة المعالم ذات تاريخ جماعي مشترك. أما حجة المساواة فتضع المثلي على قدم المساواة مع مغاير الجنس، ولكن تبقى مقارنته بمغاير الجنس. فالفرضية المتضمنة هنا هي أنه إذا قام مغاير الجنس بأمر ما يستطيع المثلي القيام به أيضاً، لأن مغاير الجنس هو من يحدد إطار ما هو مقبول، وبإمكان المثلي أن يستعير هذا الإطار من دون أن يسمح له بواحد جديد.

من الواضح أن الجنسية المغايرة تبقى هي المعيار. ولكن من وضع هذا المعيار؟ هذا سؤال يطرح نفسه في ظل غياب خطاب قضائي يحترم حقوق الإنسان ويتحدى اعتبار الجنسية المغايرة معياراً. لا بل أكثر من ذلك، إن مثل هذا الخطاب غير معترف به حتى الآن.

5 أبعد من الهويات الجنسية

في الهند هناك سلسلة كبيرة من هويات النوع الاجتماعي والهويات الجنسية. هناك "رجال

الجنس والمثليين. ثم إن الرجال الهجراس، بصفتهم مجتمعاً محلياً له تاريخه الفريد والطويل، ليس من السهل ضمهم إلى الهويات الحديثة نسبياً في الهند كالم.م.م.م. وأخيراً، في بعض المناطق يمارس الرجال الهجراس نشاطهم الجنسي في الحمامات العامة التي لا تتخذ حجة الخصوصية موقفاً واضحاً منها، كما هو الحال مع بيوت الدعارة. وصعوبة أخرى تكمن في أنه ليس بإمكان الجميع أن يتحملوا كلفة الخصوصية. والرجال الهجراس والكوثي الذين يعملون في الجنس يستجدونه في الشوارع أحياناً كثيرة، مما يؤدي إلى ممارسة الجنس في المراحض العامة أو في الحدائق العامة. ولا يحصل ذلك بسبب مكانة خاصة للمراحض أو الرغبة في ممارسة الجنس في الهواء الطلق، وإنما بسبب عدم توافر أماكن "للاختلاء". وهنا يطرح السؤال التالي نفسه: أين وكيف يمكن استيعاب واقع حيوات الهجراس ضمن حجة حق الإنسان بخلوة صحبة؟ هل من الأفضل تجاهلها بسبب التعقيدات التي يثيرها الرجال الهجراس؟ ماذا يكون إذاً مصير حقوق الهجراس الجنسية بالنسبة لحقوق الإنسان؟

مع أن الحجج الثلاث تتمحور تماماً في سياق الجنسانيات المثلية وهويات مغيري/ات النوع الاجتماعي، إلا أن الاستقلالية الجنسية هي القاسم المشترك الأكبر بينها. وكل من هذه الحجج، أن هنالك حقاً بخصوصية التعبير الجنسي، وأن الجنسانية يجب أن لا تكون سبب تمييز ظالم، وأن السلوك الجنسي هو جزء من تجربة الإنسان، هي اعتراف بالتنوع الجنسي وحق الاستقلالية وتؤيدهما. وعلى الرغم من الموقع الذي تحتله الاستقلالية الجنسية في هويات الجنسية المثلية فإن ما يمكنها أن تحققه بالأساس أهم بكثير. إن بإمكانها أن تقدم للعالم نظرة ديناميكية وتعددية إلى القانون والثقافة والجنسانية، نظرة تتخطى محدودية نموذج قائم على الهوية.

يمارسون الجنس مع رجال آخرين". وهناك الهجراس (hijras) الذين يدعون أنهم جنس ثالث، متحدّين بذلك هوية النوع الاجتماعي القائمة على ثنائية محدّدة (إما ذكراً أو أنثى) (Nanda 1990:115). وهناك رجال كوثي (kothi) الذين يبالغون في إظهار تأنق نسائي ويفضّلون أن يلجهم في الشرج رجال أكثر رجولية، ويتميزون بأنهم ممن لا يتكلمون الإنكليزية وينتمون إلى طبقات عاملة متوسطة ذات دخل متدن (PUCL-K 2003). وهناك المثليات والمثليون ومزدوجو الميول الجنسية ومغيرو النوع الاجتماعي (م.م.م.م.) الذين يسكن معظمهم المدن، ويتكلمون الإنكليزية وينتمون رجالاً ونساءً إلى الطبقة الوسطى (middle-class) والشريحة العليا منها (upper-middle-class). بالإضافة إلى ذلك، في كل من مناطق الهند هويات تقليدية قائمة على ممارسات مخالفة لمعايير النوع الاجتماعي ومعايير السلوك الجنسي السائدة في المجتمع (Narrain & Bhan 2005). وعليه فإن حقائق التجارب غير المعيارية في الهند، أي هويات النوع الاجتماعي والممارسات الجنسية والهويات الجنسية، أشكال السلوك الشهواني المدانة ثقافياً، التي تتحدّى جميعاً التمييز ضد المثليين/ات، كلها استمرت تقليدياً ومازالت مستمرة حتى اليوم (Narrain & Bhan 2005).

يتحدّى التنوع الجنسي في الهند النموذج القائم على الهويات الذي تتضمنه الحجج القانونية الثلاث. فالذين يختلفون عن هويات الميول الجنسية الموصوفة يقعون خارج هذا النموذج. مثلاً، الرجال الهجراس قد يكونون رجالاً يتنكرون بلباس نساء، أو رجالاً مخصيين، أو ازدواجي الجنس. فهوية محلبة كالهجرا (hijra) هي أقرب إلى هوية نوع اجتماعي منها إلى هوية جنسية أو "الجنس الثالث" كما تسمى أحياناً. فالهجراس ليس رجالاً ولا إمرأة وأفعاله الجنسية (مع الرجال مثلاً) عصية على الفهم من خلال فئتي مغايري

6 حق الاستقلالية الجنسية

يعرّف Stephen Schulhofer الاستقلالية الجنسية بأنها قبل كل شيء حرية السعي وراء الاكتفاء الجنسي والتحرّر من الإكراه الجنسي. ويجب أن يشمل الحق بالاستقلالية الجنسية توفير حماية قانونية تسمح للأفراد بالتماهي مع هوية النوع الاجتماعي أو ميل جنسي معيّنين. يجب حماية المظاهر العامة والخاصة لهوية الإنسان الجنسية أو النوع الاجتماعي كونها خياراً شرعياً لتحديد الذات الجنسية (Katyal 2002). إنّ استخدام الاستقلالية الجنسية مثلاً، كإطار فكري يجنب مشكلات استبعاد الرجال الهنود الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين، والذين كثيراً ما يستبعدون من الفئات المحمية بناء على ميولها الجنسية، لأنهم قد يعتبرون أنفسهم من مغايري الجنس. كذلك ينسجم هذا الإطار مع نماذج قائمة على الهوية. ومن الممكن أن تتوافر مادة قانونية ضد التمييز مبنية على الميل الجنسي وفي الوقت نفسه تأويل الحق بالخصوصية ليشمل مظاهر من هوية الشخص الجنسية (Katyal 2002).

إنّ لغة حقوق الإنسان الدولية ديناميكية وتتسع باستمرار لتعبّر في مزيد من القضايا عن مقاربات مبنية على الحقوق. إنّ تحرّراً بارزاً من إحدى ترانتيات الحقوق يكمن في التطور الذي طرأ على معنى حقوق الإنسان حيث أصبحت تعرّف أنّها "عالمية، غير قابلة للتقسيم، يستند بعضها إلى بعض وهي على علاقة متبادلة ..."¹² إنّ مظاهر الحياة البشرية، سواء كانت الصحة أم المعيشة أم الملجأ، يعبر عنها أكثر وأكثر بلغة مبنية على الحقوق. والجنسانية جزء لا يُنكر من التجربة الإنسانية. فما الذي يحول دون احتلاله مكانته الخاصة ولغته الخاصة في سلسلة حقوق الإنسان؟

إنّ نظام حقوق الإنسان في الهند يتوسّع باستمرار

أيضاً. في الماضي كان الظن أنه خاص بالحقوق المدنية والسياسية (الجزء الثالث من الدستور)، إلا أن الحقوق أدخلت فيما بعد ممارسات المداخلات القضائية، وأصبحت المحاكم تنظر في بعض الحقوق الاجتماعية والاقتصادية (الجزء الرابع من الدستور). ومع أنّه لم يُذكر الحق بالخلوة والصحة والعيش والملجأ حين وضع الدستور، ولكن هذه الحقوق اعتبرت فيما بعد جزءاً من المادة 21 التي تخصّ بالذكر حماية الحياة والحرية الخاصة. في الواقع، إن ضمانات دستورية واضحة هي أكثر ثباتاً وقوة من المادة 21، ولكن القانون ديناميكي ويجب أن يماشي الأزمنة المتغيرة والحركات الناشئة. إنّ الحماسة التي أبداها القضاء الهندي في توسيع لغة حقوق الإنسان أفضل من البديل الذي يكون نظاماً لحقوق الإنسان جامداً وراكداً. وتماشياً مع هذه الحماسة يمكن التوسع في فهم ما يراد بحق الحياة والحرية الخاصة. وبهذا المعنى يمكن فهم الاستقلالية الجنسية من المادة 21؛ مع أنه قد يكون فعلاً أفضل أن يعبر عن الاستقلالية الجنسية كضمانة دستورية واضحة في الجزء الثالث من الدستور.

بإمكان الاستقلالية الجنسية تحقيق نتائج بعيدة المدى، إذ بإمكانها ليس فقط تحدّي "الجماع الجسدي ضد الطبيعة"، وتحقيق حقوق المثليين ومغيّري/ات النوع الاجتماعي، وإنما أيضاً تطوير مقاربة حقوقية لسلسلة كاملة من القضايا تشمل النوع الاجتماعي والإجهاض واللذة والجنس وعمل الجنس والتنوع الجنسي وكلاً من الصحة التناسلية والجنسية.

ملاحظات

* أشكر الدكتور Robert Wintemute في كلية الحقوق في Kings College في لندن لإشرافه على بحثي الذي بموجبه حصلت على شهادة LLM في الحقوق (2002). هذه المقالة انبثقت من هذه الدراسة. كذلك

From an unpublished fact - finding report 6 written by Elavarthi Manohar of the National Campaign on Sexuality Rights (NCSR), Tulika Srivastava of Association for Advocacy and Legal Initiatives (AALI), Lucknow, Jashodhara Dasgupta of Sahayog, Lucknow, Maya Sharma of Parma, Baroda, Vivek Divan, a human rights lawyer from Bombay Arvind Narrain of the Alternative Law Forum, Bangalore.

بعض تقارير الحادثة منشورة على الموقعين:

<http://hrw.org/english/docs/2006/01/11/india12398.htm>

www.ilga.org/news_results.asp?LanguageID=1&FileCategory=1&ZoneID=3&FileID=734

7 'Dudgeon vs United Kingdom' (1981) Ser. A, No 45; 'Norris vs Ireland' (1988) Ser. A, No 142; 'Modinos vs Cyprus' (1993), Ser. A, No 259. 8 'Toonen vs Australia', (Communication No 488/1992) UN Doc CCPR/C/50/488/1992 (1994). 9 'Lawrence & Garner vs State of Texas', www.supremecourt.us/opinions/02pdf/02-102.pdf; also see decisions of the Kentucky Supreme Court in 'Commonwealth of Kentucky vs Jeffrey Wasson', 842 SW 2d 487 (1992). 10 'National Coalition for Gay and Lesbian Equality vs The Minister of Justice', (1999) 1 SA 6.

11 استعرت الاثنين الأولين من تصنيف Wintemute (1995:17). وحذفت تصنيف الثالث المسمى "حجة التمييز الجنسي" لأن الحالات التي تتناولها هذه المقالة لا صلة لها بهذه الحجة. واستبدلت بها حجة الكرامة الإنسانية التي اكتسبت أهمية في الحكم في جنوب أفريقيا 'National Coalition for Gay and Lesbian Equality vs The Minister of Justice' (1999) 1 SA 6.

12 المؤتمر العالمي حول حقوق الإنسان (World Conference on Human Rights)، فيينا، 25-14 حزيران 1993 [www.unhchr.ch/huridocda/huridoca.nsf/\(symbol\)/A.CONF.157.23.En?OpenDocument](http://www.unhchr.ch/huridocda/huridoca.nsf/(symbol)/A.CONF.157.23.En?OpenDocument) 13 دستور الهند المادة 21: "حماية الحياة والحرية الشخصية. لن يحرم إنسان من حياته أو حرته الشخصية إلا بناء على إجراءات ينص عليها القانون."

أشكر محامية حقوق الإنسان السيدة Nandita Haksar AMAN Trust: على ملاحظاتها المفصلة، وزملائي في Richa Singh التي كانت لي معها مناقشات مفيدة، و Juhi Tyagi و Dilip Simeon على تعليقاتهما النقدية على المسودة، وصديقتي الناشطتين Arvind Narrain و Pramada Menon على ملاحظتهما الثاقبة، ومعهد دراسات التنمية (IDS) لإعطائي فرصة تقديمها إلى جمهور أوسع في ورشة العمل "تحقيق الحقوق الجنسية" 28-30 ايلول 2005، مما أكسبني تعليقات مفيدة خصوصاً من قبل صونيا كوريا وسوزي جولي.

1 يذكر تعليق عام أن "هذا القسم يهدف إلى معاقبة إساءات السودومية والواط والحيوانية. تكمن الإساءة في اقتراف شخص جماعاً جسدياً ضد الطبيعة مع رجل، والطريقة نفسها ضد الطبيعة مع امرأة، أو اقتراف رجل أو امرأة جماعاً جسدياً بأية طريقة مع حيوان." وهناك تعليق أقدم بكثير لـ Sir Hari Singh Gour يقول: "يعاقب هذا القسم الجماع الجسدي "غير الطبيعي"، مما يعتبر جريمة كبرى منذ تدمير سدوم وعمورة. ولكن على الرغم من ارتفاع الغرامات المفروضة عليها، فهي جريمة قلماً أن تذاغ، مع أن شيوعها معروف حتى في المجتمع الراقى، وليست مقتصرة على سن أو جنسية، مع أنها جريمة كثيراً ما تكتشف بين تلامذة المدارس والسجناء." (Gour 1928: 1936).

2 "في مختلف الأزمنة والأمكنة يشمل كل شيء من الجماع بين مغايري الجنس في أوضاع عادية وفي أوضاع غير مألوفة حتى الالتماس الشفوي مع الحيوانات." (Boswell 1980: 93)

3 'Lohana, Vasanthlal, Devchand vs State' (1962) 4 *All India Reporter*, Gujrat: 252 4 'Brother John Anthony vs The State' (1992) 5 *Criminal Law Journal*: 1352 Grace Jayamani, Petitioner vs E.P. Peter, Respondent' (1982) *All India Reporter*, Karnataka: 46

- Alexander, M. Jacqui (1997) 'Erotic Autonomy as a Politics of Decolonization. An Anatomy of Feminist and State Practice in the Bahamas Tourist Economy', in M.J. Alexander and C. Mohanty (eds.), *Feminist Genealogies, Colonial Legacies, Democratic Futures*, New York: Routledge
- Boswell, J. (1980) *Christianity, Social Tolerance and Homosexuality: Gay People in Western Europe from the Beginning of the Christian Era to the Fourteenth Century*, Chicago: University of Chicago Press
- Gour, H.S. (1928) *The Penal Law of India*, 4th edn, Vol II, Calcutta: Butterworth & Co. (India) Ltd
- The Hindu* (2004) 'Delhi Schoolboy held in Phone Sleaze Case', 20 December, www.hindu.com/2004/12/20/stories/2004122008600100.htm (accessed 30 June 2006)
- Kannabiran, K.G. (2004) *The Wages of Impunity: Power, Justice and Human Rights*, Hyderabad: Orient Longman
- Katyal, S. (2002) 'Exporting Identity', *Yale Journal of Law and Feminism* 14.1:97-176
- Macdougall, B. (2000) *Queer Judgements: Homosexuality, Expression, and the Courts in Canada*, Toronto: University of Toronto Press
- Menon, N. (2005) 'How Natural is Normal? Feminism and Compulsory Heterosexuality,' in A. Narrain and G. Bhan (eds), *Because I have a Voice: Queer Politics in India*, New Delhi: Yoda Press
- Nanda, S. (1990) *Neither Man nor Woman: The Hijras of India*, Belmont, CA: Wadsworth Publishing Company
- Narrain, A. (2004) *Queer: Despised Sexuality, Law and Social Change*, Bangalore: Books for Change
- Narrain, A. and Bhan, G. (eds) (2005) *Because I Have a Voice: Queer Politics in India*, New Delhi: Yoda Press
- PUCL-K (2003) Human Rights Violations Against the Transgender Community. *A Study of Kothi and Hijra Sex Workers in Bangalore, India*, Karnataka: People's Union for Civil Liberties, Karnataka (PUCL-K)
- Ranchhoddas, R. and Thakore, D.K. (2002) *The Indian Penal Code*, 29th edn, Delhi: Wadhwa and Company
- Wintemute, R. (1995) *Sexual Orientation and Human Rights*, Oxford: Clarendon Press
- Wintemute, R. (1994) 'Sexual Orientation Discrimination' in G. Chambers and C. McCrudden (eds) *Individual Rights and the Law in Britain*, Oxford: Clarendon Press

استحالة إيجاد حقوق جنسية للطفل في روايات الاطفال عن فيروس نقص المناعة المكتسبة/ الإيدز في افريقيا الجنوبية

ديفيا بهانا

1 المقدمة

تتحقق بالضرورة ولا يطالب بها كل الأطفال، وجهت المقاربات المعاصرة التي تبنتها منظمة الأمم المتحدة للطفولة (UNICEF) نحو البرمجة التنموية. ودفاعاً عن "مقاربة حقوق الإنسان" في البرمجة التنموية، تعارض منظمة الأمم المتحدة للطفولة (2003) برامج تنمية مبنية على تحديد حاجات الأطفال مسبقاً من قبل المؤسسات، مطالبة بمقاربات أكثر مشاركة تركز على أن للأطفال حقوقاً ويجب أخذ آرائهم حولها مأخذ جد. على الرغم من ذلك نجد أن أصوات الأطفال مكتومة عادة في كثير من الأبحاث في الطفولة، لا سيما في ما تسمى بلاداً "نامية". حتى الأبحاث التي تهتم بحقوق الأطفال، كثيراً ما تعتبر الأطفال أنهم كائنات سلبية، لا جنس لهم، وغير قادرين تكوينياً وجسدياً على تعاطي القضايا الجنسية. إن المعلومات ضئيلة جداً حول أساليب تكوين الأطفال أنفسهم معلوماتهم عن فيروس نقص المناعة المكتسبة/ الإيدز والجنسانيات، وعن حرياتهم وعدمها، وعمّا إذا كانوا يعتمدون على خطاب الحقوق، وإن كانوا يعتمدونه، فكيف؟

ترى هذه المقالة أن التحري عن فهم الأطفال لفيروس نقص المناعة المكتسبة/ الإيدز من منظور "الحقوق" يمكن أن يفتح مجالاً يسمح بتخطي المفاهيم الشائعة أن الطفل الأفريقي إما مجرد ضحية لفيروس نقص المناعة المكتسبة أو أداة لممارسة "حقوق" جديدة أتت بها ديمقراطية جنوبي أفريقيا. هذه المقالة مبنية على دراسة تناولت فهم أطفال ما بين السابعة والثامنة من

إن أكثر من خمسة ملايين أفريقي مصاب حالياً بفيروس نقص المناعة المكتسبة/ الإيدز، النساء والفتيات (بين 15 و24 سنة) هنّ أكثر عرضة للعدوى (UNAIDS 2005). من الاستراتيجيات الأساسية في مكافحة فيروس نقص المناعة المكتسبة/ الإيدز هي حماية حقوق المصابين والمعرضين للإصابة. ولكن حقوق الأطفال كثيراً ما تكون خارج هذه الاستراتيجيات. هذا لأن فيروس نقص المناعة المكتسبة/ الإيدز يستحضر، بالضرورة، الجنسية، وتعتبر الجنسية عادة واقتران الجنسية بالشباب إشكالية. في أنحاء العالم كافة تثير مسألة حقوق الأطفال الجنسية قلقاً عميقاً وهي سبب لنزاعات حادة (Waites 2005). ومن النادر أن تربط الأبحاث العلمية بين الأطفال والجنس ونقص المناعة المكتسبة/ الإيدز والحقوق (Silin 1995). إن الأفكار السائدة عن الطفولة تنظر إلى المعرفة الجنسية أنها تدنس البراءة (Renold 2005). وهذه المواقف هي وليدة نظرة تنموية تعتبر أن الجنسية والحقوق الجنسية هي من إنجازات البلوغ وأنها خاصة بعالم البالغين (James et al. 1998).

إن خطاب حقوق الأطفال يطالب بالتعامل مع الأطفال كونهم أفراداً مستقلين. ومع أنّ حماية البالغين قد تفيد الأطفال، إلا أنّ هذا الخطاب يرى أنهم أفراد قادرون يتفاعلون مع المجتمع ويتعاملون مع الناس والمؤسسات (Prout 2000). هذه الفكرة، أي أن للأطفال حقوقاً لا

الجنس، تزيد من احتمال تعرّض الشابات لفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز (O'Sullivan et al. 2006). كما أنه نتيجة تزايد البطالة وضعف المساواة الاجتماعية في أفريقيا الجنوبية ما بعد التمييز العنصري، تفاقم انتشار فيروس نقص المناعة المكتسبة، خصوصاً بين الرجال والنساء السود.

إنّ استمرار ربط الفقر بالعرق، بالإضافة إلى تاريخ التمييز العنصري وهجرة الذكور السود، كل ذلك يبرز للعيان في المناطق السكنية غير المنظمة التي يعيش فيها الأطفال الذين أجريت عليهم هذه الدراسة. ومما لا يبشر بالخير، أنّ النماذج السكانية لفيروس نقص المناعة المكتسبة تبين أنّ الفقراء (ومعظمهم في جنوبي أفريقيا سود) يتحملون معظم العبء. إنّ المناطق السكنية غير المنظمة التي انتشرت في المناطق المدنية تعود إلى عدم وفرة المساكن بالتساوي للسود في عهد التمييز العنصري؛ إنّها شاهد على إخفاق الحكومة الجديدة في توفير مساكن لائقة للفقراء. إنّ في هذه المستوطنات أعلى نسب لعدوى فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز، والأطفال أكثر من يتعرض لها. يتمثل نموذج بيوت أطفال كثيرين في كوخ ذي غرفة واحدة أو *ilmijondolos* يعيش فيها عدد من الناس. إنّ أطفال كثيرين يعيشون في أسر أحد أفرادها مصاب بفيروس نقص المناعة المكتسبة حيث يرفع الأطفال الأهل. وهناك حوالي 300000 يتيم بسبب الإيدز ومن المنتظر أن ترتفع الأعداد. ليس لدينا أرقام دقيقة لعدد الأطفال المصابين بالإيدز حتى عمر التسع سنوات. إنّ معظم حالات العدوى تحصل في أثناء حمل أمهات مصابات أو خلال الرضاعة (Whiteside & Sunter 2000). ولا يُعرف مدى مساهمة الحرّش الجنسي في عدوى نقص فيروس المناعة المكتسبة ولكن الوهم أن علاقات جنسية مع الأطفال تشفي من الإيدز يزيد من تعرّضهم للعدوى.

العمر لفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز في مدرسة في مدينة سكانها من السود في كوازولو-ناتال (KwaZulu-Natal) في جنوبي أفريقيا، وتبين كيف تحدّث الصبيان والبنات عن الجنسية وفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز وكيف أنّهم، من خلال ذلك، فنّدوا الحقوق أو أكدوها أو قاوموها. إنّ البحث متأثر بإيمان عميق بحق الأطفال في التعبير عن آرائهم ومشاعرهم وبحقهم في أن نستمتع إليهم وأن نأخذ ما يقولون مأخذ الجد. وباستخدام مناهج إثنوغرافية ومقابلات جماعية تحرّى البحث مدى تأثر سرد الأطفال بالجنسانية في بيئة تفشي فيها وباء نقص المناعة المكتسبة/الإيدز. وبدلاً من إظهار الأطفال كضحايا، يبين هذا البحث كيف يمكن تشجيع الأطفال على إثارة وبحث قضايا تتناول الجنسية "والحقوق" من خلال ممارسة ما يعتبرونه حقّهم والتفاوض حوله وتعديله. ترى هذه المقالة أن السماح للأطفال بالتحدث عن مثل هذه القضايا الحساسة يمكنهم من التعبير عن ذواتهم كقوة جنسية.

2 العرق، الطبقة والنوع الاجتماعي في الإيدز في جنوبي أفريقيا

ربط الإيدز في جنوبي أفريقيا بالنوع الاجتماعي وبالعرق. إنّ التمييز العنصري ونظام عمل عرقي قائم على هجرة اليد العاملة زعزعا البنى العائلية وزادا من انتشار وباء فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز (Phillips 2004). إنّ عدم المساواة في النوع الاجتماعي هي في صميم مشكلة الإيدز في جنوبي أفريقيا، وهناك تباين كبير في نسب المصابين من كل نوع اجتماعي. في مقاطعة كوازولو-ناتال التي أجري فيها هذا البحث، يوجد أحد أعلى مستويات العدوى في البلاد، وثلاث النساء الحاملات مصابات بالفيروس الآن (دائرة الصحة 2005). إنّ العنف على أساس النوع الاجتماعي، والاغتصاب، وطبيعة الأدوار المتأثرة بالنوع الاجتماعي ضمن علاقات بين أشخاص مغايري

3 بناء الحقوق الجنسية في سياق فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز

كيف يبني الأطفال الصغار معرفة فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز خصوصاً حين يُنظر إلى الجنسية أنها إشكالية؟ معظم ما كتب عن الحقوق الجنسية والشباب يركّز على حق الأطفال بالحماية، وخصوصاً من التحرش الجنسي والعدوى الجنسية، فيما يتم بشكل عام النظر إلى الاستقلالية الجسدية والمعرفة والسلوك الجنسيين أنها تنطبق على البالغين فقط (Waites 2005). شهدت السنوات الأخيرة تحولات في معرفة جنسانية الأطفال. ثمة كثيرون في علم اجتماع الأولاد الحديث يقولون أنه ينبغي لنا أن نتفهم ونتقبل أن الأولاد حاجات جنسية، بدلاً من تجاهل وإخفاء جنسائهم (Weeks 2000). وفي جنوبي أفريقيا لم يُكتب كثيراً عن الجنسية وسنوات الطفولة المبكرة. وما كُتب يميل إلى تصوير الأطفال أنهم يحتاجون إلى حماية، على الرغم من القوانين التي تؤيد جدارة الأطفال الصغار وحقوقهم. وفي الأقسام التالية سأتناول فهم الأطفال للنوع الاجتماعي والجنسانية وفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز. وكما سيتضح هنا، إن الأطفال ليسوا أبرياء ولا يجهلون ما هو فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز والجنس.

3.1 تأكيد حق الكلام على فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز من الناحية الجنسية

من آراء البالغين السائدة المتعلقة بتكوين معنى وخصائص الطفولة أنه يجب فصل موضوع الأطفال عن موضوع الجنس. وعلى نقيض ذلك بيّنت المناقشات مع أطفال في السابعة والثامنة من أعمارهم حول معرفتهم بفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز أن القضايا الجنسية جليّة جداً.

الباحثة: كيف ينتشر فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز تماماً؟

إنّ معاني فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز والجنسانية التي تنشأ لدى الأطفال مترسّخة في السياق الأوسع للإيدز في جنوب أفريقيا وفي الأنظمة الاجتماعية والثقافية الخاصة التي تشكل بنية تجربة الجنسية وتكوّن عنصراً هاماً في تشكيلها. لأن فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز يقضي على آلاف الناس، وخصوصاً الذين هم في المناطق السكنية غير المنظمة على أراضي الدولة، تتزايد الصراحة في الكلام الجنسي وينتشر ظهور مدهش للتربية على الجنس وفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز ومنعها- إلى حد أن البعض "لم يعد يطبق الإيدز" (Mitchell & Smith 2003). ويمكن القول بسهولة إنّ الأطفال في هذه البيئات الاجتماعية هم ضحايا لم ينالوا حقوقهم، خصوصاً بسبب السكن المزري والفقر. ولكنني أرى أنّ علينا رفض الميل إلى اعتبار الطفل الأفريقي ضحية بريئة لفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز والفقر.

إنّ مسألة فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز وجنسانية الطفولة وتمتّع الأطفال بعناصر الإستقلالية الأساسية، تبقى معقّدة ولكن يجب النظر إليها كجزء من السياق الثقافي الأوسع والإشراف العام على جنسانية الأطفال. كما سآبين، هنالك فوارق دقيقة في جنسائيات الأطفال سببها التباين في النوع الاجتماعي والعرق والطبقة التي ترافق الهوية والسلطة. إنّ نشأة جنسائيات الأطفال توحى بقراءاتهم للبيئة في جنوبي أفريقيا حيث العدالة في توزيع السلطة معدومة وكذلك الغنى والصحة بحسب هذه الهويات. وفي ملاحظة دقيقة لتجارب الأطفال تؤكد الدراسات أن جنسائيات الأطفال لا يمكن فهمها إلا على ضوء صلتها بعلاقات اجتماعية أوسع وكجزء منها. يتطلّب فهم جنسانية الأطفال تخطي الجنسية. لهذا السبب بالذات يؤدّي العمر والعرق والطبقة والنوع الاجتماعي هذا الدور الهام في تحليل جنسائيات الأطفال.

3.2 آكلو الناس: قولة فيروس نقص المناعة

المكتسبة/الإيدز ضمن النوع الاجتماعي

وانتهاك حقوق البنات

من المعروف أن النوع الاجتماعي مهم لفهم ازدياد الخطر. وفي المناقشة التالية تظهر الصبايا كم هنّ عرضة للأذى وافتقارهن إلى الحقوق في مجالي العنف والاغتصاب:

فومزاي (Phumzile): إنّ الرجال هم الذين ينشرون هذا المرض لأننا سمعنا من النساء كيف بدأ. أعرف ذلك لأن الرجال عادة يغتصبون فتاة ويذهبون ويستمترون في تبديل النساء وإشراك غيرهم في هذه المرأة. ولعلّها تكون مصابة، فيذهبون ويغتصبون نساء أخريات ... إنّ الرجال يغتصبون ويغتصبون ولا يبالون.

الباحثة: ما هو الاغتصاب؟

فومزاي: الاغتصاب هو الإيدز.

نوموزا (Nomusa): حين يدعوك شخص أكبر سنّاً ويفعل معك أفعالاً رديئة... يدخل فيك قضيبه... نونتوبيكو (Nontobeko): حين يأكل إنسان أناساً آخرين يكون أكل الناس ويصاب بفيروس نقص المناعة المكتسبة.

الباحثة: يأكل الناس؟ ماذا تقصدين بذلك؟

نونتوبيكو: رجل هرم قرب بيتنا كان يهددنا دائماً، يقول لنا إنه يأكل الأطفال. وإذا رأنا في الطريق سيأخذ أحداً ويرى الآخرين ما فعل.

فومزاي: يريدون اغتصاب الأطفال.

هلينغيوي (Hlengiwe): لأنني أعرف ذلك من خبرتي، إذ حين كنا عائدات إلى البيت مع صديقاتي لحق بنا هذا الرجل الهرم، كان يركض خلفنا؛ لا أعرف ما فعلت صديقاتي، أما أنا فهربت إلى البيت. كاد هذا الرجل يقبض على إحداهن. أعرف أنه سيء.

أنيلي (Anele): أحياناً يشتري لنا شوكولاتة.

هلينغيوي: كنا ست بنات وجاء هذا الرجل الهرم نفسه واشترى لنا حلوى. ولكننا لم نأكلها لأن

ملوندي (Mlondi): بالقبل (يضحك).

ويندي (Wendy): إنهم سيئو السلوك (تضحك).

يخلعون ملابسهم ويمارسون الجنس.

الباحثة: ما هذا؟

ويندي: هذا يعني أنك تريدين إنجاب طفل.

ويندي: باللعب مع الصبيان.

نوسيفو (Nosiphu): يعني أن تنامي معه. الناس

يصبحون سيئي السلوك في السرير (تضحك).

سيلو (Scelo): بعدم استخدام الواقي الذكري.

في هذه المناقشات يربط الأطفال في السابعة والثامنة من العمر بين فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز والجنس والسلوك الجنسي، وبذلك يخرقون الخرافات عن براءة الأطفال فيما يتعلق بموضوع الجنس. بدعم من زملائهم وبمرافقة الضحك، استطاع هؤلاء الأطفال الكلام على الجنس داخل القيود الأوسع على المحرمات الجنسية، وبطرق تمكنهم من إدخال أنفسهم في ثقافة جنسية. في هذا السياق يكتسب الضحك دلالة رمزية. لا يسمح فقط بجعل ثقافات الأطفال الجنسية مقبولة ومدعومة، وإنما يسمح لهم أيضاً بالكلام على مخالفات. إنّ معرفتهم بالواقي الذكري لا تزيل فقط أسطورة براءة الطفولة، وإنما توفر للأطفال أيضاً وعي الأمان الذي من المفترض أن يوفره الواقي الذكري ضد فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز. ولكن فيما يؤكد الأطفال حقهم بالمعرفة الجنسية والتمتع بالحديث، يحكمون أيضاً على الجنس بأنه "سلوك سيء". ويسلط وصف الجنس بأنه "سيء" الضوء على طرق فهم الأولاد للجنس - أنه ممتع (مستخدمين منطق الضحك) وفي الوقت نفسه سيء (مستخدمين موقف البالغين). بكلمة أخرى، يؤكد الأطفال حقهم في الكلام على فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز من الناحية الجنسية، ولكنهم يتبنون أيضاً موقف البالغين من القضية، مبعدين ونايذين الجنس لدى الأولاد. بهذه الطريقة يكتفون ويقبلون حقوق الأطفال بالمعرفة الجنسية.

أهلنا يعرفون من هو، وقالوا لنا إذا أعطانا شخص شيئاً يجب أن نرميه، وهذا ما نفعله باستمرار.

حين تتاح لهنّ الفرصة تبينّ الفتيات كم يستطعن التحدث عن همومهن ومحدودية حقوقهن. إنّ برنامج الأمم المتحدة المشترك عن فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز (UNAIDS) (2005) يؤكد أنّه في بعض البلدان يبلغ عدد النساء المصابات بالفيروس الإيجابي لنقص المناعة المكتسبة عشرة أضعاف المصابات بالفيروس السلبي وذلك ربما لأنّ الفئة الأولى تعرّضت لاغتصاب ذكوري. وإنه لبعيد الدلالة قول البنات في هذه الدراسة أنّ الإيدز هو الاغتصاب. الواقع أنّ في الجنسية فوارق دقيقة بسبب اختلافات اجتماعية أخرى. وفي بيئة الخطر والفقر حيث تعيش الفتيات يُحدّد الخطاب الذي يولده خوف من الخطر المحدق بمغايري الجنس (الحقيقي والمتوهم) جنسانية الفتيات – أي أنهن دائماً عرضة لأذى فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز والرجال الأكبر منهن والاغتصاب.

على خلاف المقطع السابق حيث أظهر الأطفال معرفتهم بالجنسانية بطرق ممتعة عاطفياً، جاء النقاش هنا مقلّماً وجدياً. إنّ الظروف المادية والاجتماعية في مناطق أفريقيا الجنوبية تجعل الفتيات من السود أكثر عرضة لأذى الاغتصاب والتحرّش. كما أن أسطورة إزالة فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز بمضاجعة عذراء يشكل أيضاً همّاً للأحداث. وفي ظل تاريخ حافل بالتمييز العنصري وعدم المساواة، ونظام حكومي عنيف وأبوي إلى حدّ كبير، والظروف الاجتماعية الاقتصادية المأساوية التي تجعل الرجال السود يشعرون بالعجز باستمرار، لا غرابة في أن الفتيات تُكوّن أنوثاتهن وجنسائياتهن مستندات إلى خطاب الخوف من الإيدز والرجال حيث "الرجال لا يبالون" ويغتصبون.

من دون محاولة تقليل الخوف الذي من خلاله تُكوّن جنسانيات الفتيات، وكون الفتيات عرضة للأذى، من المهم أيضاً أن نفهم أن الفتيات اللواتي ينشرن مفهوم أن الجنسية خطيرة، هن الفتيات اللواتي يعزّز أهلن تعرضهنّ للأذى ووضعهن "كضحايا" من خلال تحذيرهن من الرجال.

3.3 مقاومة الحق بالمعرفة

حين سئل أولاد صغار هل يجب أن يتحدّثوا عن فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز في الصف كانت الردود الساحقة "لا"، و"لن يكون ذلك حسناً"، و"يجب أن لا يناقش الصغار الجنس":

الباحثة: أمن المفروض أن نتكلم على الإيدز؟
نكانيزو (Nkanyiso): كلا.

الباحثة: لماذا؟

نكانيزو: لأن ذلك لا يشعرنا بالراحة.

الباحثة: لماذا؟

ثابيزو (Thabiso): لا نود أن نتحدّث عنهم.

الباحثة: لماذا؟

ملونغيزي (Mlungisi): لا نحب أن نتعلم أشياء سيئة.

سيليندايل (Silindile): هذا ليس حسناً.

الباحثة: لماذا؟

ملونغيزي: لأن ذلك يجعلنا نفعلها أيضاً.

الباحثة: ستفعلها أنت؟

سيليندايل (Silindile): قد تقول فتاة لصبي "تعال نمارس الجنس معاً".

نكانيزو: سيصفعنا... المعلمون.

الباحثة: لماذا؟

سيليندايل: لأن ذلك خاص بالكبار.

في مقاومتهم حق معرفة شيء عن فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز وعن الجنس، كان الأطفال يعودون إلى خطابات براءة الطفولة على الرغم من كثرة معلوماتهم. وتبينّ هذه التناقضات بوضوح النضال الدائم الذي على الأطفال تحمله

إن قوى اجتماعية واقتصادية معقدة في جنوب أفريقيا لا تزال تشكل تجربة الجنسية والحقوق الجنسية وهذه الأخيرة تحدّد إمكانية العمل. تزداد أهمية قضايا السلطة، وعدم المساواة في النوع الاجتماعي، والقمع الجنسي بالنسبة إلى الشابات والشبان في هذه الدراسة وهي دليل المخاطرة التي تنتظرهم فيما بعد. يتخذ الأطفال موقفاً من أنفسهم ومن معرفتهم بالنسبة إلى عالم البالغين بطرق تؤثر في حقهم بالعلم والمعرفة وحياتهم - مثال على ذلك، ربطهم الجنس والإيدز "بأشياء للكبار".

تظهر حرية الفتيات وتعرضهن لأذى فيروس نقص المناعة المكتسبة في إبقائهن جنسائتهن ضمن إطار خطاب الخطر والخوف المتصلين اتصالاً وثيقاً بالبيئة التي يعشن فيها. وعلى الرغم من قولنا إن الحقوق مجال فعال للرفض والأخذ والتأكيد، فليس أمام الشابات إلا خيارات قليلة جداً لممارسة استقلاليتهم في بيئات العنف الذكوري؛ كذلك لن يكون أمام الأطفال، ذكوراً وإناثاً، خيار أكبر ما دام هناك عقاب جسدي.

لقد أدّى فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز في جنوبي أفريقيا إلى جعل مجال النضالات الجنسية وإمكانية أن يكون للطفل حقوق جنسية أكثر وضوحاً. فمعاملة الأطفال كونهم أشخاصاً ذوي جنس، يتكلمون ويعرفون ويختبرون، وأخذ همومهم وأفراحهم ومخاوفهم مأخذ جد، كما حاول أن يفعل هذا البحث الذي بنيت عليه هذه المقالة، إن هذا كله يستطيع أن يكون مساحة تمكّن الأطفال من معرفة حقوقهم وممارستها. وهذا يشير بوضوح إلى الحاجة لمعلومات عن الجنس والانفتاح في تربية الأطفال منذ الصغر، وأن يعامل الأطفال معاملة مبنية على احترام الحقوق - احترام حقهم بالتفكير في الجنس والجنسانية، وحقهم بالتكلم على الحقوق الجنسية وحقهم في التصرف.

في محاولة تقديم أنفسهم كأطفال مثاليين. إن نشر براءة الطفولة أداة استراتيجية في صناعة ما يرويه البالغون عن الطفولة. إن تبني موقف البالغين هذا يعني السماح لبراءة الطفولة بأن تزدهر، ويؤكد التسلسل الهرمي - والأطفال الذين يصرون على حق المعرفة يُحرمون التمتع ببراءة الطفولة التي مع أنه يغلب عليها طابع الأسطورة، هي ذات أثر قوي في حياتهم.

إن سيليندايل، من خلال تأييد مخاوف البالغين بخصوص الجنسية والأطفال، تُعيد إحياء الأفكار المغلوطة التي تدّعي أن الأطفال الذين يعرفون عن الجنس يمارسونه. إن رفض حق المعرفة والتفاوض من أجل المعرفة لا يدخلان فقط في مجال مفاهيم البالغين عن جنسانية الأطفال وإنما أيضاً في المعرفة الملموسة بأنهم "سُيُفَعُونَ". واللافت أن العقاب الجسدي مُنَع في جنوبي أفريقيا منذ 1996، ولكن ممارساته لا تزال موجودة كما تبين الأبحاث وشهادات الأطفال أنفسهم (Deacon et al. 1999)، وهو يؤثر الخوف ويحد من أصوات الأطفال الجنسية ويكبتها.

4 الخلاصة

إن نشر وتأكيّد الفكرة أن حقوق الأطفال حقوق جنسية لن يكونا فعالين بحد ذاتهما، بما أن الأطفال أنفسهم يتحدثون عن حقهم بالمعرفة ويتكلمون على الجنس. ومن التبسيط في محيط جنوبي أفريقيا أن نزع أن الأطفال ينتظرون فقط تنفيذ الحقوق الجنسية. وفي المقابل، أظهرت هذه المقالة كيف "يمارس" الأطفال الحقوق الجنسية وكيف أن هذه الحقوق متأثرة بالطبقة والعرق والنوع الاجتماعي. كما أظهرت أن للأطفال فضولاً جنسياً لا ينضب، إلا أنه ملطّف ومكَيّف وخاضع للتفاوض. ويمكن أن نعتبر أن فاعلية الأطفال وتأكيد حقوقهم والتفاوض فيها قد شكلتها وخلقتها وقيدتها بيئاتهم الاجتماعية، وهم أيضاً يشكلونها ويستمدون قوتهم منها.

- Deacon, R., Morrell, R. and Prinsloo, J. (1999) 'Discipline and Homophobia in South African Schools: The Limits of Legislated Transformation', in D. Epstein and J. Sears (eds), *A Dangerous Knowing: Sexual Pedagogy and Popular Culture*, London: Casell
- Department of Health (2005) *Summary Report: National HIV and Syphilis Antenatal Sero-prevalence Survey in South Africa 2002*, Republic of South Africa: Department of Health, Health Systems Research, Research Coordination and Epidemiology
- James, A., Jencks, C. and Prout, A. (1998) *Theorising Childhood*, Cambridge: Polity Press
- Mitchell, C. and Smith, A. (2003) 'Sick of AIDS: Life, Literacy and South African Youth', *Culture, Health & Sexuality* 5.6: 512-22
- O'Sullivan, L.F., Harrison, A., Morrell, R., Monroe-Wise, A. and Kubeka, M. (2006) 'Gender Dynamics in the Primary Sexual Relationships of Young Rural South African Women and Men', *Culture Health and Sexuality* 8.2: 99-113
- Phillips, H. (2004) 'HIV/AIDS in the Context of South Africa's Epidemic History', in D. Kauffman and D. Lindauer (eds), *Aids and South Africa: The Social Expression of a Pandemic*, Basingstoke: Palgrave Macmillan
- Prout, A. (2000) *The Body, Childhood and Society*, New York: St Martin's Press, Inc.
- Renold, E. (2005) *Girls, Boys and Junior Sexualities: Exploring Children's Gender and Sexual Relations in the Primary School*, London: Routledge Falmer
- Silin, J. (1995) *Sex, Death and the Education of Children: Our Passion for Ignorance in the Age of AIDS*, New York: Teachers College Press
- UNAIDS (2005) *UNAIDS in South Africa*, www.unaids.org (accessed 31 March 2006)
- UNICEF (2003) *Human Rights Approach and Development Programming*, Nairobi: UNICEF
- Waites, M. (2005) *The Age of Consent. Young People, Sexuality and Citizenship*, Basingstoke: Palgrave Macmillan
- Weeks, J. (2000) *Making Sexual History*, Cambridge: Polity Press
- Whiteside, A. and Sunter, C. (2000) *AIDS: The Challenge for South Africa*, Cape Town: Human & Rousseau and Tafelberg

سلطات صغيرة، خيار ضئيل: الحقوق التناسلية والجنسية في إطار أحياء فقراء بنغلاديش

سبينا فايز راشد *

1 المقدمة

كمصدر اقتصادي للبقاء مع الزوج أو لاجذب عريس. في الوقت عينه، إنّ العلاقات الجنسية التي تعيشها النساء مع أزواجهن محفوفة بالتناقضات، إذ أن بعض النساء يتحملن زواجا فاشلا أو جنسا بالإكراه، مما يعرضهن لخطر تجارب تناسلية ضارة.

2 الخلفية

إنّ عدم المساواة البنيوية والاجتماعية والاقتصاد السياسي القاسي والامبالاة الدولة جعلت من فقراء المدن في بنغلاديش فئة مهمشة. لا يعرف الكثير عن مجموع تأثيرات الظروف السياسية والاقتصادية الشاملة والعوامل الاجتماعية والثقافية في تجارب النساء التناسلية الصحية وفي حياتهن. وبناء على معلومات طب أنثروبولوجي نقدي¹ تبين هذه المقالة كيف أن حيوات الشابات التناسلية والصحية في الأحياء المدنية الفقيرة مترسّخة في بنى حياتهن الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

لقد أدّى إنتقال أسر ريفيّة فقيرة بسرعة إلى دكا إلى زيادة سريعة في نمو عدد سكان المدينة، وإلى مستوطنات فقيرة جداً وتفاقم الفقر. إنّ مجموع 40 إلى 70 بالمئة من النمو السكاني المدني يعود إلى الهجرة من الريف إلى المدينة (Wood 1998). World Bank and Bangladesh Center for Advanced Studies 1998. Islam et al. 1997. وبينما يعيش 60 بالمئة تقريباً من فقراء المدينة في فقر مدقع، يعاني الباقيون قساوة العوز، إذ تعيش الأسر بدخل شهري للعائلة يساوي \$44

ماذا نعني حين نتكلم على حقوق النساء التناسلية والجنسية، خصوصاً في بيئات فقر مدقع وتغييرات اجتماعية واقتصادية سريعة في الأحياء الفقيرة في مدينة دكا؟

في هذه المقالة أودّ أن أناقش تطوّر بعض العوامل التي تؤثر في تجارب الشابات التناسلية والصحية في ظروف التمدين السريع والفقر المدقع الأوسع. كوني عالمة في الأنثروبولوجيا، قمت خلال كانون الأول 2001 وكانون الثاني 2003 بدراسة ميدانية شاركت فيها 153 فتاة متزوجة تتراوح أعمارهن بين الـ 15 و 19 سنة، في حي فقير من دكا. شمل عملي الميداني 50 مقابلة معمّقة، ودراسة ثماني حالات، ومشاهدات (observations) وتدوين ملاحظات خلال هذه المشاهدات، ومناقشات مع أفراد ينتمون إلى العائلات والمجتمعات المحلية. وقد بيّنت المعلومات التي جمعتها أنّ هناك تحوّل في ممارسات الزواج التقليدية في الأحياء المدنية الفقيرة، حيث أنّ 81 من 153 شابة تزوجنّ زواج حب. إنّ الصعوبات الاقتصادية تجبر شابات كثيرات على العمل في مصانع الملابس لكسب لقمتهن، وهذا يعرضهن للرجال في المجال العام وفي العمل. من جهة، يؤمن العمل لهؤلاء الشابات الإستقلالية وحرية التنقل (mobility) وحرية أكثر لاختيار شركائهن، ولكن من جهة أخرى أدّت البيئة المدنية إلى تفاقم عدم الاستقرار الاجتماعي والزوجي. في وجه عدم الاستقرار هذا كثيراً ما تتكل المراهقات المتزوجات على جنسانيتهن

أميركيًا فقط² (حسب الإحصاءات العائدة لعام 1995) (Wood 1998, Perry 2000). بالإضافة إلى ذلك، عام 2002، شكّل سكّان الأحياء المدنية الفقيرة 30 بالمئة من مجموع سكّان دكا الأربعة عشر مليوناً.

يعجز المهاجرون عن إيجاد مسكن يحتملون إيجاره فيعيشون في سكن غير مستقر، حيث يبنون أو يستأجرون غرفاً صغيرة أرضها من الطين وسطوحها من القصب أو التنك/البوليثين في مستوطنات تقام على أراضٍ فارغة أو غير مستخدمة على أطراف المدينة، ولا يعرفون أبداً متى ستدمر فيصبحون من غير مأوى (Islam 1996). ومثل على ذلك مدينة فولباري (Phulbari) التي أجريت فيها هذه الدراسة، والتي فيها نسبة مرتفعة من الأسر المحتلة، ومعظم الفقراء كانوا قد سكنوا هنا بعد أن طردوا بالقوة عام 1975 من أماكن مختلفة في المدينة (Afsar 2000). إنّ الأرزقة ضيقة وصغيرة ومزدحمة جداً؛ الغرف مظلمة ورطبة ولا تهوئة فيها. إنّ معظم مصارف المياه تفيض بالماء والصرف الصحي والبراز خصوصاً في موسم الأمطار. والمراهقات المتزوجات معرّضات بصفة خاصة للأذى في مثل هذه البيئة في الأحياء الفقيرة.

3 علاقات غرامية وممارسات زواج متغيرة
إنّ الزواج محبّد في بنغلاديش اجتماعياً وثقافياً ودينياً. والزواج والأومة هما المصدران الوحيدان اللذان من خلالهما تحظى المرأة بمكانة مقبولة. لذلك يشكل الزواج نقطة تحوّل في حياة الشابة - إنه "طقس" (rite) تحوّل أساسي يتوقّف عليه مستقبلها وحظها المادي والمعنوي (Rozario 1992; White). وقلّما كتب عن ممارسات الزواج وتجارب المراهقات في حياتهن الزوجية؛ أي أنه قلّما كتب عن قدرة النساء على التفاوض الجنسي ومستويات استقلاليتهن وفرص اتخاذهن القرار وعلاقتهن

بأزواجهن. إنّ الدراسات القليلة المتوافرة تقدّم معلومات مفيدة عن قيم المجتمع ومعاييرته التي تحدّد علاقات النوع الاجتماعي ومكانة الإناث، ولكنها تبرز صورة لحيوات المراهقات متجانسة إلى حد بعيد وغير متبدّلة (Rozario 1992; Khan et al. 2002; Aziz & Maloney 1985).

على الرغم من المحافظة على كثير من المعايير التقليدية، كالزواج الذي يديره أعضاء الأسر، يبدو أن تغييرات تحصل في الأحياء المدنية الفقيرة. في حين كان زواج 72 من الشابات زواجاً مدبراً، قالت 81 شابة إن زواجهن كان زواجاً حب/خطيفة³ أي من دون إذن الأهل. ولقد بيّنت المشاهدات (observations) أن الفقر يدفع الأهل بشكل متزايد إلى الاعتماد على عمل بناتهن العازبات خارج البيت ليحصلن على دخل، وبعض الأهل لا يستطيعون أو لا يرغبون في تزويج بناتهم سريعاً. وبالنسبة للمراهقات العازبات يسهل التعرف إلى شبان قد يصلحون أن يكونوا شركاء في المناطق المدنية إن تزداد فيها فرص الاختلاط برجال لا يقربونهن، وهذا ما تؤكده أبحاث أخرى (Naved et al. 1997). إنّ بعض النساء المراهقات تكلمن على تجاربهن في اتخاذ مبادرة فعالة إلى بدء علاقات مع رجال وملاحقتهن، فيما لجأت بعض الشابات إلى المناورة، وتحدّثت أخريات عن تبادل رسائل وقيل. ومع أن ولا واحدة منهن اعترفت بجماع قبل الزواج، إلا أن الإشاعات والتكهنات نقلت عن أزواج شبابية (young couples) معينة قيل إنهم تضاجعوا قبل الزواج.⁴ وكثيراً ما يساعد أصدقاء شبان وشابات تربطهم علاقة غرامية على الالتقاء فيخترعون أعذاراً واهية عن مكان تواجدهم إذا سأل أحداً عنهم، ويجدون لهم أمكنة يلتقون فيها على انفراد. ولقد عُرف عن إحدى ساكنات القسم الأول من الحي أنها كانت تتوجّر غرفتها لشبان وشابات يتعاطون المخدرات ويقيمون علاقات جنسية فيما بينهم.⁵ كما تبين إحدى الدراسات

أنّ القيم التقليدية حول الزواج والجنسانية تؤثر في الشابات، حيث يعمد الرجال أحياناً إلى الوعد بالزواج لإقناع البنات بالمضاجعة أو بالخروج معهم (Amin et al. 1997).

بولو (Bulu) هي شابة في السابعة عشرة من العمر ومتزوجة، وشأن غيرها من الشابات اللواتي أجريت معهن مقابلة كانت صاحبة المبادرة مع زوجها الثاني حين كانا يتواعدان (dating). قالت: "خمسة أيام بعد أن أعطاني الزهرة للمرة الأولى أعطيتها خاتماً بحجر أحمر. قلت: "أرني يدك." مدّها لي ووضعت فيها الخاتم. قال: "لماذا أعطيتني هذا؟ أنا من يجب أن يعطيك خاتماً!" قالت فريدة (Farida)، في الثامنة عشرة ومتزوجة. إن ديلو (Dilu) زوجة أخيها سعت لتقنع أخاها بعلاقة ما وبالزواج:

الكل يعرف أن ديلو تعمّدت الحيلة مع أخي ليتزوّجها. إنها ماهرة جداً ... لقد قرّرت أن تتزوجه. حتى أنها هدّدت بالانتحار إن لم يسمح لها بذلك. لم يكن يرغب أخي بالزواج منها. فقالت للكبار: "إنني حامل بطفله. إن لم يتزوّجني سأنتحر" ... لكنها بدأت تحيض ليلة عرسها!

في بعض الحالات كانت المراهقات يستأجرن صبياناً من عصابات محلية في الحي الفقير لكي "يوزّطوا" شبّاناً في وضع حرج يعرضهم للشبهة فيجبرون على الزواج منهنّ. محمودة (Mahmuda) في الرابعة عشرة من عمرها وعزباء، كانت مغرمة جداً بجمال. أوضحت: "سليم، زعيم العصابة، قال لي: أعطيني ألف تاكا (16\$) فأحمل جمال على الزواج بك. أخبرينا متى ستلتقيان في المرة القادمة وسندعي أننا غافلناكما وحدكما في غرفة. بعدئذ سيجبر على أن يتزوّجك." رفضت محمودة لأنها اعتبرت أن زواجاً بالإكراه في مثل هذه الظروف لن يدوم.

إنّ الاستماع إلى قصص المراهقات يظهر تبايناً بين أيديولوجيات النوع الاجتماعي التقليدية ووضع الشابات الاجتماعي الجديد حيث تحدث قصص حب وتكسر قلوب وتغازل الشابات الذكور، لا بل يغشّشنهم أحياناً. وقد اعترفت قلة منهن بالمضاجعة. إنّ قصّة ديلو مثل واضح: لقد كانت قوية الإرادة ومستقلّة في تفكيرها، وبدلاً من أن تخضع للرفض، أصرّت على الزواج من الشاب. ما يلفت النظر هنا أنها لم تشعر بمهانة حين اعترفت بأنها حامل، بل بالعكس، كانت تعلم أن أسرة الرجل التي كانت تسكن في نفس الحي ستعرض للمهانة في المجتمع إن لم يفعل ما كان منتظراً ويتزوجها. ربما كان عاملاً هاماً أن ديلو كانت ابنة ملاك غني نسبياً في فولباري. والدها هو أغنى وأقوى نفوذاً من أفراد أسرة حميها الذين كانوا ملاكين أشدّ فقراً. ومثل هذه الحالات تبين أن الشابات، على غرار الرجال، يستطعن استخدام السلطة والنفوذ على رجال أكثر عوزاً إذا توافرت لهن موارد ذات قيمة، وفي حالة ديلو شكّلت الطبقة والمكانة والغنى هذه الموارد. هذا يسلط الضوء على أهمية هذه العوامل في فهم علاقات السلطة ومدى الحيلة التي تتوافر للشابات.

إلا أن اللواتي في وضع ديلو قليلات جداً. وغالباً ما يتسبب عدم الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي في علاقات زوجية متوترة وقصيرة، تاركة النساء الشابات أكثر عرضة للأذى.

4 عدم استقرار الزواج

كانت مشكلة عدم الاستقرار الزوجي موضوع اهتمام معظم النساء في الأحياء الفقيرة اللواتي اعتبرنّ أنّ الفقر والمطالبة بمهر لم يدفع والبطالة وتعاطي المخدرات هي العوامل التي أدّت إلى هذه المشكلة. من الشابات الـ 153 اللواتي اشتركن في هذه الدراسة كانت 17 منهنّ مفترقات عن أزواجهن أو كان أزواجهن قد تركنهنّ. بالإضافة إلى ذلك،

أو يساهمون في مصاريف البيت. ولكن فضّلت المراهقات البقاء مع أزواجهن "الغائبين جزئياً" على أن يبقين وحدهن، وكُنَّ مستعدات لتحمل زواج أزواجهن الثاني، لأنهن يحصلن في مقابل ذلك على استمرار القبول الاجتماعي والأمان الجسدي والاقتصادي. وقد أوضحت مرافقة وهي أمّ طفل:

إن كان زوجي غائباً عني، ماذا بإمكانني أن أعمل؟ كيف أستطيع أن أهتم بطفلي وأربيّه؟ إن المرأة بدون زوج هي تحت ضغط مستمر - ماذا سيحدث لي؟ هل سيؤذي أحد؟ يعطيني زوجي أربعين تاكاً لشراء الحاجات. لو لم يكن لي زوج لاضطرت إلى تدبير أمرى بقدر قليل جداً. هل سأنزل إلى الشوارع لأجد عملاً؟

على غرار غيرها من المراهقات المتزوجات كان لنسيمة (Nasima) طفل صغير وإمكانيات عمل محدودة جداً. ففضّلت أن تتحمل ضرّتها على أن تحاول تدبير أمرها بنفسها. إنّ بعض المراهقات عبّرن عن مشاعر محبة تجاه أزواجهن، وظلّت خيانة أزواجهن وزواجهن الثاني ممّا يحزّ في نفوسهن. وكان معظم الشابات أيضاً عمليات في تبرير عدم ترك أزواجهن. وقد صرّحن جميعاً: "هل ترك الزوج سهلاً؟ هل بإمكانني أن أتركه بكل بساطة؟ كم مرة ستتزوج الفتاة في حياتها؟ ما العمل لو كان الزوج الثاني أسوأ من الأول؟"

إنّ فرص العمل في المدن قليلة بالنسبة للنساء ومحصورة في مجال ضيق: في مصانع الملابس أو كخدمات منازل، أو في كسر الطوب (brick breaking) الشائع بين النساء الأكبر سناً ويشكّل مكانة وضيفة جداً ويؤمّن أجراً متدنياً جداً.⁷ إنثنتان من النساء الشابات المهجورات المستجوبات عملتا في الجنس لتدبير أمر أسرتهما. في الحالة الأولى، كانت أسرة المرأة عالمة بعملها وقبلت به بما أنها كانت تساهم بكرم في مصاريف الأسرة.

بين الخمسين اللواتي أجريت معهنّ مقابلات مُشعبة تفصيلاً وأبعاداً أجابت سبع منهن أن هذا كان زواجهن الثاني. وأربع من بين هؤلاء السبع كن تتقاسمن الزوج مع زوجة أخرى. ومزيد من الأسئلة بيّن أن ثلاثاً أخريات يشككن في أن يكون للزوج امرأة أو زوجة أخرى.⁶ واللواتي كان أزواجهن قد تركنهنّ وجدن أن ظروف العمل والمرتبات المتدنية والتمييز الاجتماعي والاقتصادي في الحي وفي مكان العمل قد جعلهن في وضع أسوأ من ذي قبل، وهذا ما أكّده أبحاث أخرى (Jesmin & Salway 2000). وتحدثت الشابات عن عدم الأمان الجسدي بالنسبة لمن تعيش وحدها والحاجة إلى حماية ذكر، سواء كان الأب أو الأخ أو الابن أو "عماً" وهمياً.

إنّ الدراسات القليلة المتوافرة تثبّت أن التفكّك الاجتماعي وعدم تجانس السكان المدينيين يزيدان الزواج تفكّكاً وانهيأراً. ثم إن زواج الحب يعني الزوجين وحدهما أكثر من أفراد الأسرة الآخرين، ولذلك يكون تدخّل الأسرة الموسّعة والأقارب مستبعداً حين تبدأ الخلافات. وبما أن معظم الأسر في الأحياء الفقيرة تميل إلى الأسرة النووية، يكاد يزول دعم الأسرة الموسّعة، كما اتضح أيضاً في أماكن أخرى (Salway et al. 2003). إذ أثبتت إحدى الدراسات أنّه، بما أن الأحياء الفقيرة مجهولة نسبياً، يسهل على الرجال والنساء إخفاء تاريخهم الزوجي، فيغيّرون مكان الإقامة ويتزوجون ثانية من غير أن يُعرف ذلك، وعليه يكونون أقل عرضة للعقاب (Jesmin & Salway 2000). فيما يفرض الإطار التقليدي للزواج المدبّر عدداً من القيود على الشابات، إنّ زواج الحب في المناطق المدينية يؤمّن لهنّ خياراً وحرية أوسع، ولكن من باب السخرية، إنه أقلّ أماناً ويقيناً.

ادعى معظم المراهقات اللواتي قابلتهن أنّهن متزوجات حالياً، ولكن في الحقيقة لم يكن أزواجهن جميعاً يقيمون بانتظام في البيت الزوجي

بجنس عنيف“، مما كان يزعجها ويؤلمها وقد أدّى إلى معاناتها الحكاك والإفراز. قالت:

لا يستمع إليّ أبداً، حتى إذا قلت: كلا، لا يرد. جسمي يؤلمني بعد المضاجعة. إنه قوي جداً ولا يقبل بقولي ”لا“. يقبض عليّ ويدفعني إلى السرير. لا أصرخ خجلاً. والدته تنام في الغرفة المجاورة. إذا سألتها فيما بعد لماذا فعلت ذلك معي، يعانقني ويضمني إليه ويقول: ”لن أفعل ذلك أبداً بعد اليوم.“ ولكن حين يصبح ثانية تحت تأثير المخدرات يكرّر ما فعله. وبعد حادثة معينة كنت متألّمة جداً فحمّ بعض الماء وأتاني به كي أغتسل.

تعتبر المراهقات المتزوّجات أن كل أنواع الإفراز مقلقة جداً ويخشين أن يؤدي ذلك إلى ضعف وفقدان الكليسيوم⁹ ونتائج أسوأ كالدماغ وسرطان الرحم الذي يُظن أنه يسبب العقم. وفيما رأين أن المضاجعة الكثيرة هي سبب الإفراز والألم والحكاك، لم تستطع المراهقات رفض طلبات أزواجهن خوف أن يذهبوا إلى غيرهن لإشباع حاجاتهم. إن التقاليد الاجتماعية والثقافية تفرض على النساء أن يكن متيسرات جنسياً ومذعنات لشركائهن. وحين شكا بعض الشابات أمرهن إلى أمهاتهن وعمّاتهن وبخّنهن وأشرن عليهن بأن يتحملن الألم وبأن ”كل شيء سيتحسن مع الوقت“. وهناك أقل عدداً من المراهقات اللواتي قلن إنّ علاقاتهن الجنسية مع أزواجهن كانت ممتعة للطرفين، ومراهقات قليلات أخريات شكّون أنّ أزواجهن لا يشبعونهن وحين طالبنهم بالمزيد كان عذرهم الضعف والإرهاق الجسدي. إلا أنّ هؤلاء يشكّكن استثناء. ففي أكثر الأحيان تكون النساء في مأزق أن يحاولن إرضاء الأزواج وتلبية حاجاتهم الجنسية ضد رغبتهن (Stark 1993; Khan et al. 2002). هذا يسلط الضوء على دور أنظمة النوع الاجتماعي والجنسانية في تعزيز تعرّض الشابات للأذى.

وفي الحالة الثانية كانت الشابة تعيش وحدها ولم تكن لها عائلة في الحي الفقير. ولكن بعد أن أصبح عملها معروفاً، اضطرت إلى مغادرة هذا الحي بعد أن أخذ القواد (leaders) يتحرّشون بها جنسياً. من الصعب تقدير مدى انتشار مثل هذه الحالات بسبب حساسية الموضوع، ولكن من المرجح أنها ليست نادرة. ختاماً، على نقيض الشبان المراهقين، لا تستطيع المرأة الشابة أن تعمل بدون خوف من الاغتصاب والتحرّش الجنسي داخل الحي الفقير وخارجه. أمّا كونها متزوّجة ووجود زوج أو ذكر آخر يحميها يؤمّن عادة درجة معينة من الحماية من الرجال الغرباء.

ستوضح المناقشات التالية كيف تساهم هذه العوامل جميعاً في إكراه الشابات على تحمّل زواج صعب تكون نتائجه تجارب تناسلية ضارة وسلوكاً مضراً.

5 الحيوّات الصحية التناسلية والجنسية لمراهقات متزوّجات

5.1 يطلب الجنس باستمرار ولا أستطيع أن أرفض! تعتبر المراهقات المتزوّجات أنّ الفقر المزمّن وعلاقات السلطة وعلاقات النوع الاجتماعي المصحّفة بحق المرأة، بالإضافة إلى الضغوطات الاجتماعية والثقافية، عوامل تجعلهن عرضة لأمراض تناسلية. وقد بيّنت المناقشات أن نساء كثيرات ربطن بين بدء إفرازات غير طبيعية وغير ذلك من الأمراض النسائية وبين الزواج المبكر، وبدء علاقات جنسية في سن مبكرة، وكثرة المضاجعة مع أزواج متطلبين يرفضون التنازل عن مطالبهم.⁸ أظهرت أحاديثنا مع الشابات أن الجنس بالإكراه أمر شائع في الحياة الزوجية. روزينا (Rosina) التي كانت في الرابعة عشرة وتزوّجت عن حب، توطدت علاقتي بها خلال عملي الميداني، فأفضت إليّ أن ”زوجها كثيراً ما يتأثر بالمخدرات التي يتناولها ويعود إلى البيت مطالبا

سمعت أنه تزوجها. لقد كانت زوجته الثالثة.

تمثل جشنا حالة استثنائية، فمعظم النساء لا يرغبن في التحدث عن تجربتهن الخاصة في إصابتهن بمرض انتقل إليهن بواسطة العلاقات الجنسية. وقد أظهرت الأحاديث أن للنساء على ما يبدو شبكة من الأقارب والأصدقاء المقربين يمكنهم دعمهن، ولكن يبقى الخوف من افتراء النساء الأخريات في الحي. هذا أهم الأسباب المؤدية إلى السكوت عن مثل هذه الأمراض:

يا أخت (Apa) يجب أن تنبهي إلى ما تقولين ولمن، لأنهم سيفضحون كل أسرارك إذا حدث خلاف. إذا سمع الناس أن لي مشكلات إفراز سيقولون أن أخلاقي سيئة. إذا بُحْتُ بأمر ما لامرأة ستنقله بدورها إلى امرأة أخرى. ثم ستتحدثان فيما بينهما وتقولان، ”أنظري، هذا ما تحدثت به وبلا حياء. لا بد أنها تسيء التصرف.“ ثم يعقب ذلك الكلام السيئ.¹⁰

إن الإصابة بمرض منقول جنسياً تُقرن باتصال جنسي غير شرعي وتنعكس سلباً على الشخص. في بنغلاديش كان تنظيم الأسرة يُفصل تقليدياً عن الخدمات الأخرى، بما فيها الأمراض المعدية جنسياً، مما أثر في قبول المجتمع المحلي له ولكنه ساهم في لصق وصمة بالصحة الجنسية. كانت رسائل الصحة العامة المتعلقة بالأمراض المعدية جنسياً تستهدف عمال الجنس باعتبارهم ناقلي المرض الأساسيين. وعليه استمر اقتران استخدام الواقي الذكري بالاتصال الجنسي غير الشرعي ولا يحتاج الأزواج إلى استخدامه.

إن المعيار هو أن خيانة الرجال متوقعة وأن لهم بطبيعتهم ”رغبات شديدة لا يسعهم التحكم بها“ فيما يُنتظر من النساء الشابات أن يكنّ وفيات ومخلصات. وبالتالي فإنّ هناك إدواجية في

5.2 الأمراض المعدية جنسياً والعجز عن التفاوض كما بيّنّا أعلاه، إنّ التمسك بالزوج مهم جداً. وبعض المراهقات المتزوجات اعترفن بأنهن غضضن الطرف عن سلوك أزواجهن وتحملن العلاقات خارج البيت الزوجي والضرائر مقابل الأمان والاحترام. وبعض الشابات يرين في علاقات أزواجهن الجنسية مع الضرائر ونساء أخريات أسباباً تعرّضهن لخطر إفرازات غير طبيعية وغير ذلك من الأمراض ”السيئة“. وتدور مناقشات حول الصحة الجنسية همساً ويُقال فيها إنّ أحد أسباب هذا الصمت هو الوصمة المحيطة بالأمراض المتعلقة بالجنس. ولكن الصمت أيضاً هو شكل من أشكال الإنكار: إنّ طريقة في التعامل مع واقع العيش مع أزواج يخونون ومع العجز عن تغيير ظروفهن الاجتماعية والمادية.

لقد قالت لنا عشر مراهقات متزوجات إنّ أزواجهن يعانون الإفرازات والدمامل والقروح على القضيب والحكاك. ومراهقة واحدة فقط قالت إنها مصابة بعدوى انتقلت إليها بالجنس (”إفراز رديء“). جشنا (Joshna) التي هجرها زوجها مؤخراً بعد أن نقل إليها مرضاً جنسياً قالت:

لم أعرف أنه مريض. تضاجعنا كالمعتاد وبعد ذلك ببضعة أسابيع غطت القروح قضيبه كله وحتى خصيتيه. كان الحكاك قوياً جداً. وخرج قيح وسائل. بعد مدة قصيرة عانيت أنا إفرازات قويا ذا رائحة كريهة وحكاك. ذهبت مع والدتي عند طبيبة للعلاج. لم أرد أن أذهب إلى المستوصف المحلي في الحي لأنهم سيبحون بالأمر.

انتشرت شائعات في الحي أن جشنا، بعد أن هجرها زوجها، كانت على علاقة جنسية مع تاجر مخدرات معروف في الحي يدفع مصاريفها ويهتم بها. وحين كنت على وشك إنهاء عملي الميداني

فقراء. نعيش جميعاً في غرفة. لكم أنتم رفاهة
غرف منفصلة. أما نحن فنبقى جميعاً في غرفة
واحدة يعيش فيها ويناام الأم والأخ والابنة والابن
والزوج. وحين نريد أنا وزوجي أن يضاجع بعضنا
بعضاً علينا القيام بذلك بسرعة قصوى ... ويكون
أشد ما يهمني أن لا يرانا أحد!

إنَّ الفقر، المُثل الإجتماعية/الثقافية وعلاقات
النوع الإجتماعي تجعل طلب الواقي الذكري
صعباً، والشابات لا يردن الإلحاح كي لا يعادين
أزواجهن. إنَّ سرير الزواج مكان يؤكّد مكانة المرأة
كزوجة مرغوب فيها (وبالتالي أمنها وحمايتها).
حين يضاجع الرجل زوجته يبين لها أنها في
أمان داخل الأسرة واختيارها كشريك في الجنس
هو اعتراف بقيمتها. تلبي هنا أيضاً الحاجة إلى
العطف والقبول والمتعة (Stark 1993: 44). وفي
غياب موارد مادية لا تستطيع المرأة أن تقدم غير
جنسانيتها وأن تخادع لكي تحتفظ بعاطفة زوجها
(أو غيره من الرجال)، مع أن الشباب يعلمون أنهم
يخاطرون مقابل ذلك بصحتهم التناسلية. وإحدى
النتائج الناجمة عن عدم معالجة عدوى جنسية
هي زيادة قابلية التعرض لعدوى فيروس نقص
المناعة المكتسبة. وهناك دراسة أجريت عام 1996
على 542 رجلاً و993 امرأة في خمسة من أحياء
دكا الفقيرة سجلت أن 11.5 بالمئة من الرجال
و5.4 بالمئة من النساء مصابون بداء الزهري،
وهناك 5.8 بالمئة من الرجال و2.9 بالمئة
من النساء مصابون بالتهاب الكبد، فيما كان
المصابون بالسليلان والكلاميديا أقل من 1 بالمئة
عند الجنسين (Sabin et al. 1997).

6 الشباب والجاذبية الجنسية يوفران سلطة اقتصادية

فيما أنَّ الصحة التناسلية هي من هموم الشباب،
تبيّن أحاديثهن كذلك أنَّ من همومهن بقاء الرغبة
بهن وبنسبتهن في حياتهن الزوجية. إنَّ بعض

المقاييس الجنسية تسمح بتعدد الزوجات للرجال
فيما يجري السيطرة على جنسانية النساء. ولكن
الواقع يختلف أحياناً: فلقد أشارت نساء الحي
الفقر إلى شابات هُجرن أو كنَّ ضرائر يضاجعن
رجالاً آخرين مقابل الطعام والمال أو غير ذلك
من مكافآت. ومع أن بعض المراهقات المتزوجات
يعين أن الواقي الذكري يحميهن من الأمراض
المعدية جنسياً، فإن واقع حياتهن يجعل من
الصعب عليهن طلب استخدامه. وإذا أصرت الزوجة
على استخدام الواقي الذكري فقد يوحى ذلك بأنها
خانت الزوج في غيابه أو أنها لا تثق به. كما أنه
ليس نادراً أن يشعر بالغيرة رجال كبار في السن
تزوجوا امرأة ثانية أصغر منهم سناً، وأن يشكوا
في وفاء زوجاتهم. كما تبين Sobo في دراستها
عن النساء داخل مدن الولايات المتحدة، إذ تفرض
المثل الثقافية (cultural ideals) أنَّ علاقة صحية
(الزواج) "تلتزم شريكاً خالياً من المرض".
وترى أن استخدام الواقي الذكري يدل على أن
للشريكين علاقات جنسية مع آخرين وينذر بعدم
الثقة المتبادلة. وعليه، إلى حدٍّ ما، يدل استخدام
الواقي الذكري على علاقة فاشلة، وبالعكس، يعني
الجنس غير الآمن علاقة حميمة (Sobo 1997). إنَّ
هذه المفاهيم تجعل من الصعب التوعية لاستخدام
الواقي الذكري وقبوله في بيئة المدينة الفقيرة.

بالإضافة إلى ذلك يرفض معظم الرجال استخدام
الواقي الذكري. أربعة فقط من 153 من أزواج
المراهقات قبلوا مسؤولية ضبط الخصوبة ووافقوا
على استخدام الواقي في أثناء المضاجعة، وحتى
هؤلاء الأربعة استخدموه بشكل متقطع.¹¹ وفي
هذه الحالة اعتبر استخدام الواقي وسيلة لضبط
الخصوبة أكثر منه ذا علاقة بجنس آمن. إنَّ
القيود العملية تجعل من الصعب استخدام الواقي
الذكري بالنسبة لأزواج من الشباب يعيشون مع
أفراد آخرين من الأسرة في مساحة لا تتجاوز 25
قدماً مربعاً. لقد أوضحت إحدى الشبابات: "نحن

ضرة أكبر منها في السن. وتوضح لماذا تكون هي صاحبة السلطة في الزواج:

زوجي أكبر مني سناً. لزوجته الأولى ثديان كبيران متدليان. ولأنها متقدمة في السن لم يعد يحبها (جنسياً) فتزوج أخرى. لا يهمني أن أكون زوجته الثانية، فتأثيري فيه أكبر وهو يحبني أكثر. لا قوة لزوجته الأولى بتاتا. لا يمكنه إطلاقاً أن يرفض لي طلباً! يهمني ثلثي دخله ويمنعها أقل بكثير.

في بيئة الفقر والمنافسة على الرجال، تستطيع الشابات تأكيد تفوقهن على النساء الأكبر سناً بفضل شبابهن وتصبح جاذبتهم (الجنسية) مصدراً هاماً للسلطة.

7 الخلاصة

تؤدي المراهقات المتزوجات الفقيرات أدواراً متناقضة في أنظمة السلطة المحلية التي تكتنف حياتهن. من غير استقلالية اقتصادية واجتماعية تمارس الكثيرات منهن جنساً مؤلماً فضلاً عن علاقات جنسية خطيرة. ومع أن علاقات النوع الاجتماعي عرضة للتفاوض، إنها خاضعة لعوامل بنيوية واجتماعية خارج سلطة النساء. وتتصرف الشابات بطريقة عملية مما قد يؤدي إلى تفاقم الخطر على أجسادهن وصحتهن التناسلية، ولكن ذلك يكون في مقابل أمنهن. تتخذ هذه القرارات كاستراتيجيات للعيش ولكنها قد تصبح مع الوقت "استراتيجيات موت" للشابات (Schoepf 1998: 107, cited in Lock & Kaufert 1998).

تنظم المراهقات المتزوجات الفقيرات "اقتصاداً سياسياً للجسد" في تفاوضهن على صحتهن التناسلية والجنسية، وكثيراً ما يكون على حساب أجسادهن وصحتهن (Petchesky 2001). إن التجارب التناسلية للمراهقات المدينيات في

المراهقات عبّرن بصراحة عن مخاوفهن من أن يكون "مهبلهن قد ارتخى" من كثرة الجنس والإنجاب، ومن أن يهجرهن أزواجهن في المستقبل من أجل إناث أصغر سناً. ولقد أوضحت شابة:

يريد الرجل مهبلأ مشدوداً، وإذا مارست الجنس كثيراً يتسع المكان. مهبلي حسن ... إنه تماماً كما ينبغي له أن يكون. ليس للرجال مثل هذه المشكلات بما أن سلطتهم أكبر ... لا تتأثر أجسامهم ... ولكن إذا كبر مهبل المرأة انقطع تمتع الرجال! لهذا يتزوج هؤلاء الرجال مرّات عديدة.

كثيراً ما ينشب الجدل والمعارك بسبب الشك والغيرة، إذ يتهم فيها النساء بعضهن بعضاً بإغراء أزواجهن. لقد رويت قصص عن نساء يغازلن رجالاً آخرين، وعن أخريات خنّ جاراتهن وصديقاتهن وحتى أخواتهن بأن فررن مع أزواجهن. الكبيرات في السن والمراهقات المتزوجات على السواء أقلقهن أن يتركهن أزواجهن لنساء أصغر سناً. أوضحت روشانارا (Roshanara) وهي امرأة متزوجة في التاسعة عشرة من عمرها: "كل الرجال كلاب، إنهم جميعاً متشابهون. كلما رأوا فتاة كوتشي (kochi) ¹² ركضوا وراءها."

إستناداً إلى بعض الدراسات، فإن استقلالية المرأة وقدرتها على صنع القرار يتغيّران مع عمرها ومكانتها في الأسرة، وأن هيبة المرأة وتأثيرها يزدادان عادةً كلما تقدّمت في السن (Stark 1993: 110). إلا أن مشاهدتنا والملاحظات التي دوّناها خلال هذه المشاهدات في الحي الفقير بيّنت نقيض ذلك. فالفتيات محظوظات لأنهن شابات إذ بإمكان الواحدة منهن التلاعب بالشيء الوحيد الذي تملك، ألا وهو جسدها، لكسب السلطة. شهناز (Shehnaz) في الخامسة عشرة من عمرها، متزوجة وتقاسم زوجها الذي في الأربعين من عمره مع

- 4 بما أن المجتمع يستنكر بشدة علاقات جنسية قبل الزواج، لا تميل الشابات إلى ذكر جميع تجاربهن الفعلية أو تفاعلهن الجنسي مع آخرين.
- 5 كانت أرملة مسنة وأولادها مدمنو هيروين وكانت هذه وسيلتها في كسب المال.
- 6 مدى الانهيار الفعلي للعلاقات الزوجية ليس معروفاً بسبب الوصمة الاجتماعية التي تطبعه. تظهر الدراسات القليلة المتوافرة أن الهجرة من القرية إلى الأحياء الفقيرة في المدن تفكك نظام العائلة الموسعة وتزعزعها (Jesmin & Salway 2000).
- 7 تُستبعد النساء عن عدد من الأعمال المتوافرة للرجال. من بينها قطاع النقلات (جرّ العربى، سوق سيارات الأجرة الصغيرة، إلخ)، ومعظم الأعمال الحرفية التي تتطلب مهارة (عمل السجاد، الفسيفساء) ومعظم صناعة الخدمات ووظائف التجارة (في الدكاكين/المطاعم، الفنادق، ودكاكين البقالة، وكحلاقات وطباخات) والعمل في أسواق تتطلب الحركة ليلاً (Salway et al. 2003).
- 8 وجد Khan et al. كذلك أن الجنس بالإكراه ظاهرة شائعة نسبياً في الحياة الزوجية. فلقد أعلمتني 32 امرأة من بين الـ 54 اللواتي قابلتهن أنهن يتحملن الجنس بالإكراه بانتظام.
- 9 في مقالة أخرى (Rashid 2005) أركز على كيفية اعتبار النساء الشابات والأكثر سناً أن الإفراز المهبلي يؤدي أيضاً إلى فقدان المواد المغذية والكالسيوم من الجسم، ويسبب هزالاً وأثراً مضرّة بالجسد.
- 10 بالنسبة للمراهقات المتزوجات حديثاً يعني العار والحرام المقترنان بالأمراض التناسلية أنهن غالباً ما يمتنعن عن السعي إلى العناية وإشراك شخص آخر في معاناتهن.
- 11 وجد Khan et al. أن الأزواج هم الذين اتخذوا قرار استخدام وسائل منع الحمل، وخصوصاً الواقي الذكري، أو عدم استخدامها.
- 12 في لغة بنغلاديش تعني "كوشي" (Kochi) صغيرة جداً وغير ناضجة.

هذه الدراسة وسلوكهن التناسلي يبرزان قضايا اقتصاد سياسي، والجذور البنيوية للفقر والسلطة والعجز، والهرمية الاجتماعية المتصلة بالسن والنوع الاجتماعي والطبقة، والممارسات الثقافية. وبالنسبة للمراهقات الفقيرات لا يمكن فصل الصحة التناسلية والجنسية عن ظروف الحياة اليومية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وعليه، ماذا تعني الحقوق التناسلية والجنسية بالنسبة لمراهقات متزوجات يعشن في أحياء مدينية فقيرة في دكا؟ إن معناها يختلف كل الاختلاف عما تعني عادة في النقاش حول الحقوق الجنسية: إنها تعني فقدان شيء مقابل تحقيق هش لحقهم في الأمان وتعني سلطة قصيرة المدى - يعرضها الرجال - على نساء أخريات لسن أقل فقراً ولكنهن أكبر سناً. ولكن نادراً ما تعني التحكم بتجاربهن الجنسية أو التصرف بمسؤولية فيما يتعلق بصحتهن الجنسية.

ملاحظات

* لقد أُمّن التمويل لهذا المشروع (Project A 15054) البرنامج الخاص بالبحث، Programme of Research, Development and Research Training in Human Reproduction ومنظمة الصحة العالمية، جينيف. أود أن أشكر كل المراهقات المتزوجات وأسرهن على وقتهن ولطفهن وصبرهن. أشكر أيضاً Nipu Sharmeen. المساعدة في البحث، على مساعدتها القيمة خلال العمل الميداني.

1 يُفهم المرض أنه اجتماعي وجسدي، ممّا يركز على الصلات بين المرض والطبقة الاجتماعية والفقر والسلطة وسوء الصحة، أي الاقتصاد السياسي للصحة (Baer et al. 1997).

2 دولار أميركي واحد يساوي 67 تاكا (بنغلاديش)

3 يسمونه "بريم" (prem) أو "زواج حب" وفي حالات كثيرة قد يفتر الحبيبان ويتزوجان من غير إذن الوالدين، وفي بعض الأحيان قد يساعدهما على الزواج قريب، خالة أو صديق الأسرة. وفي معظم الحالات ترضى أخيراً الأسرة.

- Afsar, Rita (2000) *Rural–Urban Migration in Bangladesh. Causes, Consequences and Challenges*, Dhaka: University Press Limited
- Amin, S., Diamond, Ian, Naved, Ruchira, T. and Newby, Margaret (1997) 'Transition to Adulthood for Working Girls: The Case of Bangladeshi Garment Workers', unpublished paper from 'Adolescence and Marriage Among Female Garment Workers of Dhaka', Population Council Workshop 1997, Dhaka: BIDS (Bangladesh Institute of Development Studies)
- Aziz, K.M.A. and Maloney, C. (1985) *Life Stages, Gender and Fertility in Bangladesh*, Dhaka: International Centre for Diarrhoeal Disease Research, Bangladesh (ICDDR, B)
- Baer, Hans A., Singer, M. and Susser, I. (1997) 'Medical Anthropology: Central Concepts and Development', in H.A. Baer, M. Singer and I. Susser (eds), *Medical Anthropology and the World System: A Critical Perspective*, Westport, CN: Bergin & Garvey: Ch. 1
- Islam, Nazrul (1996) *The Urban Poor in Bangladesh*, Dhaka: Centre for Urban Studies
- Islam, N., Huda, N., Narayan, Francis B. and Rana, Pradumna B. (eds) (1997) *Addressing the Urban Poverty Agenda in Bangladesh: Critical Issues and the 1995 Survey Findings*, Dhaka: University Press Limited (for the Asian Development Bank)
- Jesmin, Sonia and Salway, Sarah (2000) 'Policy Arena. Marital Among the Urban Poor of Dhaka: Instability and Uncertainty', *Journal of International Development* 12: 698–705
- Khan, M.E., Townsend, J.W. and D'Costa, S. (2002) 'Behind Closed Doors: A Qualitative Study of Sexual Behaviour of Married Women in Bangladesh', *Culture, Health & Sexuality* 4.2: 237–56
- Lock, Margaret and Kaufert, Patricia, A. (1998) 'Introduction', in M. Lock and P.A. Kaufert (eds), *Pragmatic Women and Body Politics*, Cambridge: Cambridge University Press: 1–28
- Naved, T. Ruchira, Newby, Margaret, Amin, Sajeda, and Diamond, Ian (1997) 'Female Labor Migration and its Implications for Marriage and Childbearing in Bangladesh', unpublished paper from 'Adolescence and Marriage Among Female Garment Workers of Dhaka', Population Council Workshop 1997, Dhaka: BIDS (Bangladesh Institute of Development Studies)
- Perry, Henry (2000) *Health for All in Bangladesh. Lessons in Primary Health Care for the Twenty-First Century*, Dhaka: University Press Limited
- Petchesky, R.P. (2001) 'Re-theorizing Reproductive Health and Rights in the Light of Feminist Crosscultural Research', in Carla Makhoul Obermeyer (ed.), *Cultural Perspectives on Reproductive Health*, Oxford: Oxford University Press: 277–300
- Rashid, S.F. (2005) 'Worried Lives, Poverty, Gender and Reproductive Health Needs of Married Adolescent Women in an Urban Slum in Dhaka, Bangladesh', paper from unpublished thesis, Australian National University, Canberra, Australia
- Rozario, Santi (1992) *Purity and Communal Boundaries. Women and Social Change in a Bangladeshi Village*, Australia: Allen & Unwin
- Sabin, K., Rahman, M., Hawkes, S., Ahsan, K., Begum, L., El Arifeen, S. and Baqui, A.H. (1997) 'A Cross-sectional Study on the Prevalence of Sexually Transmitted Infections Among Dhaka Slum Dwellers', in S. Hawkes, F. Qadri and G.H. Rabbani (eds), *ASCON VI, 6th Annual Scientific Conference: Programme and Abstracts 1997*, Dhaka: ICDDR, B
- Salway, S., Rahman, S. and Jesmin, S. (2003) 'A Profile of Women's Work Participation Among the Urban Poor of Dhaka', *World Development* 31.5: 881–901
- Schoepf, Brooke, G. (1998) 'Inscribing the Body Politic: Women and AIDS in Africa', in M. Lock and P.A. Kaufert (eds), *Pragmatic Women and Body Politics*, Cambridge: Cambridge University Press
- Sobo, E.J. (1997) 'Love, Jealousy, and Unsafe Sex Among Inner-City Women', in M. Singer (ed.), *The Political Economy of AIDS*, New York: Baywood Publishing Company, Inc: 75–103
- Stark, Norris Nancy (1993) 'Gender and Therapy Management: Reproductive Decision Making in Rural Bangladesh', unpublished PhD Thesis, Southern Methodist University, USA
- White, Sarah, C. (1992) *Arguing with the Crocodile. Gender and Class in Bangladesh*, Dhaka: University Press Limited
- Wood, G. (1998) 'Desperately Seeking Security in Dhaka Slums', *Discourse. Journal of Policy Studies* 2.2: 77–87, Dhaka: Proshika
- World Bank and Bangladesh Centre for Advanced Studies (1998) *Bangladesh 2020: A Long-run Perspective Study*, Dhaka: University Press Limited

الجنسانية وحقوق النساء الجنسية في غامبيا

إيزاتو توراي

1 المقدمة

المرأة. فالقضايا الجنسية الجوهرية بالنسبة لشابة في المدن قد لا تكون هي ذاتها بالنسبة لريفية متوسطة العمر. لذا لا بد من مقارنة تحليلية تأخذ الفوارق الدقيقة بعين الاعتبار، وتكون مبنية على وقائع حيوات النساء المختلفات، وتظهر بشكل واضح حقيقة أن النساء لسن جميعاً متشابهات.

إنَّ الحقوق الجنسية ذات الصدى الثقافي في غامبيا تشمل تعدد الزوجات والزواج المبكر والتحرش الجنسي وختان الإناث والاعتصاب الزوجي/القانوني وإجبار الزوجة على الكف عن المضاجعة بسبب انقطاع الحيض وتجارة النساء والمثلية. إنَّ القسم الأول من هذه المقالة يصف البيئة الإجتماعية الدينية التي تدور فيها النضالات حول الحقوق الجنسية، ويبين أنَّ هذه البيئة ليست متجانسة ولا ثابتة، وتوفّر مساحات للجدل تستغلّها الناشطات النسويات الأفريقيات بطرق عدّة. بعد ذلك تتناول الأقسام التالية كل قضية على حدة موضحة الطرق التي تُركّب بها الجنسية وتُختبَر في حقبات مختلفة من حيوات فئات مختلفة من النساء. إنَّ هذه المقالة ووجهات النظر التي تقدّمها تأثرت بنشاطيتي القاعدية مع زميلاتي في غامبيا حيث عملنا مع نساء فقيرات لا سلطة لهن ومع بنات رُسمت أدوارهن ومكانتهن في كل من جنسانيتهن وحقوقهن الجنسية بشكل محدد وثابت. وأستند فيما يلي إلى شهادات بعض هؤلاء النساء اللواتي قصصن تجاربهن في ورش عمل نظّمتها اللجنة الغامبية للممارسات التقليدية (GAMCOTRAP) وهي المنظمة التي أديرها.

لماذا تثير الحقوق الجنسية، وحقوق النساء الجنسية بصفة خاصة، مثل هذا الجدل، ولا سيّما في أفريقيا؟ في جميع المجتمعات، يتم فهم وتحديد جنسانية النساء على أسس إجتماعية وسياسية، وكثيراً ما تحاط أيضاً بالسرية ولا تكون موضوع نقاش عام. في غامبيا يجتمع هذان العاملان ليصوّرا فكرة الحقوق الجنسية على أنها مستوردة من الخارج وهدفها تقويض الثقافة والتقاليد والكرامة.

وما يزيد المشكلة تعقيداً أنَّ العديد من الناشطات النسويات الأفريقيات يوافقن على أن توصيات "دولية" حول ما يجب فعله للعمل على الحقوق الجنسية والقضايا المتصلة بها – والتي تكتسب سلطة معيارية على الساحة السياسية المعاصرة – كثيراً ما يكون من الصعب تطبيقها على واقع النساء الأفريقيات المعاش. بينما يجب أن تتأسس معاني الحقوق الجنسية وقضايا الجنسانية على القضايا الحقيقية في البيئات المختلفة. من هنا تسعى هذه المقالة إلى المساهمة في هذا المشروع من خلال التركيز على بعض القضايا المتعلقة بالحقوق الجنسية التي تبرز بوضوح بين نساء المجتمع في غامبيا، وتحريّ تفاصيل تأثيرها بأن تصف كيف تعايش النساء في غامبيا الحقوق الجنسية، أو كيف تُحرم منها.

تبين هذه المقالة أيضاً أن القضايا الجوهرية المتعلقة بالحقوق الجنسية ليست واحدة بالنسبة لكل الغامبيات، ولا تبقى كما هي خلال حياة

2 الإطار الإجماعي الديني: خطابات الإنسانية

كان الإسلام ولا يزال ذا تأثير كبير في تركيب خبرات الإنسانية المعاشة في غامبيا. إن الشريعة الإسلامية تحدّد قضايا الإرث والزواج والوصاية والطلاق والترمل والجنس واستقلالية المسلمات الجنسية. إن التركيبات الراهنة "للتقاليد" في الإسلام تدخل كل ما يتعلق بالجنس والجنسانية في إطار الزواج بجميع أشكاله، وكل ما يتعلق بالرغبة الجنسية والمتعة في إطار العلاقات الجنسية بين مغايري الجنس كممارسة معيارية.

ولكن مدارس الفقه الإسلامي المختلفة قدّمت عبر التاريخ تأويلات متباينة لجنسانية النساء. ولقد أكّدت دراسات كلاسيكية وأخرى من العصر الوسيط مثل أعمال الغزالي والمتصوفين، الأبعاد المثيرة للجنسانية في الإسلام. إن التأويلات المعاصرة السائدة مترسّخة في عهد حيث أصبح الإسلام الحديث أكثر تسييساً وتقيداً، تماماً كما أن جذور التصورات الغربية عن الجنسانية متوافرة في الثقافة الفيكتورية التي سعت إلى تنظيم الجنس والجنسانية في إطار الكنيسة. ولقد تحدّثت خطابات ما بعد الحداثة حول الجنسانية بعض التأويلات الإسلامية المقيّدة لتستعيد بعض ممارسات الماضي. إن الناشطات النسويات والتقدميات المسلمات المنخرطات في الاجتهاد قمن بعملية تحليل الجنسانية، وخصوصاً جنسانية النساء. وبذلك أوجدن مجالات بدأت فيها النساء من جميع الأجناس تتساءل إذا ما كانت التفسيرات المحافظة فعلاً متماسكة وتتحرى معنى حقوق النساء الجنسية في مختلف بيئات أفريقيا (Ilkcaracan 2003; Imam 2005; GAMCOTRAP 2002).

3 تركيبات الجنسانية: إنكار الحقوق الجنسية

إن الإطار الإسلامي الإجماعي الديني المحافظ هو عامل قوي في تكوين الأفكار العامة عن الجنسانية،

وبالتالي الحقوق الجنسية في غامبيا، ولكنّه ليس العامل الوحيد. إن أفكاراً عامّة عن التقاليد والثقافة والأسرة والمجتمع المحلي، وذرائع اقتصادية، تؤدّي جميعاً دوراً في هذا المجال. تصف المقاطع التالية بعض أساليب تركيب الجنسانية أو إنشاء مفاهيم معيّنة حولها، والقضايا المتصلة باختبارها، ونتائج انتهاك الحقوق الجنسية في مختلف مراحل حيوات النساء.

3.1 أن تولد كفتاة

إنّ جنس الطفل عند الولادة يؤثر كثيراً في صورة الحقوق الجنسية لكل من الطفل/ة ووالديه/ها. ففيما تعاني الطفلة مبكراً التمييز ضدها في التعليم والعلاقات الإجماعية/الجنسانية، يحدّد جنس الأطفال أيضاً خيارات أمهاتهم الجنسية.

ففيما ترحب الأسر الغامبية بكل من البنات والصبيان، نجد تفضيلاً واضحاً لإنجاب الصبيان. ومن المعروف أن النساء مستعدّات "لمزيد" من الحمل على أمل تحقيق هذه الرغبة. والفشل في تحقيق ذلك يعرّض الأم لخطر الإهمال والعنف الأسري. وتوضح سارجو (Sarjo) مأساتها:

لم أعد الزوجة المفضّلة لأنني لم أنجب سوى بنات، ولا تنفك أخوات زوجي يذكرنني بأنهنّ أتبن بي إلى الحي لأجلب لهنّ وريثاً. عليّ أن أتحمّل كل إهانات زوجي ووالدته وأخواته. يا ليتني كان باستطاعتي أن أنجب صبياً.

إنّ المفاهيم الدينية والثقافية التي ترى في الصبي ربّ الأسرة (في المستقبل) الذي سيواصل استمراريتها تؤثر في الأولاد من الجنسين. فالصبيان مفضّلون إجماعياً ومادياً، فيما يكون للتمييز ضد البنات نتائج نفسية واقتصادية. إنّ العديد من النساء يتبنّى هذا التفكير داخلياً مما يؤثر في إحساسهن بالكرامة وبأمانتهن الفردية،

وبالتالي في جنسانيتهن خلال حياتهن. ويرتبط ذلك بحرمانهن من الفرص المادية كالتعليم والمهارات وغير ذلك من الموارد المتاحة للأسرة التي تُعطى للصبيان.

تقول فاتو (Fatou) ما يلي:

يصرف زوجي ماله على تعليم مودو (Modou) كي يتمكن من الاغتراب ويضمن لنا الأمان بما أنه الذكر البكر. سيتبعه بعد ذلك إخوته الصبية الأصغر سنًا أي عبدو (Abdou)، ومارليك (Marlick) وأليو (Alieu). أمّا كومبا (Kumba) فستزوج وتعيش في أسرة أخرى تعتني بها.

إنَّ حرمان البنات التعليم في سبيل تهيئة بنات أمثال كومبا للزواج أمر شائع جداً في المناطق الريفية، لا سيما في مرحلة التعليم الثانوي. ولهذه الممارسة تأثير سيئ خفي في الحقوق الجنسية، إذ أنه بدون التعليم تزداد صعوبة مقاومة العنف الجنسي وغيره.

3.2 ختان الإناث

بيّنت إحصاءات من مصادر مختلفة في غامبيا أنَّ أكثر من 90-80 بالمئة من النساء في غامبيا مختونات. وقد أكدت ذلك دراسة حديثة قامت بها لجنة البحث الطبي (MRC) في غامبيا، حيث أن أغلبية اللواتي خضعن للفحص (97 بالمئة) مختونات. كما أظهرت الدراسة نفسها أنَّ 1157 امرأة قبلن بفحص نسائي، و58 بالمئة كنَّ مختونات، كما وأكدت هذه الدراسة تطابق الفحوصات مع تصريحات النساء على أنهن مختونات (97 بالمئة). وأكثر المعرضات لهذا الأذى هنَّ بنات المجموعات العرقية التي تمارس التقاليد.

إنَّ لعادة ختان البنات شكلان: إزالة البظر وحده (قطع البظر) أو إزالة الشفر الأصغر أيضاً (الختان). والقانون في غامبيا لا يحمي البنات من أي من

الشكلين، والإرادة السياسية بمنعه غير متوافرة على أساس أنَّ هذه العادة هي رمز "ثقافي" مهم. فيما يتجاوب بعض الأسر مع نداء الكف عن هذه الممارسة، لا تزال الغالبية غير مهتمة بذلك، وضغوطات الأسرة الموسعة كثيراً ما تغلب على محاولة الأسر النووية أن تكف عن ختان الإناث. وشهدت غامبيا مؤخراً دعويين قضائيتين رُفضت إحدهما لعدم وجود قانون يحمي الذين لا يريدون ختان بناتهم.

ولكن على الرغم من ذلك حصل بعض التقدم. إنَّ البرهان العلمي على تأثير ختان البنات في الصحة وخصوصاً في غامبيا يستطيع أن يقوّي المنظّمات النسائية مثل اللجنة الغامبية للممارسات التقليدية في دعايتها ضدَّ ختان البنات والتي كثيراً ما يُطلب منها تقديم براهين عن هذا البلد. وبيّنت دراسة لجنة البحث الطبي أن اللواتي تعرّضن للختان كنَّ أكثر إصابة من غيرهن بالجراثيم المهبلية وأكثر منهن المصابات بفيروس هيربس سيمبليكس 2 (herpes simplex)، مما يشير إلى أن النساء اللواتي خُتنَ هنَّ أكثر عرضة لعدوى نقص المناعة المكتسبة (Morison 2001: 643). إلا أنَّ الدراسة لم تكن واضحة وحاسمة فيما يختص بالعلاقة بين ختان الإناث والإستعداد للمرض على المدى البعيد، فهناك حاجة إلى مزيد من الأبحاث، وخصوصاً عن الآثار التراتبية لكل نوع من أنواع الختان المختلفة.

ولكن مثل هذه الدراسات لا يمكنها الوصول إلى التبصّر الذي تؤدي إليه مقارنة مبنية على الحقوق. إنَّ جمع براهين علمية تستجيب للثقافة فيما يتعلق بختان الإناث في غامبيا يتطلب حساسية ثقافية غير متوافرة للجنة البحث الطبي إن لم يكن بين باحثيها أطباء وممرضات راسخون في الثقافة التي يتحرّونها. ونتيجة ثقافة الصمت المحيطة بالجنسانية بصفة عامة، وبختان الإناث بصفة

خاصة، من الصعب أن نرى كيف يمكن لمثل هذه الدراسات التي تجرى في المستشفيات أن تحيط بكل الدلائل المتصلة بصحة النساء الجنسية أو أن تظهر أبعادها الشهوانية الجنسية.

إن اللجنة الغامبية للممارسات التقليدية جمعت عبر السنين شهادات وقصصاً من نساء ورجال كشفوا عن بعض آثار ختان الإناث من وجهة نظر جنسية. إن العديد من مستجوبينا قالوا إن جماعهم كان جافاً ومؤلماً. وهناك حاجة لمزيد من البحث لمعرفة إذا ما كان الجماع الجاف أو المؤلم ذا علاقة بختان الإناث. كذلك بين المستجوبون أنهم لا يمارسون مداعبة ما قبل الجماع (foreplay). إن المقاربة المبنية على الحقوق تؤمن وسيلة للتقدم بهذه القضايا، وللتعبير عن دور ختان الإناث في الحرمان من إشباع المتعة الجنسية.

عملت اللجنة الغامبية للممارسات التقليدية أيضاً على صُعد قانونية للتصدّي لختان الإناث. راحت تعمل عن كثب مع الاطراف المعنية في دعاوى قضائية حديثة تتعلق بهذا الموضوع وبدأت حواراً بنّاء بينها وبين المطهرين والقابلات التقليديات حول كيفية العمل معاً لوضع حدّ لختان الإناث.

3.3 "سنوات الإنجاب"

الزواج المبكر

حسب القانون التقليدي، ليس هنالك من حدّ أدنى قانوني للزواج، ومصطلح "الشباب" يشير إلى أشخاص تتراوح أعمارهم بين 13 و30 سنة في سياقات قانونية مختلفة، مما يجعل الفتيات عرضة للأذى بشكل مباشر. ولا تزال فتيات كثرات ضحايا زواج مبكر مما يؤثر في مدى تحقيق فرصهن في الحياة وتنمية شخصيتهن الفردية.

إن المدافعين عن الزواج المبكر يغرون الأهل بسحب

بناتهم من المدرسة لتزويجهن، مدّعين أنه أشرف قرار يؤخذ وأكثر حفظاً للكرامة. والخوف من حمل غير مرغوب فيه هي حجة أخرى شائعة لتبرير الزواج المبكر، مع أنه نادراً ما يكون انغماس الذكور المبكر في العلاقات الجنسية موضع تساؤل. ولقد لوحظ خلال نشاطات التوعية في المجتمع المحلي أن الرجال الكبار في السن هم في معظم الأحيان الأكثر انخراطاً في ممارسة الزواج المبكر، ولا يهتم علم البنات. أما الأمهات، من جهة أخرى، فيبدو أنهن يستجبن للمطالبة بمزيد من التعليم للبنات، ويتحمّلن مسؤولية أكبر لضمان مواصلة بناتهن تعليمهن المدرسي.

ربما كان الزواج المبكر "شريفاً" ولكن لا أحد يكفل استمراره إلى الأبد. فالطلاق بين المسلمين في غامبيا سهل مثل تغيير ثوب، ونادراً ما تُنفذ القوانين التي تحمي حقوق المرأة في الطلاق. إن البنات اللواتي يُسحبن من المدرسة لتزويجهن في سن مبكرة يعانين أحياناً غُصات (bangs) الطلاق لأسباب واهية جداً. كذلك نتج عن شيوع الزواج المبكر هجر الرجال لزوجاتهن الكبيرات في السن من أجل زوجات أصغر، ثم هجر الأخريات لزوجات أصغر، مما يؤدي إلى دائرة مفرغة من سوء المعاملة لا نهاية لها.

ثم إن للزواج المبكر مشكلاته الخاصة. لا تستطيع الفتيات، بسبب صغر سنهن، أن يفاوضن في الجنس أو يقررن عدد الأولاد الذين يرغبن فيهم. وتساهم قلة التعليم في إحداث دائرة مفرغة من الجهل وعدم معرفة حقوقهن. إن الزواج من رجال أكبر سنّاً قد يشعر الشابات بإحباط جنسي، وقد يبحثن بعد ذلك عن حلول بديلة خطيرة. كما توضح فاتو:

حين تُسحب هؤلاء البنات من المدرسة لتزويجهن لهؤلاء الرجال الكبار في السن

ينتهي بهنَّ الأمر إلى البحث عن رجال أقوى، مما يؤدِّي إلى حمل غير مرغوب فيه. يُطلقن أحياناً ويتركن وحيدات ليتحمّلن مسؤولية إعالة أطفالهن.

تعدّد الزوجات

بحسب علماء الإسلام منح القرآن حق تعدّد الزوجات للرجال المؤهلين لممارسته، مرفقاً ذلك بقيود وشروط صارمة جداً تجعل غالبية الرجال غير مؤهلين له. إنّ الممارسة محدودة جداً في دول إسلامية كثيرة يُعترف فيها بشروط القرآن ومبادئه المنوطة بتعدّد الزوجات، والتي تحافظ على حقوق النساء والأولاد في الزواج المتعدّد. والقدرة على معاملة الزوجات بالتساوي شرط مسبق صارم لهذه الممارسة بناء على الآيات القرآنية:

... فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا (سورة النساء الآية 3)

... ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم (سورة النساء الآية 129)

إلا أن الرجال في غامبيا يصرون على حقهم في تعدّد الزوجات، بصرف النظر عن البيئة الاجتماعية أو قدرة الرجل على "أن يعدل بينهما" تماماً. ما يراه الرجال ببساطة هو أن "الإسلام أعطاني حق الزواج من أربع نساء" (GAMCOTRAP 2003: 58). وتؤكد الخطابات الدينية حول تعدّد الزوجات أن الممارسة حق إلهي للرجال، من غير الالتفات إلى الشروط المسبقة التي من المفروض أن يخضع لها هذا التعدّد. ومن النادر أن تعرف النساء شيئاً عن هذه الشروط.

تقبل النساء بتعدّد الزوجات لأسباب متعدّدة،

منها الخوف أن لا يتزوّجن أبداً، وتجنّب وصمة العار في مجتمع حيث الزواج هو المعيار، وخوف الحمل والإنجاب خارج رابط الزواج. ولقد تمّ تركيب جنسانية النساء بحيث تخدم الأفكار عن المرأة المثالية - أو المرأة المقبولة في المجتمع بالحد الأدنى - إهتمامات الرجال. وتبيّن بيندا (Penda) كيف يكون لهذه الأفكار القدرة لحثّ النساء على الزواج حتى في غياب حاجة اقتصادية أو عاطفية:

لا أحتاج إلى رجل يعتني بي لأنني أعمل وأستطيع أن أوفر لنفسي كل ما أحتاج إليه. ولكن بما أنني متعلّمة، أجد صعوبة في إيجاد زوج أستقر معه. فسألت نفسي هل أنا بحاجة إلى زوج لكي أحقق ذاتي؟ وكان الجواب دائماً: "كلا". ولكنني لا أعرف ماذا ستقول عائلتي إن قرّرت إنجاب ولد خارج رابطة الزواج. كل ما أحتاج إليه هو طفل ولذلك سأقع في هذه الورطة.

على غرار ذلك، تفضّل الزوجات الأوليات، اللواتي يتزوّجن أزواجهن بأخريات، أن يبقين متزوجات لأنهن يعتقدن أن حق الرجل بتعدد الزوجات هو حق إلهي، ولكي لا يعرّضن مصالح أطفالهن لخطر تشكو بيندا:

أنا في هذا الوضع لأن من حق زوجي أن يتزوّج أكثر من واحدة. وكثيرات لن يتزوّجن إذا اتخذ الرجل زوجة واحدة فقط. أعرف أنه لا يستطيع أن يعطينا جميعاً كل ما نحتاج إليه، وأحياناً نضطرّ إلى تدبير أمورنا بأنفسنا لنطمعنا والأطفال. هذا هو اعتقادنا.

تعكس قصة بيندا وضعاً شائعاً بين نساء المدينة والريف في غامبيا.

لتعدّد الزوجات نتائج بالنسبة لحقوق النساء

الجنسية ولأمنهن الاقتصادي. وكثيراً ما يكون مصير الزوجات الأوليات الإهمال الجنسي والعاطفي والاقتصادي. قالت أميناتا (Aminata):

إنَّ مقارنة مبنية على الحقوق قد تكون مفيدة حيث يُعتبر تعدّد الزوجات معياراً، وحيث تُعتبر النساء اللواتي يقدمن عليه مسؤولات عن استمراريته. ولو فُهمت النساء حقوقهن الإجتماعية والجنسية والدينية لكنّ في وضع أفضل بكثير يمكنهن من خيار قائم على المعرفة والمفاوضة حول هذا الخيار.

الإساءة الجنسية

تشمل الإساءة الجنسية الاغتصاب والاعتداء والمضايقة والتحرش الجنسي وسفاح القربى. تُرتكب الإساءة من قبل شخص يعتبر الآخرون أن له سلطة على غيره، وهي تحدث في المنزل أو في المدرسة أو في العمل أو في أماكن عامة. قد يكون مرتكبو الإساءة من أعضاء الأسرة أو المشرفين أو المعلمين أو قواداً في المجتمعات المحلية أو غرباء. وبما أن الإساءة الجنسية هي استغلال للسلطة، يكون الشباب - ولا سيما البنات - عرضة للإساءة، وقد يكون للانتهاكات آثار دائمة في صحتهم وحقوقهن الجنسية والتناسلية. كذلك تتضمن الإساءة الجنسية نتائج وخيمة بالنسبة لكرامة النساء والبنات وسلامة شخصيتهن.

لا يُعتبر بعض الأفعال التي ذكرناها أعلاه إساءة جنسية في غامبيا. مثلاً، يُعتبر الإعتداء والمضايقة والتحرش أحياناً أفعالاً طبيعية في إطار الزواج. ولكن الشريعة الإسلامية تعاقب عليها إلى حدٍّ ما، داخل العلاقة الزوجية (Imam 2005; GAMCOTRAP 2003). ولقد كان هذا الواقع مدار صراع بين النسويات من بين الأكاديميين من جهة والعلماء المسلمين المحافظين من جهة أخرى.

لا تستطيع ضحايا الإساءة الجنسية التفاوض على الجنس لأنهن في موقف العاجز الذي لا

يا ليت الله ينزل ليرى ماذا يحدث لنا في مثل هذه العلاقة. منذ سنة حُرمت الجنس لأن لزوجي زوجة جديدة أصغر مني سنّاً يقضي معها معظم الوقت. حين أذمّر يجيبني بأنها بحاجة إلى المزيد من الاهتمام. إنني محرومة ولا أستطيع أن أقول ذلك لأسرتي. أطفالي صغار ولا أستطيع أن أترك زوجي لأن من حقه أن يبقوا معه.

إنَّ الحقوق الجنسية في أسرة متعدّدة الزوجات يحدّدها الزوج إلى حد بعيد وعلى النساء إما التفاوض أو التنازل عن حقوقهن حين تنتهك. ولكن أن تطلب المرأة من زوجها أن يضاجعها يُعتبر أمراً غير طبيعي. ولقد بيّنت نشاطاتنا أن نساء عديدات محرومات جنسياً، خصوصاً أولئك اللواتي قاربن سنّ اليأس أو انقطع طمثهن. ولقد بيّنت مناقشات المجموعة الإرتكازية (focus group) أن جميع النساء يتفقن على أن انقطاع الطمث لا يؤثر في قدرتهن الجنسية. وأوضحت فاتو أن زوجها كان يهملها حين يأتي دورها ليضاجعها. وفي المساء كانت ترى مودو (زوجها) يدخل غرفة هادي (Haddy) (الزوجة الصغرى) ولا تراه يخرج بعد ذلك. وعلى غرار نساء كثيرات في ظروف مشابهة، لا تستطيع فاتو أن تفسّر أو تتذمّر بسبب مشاعرها لأنّه محرّم على المرأة أن تعترف بأنها محرومة جنسياً - إلا أن ذلك لا ينطبق على الرجال.

إنَّ الأطفال الذين لهم أب واحد ولكن أمّهات متعدّدات تتوقّف مكانتهم (status) إلى حد بعيد على مكانة الأم بالنسبة لأفراد الأسرة الآخرين التي تحدّدها مكانة الأم الجنسية بالنسبة للزوج. وتقع مسؤولية الأطفال إلى حد بعيد على الأم. ونتيجة

لا يعتبر الرجال المسلمون أن الرجل يمكن أن يُتهم باغتصاب زوجته. ويذهبون إلى أن الله منح الرجال حق مضاجعة نساءهم متى أرادوا. يستشهدون على ذلك الآية 223 من السورة الثانية من القرآن التي تقول: "نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم..." (GAMCOTRAP 2003)

قد تكون النتائج المترتبة على رفض المرأة مضاجعة زوجها وخيمة. يمكن أن يسبب ذلك عنفاً منزلياً، أو أن يكون عذراً للطلاق على أساس "أنها تحرمني الجنس". كذلك يمكن استخدامه لتبرير الزواج من امرأة ثانية. وفي وجه هذه العقوبات يمكن أن ندرك صعوبة تفهم نساء كثر فكرة الاغتصاب الزوجي. ولكن النساء خلال مناقشات ضمن مجموعتنا الارتكازية اعترفن بأن الاغتصاب الزوجي حاصل وأنهن ضربن لأنهن رفضن الجنس.

المثلية بين الاناث

إن المثلية بين الاناث في غامبيا محرمة وكثيرون لا يعتقدون أنها موجودة. والمجتمع لا يعترف بها وينظر إليها أنها علاقة إجتماعية غير مقبولة. ويشار إليها كممارسة ثقافة أجنبية يقوم بها أناس ضائعون نفسياً وروحياً. إلا أن علاقات مثلية بين نساء في غامبيا موجودة، ولكنها تبقى سرية مخافة من النبذ الإجتماعي. وترتبط المثلية بين الاناث في غامبيا تاريخياً بأسر ذات نساء قويات. ولكننا نحتاج إلى مزيد من الأبحاث لنعرف إلى أي مدى يكون إقامة علاقات إجتماعية بديلة تعبيراً عن مقاومة داخل مجتمع غامبيا والذي هو مجتمع أبوي إلى أقصى الحدود، وإلى أي مدى تؤمن هذه العلاقات مجالاً لتعبّر النساء عن جنسائتهن والسيطرة على أجسادهن.

سلطة له. وقد ينتج عن ذلك حمل غير مرغوب فيه، و/أو عدوى انتقلت من خلال العلاقة الجنسية، و/أو ضرر جسدي و/أو صدمة. كذلك بينت الدراسات أن الأحداث الذين تعرّضوا لإساءة جنسية هم أكثر ميلاً إلى الانخراط في سلوك جنسي خطر من الذين لم يتعرّضوا لمثل هذه الإساءة. في الوقت نفسه، إن وصمة العار التي تلصق بضحايا الاغتصاب تمنع الناس من التبليغ عنه.

يحدث الاغتصاب كل يوم تقريباً من غير أن يبلغ. وحين يبلغ عنه، من النادر أن تلاحق الأسرة الأمر بسبب الوصمة التي تلصق بالاغتصاب ولأن المعاملة القانونية طويلة وصعبة. وحين يكون مرتكب الإساءة الجنسية من أقارب الأسرة يندر جداً أن تعلن القضية. إن الأقارب يتبنون ثقافة الصمت لأنهم يعتبرون ذلك مصدر عار، وهذا يؤدي إلى استمرار هذه الممارسة. وتقول آوا (Awa) بهذا الصدد:

لا أود أن أذكر أسماء بما أننا في ورشة عمل، ولكن القضايا التي نبحثها هنا تحدث كل يوم، والمذنبون أقارب مقربون يعيشون في المجتمع المحلي نفسه. لن نفصحهم ولكنهم يؤثرون في حياتنا.

الاغتصاب الزوجي

إن القانون يعتبر بأن هنالك حالة اغتصاب زوجي عندما يُجبر الزوج زوجته على الجماع غصباً عنها. وفي غامبيا، كما في أماكن أخرى، تُعتبر الزوجة ملك الزوج ويُفترض أن تنفذ الحقوق الزوجية. إن إبلاغ اغتصاب زوجي نادر جداً، بل إن معظم النساء لا يعتبرنه اغتصاباً. أما التحدث عنه بين الرجال فمحرم. وكثيراً ما يستشهد بالدين لتبرير حق الرجل المطلق بمضاجعة زوجته حينما يحلوه. وبناء على دراسة نفذتها اللجنة الغامبية للممارسات التقليدية:

تجارة النساء

لهنّ حقوق الأسرة وامتيازاتها. ولذلك يشعرون بحزن شديد لفقدائها بسبب الربط بين انقطاع الحيض وحرمان الجنس.

ولقد بيّنت مناقشاتنا حول الجنسية مع الرجال في مجموعتنا الارتكازية أنّ معظم الكبار في السن لم يعد بإمكانهم إشباع زوجاتهم. معظمهم اعترف بعجزه عن أن ينتصب قضيبه وأن يبقى منتصباً خلال مضاجعة طويلة، وشعروا بأنهم بذلك يفقدون السلطة على المرأة ويصبحون عاجزين. فيعتبرون أن حلّ هذه المشكلة يكون بنساء أصغر سناً؛ فالحصول على فتاة لا خبرة لها يمكن على الأقل أن يخفي عجزهم الجنسي. وآخرون شعروا بأن الحصول على امرأة أصغر سناً يعيد إحياء رغباتهم الجنسية.

أما بالنسبة للنساء، فيشكل انقطاع الحيض انتقالاً إلى مرحلة تمكّنهنّ من المضاجعة من غير أن يخفن حملاً غير مرغوب فيه. إنّ التغييرات الهرمونية خلال انقطاع الحيض أمر طبيعي، وقد تتطلب أحياناً تدخلاً يساعد الوضع الذي تحدث فيه المضاجعة. ومن المعروف أن نساء غامبيا يستخدمن مثيرات تقليدية للشهوة كـ "نييفالا تيدا" (*nyefala tedah*) أي ("من الأفضل أن تكوني في السرير"). إنّهُ بخورٌ محليٌّ يهيء لخلق جو للحب والجنس ويقال إنه يثير الرجال والنساء. وإنّ "نييفالا تيدا" هي وسيلة تستخدمها النساء أيضاً للإيحاء بطلب الجنس ولمطالبة الأزواج بالحقوق الزوجية. وتستخدم النساء اللواتي انقطع حيضهن هذه الأساليب للاستمرار في تأكيد مكانتهن الجنسية والاقتصادية، ولكن العديداً يشعرون بأنّ فرض الامتناع عن الجنس ظلم.

4 خلاصات

حاولت هذه المقالة أن تعيّن قضايا الحقوق الجنسية في سياق غامبيا الثقافي، منبهة إلى

معروف أن هذا الشكل من الإساءة يمارس في غامبيا على مستويات قومية ومناطيقية ودولية. ثمة دراسة قامت بها إدارة الخدمة الاجتماعية ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة (UNICEF) كشفت براهين عن أنّ التجار يغرون النساء بوظائف ذات دخل كبير في بلاد أخرى فيجعلن أنفسهن مكرهات على عمل الجنس. وتستخدم شبكة تجار في المنطقة المجاورة غامبيا كنقطة دخول، ولكن لا يعرف سوى القليل عن نساء في غامبيا نفسها كن ضحايا هذه التجارة. إنّ وصمة العار هذه هي التي تجعل من الصعب أن يتكلمن على خبرتهن، كما أن برامج التواصل التي تسعى إلى تأمين الدعم والتوعية للنساء بالنسبة لهذا الموضوع قليلة. فلا بد من مزيد من العمل لمعرفة مكان هؤلاء النساء ومساعدتهن.

3.4 انقطاع الحيض: حرمان قسري من الجنس
يعرّض إنقطاع الحيض نساء كثيرات لنوع آخر من انتهاك حقوقهن الجنسية: ألا وهو الإهمال الجنسي والاقتصادي من قبل الأزواج. إنّ نساء عديدات من اللواتي شملهن بحثنا الميداني يشعرون بأنّ إدراك سن اليأس يعني حرمانهن من إشباع المتعة الجنسية، وأن ذلك ظلم. لقد شعر معظم النساء بأن انقطاع الحيض لا يؤثر في قدرتهن الجنسية وامتعضن من حرمانهن.

هذا الامتناع سببه من جهة، النتائج الاجتماعية والاقتصادية المترتبة على الحرمان الجنسي، ومن جهة أخرى، استمرار الشعور برغبة جنسية لا تلبّى. وينتهز بعض الرجال فرصة انقطاع حيض الزوجة ليلبثوا عن زوجة أصغر سناً. وغالباً ما يسبب الاقتران بزوجة ثانية إهمال الزوجة الأولى اقتصادياً وجنسياً. وتدرك النساء أنّ جنسائتهن مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمكانتهن، وأنّ العلاقة الجنسية مع أزواجهن هي إحدى الأدوات التي تكفل

المراجع

- GAMCOTRAP (2003) 'Gambia Women Law and Customary Practice', mimeo, Banjul: Gambian Committee on Traditional Practices
- Ilkkaracan, Pinar (2002) 'Women, Sexuality and Social Change in the Middle East and the Maghreb', *Social Research*, Fall 69.3: 754-79
- Imam, Ayesha (2005) *Recovering Women's Reproductive Rights: Classical Muslim Scholars Vs Contemporary Fundamentalists*, Santa Cruz: University of Santa Cruz, California
- Morison, L., Scherf, C., Ekpo, G., Paine, K., West, B., Coleman, R. and Walraven, G. (2001) 'The Longterm Reproductive Health Consequences of Female Genital Cutting in Rural Gambia: A Community Based Survey', *Tropical Medicine and International Health* 6.8: 643-53

مختلف الممارسات الثقافية التي تثير إشكالية من وجهات نظر النساء. رأت المقالة أنّ عوامل مختلفة تنظم الجنسية تنظيماً قوياً ولكنها تستثني النساء اللواتي لا يسمح لهن باتخاذ قرار يتناول جنسانيتهن، وأنّ هذا هو السياق الذي تحدد فيه الحقوق الجنسية وتنتهك.

حين يدعم الإطار الديني والسياسي المحافظ التوقعات الثقافية يكون أقوى بكثير من قدرة الأفراد على تحديه. ولقد جرى توريط مختلف الممارسات الثقافية في انتهاك حقوق النساء الجنسية في ظل غياب إطار قانوني يتطرق إلى هذه الخروقات. كما أنّ الدين يستخدم لتنظيم جنسانية النساء ويزيد من انتهاك حقوقهن الجنسية.

لا بد من مزيد من الأبحاث لجمع معلومات مفيدة ثقافياً عن طبيعة ومعاني الحقوق الجنسية وانتهاكها في غامبيا. وهناك حاجة ملحة إلى اجتماع الوكالات والمؤسسات والأفراد لكي يتبادلوا المعلومات ويعملوا على توضيح هذه الناحية الأساسية الحاسمة في حياة الناس.

الجنس وحقوق الرجل

ألان غريغ

1 المقدمة

الإنسان. تشمل هذه الحقوق حق التمتع بجنسانية ممتعة هي ضرورية بحد ذاتها، وفي الوقت نفسه هي وسيلة أساسية للتواصل والحب بين الناس. تشمل الحقوق الجنسية حق الحرية والاستقلال في ممارسة الجنسية ممارسة مسؤولة (HERA 1999).

لا يزال النضال مستمراً حتى اليوم من أجل إدخال الجنس والجنسانية في لغة الاتفاقيات الدولية حول حقوق الإنسان وآلياتها. وعلى الرغم من الطابع العلمي لهذه الاتفاقيات، فإن النضال العملي من أجل الحقوق الجنسية جرى إلى حد بعيد على صعيد مساواة النوع الاجتماعي. لقد كان هذا نضالاً من أجل حقوق النساء الجنسية في وجه الظلم على أساس النوع الاجتماعي والجنس الذي يمارسه الرجال مع النساء.

يبدأ الموجز عن تاريخ هذا النضال في مؤتمر فيينا لحقوق الإنسان الذي انعقد عام 1993 حين اهتم الناس للمرة الأولى على نطاق دولي بالنساء كصاحبات حقوق إنسانية وبأجسادهن كمواضع تُنتهك فيها حقوق الإنسان. إن هذا العمل يضع أسساً هامة للخطابات التي تبعتها عن الحقوق التناسلية والجنسية التي طوّرها مؤتمرا القاهرة وبيجين في 1994 و1995. ولم تكتفِ الإعلانات التي صدرت عن هذين المؤتمرين بتحديد الحقوق الجنسية فقط من حيث سلطة النساء على حيواتهن الجنسية، وإنما هي تشدد أيضاً أن احترام حقوق النساء هو من صميم مسؤوليات الرجال الجنسية.

تبحث هذه المقالة في موضوع الحقوق الجنسية والادّعاءات أن هذه الحقوق يضعها رجال، ومن أجل الرجال. إنها تتناول الأسس المختلفة لهذه الادّعاءات، والتي تتدرج من معاناة بعض الرجال القمع الجنسي إلى تجارب غيرهم في التنشئة الاجتماعية للنوع الاجتماعي. وتسلط المقالة الضوء على القضايا المتعلقة بالسلطة والامتيازات التي كثيراً ما تخفيها المطالبة بخطاب حول "الرجال والحقوق الجنسية"، باستطاعته أن يأخذ بعين الاعتبار معايير النوع الاجتماعي والهرمية الجنسية التراتبية. يركز هذا المطلب على مفهوم للمساءلة هو في الوقت نفسه شخصي وسياسي. وتتوجه المسألة السياسية للمسؤولين عن تعزيز وحماية الحقوق الجنسية لجميع أصحاب الحقوق، رجالاً ونساء. أما المسألة الشخصية فهي تتوجه للرجال وتتعلق بالطرق التي يساهم فيها امتياز نوعهم الاجتماعي (gender privilege) في إنكار حقوق غيرهم الجنسية. إن فهمي هذه القضايا نابع من عملي خلال عشرين سنة على فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز والنوع الاجتماعي والعنف، غالباً كمستشار مستقل يعمل على دعم مشاريع وبرامج منظمات لا تبغى الربح والعاملة في جنوب الكرة الأرضية وكناشط يعمل على قضايا الذكورة والعنف والعدالة الاجتماعية في الولايات المتحدة.

2 مسؤوليات ذكورية؟

إن الحقوق الجنسية عنصر أساسي في حقوق

الإجتماعيين المختلفين ويحرّم الجنس بين أفراد النوع الإجتماعي الواحد، ويعاقب الذين يُعتبرون منتهكي "قوانين" النوع الإجتماعي التي تحدّد كيف يُفترض أن يكون الرجل وأن يتصرّف، فيكون مثل هذا العنف تحذيراً لجميع الرجال كي يطيعوا هذه "القوانين". إنّ الأبحاث التي أجريت عن فئات الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين في كمبوديا وجدت أن العنف منتشر، خصوصاً بالنسبة إلى هؤلاء الرجال الذين يظهرون بمظهر أنثوي ("سري سروس" *sray sros* المعروفين بمغيّري النوع الإجتماعي في البلاد المتقدمة اقتصادياً في شمال الكرة الأرضية (economic north)):

كثيرون من "السري سروس" يختبرون التمييز ضدهم بشكل شتائم وتحرش وعنف جسدي كالضرب والرّفس والإكراه على الجنس وبعض حالات الاغتصاب. ونتيجة لذلك يميلون إلى إخفاء ميولهم وممارساتهم الجنسية، ممّا يجعل من الصعب الوصول إليهم وتثقيفهم (KHANA 2003).

كما يتّضح من الفقرة المقتبسة أعلاه، نتيجة لمثل هذا العنف، يضطر هؤلاء الرجال إلى "السرية"، بعيداً عن الخدمات والمعلومات التي يحتاجون إليها حول الصحة الجنسية وسلوك جنسي سريع وسريّ، ممّا يجعل ممارسة جنس أكثر أماناً، ناهيك عن علاقات مبنية على الحب، أكثر صعوبة. إنّ العنف الذي يستهدف مثل هؤلاء الرجال عنف جماعي ومؤسّساتي، فضلاً عن كونه متبادلاً بين الأشخاص. وكثير من العنف الذي يتعرّض له الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين يكون على أيدي الشرطة وغيرهم ممّن يشغلون مراكز سلطة. وقد تلقت فئات مدافعة عن حقوق الإنسان مثل منظمة العفو الدولية اتهامات كثيرة بتلّغ عن حالات تعذيب وسوء المعاملة في أثناء الاعتقال، ممّا يبيّن ارتفاع الخطر في مخاطر الشرطة، وخصوصاً خلال

بناء على هذا التحليل على أساس النوع الإجتماعي، ماذا يمكن أن تكون علاقة الرجال بالمطالبة بحقوق جنسية تهدف إلى تغيير جذري للترتيبات الإجتماعية للسلطة على أساس الجنس التي طالما كانت لمصلحتهم؟ فكما لاحظ Connell (1995) "لا يمكن للنساء في نظام نوع إجتماعي يسيطر فيه الرجال أن يتجنّبن النظر إلى الرجال كمجموعة متضامنة يشغلها باستمرار الدفاع عن هذا النظام والنساء كمجموعة أخرى تسعى دائماً إلى التغيير". ولكن ما معنى الكلام على "الرجال" كأنهم فئة واحدة متماسكة، بينما ما يجمع أفراد هذه المجموعة غير المتجانسة للغاية والتي نسمّيها "رجالاً" هو ما تسميه Connell "حصّة النظام الأبوي" (patriarchal dividend) أي الميزات المشتركة بين كل الرجال في النظام الأبوي والتي يتمتّعون بها لمجرّد كونهم ذكوراً؟ فعلى الرغم من ثلاثة عقود أو أكثر من النضال النسوي والحركات النسائية، وعلى الرغم من كل المكاسب على صعيد مساواة النوع الإجتماعي، فالعالم لا يزال إلى حد بعيد "عالم الرجال". بناء على ذلك، ماذا يمكن أن يستفيد الرجال من الثورة الإجتماعية والجنسية التي يقترحها المدافعون عن الحقوق الجنسية؟

3 انظلم الجنسي اللاحق (ببعض) الرجال
إنّ الإجابة الأولى عن هذا السؤال تكون بأن نأتي بتحليل مراعي للنوع الإجتماعي أكثر دقة وتفصيلاً، وأقلّ تمييزاً ضد المثليين/ات، من أجل التأثير في حقوق الرجال الجنسية والتوصل إلى اعتراف بأنّ حقوق بعض الرجال الجنسية منتهكة منذ زمن بعيد. وهؤلاء الرجال الذين "يخونون" نوعهم الإجتماعي من خلال صورتهم "الأنثوية" و/أو علاقاتهم الجنسية مع رجال آخرين، هم خصوصاً معرّضون لمثل هذه الانتهاكات. وهذا العنف يُستخدم "لضبط" الحدود بين الرجال والنساء على أساس النوع الإجتماعي، وضبط النظام الذي يفرض الجنسانية المغايرة معياراً فيقبل بعلاقات جنسية بين النوعين

مدّة الاعتقال الأولية. إنّ أبحاثاً قامت بها منظّمة مراقبة حقوق الإنسان (Human Rights Watch) في بنغلادش وجدت أن مثل هذا العنف على أيدي الشرطة و *ماستانس* (*mastans*) (مجرمين مسلّحين تستخدمهم الأحزاب السياسية) أمرٌ شائع:

عديدون من الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين تكلموا مع منظّمة مراقبة حقوق الإنسان وقالوا إنّهم اغتصبوا، واغتصبوا اغتصاباً جماعياً، كما ضربهم مراراً شرطيون ومجرمون مسلّحون ... وهناك رجال يمارسون الجنس مع رجال آخرين قالوا أيضاً أنّهم تعرّضوا بانتظام لابتزاز من قبل الشرطة والمجرمين المسلّحين ... إنّ الرجال الذين يعملون في الجنس قالوا إنّ الشرطة والمجرمين المسلّحين ابتزّوا مالاَ من زبائنهم أيضاً. وابتزاز الزبائن يعرّض للخطر أيضاً الرجال الذين يبيعون الجنس. (Human Rights Watch 2003)

ما زالت عدة بلاد تستمر في تطبيق قوانين تمنع أو تنظّم العلاقات الجنسية المثلية التي يمارسها البالغون بالتراضي، غالباً ما تُعرف بقوانين اللواط. هذه القوانين لا تزال متوافرة في سبعين دولة في العالم على الأقلّ وهي تتدرّج من تنظيم أفعال جنسية معيّنة (مثلاً الجنس الشرجي) إلى تعليمات شاملة مناهضة لسلوكيات "غير اجتماعية" و "غير أخلاقية". وأياً كان مضمون هذه القوانين، فإن الشرطة تستخدمها للتحرش بالمثليين والمثليات وذوي الميول الجنسية المزدوجة ومغيّري النوع الاجتماعي، واعتقالهم، وهذا يشكل انتهاكاً بالغ الخطورة لحقوق الإنسان بما فيها الحق بالخصوصية والتحرّر من التمييز والتعبير وحق التجمّع. إنّ هذا العنف الذي تسبب به قوانين الدولة والمؤسسات يعرّز العنف من قبل المجتمع والذي يتراوح بين التمييز والتعرّض لهجوم الأتراب والزملاء وأعضاء الأسرة. كما أن الأشخاص الذين يتحدّون معايير

النوع الاجتماعي والجنسانية من خلال رغباتهم وممارساتهم الجنسية و/أو مظهرهم يواجهون بعض أعنف أشكال الوصم والاستهجان الاجتماعي.

من المهم أن نجعل التحليل الذي يراعي النوع الاجتماعي أكثر شمولاً ليصبح جلياً أن العنف الذي يعانيه أحرار الجنس (*queer*) أساسه النوع الاجتماعي. وهذا العنف مبني على موقع أحرار الجنس داخل نظام النوع الاجتماعي الذي ينطلق من منطق التعالّي الذكوري المؤنّ بأن العلاقات الاجتماعية هي تراتبية في الأساس ويصرّ على أنّ هذه العلاقات ليست فقط تراتبية بين الذكر والأنثى، بل بين الرجال أيضاً. ويصرّ هذا النظام على أن هذه التراتبية الأخيرة مبنية على مكانة الرجال ضمن نوعهم الاجتماعي، أي درجة التزامهم بمعايير الذكورة والجنسانية المغايرة السائدة. والعنف المذكور أعلاه (أي الذي يعانيه أحرار الجنس) هو الذي يحافظ على هذه التراتبية من خلال إبقاء الرجال الذين "ليسوا رجالاً بما فيه الكفاية" في مكانهم.

4 اختبار الرجال العنف الجنسي

ولكن، ماذا عن الرجال الذين يظهرون، أو يحاولون أن يظهروا "كرجال بما تعنيه الكلمة"؟ ماذا يمكن القول عن حقوقهم الجنسية؟ ربما كان أهم المطالب الأساسية عند المدافعين عن الحقوق الجنسية أن يكون الناس أحراراً في ممارسة حياتهم الجنسية من غير إكراه. ولكن كثيراً ما يغفل اختبار الرجال الإكراه في حياتهم الجنسية، بصرف النظر عن ميلهم الجنسي أو هويتهم الجنسية. وبناء على مقابلات مع أكثر من 8000 رجل في الثامنة عشرة أو أكبر، قدّر المسح القومي للعنف ضد النساء (US government's National Violence Against Women Survey) الذي أجرته حكومة الولايات المتحدة أن 92748 رجلاً اغتصبوا في 1995، بالإضافة إلى 302091 امرأة اغتصبن في ذلك العام

الأولاد تتراوح بين 3 و29 بالمئة بالنسبة للصبيان (مقابل 7 الى 36 بالمئة للبنات)، فيما ذكرت معظم الدراسات أن العنف الجنسي الذي تقع ضحيته بنات يبلغ ثلاثة أضعاف ما يتعرض له الصبيان. وفي جميع البلاد كانت غالبية المعتصبين من الرجال حين كانت الضحية أنثى (أكثر من 90 بالمئة)، فيما اختلفت الدراسات حول جنس المعتدي حين كانت الضحية ذكراً (Finkelhor 1994).

5 الجنسانية والذكورة

كما يتضح من تعريف الحقوق الجنسية في بداية هذه المقالة، تهتم هذه الحقوق بأكثر من التحرر من الإكراه الجنسي والعنف. إنها تتناول حرية ممارستنا حياتنا الجنسية بفرح وكرامة واستقلال. يُنسب عادة إنكار قدرة النساء على التمتع بهذه الحرية إلى علاقات النوع الاجتماعي غير المتساوية بين النساء والرجال. بكلمة أخرى، إن سلطة الرجال الأبوية هي التي تحرم النساء حقوقهن الجنسية. ولكن أين يصبح الرجال وحققهم بأن يتمتعوا بحياتهم الجنسية بفرح وكرامة واستقلال، وخصوصاً هؤلاء الرجال الذين يلتزمون معايير الذكورة السائدة والجنسانية المغايرة؟ وبصرف النظر عن تجارب العنف الجنسي معينة، هل هناك ما يحرم هؤلاء الرجال حقوقهم الجنسية؟ إن نظرة تبسيطية إلى الامتيازات التي يمنحها النظام الأبوي للرجال توحى أن الجواب الصريح هو "كلا". ولكن تطورات حديثة في دراسات عن الرجال والذكورة تقدم تقارير أكثر دقة مبيّنة كيف يتعرّف الرجال الذكور إلى جنسانيتهم وكيف يتفاعلون معها. وتسهم هذه التقارير في إعادة تحديد هوية الرجال على أساس النوع الاجتماعي بعيداً عن مفهوم "رجل النظام الأبوي" التجريدي، وهي ترتكز على التجربة المعاشة لرجال حقيقيين، أي رجال من الواقع. وتوضح هذه التقارير أن علاقة الرجال بالتنشئة الاجتماعية للنوع الاجتماعي التي يتلقونها وبنظام النوع الاجتماعي الذي يعيشونه

(Tjaden & Thoennes 2006). يجب اعتبار هذا العدد تقديراً بخساً لأنّ المسح لم يشمل الرجال في السجون، ومعروف من مصادر أخرى أنّ اغتصاب الذكور في السجون شائع، على الأقل في الولايات المتحدة. إنّ المعلومات التي استند إليها قانون إزالة الاغتصاب من سجون الولايات المتحدة (US Prison Rape Elimination Act) الذي وقّعه الرئيس بوش عام 2003، قدر أنّ على الأقل 13 بالمئة من المساجين في الولايات المتحدة كانوا ضحايا اعتداء جنسي في السجن. وفي ملخصها الشامل عن تجارب الرجال مع الإغتصاب توضح منظمة الصحة العالمية التالي:

إنّ الإحصاءات التي يمكن أن نثق بها حول اغتصاب الصبيان والرجال في أماكن كالمدارس والسجون ومخيمات اللاجئين قليلة لسوء الحظ. يعتقد معظم الخبراء أن الإحصاءات الرسمية تقلّ جداً أعداد ضحايا الذكور المعتصبين. وتبيّن الدلائل المتوافرة أن الذكور قد يكونون أقل استعداداً من الإناث لإبلاغ تعرّضهم للإعتداء الجنسي إلى السلطات. (منظمة الصحة الدولية 2002)

بالإضافة إلى اختبار الرجال العنف الجنسي، لم يكن هناك إهتمام كاف لاختبار الصبيان العدوان الجنسي في طفولتهم إلّا مؤخراً. وجدت الأبحاث في البيرو (Peru) أن 11 بالمئة من بين الشبان الذين تكلموا على تجاربهم هم أشخاص مغايرو الجنس قالوا إنّ المرّة الأولى التي مارسوا فيها الجنس كانت بالإكراه. وتذكر دراسة حول المراهقين في كينيا (Kenya) أن 4 بالمئة من الصبيان أُجبروا على القيام بأفعالهم الجنسية الأولى، فضلاً عن 6 بالمئة آخرين "أقنعوا" بممارسة الجنس ضدّ إرادتهم (Jejeebhoy & Bott 2005). وأظهرت مراجعة لدراسات من 20 بلداً تشمل عشرة مسوحات قومية نموذجية، أن نسب التعدي الجنسي على

علاقة متنوعة ومعقدة، فيها مشاركة وخصام. والجنسانية في صلب هذه العلاقة.

إن التمعّن في طرق التعبير عن الذكورة والجنسانية في حيوات الرجال يؤمّن رؤية أوضح لقضايا الحقوق الجنسية بالنسبة للرجال الذين يلتزمون المعايير السائدة للذكورة والجنسانية المغايرة، والذين يراعون قوانين نظام النوع الاجتماعي. لقد ارتبطت الذكورة التي تعتبر الجنسية المغايرة معياراً بعدد من العقوبات التي منعت الرجال من الفرح والكرامة والاستقلال والأمان في حياتهم الجنسية. تشمل هذه العقوبات المساواة بين الذكورة والمخاطرة، ما قد يدفع الرجال إلى سلوك جنسي يعرّض صحتهم الجنسية لخطر ما. وهذا يرتبط بالضغط الممارس على الرجال لاستخدام الجنس دليلاً على ذكورتهم. وقد بين الخطاب السائد حول الرجال والذكورة وفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز أن حاجة الرجال إلى إثبات قوتهم الجنسية سبب أساسي لبحثهم عن شركاء متعددين في علاقاتهم الجنسية وعن رغبتهم في المحافظة على تحكمهم بعلاقاتهم الجنسية مع النساء.

إنّ تشجيع المخاطرة والضغط لإثبات قدرة جنسية ارتباطاً أيضاً بالشعور بمناعة تعزّزها الذكورة التي تعتبر الجنسية المغايرة معياراً، والتي ترتبط بتربية الرجال على الاعتماد على الذات، وعدم إظهار عواطفهم، وعدم السعي إلى المساعدة في أوقات الحاجة أو الشدّة. ومن المفارقة، أن ذلك يزيد إمكانية إصابة الرجال بأمراض متناقلة جنسياً إذ يشجّع إنكار وجود الخطر ويمنع الرجال من ممارسة حقوقهم الجنسية بطريقة تحافظ على أحد حقوقهم الأساسية - حقهم بالصحة.

إنّ قيود الذكورة التي تعتبر الجنسية المغايرة معياراً تظهر أيضاً في الشعور بالقلق الجنسي الذي يعبر عنه الشبان والبالغون على السواء. فهناك

ظاهرة مشتركة بين مختلف الثقافات الجنسية وهي قلق الشبان من أن ينشطوا جنسياً في بيئة تفترض أنهم على علم بكل شيء ومتحكمون بجنسانيتهم، فيما لا يكونون كذلك في معظم الأحيان. إذ حين سئل الرجال عن مخاوفهم المتعلقة بالجنس، كثيراً ما عبّر الشبان والبالغون عن قلقهم إزاء قضايا متعلّقة بأدائهم الجنسي، كقدرتهم الجنسية وحجم عضوهم، فيما شعروا في الوقت نفسه بعجزهم عن طلب المساعدة للتعامل مع هذه القضايا خوف أن لا يكونوا "رجالاً" بكل معنى الكلمة.

إنّ هذه الملاحظات والاكتشافات حول طرق الذكورة التي تعتبر الجنسية المغايرة معياراً في كبح الرجال عن ممارسة حقوقهم الجنسية، أصبحت شائعة في الكتابات التي تظهر حول الرجال والذكورة والصحة الجنسية. إنّ عملي أنا مع الرجال حول النوع الاجتماعي والجنسانية وفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز في زامبيا (Zambia) وجنوبي أفريقيا، فضلاً عن ناشطيتي في الولايات المتحدة، إنها جميعاً تؤكد المقولات الأساسية في هذه الكتابات: أي أننا إذا أردنا إشراك الرجال في العمل من أجل مساواة النوع الاجتماعي (وبالتالي الدفاع عن حقوق النساء الجنسية) لا بد من البحث في كيفية تأذي الرجال من تركيبات النوع الاجتماعي التي تعتبر الجنسية المغايرة معياراً (وقد تعرّض حقوقهم الجنسية للخطر).

إلا أن خبرتي تبين أيضاً أنه لا يمكن الفصل بين الضرر الناجم عن تنشئة الرجال الاجتماعية للنوع الاجتماعي، خصوصاً فيما يتعلق بالجنس، وبين الامتيازات الخاصة بالرجال نتيجة لموقعهم في نظام النوع الاجتماعي الأبوي. هذا الاعتراف يجب أن ترافقه الرغبة في الانفتاح على قراءات أخرى للعلاقات بين الذكورة والجنسانية. وعلى أقل تقدير، يكون من المفيد أن نطرح أسئلة حول فكرة المخاطرة في بيئات حيث يرى الرجال أن

النساء والرجال، أيّة كانت هويات النوع الاجتماعي والجنسية، من أجل التعامل مع هذه الضغوطات والقوى. إلا أنها أداة تختلف قدرة الناس على استخدامها. على الرجال، ولا سيما الرجال ذوي الامتيازات التي ترافق الذين يتصرفون وفق معايير الذكورة والجنسانية المغايرة، أن يؤدّوا دوراً خاصاً في الثورة الاجتماعية والجنسية التي ستؤمن الحقوق الجنسية ليس لهم وحدهم وإنما للجميع.

المراجع

- Connell, R.W. (1995) *Masculinities*, Cambridge: Polity Press
- Finkelhor D. (1994) 'The International Epidemiology of Child Sexual Abuse', *Child Abuse and Neglect*, 18: 409-17
- HERA (1999) 'Sexual Rights', in *Women's Sexual and Reproductive Rights and Health: Action Sheets*, New York: Health, Empowerment, Rights and Accountability (HERA)
- Human Rights Watch (2003) *Ravaging the Vulnerable: Abuses Against Persons at High Risk of HIV Infection in Bangladesh 15.6(C)*, New York: Human Rights Watch
- Jejeebhoy, S.J. and Bott, S. (2005) 'Non-Consensual Sexual Experiences of Young People in Developing Countries: An Overview', in Shireen J. Jejeebhoy, Iqbal Shah and Shyam Thapa (eds), *Sex Without Consent: Young People in Developing Countries*, London and New York: Zed Books
- KHANA (2003) *Out of the Shadows: Male-to-male Sexual Behaviour in Cambodia*, Phnom Penh: International HIV/AIDS Alliance
- Tjaden, P. and Thoennes, N. (2006) *Extent, Nature, and Consequences of Rape Victimization: Findings From the National Violence Against Women Survey*, Washington DC: National Institute of Justice
- WHO (2002) *World Report on Violence and Health*, Geneva: World Health Organization (WHO)

جنسانيتهم حافظ ببيولوجي وحاجة ضرورية، ما قد يمنعهم من الإحساس "بأنهم يخاطرون". كذلك قد يكون إظهار القوة الجنسية والرجولة للمحافظة على سلطة النوع الاجتماعي بقدر ما يكونان لإثبات هوية النوع الاجتماعي، فيما يجب النظر إلى قلق الرجال الجنسي على ضوء توقعهم أن يكونوا متحكمين جنسياً وشعورهم بأن ذلك من حقهم.

6 الخلاصة

حين ننظر في حقوق الرجال الجنسية من حيث تأثير تهيئة الذكر لنوعه الاجتماعي في الجنسية، ينبغي لنا أن نفكر أيضاً في الامتيازات التي ينالها الرجال الذين يتصرفون وفق المعايير السائدة عن الذكورة والجنسانية المغايرة. هذا لا يعني ببساطة أن نوازن بين حقوق الرجال الجنسية ومسؤولياتهم. بل أهم من ذلك، إنه ينطوي على طرح أسئلة حول الاستقلالية والمساءلة وحول ما معنى أن ندرك مركبات النوع الاجتماعي التي تشكل مواقف الرجال وسلوكياتهم الجنسية، في الوقت الذي نحمل الرجال مسؤولية الخيارات والقرارات التي يتخذونها في حياتهم الجنسية. إذا كنا نريد أن نتجنّب فخ النظرة الإختزالية والمحدودة للنوع الاجتماعي التي تعتبر أن الرجال لا تصنعهم إلا الذكورة، من الضروري أن نكون واعين لفاعلية الرجال، وأن رجالاً مختلفين يتخذون قرارات مختلفة جداً فيما يتعلّق بحقوقهم وحقوق غيرهم الجنسية. وفي الوقت نفسه، من المهم أن نرفض تجريد التاريخ من النوع الاجتماعي والجنسانية، وأن ندرك أن حياة كل من الرجال والنساء الجنسية عالقة الآن بين قبضة قوى المحافظة الاجتماعية والأصولية الدينية من جهة، والضغوطات الناجمة عن تحويلها إلى سلع داخل الثقافات الجنسية تحت النظام الرأسمالي، من جهة أخرى. وغالباً ما يكون هذا الصراع على حساب اللذة الجنسية والحرية والاستقلالية.

إن خطاب الحقوق الجنسية هو أداة قوية في أيدي

إثارة الشهوة الجنسية، الحسية، و"أسرار النساء" عند الباغاندا

سيلفيا تامال *

1 المقدمة

الشهوة الجنسية والإنجاب. في كمبالا، عاصمة أوغندا، انتشرت ظاهرة خدمات *السينغا* التجارية. وخصّصت وسائل الإعلام المطبوعة والإلكترونية بعض أعمدها *للسينغا* والبرامج الإذاعية الخاصة بها والمفتوحة لاتصالات المستمعين. كما أن *السينغا* كتيّبات تباع في شوارع كمبالا. إن هذه المؤسسة، أي *السينغا*، تخضع للتغيير على أثر التحديث والتحديث، بالإضافة إلى ممارسات الاقتصاد الرأسمالي داخل اقتصاد السوق المحرّر.

إن الجنسية هي من أبرز المجالات التي يتم على أساسها الإبقاء على خضوع المرأة في إفريقيا (McFadden 2003, Pereira 2003). إن النظام الأبوي وراث الاستعمار هما الخلفية لهذه الدراسة عن *السينغا*. فالتصور الاستعماري للأفريقيين في أوغندا أنّهم مهتكون ومفرطون في علاقاتهم الجنسية أدّى إلى التشدد في قمع جنسانية الأفريقيات بصفة خاصة ومراقبتها. لقد عمل المستعمرون يداً بيد مع رموز النظام الأبوي الأفارقة لتطوير قوانين تقليدية جامدة تحوّلت إلى أنظمة وأشكال جديدة من السيطرة (Schmidt 1992, Mama 1996) ونشروا مختلف الاستراتيجيات والخطابات القانونية والسياسية في مجالات الطب وعلم الصحة. إلا أنه أعيد تنظيم العادات التقليدية لإدخال عادات ومحرمات ووصمات جنسية جديدة، وخضعت جنسانية النساء لاعتبارات طبية وأصبحت تقتصر على الإنجاب (Vaughan 1991, Musisi 2002). كما جرى تشجيع الأفريقيين على رفض معتقداتهم وقيمهم السابقة من أجل تبني أساليب البيض

تتصل الجنسية اتصالاً وثيقاً بكل مظاهر حياتنا تقريباً: كاللذة والسلطة والسياسة والإنجاب، بالإضافة إلى المرض والعنف ولغة الحرب والأدوار الاجتماعية والدين وهيكلية القرابة (Kinship structures) والهوية والإبداع ... إنّ هذه المقالة التي تبحث في مختلف طرق استخدام إثارة الشهوة الجنسية (the erotic) كمصدر قمع وتمكين على السواء، تستوحي من الصلة والتصادم بين الجنسية الإنسانية والسلطة والسياسة. في مقالاتها اللافتة بعنوان *الثانوي المثير للشهوة الجنسية كسلطة*، تؤيد Audre Lorde (1984) جعل المثير للشهوة الجنسية أساساً لمقاومة النساء القمع لأنّ هذا المفهوم بالنسبة لها يتضمن أكثر بكثير من الفعل الجنسي، لا بل إنّّه يربط بين المعنى والشكل ويتغلغل في الجسد والنفس. وقبل Lorde كان Michel Foucault (1977 & 1990) قد بيّن كيف يشكّل جسد الإنسان عنصراً أساسياً في عملية السلطة.

تركّز هذه المقالة على *السينغا* (Senga) وهي مؤسسة ثقافية/جنسية لتلقين الجنس عند الباغاندا في أوغندا، في محاولة للتوصل إلى فهم أفضل لجنسانية النساء الأفريقيات. إنّ الحديث عن أمور *السينغا* يشير إلى مؤسسة استمرت عبر القرون كتقليد للتلقين الجنسي. تتأسس هذه المؤسسة العمّة (أو من يحل محلّها) ويقوم دورها على تعليم الصبايا مختلف قضايا الجنس، بما فيها ممارسات سابقة للحيض، والإعداد لما قبل الزواج، وإثارة

عادة يجري اختيار إحدى العمّات لتؤدي دور *السينغا* وذلك بناءً على سلوكها المثالي. إن دورها هو تنشئة بنات أخيها اجتماعياً حتى يصبحن زوجات "صالحات" وخانعات يوفرن للزوج متعته الجنسية. إن احترام *السينغا* كما يحترم والد الزوج، واحترامها من قبل معظم أفراد العائلة، أديا إلى ارتفاع مكانتها وازدياد سلطتها واحترام الباغاندا لها عبر السنين. يحق *للسينغا* أن تدخل بيت أخيها وتخرج منه بحرية لأنها مسؤولة عن تعليم البنات. حتى إنه باستطاعتها أن تأخذ البنات إلى بيتها لتعلمهن. وتحرص *السينغا* على أن تتقن الصيايا السلوك والأدوار الأنثوية المناسبة، أي أن يتعلمن الطريقة المثلى للجلوس والمشي والتصرف واحترام الكبار في السن والطبخ، إلخ. وتتعلم الفتيات الصغيرات علي يد *السينغا* "زيارة الدغل" وهي كما سابّين لاحقا ممارسة شدّ أو تطويل شفر الشابة الأصغر قبل أن تحيض. ولما يبدأ الحيض تبدأ *السينغا* بإعداد الفتيات للزواج.

مع أن النظام القديم للمؤسسة لم يكن يقتضي أن يكون الزواج مدبراً، إلا أنه كان *للسينغا* دور أساسياً في تدبير زواج بنات أخيها. فمهمة *السينغا* الأساسية هي تهيئة بنات أخيها ليصبحن زوجات أو ضرائر صالحات خانعات. وإن كان الزوج غير راضٍ عن سلوك عروسه، وخصوصاً عن "سلوكها في غرفة النوم"، يلوم إهمال *السينغا* على ذلك ويعيد إليها العروس "لتدربها" جيداً. وكان تعليم *السينغا* يتضمّن أيضاً بعض التعليمات التمكينية (empowering) الموجهة إلى الشابات. مثلاً، تشجّع *السينغا* ابنة أخيها على الانخراط في بعض المبادرات الاقتصادية المنزلية (كالنسيج وصنع الفخار) لكي تتجنب الاتكال الكامل على زوجها. كذلك كانت *السينغا* توضح أنّه ينبغي للزوجة ألا تتحمّل زوجاً عنيفاً، وأن لها حق الـ *kunoba* (الانفصال) إذا بالغ الزوج في استخدام القسوة، بما في ذلك حرمانها من اللذة الجنسية. وغني عن

"الحضارية" وذلك من خلال اعتناق المسيحية. ففرّضت على أجساد الأفريقيات سلوكيات جديدة مشبعة بالمراسيم الفكتورية الأخلاقية الوعظية التي تناهض الجنس وتعتبر الجسد عاراً، ورافق هذا التغيير فرض نظام سيطرة معقد.

لقد أعيد تحديد ماهية مؤسسة *السينغا* عدة مرات في الماضي لكي تتناسب والعصر (Kisekka 1999, Sengendo & Sekatawa 1973). والواقع أنه فيما تسهّل *السينغا* وتعزّز سلطة النظام الأبوي، هي في الوقت نفسه تقلب المعايير فيه وتسخر منه. إن نظريات Judith Butler (1990) عن قلب المعايير وقوة الخطاب في انتاج الظواهر والهويات الاجتماعية التي يحددها وينظمها خصوصاً من خلال الأداء المتكرر (performativity) تساعد على إبراز مظاهر مؤسسة *السينغا* غير المألوفة. وملاحظة Butler أن النوع الاجتماعي عمل يومي عادي يتعلّمه المرء، أي أنه أداء مبني على معايير ثقافية عن الأنوثة والذكورة، تلفت النظر إلى الطرق التي ننتج بها ونعيد إنتاج النوع الاجتماعي والجنسانية بواسطة الخطاب الذي نستعمله. إن هذه المقالة تبحث في مركبات الجنسانية والأنوثة والذكورة في كيغندا (Kiganda) وذلك من خلال تفكيك نظام النوع الاجتماعي والجنسانية كما وضعته مؤسسة *السينغا*. إنها تسعى إلى إيجاد أجوبة على التساؤلات التالية. كيف أثر تطور *السينغا* في إعادة تأويل معايير متجذّرة متعلّقة بالأنوثة والذكورة والذاتية؟ وهل تمثل *السينغا* بأي حال من الأحوال إمكانيات تحرر بالنسبة للنساء؟

2. *السينغا* بين الماضي والحاضر

بحسب معلوماتي، ليس من دراسة تحلّل مؤسسة *السينغا* في كيغندا تحليلاً منظماً. إنّ معظم المواد التاريخية في هذا القسم من الدراسة هو من التاريخ الشفوي وحكايات روتها لي بعض نساء *السينغا* ومعتقدات شعبية.

القول أن الجنسية اتخذت دوراً هاماً في دروس *السينغا* التي ركزت على الإثارة الجنسية، والأدوات والمساعدات الجنسية، فضلاً عن العقاقير المثيرة للشهوة الجنسية مثل روائح نباتية وزيوت لإثارة الشهوة الجنسية وخرز جنسي (*obutiti*) وغيرها.

وفي محاولة منهم أن يزيلوا "الممارسات الثقافية المضرة" ونشر أخلاقية الغرب الجنسية بين الشعب، اهتمّ المبشرون والمؤسسة الاستعمارية اهتماماً خاصاً بنساء الباغاندا. وتلاحظ Nakanyike Musisi ما يلي:

لقد تمكّن المبشرون أمثال Cook من جعل الجنسية، وخصوصاً جنسانية النساء، ليس فقط شأنًا دينيًا، بل شأنًا علمانيًا أيضاً وشأنًا لا بدّ أن تنظمه الدولة المستعمرة، من خلال الأساليب التعليمية والطب. وبشكل أوضح، أصبح الجنس مجالاً يحتاج إلى تشريع يُخضع الأفراد لرقابة المستعمر. واقتضى المشروع الطبي والسياسي الاجتماعي لتنظيم الولادات والأولاد وحيوات الأمهات أن تسيطر الدولة على الأخلاقية الجنسية أكثر من أن تسيطر عليها القبيلة أو مجموعات الأقارب. (Musisi 2002: 101)

أطلقت الإدارة المستعمرة حملة طهارة أخلاقية واسعة في أوائل القرن العشرين، وهددت الكثير من قيم مؤسسة *السينغا*. مع أن *السينغا* مثلت مؤسسة "مثالية" كان بإمكان البريطانيين أن ينشروا من خلالها أخلاقيتهم المسيحية عن الجنسية بين الباغاندا، فلا دليل لدينا على أنهم حاولوا ذلك يوماً. ربّما يعود هذا إلى أن المستعمرين تعاملوا بالدرجة الأولى مع النخبة الذكورية من رؤساء الباغاندا، وأقصوا النساء من التعاطي بشؤون الحكم إلى حد بعيد. وبوجه الإجمال بقيت مؤسسة *السينغا* على حالها في عهد الاستعمار.

على غرار ثقافات أفريقية كثيرة أخرى اعتُبر الزواج والأسرة (أي الإنجاب) في الماضي أساس المجتمع (ولا يزالان يُعتبران كذلك). في هذا السياق، وبالنظر إلى الدور الجوهري الذي أدته *السينغا* في هذا المجال، لم تعد مجرد فرد من أفراد العائلة؛ لقد أدى دور *السينغا* وممارستها لتحويلها إلى مؤسسة قائمة بذاتها داخل ثقافة كيغاندا. ومن نواح عديدة، رسّخت مؤسسة *السينغا* أنماط توقعات لرجال الباغاندا ونسائهم (ولا تزال تؤثر فيها) منظمة بذلك العمليات الاجتماعية في الحياة اليومية (cf. Lorber 1994). وعليه، وعلى نقيض المعتقد الشعبي الشائع، فإن مؤسسة *السينغا* لا تقتصر على تعليم الإثارة الجنسية، ولا هي نوع من عبادة أفروديت (*Aphrodite*) التي وسّعها وطورها Abdoulaye (1999). إنها تمتدّ إلى جميع مجالات حياة النساء (cf. Tchikala 1999). إن *السينغا*، كمؤسسة هي مليئة بالتناقضات والملابسات: فبين موضوعها الرئيس عن الخنوع نجد نصوصاً تدعو إلى التحدي والمناورة وتسلط النساء.

لقد أظهرت مؤسسة *السينغا* بطرق كثيرة مرونة وقابلية عتية للتكيف في أعقاب تغييرات اجتماعية وسياسية واقتصادية واسعة في أوغندا. كان للمضائق الاقتصادية والسياسية التي تعرّضت لها أوغندا منذ أوائل سبعينات القرن العشرين تأثير كبير في الأسر وفي أيديولوجية الحياة المنزلية (أو البيت)، وخصوصاً علاقة المرأة بالبيت والأسرة (concept of domesticity) (Tamale 2001) (UWONET 1998).

وبالنسبة للأوغندي العادي كانت عملية التعديل البنوي عبارة عن نضال يائس لتأمين أدنى متطلبات العيش. وفي الحقيقة، كانت النساء هنّ اللواتي دفعن أعلى ثمن. فبالإضافة إلى أدوار الإنجاب والإنتاج في الحياة المنزلية، اضطرت نساء عديدات إلى الانخراط في نشاطات خارج منازلهن

لتأمين دخل يلبي ضرورات الحياة. وكانت الأسر الفقيرة في المدن الأكثر تأثراً.

كان ظهور *السينغا* التجارية أحد السبل التي ابتدعتها النساء استجابة لقلّة الفرص الاقتصادية في المدن. ولقد تحوّل دور المؤسسة التقليدي إلى شكل جديد متحرّر، وصارت أكثر من مجرد عملية عرض وطلب، وتحوّل خطابها من المجال "الخاص" إلى "العام". إن هذه المؤسسة التاريخية التي كانت تقوم بدور معين وهو أن تهَيئ الشابات للزواج والتدبير المنزلي، اكتسبت فجأة إمكانية أن تصبح مورد كسب مادي. ويبدو أن الوضع في المدن آمن سوقاً حاضرة ومستعدة فصلتها الحقائق التاريخية والفراغ الذي ولّده أوضاع البلد الإجتماعية والاقتصادية والسياسية. إنّ إلغاء الخدمات العامة في مجالي الصحة والتعليم مثلاً، سهّل أن تصبح *السينغا* نشاطاً يولد دخلاً في عصر يعزّز إنتاج المداخل. وعليه شكّلت *السينغا* مصدراً غير رسمي لفرصة مهنية، وشكّلت أساساً مادياً لمؤسسة إجتماعية وثقافية تتمتع بالاستمرارية. إنّ برامج *السينغا* على محطّات إذاعات الموجات القصيرة التي تعتمد على اتصالات المستمعين الهاتفية، بالإضافة إلى الأعمدة المختلفة في الصحف المخصّصة لـ *السينغا*، لم توسّع فقط فرص التوظيف في هذا المجال، وإنما حولت جنسانية كيغاندا أيضاً من مجال البيت الخاص لتصبح جزءاً من الخطاب اليومي العام.

اليوم تتشكّل مؤسسة *السينغا* من عناصر "محافظة" لن تحيد عن ممارسات العصور القديمة، وعناصر "تقدمية" تراعي العصر. هنا يبدو أنّ العمر والعلم يشكّلان عنصرين مؤثّرَيْن، فالـ *سينغا* الأصغر سنّاً والأكثر علماً يملن إلى آراء أكثر تحرراً من نظيراتها الأكبر سنّاً والأقل علماً. وبين المؤثرات المعاصرة الأخرى نجد مؤثرات كالدين والنسوية وفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز وتزايد الزواج المختلط وتكنولوجيا المعلومات. إنّ المؤسسة نفسها

أعادت تعريف علاقة المرأة بالبيت والأسرة فيما راحت "الحداثة" تؤثر فيها. ونتيجة ذلك يتوافر القديم والحديث معاً، وهذا ما تعبّر عنه جيداً جملة شائعة من نص ديني لـ *السينغا* "يحيا الملك طويلاً". وكما هو متوقّع، تشكل مؤسسة *السينغا* اليوم حجراً أساسياً في العجلة الإجتماعية والسياسية الخاصة بمملكة باغاندا. ولا غرابة في أن تكون وزيرة الثقافة والتقاليد في المملكة *سينغا* تجارية.

فيما يعترف الأوغنديون بحسّة وشهوانية النساء، فإنهم في الوقت نفسه يخافون كثيراً من جنسانيّتهن. وبينما يجري الترويج باستمرار لاعتبار الجنسانية المغايرة معياراً، لا يتاح للناس التعبير عن جنسانيّتهم في المجال العام. وهذه تظهر للعيان التناقضات والمعضلات المحيطة بجنسانية الأوغنديّات عندما تُناقش الإثارة الجنسية عند النساء ومتعهتهن في العلن. لقد ظهر ذلك جليّاً في شباط 2005 حين أعدّت أربع مجموعات أوغندية نسائية في كامبالا مسرحية Eve Ensler مونولوجات المهبل (*Vagina Monologues*). لقد كان الهدف من المسرحية الإحتفال بالجنسانية الأنثوية إلى جانب تسليط الضوء على العنف الجنسي ضد النساء، وقد تعهّدت المسرحية بأن تتخطى كل المحرّمات الجنسية في المجتمع الأوغندي. إلا أن الحكومة أسرعّت إلى منع المسرحية عن طريق مجلس الإعلام بحجّة أن العنوان كان "إهانة للحساسيات الثقافية" وأن المضمون "فاحش جداً" وهو "يشجع على المثلية بين النساء في أوغندا"¹. وبذلك أظهرت دولة النظام الأبوي إنكارها غير الديمقراطي لحريّة النساء الأساسية في التعبير، وخوفها من تحرّر النساء الجنسي. لقد اعتُبرت المسرحية مصدر تهديد إذ قد تزعزع نظام النوع الإجتماعي والسياسة الجنسية في المجتمع الأوغندي².

تحت سطح القمع السياسي الصريح الذي ظهر في هذه

”مزارع رديء“؛ ويشار إلى الرجل الذي يقذف قبل الأوان بأنه ”عاجز عن إنجاز العمل في حصته اليومية من الأرض الزراعية“؛ وعبارة ”أن يأكل عشاءه“ أو ”يحفر حصته من الأرض الزراعية“ تشيران إلى الجماع؛ وتعني عبارة ”يجب أن يؤكل الطعام مع البهارات“ إدخال التنوع في النشاط الجنسي. ويشار إلى المرأة بأنها ”تحرق القدر“ إذا كان مهبلها جافاً. إن الرمز الجنسي ”هاون ومدقة“ شائع؛ فالمدقة ترمز إلى عضو الذكر المنتصب وترمز حركة ”الدق“ إلى الجماع الجنسي.

إن الألعاب موضوع آخر مفضل تتمحور حوله الأحاديث. إحدى الألعاب الكيغندية القديمة تدعى *omweso (mancale)* وهي من نوع الألعاب التي تقدم على لوح وقائمة على ”العد والأسر“. يقوم كل لاعب بتحريك البذور على اللوح الخشبي بهدف أسر بذور الخصم. إن المصطلحات المستخدمة في هذه اللعبة توحى بالجنس. وتستخدم *السينغا* تعابير موحية جنسياً مثل ”التردد في أثناء اللعب وتحريك البذور إلى وراء“، ”تحريك البذور على طول اللوح“ و”تأدية ألعاب *omweso* بإدارة الظهر للآخر“، وهذه كلها تخفي دلالات جنسية.

إن الفولكلور التقليدي والتهويدات وأغاني الأطفال توفر أيضاً نماذج لاستعارات توصل الرسائل الجنسية بين النساء. إن تعليم الأمور المتعلقة بالجنسانية يتضمن عناصر كثيرة بالنسبة للسينغا، أهمها القدرة على شرح الأفكار ونقل الشعور بالمتعة المعنوية حيال الموضوع. إن استخدام الاستعارة استخداماً خلاقاً أمر جوهري في هذه العملية، إذ يسهل تفسير الجنسانية وتعزيزها بواسطة مؤسسة *السينغا*. ثم إن هذا الاستخدام الخلاق للاستعارة يشرع علاقات النوع الاجتماعي/السلطة عند الباغاندا بالإضافة إلى مساهمته في خلق وتثبيت الخطاب المنبثق عن اعتبار الجنسانية المغايرة معياراً (مثلاً،

الحالة نجد ”نضالات النساء الصامتة“ التي تقاوم السيطرة وتحاول قلب المعايير. وخلف الصمت العام حول جنسانية النساء والإثارة الجنسية نجد مملكة ”أسرار النساء“. ولا يطلع على هذه الأسرار سوى النساء، وتؤدي *السينغا* دور الحارسات الرئيسات لأرشيفات أسرار نساء الباغاندا الجنسية. في الأقسام التالية أسلط الضوء على الدور الذي تؤديه *السينغا* في مشاركة هذه الأسرار الجنسية وتشجيع تلك ”النضالات الصامتة“ بواسطة استخدام الاستعارة، بخلق فرص للنساء كي يتكلمن على الجنسانية والشهوانية، وتعليم تلميذاتهن فنون المتعة.

3 ”حوارات الهاون/المدقة“

فيما تعد *السينغا* الشابات وتزينهن وتنظمنهن لتجعلهن ”نساء باغنديات صالحات“ تثبت من خلال أعمالها وخطابها الثقافة السائدة (النظام الأبوي والجنسانية المغايرة واعتبار الجنسانية المغايرة معياراً). ولكن في الوقت عينه هناك أجزاء من خطاب *السينغا* تزعزع افتراضات كامنة في الثقافة السائدة حاملة إمكانية إنتهاك النوع الاجتماعي. وتؤدي الاستعارات والرموز دوراً أساسياً في خطاب *السينغا*، ويشار إليها بـ *okwambaza ebigambo*. وتشكل هذه الكلمات وسيلة مقبولة للوصول إلى العالم السري للجنسانية المكتومة ناقلة إياها من المجال ”الخاص“ إلى المجال ”العام“. كما أنها تتيح اتصالاً مشفراً حول الجنسانية، بإمكان النساء وغيرهن من البالغين حله، ولكنه مخفي عن الأولاد. وبواسطة الاستعارات الجنسية ورموز إثارة الشهوة الجنسية وتأويل دقيق لالتباسات ذات دلالة ثقافية، تحدد *السينغا* هوية النوع الاجتماعي الكيغندية.

بما أن الزراعة تشكل نشاط الباغاندا الإقتصادي الأساسي، يستوحى الكثير من الاستعارات والرموز الجنسية من هذا الموضوع. وعليه يُنعت الرجل العاجز جنسياً أو العقيم بأنه ”عاجز عن حراثة وفلاحة مزرعته“؛ والرجل الحقيق في الفراش بأنه

التي أبدتها *السينغا* ناجيمبا (Najjemba) إلى قدرة *السينغا* على زعزعة المفاهيم الثقافية:

المتصل الأول (ذكر): ”لقد حمل الله النساء وحدثهن مسؤولية الصحة المنزلية؛ إنه أمر طبيعي.“

المتصل الثاني (ذكر): ”الثقافة ليست جامدة وفي الواقع يجب أن نشارك نحن الرجال. قديماً كانت النساء يعملن فقط في المنزل، واليوم يعملن في الخارج أيضاً، وعلينا أن نشارك في المسؤوليات المنزلية.“

سينغا ناجيمبا: ”مثلاً، يجب أن يغسل الرجال ملابسهم الداخلية بأنفسهم.“

المتصلة الثالثة (أنثى): ”يجب أن يفهم الرجال أننا لا نتزوج لكي نصبح عبياتهم أو خداماتهم.“

المتصلة الرابعة (أنثى): ”كلا، كلا، دورنا كنساء هو أن نعتني ببيوتنا، بما في ذلك غسل ملابس أزواجنا الداخلية.“

المتصل الخامس (ذكر): ”ما هذا الهراء، إذا كانت إمرأتي ... (mukazi wange)“

سينغا ناجيمبا: ”تصحیح. من فضلك أشر إليها كـ ”زوجتي“ (mukyala wange).“

إنَّ الآراء المتحررة التي عبرت عنها سينغا ناجيمبا هي في الواقع شائعة إلى حد بعيد بين *السينغا* المتعلّقات التجاريّات. ولكن هؤلاء *السينغا* لسن على الإطلاق ”ضد الثقافة“. وفي برنامج آخر تفسر *السينغا* ناجيمبا أنها تؤيد بشدة تلك المظاهر من تقاليد كيغاندا وعاداتها ذات القدر.

استعارة الهاون والمدقة). وعليه يكون خضوع النساء واتكاليتهن والتحكم بهنّ مضمونا بواسطة الجنسية. ولكن، كما هي الحال مع كل الأيديولوجيات المسيطرة، فخطابات الانحراف متوافرة داخل مؤسسة *السينغا*.

4 عدم المطابقة بين النوع الاجتماعي والجنسانية: أحداث ثقب في النظام الأبوي

مع أن أساس *السينغا* الأيديولوجي ثقافي بالدرجة الأولى، فهو متأثر بالسن والدين والطبقة الاجتماعية وغير ذلك. إنَّ العديد من *السينغا* لا يلتزم ما تملّيه نصوص نماذج النوع الاجتماعي والجنسانية المتعارف عليها في المجتمع؛ وهناك *سينغا* يذعن رسائل تدعو إلى تحرر النساء واستقلالهن الاقتصادي.

”عيشي مع رجل فترة من الزمن قبل أن تتزوّجيه.“³

”لماذا لا يتقبّل الرجال علاقات زوجاتهم الجنسية خارج البيت الزوجي فيما تتحمّلها النساء في كل زمن؟ يجب أن يفهم الرجال أن لزوجاتهم مشاعر شبيهة بالخيانة، والعار، والألم حين يخونونهن.“⁴

”من المهم جداً أن يكون لكل امرأة دخل، مهما كان ضئيلاً ... لا تتكلي أبداً على رجل في جميع حاجاتك المالية. أنا نفسي تعلمت ذلك بمشقة وأربّي ولدين بمفردي.“⁵

”إنَّ الصحة المنزلية مسؤولية جميع من في البيت، بما فيهم الأب، ويجب أن لا تقع على كاهل الزوجة/ الأم وحدها. يجب أن يشارك الرجال في الأعمال المنزلية ...“ ”إنسوا الممارسات القديمة لأن الثقافة تتطور.“⁶

قد يشير النقاش الذي تبغ هذه الملاحظة الأخيرة

انتظري لحظة: كل ما سمعناه هذا المساء هو عن كيف نرضي رجالاً. وكيف علينا أن نخدمه ونخدم أولادنا باستمرار، وماذا علينا أن نفعل لنرضيه في الفراش ... هل يمكنك أن تقولي لي ماذا يستطيع الرجل أن يفعل ليرضيني أنا؟

واضح أنَّ هؤلاء النساء يرفضن الأيديولوجية التي تفضل الرجال على النساء. وأنهن يتحدّين فرض الأمومة كهوية نموذجية لنساء الباغندا. إنَّ مطالبة الرجال بأن يتدربوا هم أيضاً على أساليب إرضاء شريكاتهم جنسياً يشكل خطوة أساسية من قبل بعض الشابات الباغنديات. وأهم من ذلك، إنه يشير إلى أنَّهن لا يعتبرن الجنس سبيل إنجاب بالدرجة الأولى وإنما سبيل رفاهة ولذة أيضاً، فيسترجعن الجنس من مجال الطب/الإنجاب إلى مجال إثارة الشهوة الجنسية. وبذلك تكون إثارة الشهوة الجنسية كمورد هي أيضاً أداة تمكين لنساء الباغندا.

لقد عززت ممارسات جنسية "حديثّة" و"أجنبية" الجنسانية التقليدية وتمتّتها. مثلاً، اليوم يشمل جزء من تعليم *السينغا* دروساً في ممارسة الجنس عن طريق الفم، والتقبيل العميق والاستمناء وغير ذلك من أشكال اكتشاف الذات. في الواقع، يتضمن منهج الكثير من *السينغا* أساليب التحكم بالرجال والتلاعب بهم بواسطة الجنس. وبكلمات أخرى، إنهن يشجعن النساء على استخدام الجنس لتقويض سلطة النظام الأبوي من خلال الإيحاء للرجال بالإذعان الكامل.

الرجل كالطفل ... أتركه يعتقد أنه صاحب السلطة فيما تمسكين أنت بزمام الأمر. دليله وأفرطي في ذلك وعامله كملك فيصبح طوع وإرادتك، ولن يتركك أبداً. قد يذهب إلى نساء أخريات إلا أنه سيعود إليك.

قالت إحدى *السينغا* التجاريات إن أكثر أسئلة النساء المتكررة في جلساتها هو 'N'omukazi amala?' أي: "هل تقصدين أن المرأة أيضاً تستطيع أن تشعر بذروة لذّة الجماع؟" وبيّنت أنها هي نفسها كانت متزوجة خلال 15 سنة وأنجبت خمسة أولاد ولم تشعر قط بذروة لذّة الجماع. ولم تكتشف ذروة اللذة عند المرأة (*entikko y'omukazi*) إلا عندما عقدت علاقة جنسية خارج البيت الزوجي. وكان ذلك بالنسبة إليها سبباً كافياً لترك زوجها، وهي تحيا الآن علاقة جنسية سعيدة. وعليه تشكل موضوعات مثل قذف الأنثى وذروة لذّة الجماع في البظر جزءاً من برنامج تقنيات هذه *السينغا* التعليمية. وبين كل جلسات تعليم *السينغا* العامة التي حضرتها، كانت جلسة هذه *السينغا* أكثرها تأثيراً في بسبب مجرد حضورها، جاذبيتها وديناميكيته - التي لم تختلف كثيراً عما يميّز فئة القسس الإنجيليين الحديثين الذين يسحرون الجماهير ونرى شعبيتهم في أوغندا اليوم. وقد يكون مثيراً للاهتمام أن نبحث في ما إذا كانت مثل هذه الدروس تتحول إلى سياسات تحررية بالنسبة للنساء اللواتي يستفدن منها.

كذلك كان بين متدربات *السينغا* أصوات كثيرة تتحدّى الخطابات السلطوية المتجذّرة في مؤسسة *السينغا*، وتشكك في افتراضات أساسية تخص النظام الأبوي متجذّرة في خطاب *السينغا* الرئيس وفي المعايير والممارسات الجنسية للذكور/إناث. ولقد رفضت بعض الشابات اللواتي حضرن إحدى جلسات *السينغا* الخاصة التي حضرتها الجزء من درس *السينغا* الذي يناشدهن أن يمنحن أمومتهم الدور الأول، وأن يعتبرن أزواجهن بمثابة "بكر أولادهن". وفيما يلي نموذج لبعض أجوبتهن التي سبّبت شهادات وتمتات:

هل تقصدين أن علينا البقاء طيّعات حتى وهو يسيء إلينا؟ هل يجب أن نسكت حتى حين يظهر جلياً أنه يسيء معاملتنا ويؤذي جسدنا؟

الجنسانية كما يعكسها تطور مؤسسة *السينغا* تبين أنها تتخطى العلاقات الجنسية المغايرة وإثارة الشهوة الجنسية.

5 الشُّفْران الثقافيّان

إنّ النساء في مختلف الثقافات ”أصلحن“ أو غيرن أجسادهن لتلائم المعايير الثقافية. إحدى الطرق التي تتوسلها نساء الباغندا لـ ”إصلاح“ أجسادهن هي من خلال ”تهيئة المهبل“ لمنح الرجال الحد الأقصى من المتعة.

ترشد *السينغا* الفتاة الموغندية حين تكون بين التاسعة والثانية عشرة من عمرها، قبل أن يأتيها الحيض، لتهيئة أعضائها التناسلية للجنس في المستقبل. كان ذلك يجري بمطّ الشُّفْر الأصغر. وهذا معروف بـ *okukyalira ensiko* أو ”زيارة الدغل“ وكان يتم إجراء هذا الطقس تقليدياً في فسحة بين الأدغال حيث الأعشاب المستعملة في العملية. ”تزور“ البنات البالغات ”الدغل“ لبضع ساعات كل يوم لمدة أسبوعين تقريباً. تقنعهن *السينغا* بالامتنال وتنصحهن بأن أحداً لن يتزوجهن إن لم يفعلن ذلك.⁷ في الواقع، إذا اكتشف رجل أن زوجته ”لم تزر الدغل“ أعادها إلى أهلها لكي تتم *السينغا* واجبها. يفسر Sekatawa & Sengendo (1999) ذلك قائلين:

إن لم تمطّ المرأة الموغندية شفرها الأصغر تُحتقر ويعتبر أن فيها حفرة. وإذا اكتشف أن عروساً لم تمطّ شفرها الأصغر، تعاد إلى أهلها مهانة.

كيف تم التعامل مع هذه الممارسة الثقافية الخاصة وتغييرها مع السنين؟ حين بدأت هذه الدراسة كنت أظن أنها كانت قد بدأت تختفي. أظهرت نتائج البحث أنها ليست حيّة فحسب ومزدهرة في المناطق المدنية والقريبة من المدن حول كمبالا، بل أنها انتشرت بين نساء كثيرات غير باغنديّات (بعضهن

أفضل لحظة لمطالبة رجلك بشيء يكون في أثناء ممارسة الجنس. تضعف عقول الرجال أمام الجنس ... فهذه تكون لحظة التلاعب بهم.

إن مثل هذه الرسائل يتضمن صدى للمثل الصيني القديم: ”الرجل رأس الأسرة والمرأة هي الرقبة التي تدير الرأس.“ قد يكون استخدام الجنسية كأداة للتلاعب وسيلة تمكين ولكنها يمكن أن تصبح مدمرة حين تفتقد الأصول الأخلاقية.

يظهر تحليل خدمات *السينغا* التجارية لتدبير العرس أن نساء الباغندا بدأن يأخذن المبادرة في العلاقات الجنسية. وهناك قسم من برنامج راديو سامبا الأسبوعي في الساعات المتأخرة من الليل – والذي يدعى *Muyizi Tasubwa* أي ”ما يجب أن يسمعه المستمعون“ – مخصّص لقراءة السيرة الذاتية لأشخاص يبحثون عن شريك. ويتوجب على من يقدم/تقدم استمارة الطلب *للسينغا* أن يقدم/تقدم صورة فوتوغرافية فضلاً عن معلومات عن السن والقبيلة والعشيرة والدين والوضع العائلي إلخ، بالإضافة إلى ما يفضلون/يفضّلن أن يكون عليه/ها الشريك/ة المنتظر/ة. إن نصف الطلبات تقريباً هو من نساء. ومعظم النساء يؤكّدن أنّ على الشركاء الذين يبحثن عنهم أن يكونوا مستعدين لإجراء فحص فيروس نقص المناعة المكتسبة. إنّه لأمر جديد نسبياً أن تتحكم نساء الباغندا بجنسائتهن ويمارسن السلطة بهذا الشكل الحاسم والصريح.

وعليه نرى أهمية مؤسسة *السينغا* في إعادة تعريف وتحديد أيديولوجية الحياة المنزلية في كامبالا، من خلال تثبيت هرمية النوع الاجتماعي والجنسانية. إنّ الحدود الجنسية التي ترسمها تقاليد *السينغا* وتعيد رسمها داخل النطاق المنزلي تتناول مختلف قضايا الطبقة والنوع الاجتماعي والدين، فضلاً عن مفاهيم الامتنال والمخالفة. ودلالات

من أصل أوروبي) يسعين إلى خدمات /السينغا التجارية لمط أشفارهـن. وعلى الرغم من ذلك، اختار عدد كبير من النساء الأصغر سناً التنازل عن هذه الممارسة الثقافية، كونها "غير مفيدة وبدائية". ربّما لم تعد الممارسة إجبارية، ولكنها تبقى تقليداً متجذراً حتى بين النخبة من الباغندا.

وبيّنت الأبحاث أن مط الشفّر الأصغر يخدم ثلاثة أهداف رئيسة على ما يبدو. أولها وظيفي، إذ إنّ الشفّر الممطوط يعزّز التجربة الشهوانية عند جميع النساء والرجال على السواء. وقد يكون حين يلمس ويُعالج بطريقة سليمة خلال اللعب التمهيدي أو الاستمنااء المتبادل مصدر لذة كبيرة للشريكين. ثانياً، إنّ الشفّر الأصغر الممطوط يشكل نوعاً من تحديد الذات لنساء الباغندا - إنه طابع الشرعية لامرأة موغندية "حقيقية". والوظيفة الثالثة جمالية محض؛ كثيرون من الرجال الباغنديين الذين أجريت معهم مقابلة قالوا إنهم يحبّون أن ينظروا إلى شفر المرأة الممطوط وأن يداعبوها. وبعض النساء قلن أيضاً إنهن يتمتّعن حين يلمس شفّرهـن الممطوط لأن ذلك ينقل الإحساس إلى البظر.

هذه النتائج تناقض تماماً التعريف الذي وضعته منظمة الصحة العالمية التي أدانت مط الشفّر وصنّفته بأنّه من النمط الرابع (type IV) لختان الإناث. وتضم منظمة الصحة العالمية هذه الممارسة إلى ممارسات ختان الإناث التي تشكل خطراً على صحة النساء.⁸ إلا أنّ منظمة الصحة العالمية تغفل تماماً الطرق التي تعزّز بها هذه الممارسة المتجذّرة في مؤسسة /السينغا المتعة الجنسية بالنسبة للنساء، كما أنها وسّعت نظرتهم إلى أنفسهم ككائنات جنسية فاعلة. ومن اللافت للنظر أن ممارسات جمالية مضرّة (مثل ثقب البظر) التي تجرى أحياناً في بلاد غربية لم تدرج تحت النمط الرابع من ختان الإناث. ومن خلال

مثل هذا الخطاب تدرج منظمة الصحة العالمية هذه الممارسة الأفريقية لتعزيز الجنس في السجل السلبي الواسع للممارسات الثقافية المضرة التي تنتهك حقوق النساء والأطفال. وبعيداً عن معاناة أحاسيس "النقص والقلق والكآبة"⁹ التي تقرنها منظمة الصحة العالمية بهذه الممارسة، فإن معظم الذين استجوبوا في هذه الدراسة تكلموا على هذه الممارسة الثقافية بشكل إيجابي. هذه التجربة التي تحياها نساء الباغندا تناقض الطابع السلبي الذي تصم به منظمة الصحة العالمية عادة مط الشفّر.

6 الإثارة الجنسية والسلوك الجنسي في الغرفة الزوجية

إنّ الرسالة الأساسية التي توجهها /السينغا إلى المتزوّجات: "كوني زوجة لطيفة ومتواضعة، ولكن تحوّلي إلى عاهرة (Malaya) في غرفة النوم." هذه وصفة موثوق بها لعلاقات جنسية سليمة تنصح /السينغا النساء باستمرار بأن يقذفن الخجل والحياء والارتباك من نافذة غرفة النوم. وحين تتكلم /السينغا عن "قضايا غرفة النوم" يتغيّر سلوكهن وتصرفهن. يتبنّين صوتاً مثيراً للغريزة الجنسية لكي يؤكدن رسائلهن. في الواقع، لا توظف الإذاعة سينغا إلا إذا كانت ذات صوت عميق ومهدئ ورومنطقي يسحر المستمعين.

بين الأدوات المثيرة للشهوة الجنسية المرتبطة بالجنسانية الكيغندية خرزات ملونة معبأة تعلّق على الخاصرة وتدعى أوبوتيتي (obutiti). تقليدياً، صنعت الـ بوتيتي (butiti) من خرزات طينية صغيرة جداً تحدث رنيناً أو خشخشة حين يدق بعضها ببعض الآخر لدى أقل حركة. تثير إمراًة مزينة بصوف الـ بوتيتي حول خصرها وهي تتبختر حول غرفة النوم شهوة شريكها. كذلك حين يدير الرجل الخرزات الـ بوتيتي أو يفركها على جسد المرأة تكون بمثابة مثير للشهوة الجنسية.

وكثيراً ما تحقق الخرزات بأعشاب معينة أو تنقع فيها لتزداد فاعليتها المثيرة.

خلال جلسة خاصة مع السينغا يتعلّم المراقبون عادة من خلال مشهد إرشادي كيف يعزّزون تقنيات المضاجعة. قد تتمدّد اثنتان من السينغا على سرير وتبيّنان للشريكين أو المتفرجين بواسطة عرض مفصل بدقّة "كيف من المفترض أن تكون المضاجعة". تأتیان ومعهما كل أدوات الجنس ومن أهمّها الـ نكومبي (*nkumbi*)، وهي عبارة عن قطعة قماش بيضاء كبيرة، ناعمة، تمتص السوائل وتستخدم لأسباب صحية خلال المضاجعة وبعدها. توفرّ الممارسات والمعتقدات المقترنة بالـ نكومبي (*enkumbi*) طقساً مهماً جداً بحد ذاته بالنسبة للباغنديين. كذلك تعلّم السينغا "أصواتاً مختلفة للمضاجعة"، مثلاً صوتاً من الأنف (*okukona*) للـ *ennyindo*، وهسهسة (*okusiiya*) ونفساً/لهائناً (*okusika omukka*). ويبدو أنه من شدّة حماس التلميذات للتعلّم لا يخطر ببالهن خلال مراقبة امرأتين نصف عاريتين في السرير أن هذا المشهد يشبه مشهداً غرامياً بين امرأتين مثليتين.

بعد إنهاء المشهد تعرض السينغا الأدوات للبيع، ومن ضمنها الأنكومبي، الأوبوتيتي وأعشاب جنسية مختلفة. كما توصّف بأنّها أعشاب مختلفة لتأثيرات متباينة. وبين المعروضات التي تنصح بها السينغا هو نوع من الفياغرا المحليّة (*ekibwankulata*)، ومولونديو (*mulondo*) أو أولوكيندوكيندو (*olukindukindu*) ويقال أنّ كليهما فعّالان في منح "الثور قوّة". وتقترح عدداً من الأعشاب لتضييق المهبل والحفاظ على دفته - ومما يُنصح به لهذا الغرض دخان الـ إككوزي (*ekkozi*) الذي يكون قد أحرق في طاس طيني ويدخل في المهبل مباشرة. يفضل الباغندا "الجنس المبتل" على "الجنس الجاف". من أجل ذلك يدخل دخان أوراق الـ أكيبو/نكولاتا

(*ekiwankulata*) أو لحاء شجر الـ كفافاكازي (*Kiffabakazi*) في المهبل، أو تُغلى الأوراق واللحاء ويشرب ماؤها لتعزيز بلل المهبل. إنّ أوراق الـ كجامبوني (*kajjampuni*) المدقوقة أو الملفوفة تضيق جدران المهبل إذا أدخلت فيه بضع ساعات قبل المضاجعة. ونساء كثيرات يزرعن هذه الأعشاب باستمرار في حداثقهن. إنّ مشروبات الحب السحرية التي تنصح بها السينغا كثيرة، من بينها أوراق نبتة الكاوليرا (*kawulira*) التي حين تخلط بالخضار في أثناء الطبخ ويأكلها الرجل من المفترض أن تستميله.

7 الخلاصة

درست المقالة ديناميكية الثقافة الجنسية وتعقيدها كما بيّنتها مؤسسة السينغا. ويظهر أنّ الجنسانية هي موقع لإنتاج خطاب النوع الاجتماعي المهيمن، وتفرض قيوداً على التمكين بينما تمنح في الوقت نفسه فرصاً لتحقيقه. وفي بيئات أفريقية كثيرة تختلف علاقة النساء بأجسادهن كثيراً عن العلاقات السلبية المتجذرة في تراث الاستعمار.

تحمل "سياسة الجسد" بالنسبة للأفريقيات في مضمونها أيضاً ما يمنحهن السلطة، وينعكس في المقاومة والتفاوض والهوية والرغبة بالذات والمتعة والصمت. وفيما حاولت قوى الاستعمار وما بعدها أن تمارس السيطرة على ممارسات تعليم الجنسانية بواسطة الدولة ومؤسسات الصحة العامة والإنعاش "الحديثة" التابعة لها (التي لم يتم المحافظة عليها)، لا تزال مؤسسة السينغا عند الباغندا تسيطر في هذا المضمار. فهي لم تستمر فحسب، وإنما توسّعت لتلائم التغييرات في سياسة البلد الاقتصادية وفي كل المنطقة الأفريقية.

توسع هذه الدراسة البحث الأكاديمي والتنظير حول الجنسانية كمجال للمتعة في أوغندا خصوصاً، والقارة الأفريقية عموماً. ولقد تعلّمت من تجربتي

البحثية درساً واحداً هاماً وهو أننا حين نتخطى الدراسات التقليدية عن الجنسية الأفريقية (التي تركز بالدرجة الأولى على الإنجاب والعنف والمرض) لنبحث في مجال الرغبة والمتعة، نكتسب فهماً أعمق لهذا الموضوع المعقد. إن توسيع نطاق أبحاثنا في الجنسية بهذه الطريقة يوفر منظوراً جديداً إلى تدخلات استراتيجية في مناطق حساسة كالحقوق الجنسية وفيرس نقص المناعة المكتسبة/الايدز والتنمية.

ملاحظات

* أود أن أشكر الأشخاص التاليين الذين قرأوا مسودات هذه المقالة وأبدوا فيها ملاحظات مفيدة جداً: Amina Mama وCharmaine Pereira وTakiwaa Manuh. كما أشكر كل أفراد فرقة البحث النسوي في "رسم خريطة الجنسانيات في أفريقيا". إن نسخة أقدم وأطول من هذه المقالة ظهرت في Feminist Afrika 2005, Vol. 5. ولذا أشكر المجلة على سماحها بإعادة نشر هذه النسخة المعدلة.

1 أنظر إلى حكم لجنة الإعلام (Media Council) في "مسألة قانون النشر والصحافيين" و"في مسألة مجلس الإعلام" و"في مسألة مسرحية مونولوجات المهبل" (لم تنشر)، 16 شباط 2005. راجع:

A. Wasike and E. Wafula. 'Government Opposes Vagina Monologues', *New Vision* 11 February 2005; F. Ahimbisibwe. 'Vagina Play Dropped', *New Vision*, 18 February 2005.

2 عندما مُنعت المسرحية جمعت التذاكر التي كانت قد بيعت مسبقاً وقيمتها 20 مليون Ushs (US\$11500). لم يسترجع ثمن التذاكر سوى 20 شخصاً. وكان هذا تأكيداً هاماً لتضامن الناس مع القضية واحتجاجاً على الحكومة. (راجع:

'Women Activists Blame Government for Violence', *Daily Monitor* 28 June 2005: 4; 'Women Activists Fetch sh20m', *New Vision* 28 June 2005: 4).

3 سينغا حجة مريم كيوجا (Mariam Kayoga) موييزي تاسويوا (Muyizi Tasubwa). *Radio Simba*, 18 أيلول 2004، الساعة 12:40 صباحاً.

4 سينغا كاتانا (Katana)، محاضرة عامة، مسرح "الكرامة" (Pride Theatre) في 24 تشرين الثاني 2004، من الساعة 6 إلى 9 مساءً.

5 سينغا ناكيبولي موكاسا (Nakibuule Mukasa)، أبابيري (Abayira Ababiri)، *Radio Simba*, 5 كانون الأول 2004، من الساعة 5 إلى 7 مساءً.

6 سينغا إسيزا ناجيمبا (Eseza Najjemba)، غونو موليمبا كي؟ (Guno Mulembe ki) *Akaboozi ku Bbiri* FM، 23 تشرين الثاني 2004، الساعة 5:35 بعد الظهر.

7 إن الممارسة الثقافية التجميلية القائمة على ط الثنيات الداخلية للشفر الأصغر هي ممارسة شائعة في عدد من مجتمعات البانتو في شرق أفريقيا وجنوبها، مثلاً، Tutsi (رواندا)، Basotho (ليسوتو)، Shona (زيمبابوي)، Nyakyusa and Karewe (تنزانيا)، Khoisan (أفريقيا الجنوبية) وTsonga (الموزمبيق).

8 راجع تعريف منظمة الصحة العالمية للفئة IV من ختان الإناث على الموقع

www.who.int/mediacentre/factsheets/fs241/en/

9 المرجع نفسه.

- Abdoulaye, Ly (1999) 'Brief Notes on Eroticism Among the Lawbe, Senegal', *CODESRIA Bulletin* 3 and 4: 46–8
- Butler, Judith (1990) *Gender Trouble: Feminism and the Subversion of Identity*, London: Routledge
- Foucault, Michel (trans. Alan Sheridan) (1977) *Discipline & Punish: The Birth of the Prison*, New York: Vintage
- Foucault, Michel (1990) *The History of Sexuality: An Introduction*, New York: Vintage Books
- Kisekka, M.N. (1973) 'Heterosexual Relationships in Uganda', unpublished PhD dissertation, University of Missouri, USA
- Lorber, Judith (1994) *Paradoxes of Gender*, New Haven: Yale University Press
- Lorde, Audre (1984) 'Uses of the Erotic: The Erotic as Power,' *Sister Outsider: Essays and Speeches*, New York: The Crossing Press
- Mama, Amina (1996) 'Women's Studies and Studies of Women in Africa During the 1990s', *CODESRIA Working Paper Series 5/96*, Dakar: CODESRIA
- McFadden, Patricia (2003) 'Sexual Pleasure as Feminist Choice', *Feminist Africa* 2: 50–60
- Musisi, Nakanyike (2002) 'The Politics of Perception or Perception as Politics? Colonial and Missionary Representations of Baganda Women, 1900–1945', in Jean Allman, Susan Geiger and Nakanyike Musisi (eds), *Women in African Colonial Histories*, Bloomington: Indiana University Press
- Pereira, Charmaine (2003) 'Where Angels Fear to Tread? Some Thoughts on Patricia McFadden's "Sexual Pleasure as Feminism"', *Feminist Africa* 2: 61–5
- Schmidt, Elizabeth (1991) 'Patriarchy, Capitalism, and the Colonial State in Zimbabwe', *Signs: Journal of Women in Culture and Society* 16.4: 732–56
- Sengendo, James and Sekatawa, Emmanuel (1999) *A Cultural Approach to HIV/AIDS Prevention and Care* 1, Special Series of Cultural Policies for Development Unit, Paris: United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization (UNESCO)
- Tamale, Sylvia (2001) 'Between a Rock and a Hard Place: Women's Self-Mobilization to Overcome Poverty in Uganda', in Sheila Rowbotham and Stephanie Linkogle (eds), *Women Resist Globalization: Mobilizing for Livelihood and Rights*, London: Zed Books
- Tshikala, Biaya (1999) 'Eroticism and Sexuality in Africa: Directions and Illusions', *CODESRIA Bulletin* 3 and 4: 41–6
- UWONET (1998) *Structural Adjustment in Uganda*, Kampala: Uganda Women's Network
- Vaughan, Megan (1991) *Curing Their Ills: Colonial Power and African Illness*, Stanford, CA: Stanford University Press

تعزير الحسية من أجل علاقات جنسية أكثر أماناً بين الرجال في الهند

أنوبام هازرا *

1 المقدمة

تبحث هذه المقالة في الصلة بين "اللذة" و"الصحة" وقضايا التنمية"، وهما مفهومان يبدو في الظاهر أن لا علاقة بينهما، ولكن الواقع إن الصلة بينهما وثيقة. تستمد هذه المقالة مضمونها من خبرة الكاتب الشخصية، ومن اشتراكه في عدد من الدراسات عن الصحة الجنسية في بنغال الغربية (West Bengal)، ومن ملاحظات وأبحاث ثانوية ومقابلات مع رواة (informants) أساسيين في كولكاتا (Kolkata) وحولها، لتدرس العلاقة بين الشبقية الشهوانية (sensuousness) وعلاقات جنسية أكثر أماناً بين رجال يمارسون الجنس مع رجال آخرين يعيشون في كولكاتا وضواحيها. وتنطلق من رؤيتي الخاصة أن جعل العلاقات الجنسية بين الرجال أكثر أماناً يستدعي مقارنة تدخل عناصر الشبقية الشهوانية. إن مثل هذه المقاربة يجب أن تسعى لأن تصبح أفعالاً مثل العدوان ولعبة السلطة ولوج غير محمي (أو حتى اللوج نفسه) غير مغرية بالنسبة للرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين، بينما تصبح نشاطات جنسية أكثر أماناً ومزيداً من العدالة في النوع الاجتماعي/الجنس مغرية أكثر لهم. إن الوظيفة الأساسية للعمل على عناصر الشبقية الشهوانية هي جعل "جنس أكثر أماناً" معادلاً لـ "جنس ذي متعة للطرفين". وفي هذا السياق، أبدأ المقالة بالبحث في المواقف والسلوكات الجنسية بين الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين. وبعد ذلك سأتناول النضال لتغيير العوامل الظرفية (contextual factors) الأوسع التي تجعل

العلاقات الجنسية غير آمنة للرجال وأنظر في مقاربات تعزز علاقات جنسية أكثر أماناً تؤدي فيها اللذة دوراً أساسياً.

2 المواقف والسلوكات الجنسية بين الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين
كشفت مناقشات مع رواة أساسيين ونشطين وزملاء عن عدد من جوانب المواقف والسلوكات الجنسية التي تولد مخاطر لا يستهان بها في ممارسة الجنس بين الرجال. وفي ما يلي أسلط الضوء على بعض القضايا الأساسية التي برزت للعيان.

2.1 اللغة الخاصة بالجنس بين الذكور

إن اللغة المستخدمة لوصف الجنس بين الذكور في الهند هي لغة عدوانية إلى حد بعيد، وكثيراً ما تقترب بالعنف والسلطة. إن تشير معظم الكلمات التي تصف اللوج (في الفم أو المهبل أو الشرج) تشير إلى فعل عنيف أو عدواني من "قبل شريك على آخر" - فتستخدم كلمات مثل مروانا (marwana) (يلج)، غاند مروانا (gand marwana) (اللولج الشرجي)، غسانا (ghusana) (أن يدخل)، بودا بامبو (poda bamboo) (إدخال خيزرانة في الشرج) - وهي كلمات تتضمن معنى ضرب شخص آخر أو تعذيبه. أما المصطلحات التي تدل على جماع يرضي شريكين أو أكثر موافقين عليه، فمن النادر أن نجدها في اللغة العامية التي تتناول عادة العلاقات الجنسية بين الرجال. حتى الشركاء الجنسيون يشيرون بطرق مختلفة إلى الدور الذي يؤدونه في جماعهم - الشريك

إن فكرة الاغتصاب نفسه تُبجّل ورجال كثيرون يظنون أن اغتصاب شخص أو التعدي عليه جنسياً يزيد من إحساس الرجل بذكورته ويظهر قوة ذكورته. إن هذا الربط غير الصحي بين الذكورة والعدوان كثيراً ما يدفع أناساً خائعين أو متلقين إلى الرغبة أو الافتتان بأن يُغتصبوا. وعديدون يعتبرون الشركاء الجنسيين العدوانيين أكثر ذكورة وبالتالي يرغبون فيهم أكثر مما يرغبون في غيرهم.

2.3 تأثير وصمة العار

إنّ الخوف من الوصم بالعار والتمييز يدفع الذكور لأن يلجأوا إلى ممارسة الجنس مع بعضهم البعض في السر وبسرعة (ومن باب السخرية كثيراً ما يكون ذلك في أماكن عامة)، من غير أن تتاح لهم فرصة التمتع بالتجربة أو جعلها أسلم. إن تنشئتنا الاجتماعية تعلمنا أن الجنس "قذر" وأن الجنس بين الرجال أقذر. وعليه لم نتعلم قط أن نلتذّ به. ولكننا جميعاً نختبر ونفهم أن الجنس "ممتع ومُرض". وكثيراً ما يجعلنا هذا التناقض نقرن الجنس بشيء يجب أن نلتذّ به سريعاً للتمتع باللحظة الراهنة، لا أكثر.

وكثيراً ما تدفعنا الوصمة المقترنة بالجنسانية المثلية إلى أن نخفي الحميمية الجنسية أكثر. كما نشعر أن هنالك ما يمنعنا حتى التحدّث عنه، فكم بالحري إلى تطوير العلاقة حتّى ضرب موعد قد يقود في النهاية إلى لقاء جنسي ممتع وأكثر أماناً. وعليه نجد أن في معظم حالات الجنس بين الذكور إمكانية تطوير علاقة رومانسية أو حميمة أو التقرب بين الشركاء الجنسيين شبه معدومة. هذا النقص في فهم عقلية شريكنا الجنسي يقلل احتمالات التفاوض من أجل جنس أكثر أماناً. ويقول أحد الرواة الأساسيين:

حين نلتقي بشاب وسيم في قطار أو حافلة،

الذي يمثّل دوراً مسيطراً أو دور الولوج (ويكونان واحداً في معظم الأحيان) كثيراً ما يستخدم كلمات مثل مروانا (*marwana*)، غسانا (*ghusana*) وما إليهما للإشارة إلى اتحادهما الجنسي. من جهة ثانية، نجد أن الشريك الذي يؤدّي دور الخاضع أو المتلقي (هنا أيضاً يكون في معظم الأحيان الشخص نفسه) يشير إلى الاتحاد الجنسي بكلمات أرق أو يستخدم الكلمات نفسها بمعنى أرق – مثلاً بيشونا كورا (*pichona kora*) (الولوج الشرجي)، بيشونا نيويو (*pichona neoyo*) (يتلقى من خلف)، شامان نيويو (*shaman neoyo*) (يتلقى من أمام)، بيثور زوكاناو (*bithore dhokano*) (اختراق الداخل)، سيديّه ديوا (*sedhiye deoa*) (اختراق الداخل)، نورانو (*dhurano*) (أن يُخترق – يستخدم هذا المصطلح عادة أناس ذوو هويات أنثوية كالهجراس (*hijras*) والكوتيس (*kotis*)).

2.2 اعتبار العدوان الجنسي ذكورة

هناك معتقد شائع أنّ الشريك الذي يلج (*parikh*) ليس ماتشو (*macho*) أي فحولي أو عدواني بما فيه الكفاية ليسمى "رجلاً"، إن لم يشعر شركاؤه الجنسيون بالألم حين يضاجعهم. فضلاً عن ذلك، في كثير من الحالات يتحمل الفرد الألم الذي يسببه له شريكه الجنسي بما أنه يعتقد أن لشريكه (المسيطر/الوالج) الحق في ذلك. ولقد أفاد أحد الرواة الأساسيين:

أعرف رجلاً ممن يسمّون مؤنّثين (*feminised*) يظن أن لشريكه الجنسي الذكر، على غرار غيره من الذكور، السلطة والحق في فعل ما يروق له. أما هو (الرجل المؤنّث في القصة) فيجب أن يكون خاضعاً ومسامحاً وأن يتحمّل الألم الذي ينزله به شريكه الجنسي كما يفترض أن تفعل النساء. Paromita Banerjee، ناشط في كولكاتا مهتم بقضايا النوع الاجتماعي، (Praajak/MANAS 2003).

نحاول أن نضاجه بأية وسيلة ممكنة وفي أي مكان، ولذلك يصعب أن نفكر في الواقعي الذكري أو المزلق (lube sachet) الذي يخفف الاحتكاك.

2.4 التولوج كجنس

إن تنشئتنا الاجتماعية وتكييفنا النفسي تقوداننا إلى الاعتقاد أن الجنس لا يحصل إلا بين رجل وامرأة وأن الرجل يلج المرأة. وهذا يدفع رجالاً عديدين إلى الاعتقاد أن الجنس مستحيل من غير تولوج، فيصبح التولوج (في الفم أو الشرج) يعني "الجنس". وهذا ما يدفع الكثيرين من الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين إلى الاعتقاد أن المتعة الجنسية الكاملة لا يمكن أن تتحقق إلا بالتولوج (في الفم أو الشرج).

وبالنسبة للعديد من الشركاء الجنسيين المؤنثين الذين يقومون بدور المتلقي فإن الألم الذي يعانونه خلال تولوج شريك جنسي عدواني يقترب بلذة إمكانهم من أن يغروا ويرضوا "رجلاً". وكثيراً ما يتغلب هذا الإحساس بالإنجاز على الألم الذي يعانونه في مثل هذه العلاقات. ووصف شخص آخر مشاعر اللذة والرضى التي يختبرها الرجال بقوله:

حين يولج الرجال الأنثويون (feminine) يعترفهم إحساساً قوياً بأنهم نساء. يظنون أن تفضيلهم أن يلجهم الرجل بدلاً من امرأة (حقيقية) هو دليل على أن لديهم ما هو أفضل من المرأة... إن ذلك يقوّي شعورهم بأنهم نساء في الداخل.

ومن المعتقدات الشائعة أن الشرج أضيق من المهبل، وعليه يوفر متعة أكبر للشريك الوالج. كذلك يُعتقد أن النساء لا يفضلن عادة أن يلجهن الشريك من الشرج أو لا يسمحن بذلك، ورجال كثيرون

لا يشعرون بالراحة إذا ولجوا شرج زوجاتهم أو شريكاتهم. وعليه يبحثون عن مثل هذه المتعة إما عند عاملات الجنس أو شركاء رجال. وحتى عاملات الجنس لا يسمحن عادة بتولوج الشرج. والشيء نفسه ينطبق على لعق القضيب. وربما يكون من أسباب ذلك تربيتنا الاجتماعية والثقافية. وعليه لكي يتمتع الرجل بلعق قضيبه أو تولوج الشرج يلجأ إلى شركاء ذكور.

إن كثرة التولوج واضحة أيضاً في اللغة المحلية المستخدمة عادة في البنغال والهند (أنظر إلى الحوار السابق). ومعظم هذه الكلمات يشير إلى تولوج عنيف ويستخدم عادة رموزاً للعدو والسلطة وعدم إنصاف النوع الاجتماعي وعدم الإنصاف بين الجنسين.

2.5 الشركاء الجنسيون والمكانة

يُعتبر عدد الشركاء الجنسيين مؤشراً منزلة مرموقة. هذا ما عبّر عنه أحد الرواة الأساسيين حين قال:

كثيراً ما يفتخر الرجال المختئون الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين بعدد الرجال الذين ضاجعهم في يوم واحد أو سهرة أو ليلة. فمضاجعة عدد كبير من الرجال يعتبر إنجازاً.

وكثيراً ما يُعتقد أن القدرة على مضاجعة ذكور كثيرين برهان على النجاح في الإغراء وعلى مهارات تأمين المتعة. بالإضافة إلى ذلك، يستمد ذكور مؤنثون عديدون إحساساً بالأهمية والقيمة إذا استطاعوا أن يُغروا عدداً كبيراً من الشركاء الذكور المسيطرين الوالجين الذين يكونون شباناً ينضجون رجولة.

2.6 حجم القضيب

هناك معتقد راسخ أن ذكورة الرجل تتناسب مع حجم قضيبه. فضلاً عن ذلك، يعتقد كثير من

وفي كل مرة أتعامل مع عمال جنس ذكور يضاجعون زبائن ذكور في سوناغاتشي (Sonagachi) (منطقة اللبغاء معروفة في كولكاتا)، يتبين لي أن كثيرين من زبائنهم يظنون أن الأمراض المنتقلة بالجنس تعالج بالجماع الشرجي مع صبيان. ويظنون أيضاً أنه يصبح بإمكانهم أن يزدوا من قوتهم الجنسية إذا تمرّنوا على الجنس مع صبيان. بالإضافة إلى ذلك يظنون أن مثل هذه السلوكات الجنسية تحميهم من الإيدز.

3.3 استخدام الواقي الذكري لا يزال قليلاً

إن قلة إدراك الخطر، بالإضافة إلى عدد من العوامل الأخرى، أدت إلى عدم حدوث تغيير كبير في استخدام الواقي الذكري بين الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين في بنغال الغربية على الرغم من مرور عقد من الزمن في العمل على الصحة الجنسية مع العديد من هؤلاء الرجال في هذا الإقليم. ولقد أظهرت دراسة أجريت عام 2003 عن الصحة الجنسية شارك فيها رجال يمارسون الجنس مع رجال آخرين في بنغال الغربية (Prajak/MANAS 2003) التالي:

- من بين 51 متزوجاً شاركوا في الدراسة، فقط 1.96 بالمئة استخدموا الواقي الذكري في أثناء مضاجعتهم شرجياً ذكوراً آخرين في الأشهر الستة الأخيرة، فيما قال 31.37 بالمئة أنهم لم يستخدموه قط.
- من بين الـ 195 غير متزوجين شاركوا في الدراسة، فقط 10.76 بالمئة قالوا أنهم استخدموا الواقي الذكري في أثناء مضاجعة ذكور آخرين شرجياً خلال الأشهر الستة الأخيرة، و41.53 بالمئة لم يستخدموه قط.

ولقد أظهرت دراسات سابقة أجريت في بنغال الغربية أيضاً نتائج شبيهة بالمذكورة أعلاه.

كما أن عدداً من المشاركين في هذه الدراسة

الشركاء الجنسيين الذين يقومون بدور المتلقي أن عضو شريكهم الوالج يمنحهم لذة أكثر. ولذلك يفضل العديد من الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين الشريك الذكر ذا القضيب الكبير لظنهم أنه أكثر ذكورة وقدرة على توفير اللذة. ولكن كثيراً ما يعاني الشريك المتلقي فتقاً وتمزيقاً في الشرج خلال هذا النوع من الجماع، مما يزيد خطر تعرضه لعدوى فيروس نقص المناعة المكتسبة/ الإيدز وغيرها من الأمراض المنتقلة بالجنس.

3 عوامل أخرى تساهم في جنس غير آمن

3.1 قلة الخيارات الجنسية بالنسبة للرجال

الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين

بالنسبة للعديد من الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين هناك نقص فادح في إمكانية الحصول على معلومات صحيحة حول الجنس والجنسانية وأماكن إجتماعية وجنسية آمنة. وفي هذه الظروف يصبح التعدي والسلطة والعنف أو الاغتصاب حلاً لا بد منه للحصول على الإثارة الجنسية والرضى.

إن قلة معرفة هذه الأمور بالإضافة إلى ثقافة جنس عدواني، يقللان بالنسبة للعديد من الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين، من قدرتهم على التفاوض من أجل جنس أكثر أماناً، وخصوصاً خلال اتصال جنسي مع شركاء جنس عدوانيين، مما يزيد من خطر تمرّق شرجي وبالتالي من إمكانية نقل فيروس نقص المناعة المكتسبة.

3.2 قلة إدراك الخطر

وجدت الدراسة أيضاً أنه نتيجة عدم (أو إنكار) إمكانية الحصول على معلومات وخدمات صحية جنسية جيدة، لا يدرك الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين مدى خطورة تعرّضهم لفيروس نقص المناعة المكتسبة/ الإيدز وغيرها من الأمراض المنتقلة بالجنس.

ذكروا أيضاً أن كثيرين من شركائهم الوالجين يفقدون انتصاب عضوهم حين يضعون الواقي الذكري، وبعض الشركاء الوالجين أنفسهم اعترفوا بأنهم يعانون المشكلة نفسها أحياناً. وهذا دليل واضح على ضرورة اتخاذ مقاربات جديدة لتغيير المواقف وتعزيز استخدام الواقي الذكري.

4 تغيير البيئة الأوسع: نضال طويل الأمد

تدل النتائج الأولية لهذه الدراسة على ارتباطين وثيقين في مضمار الجنس بين الذكور في كولكاتا وحولها: أولاً، هناك ارتباط سلبي بين "الولوج والعدوان واستخدام السلطة" و"جنس أسلم"؛ ثانياً، هناك ارتباط إيجابي بين "الولوج والعدوان واستخدام السلطة" و"جنس ممتع" (أو الإثارة الجنسية). ومن هنا السؤال ماذا يمكن عمله لجعل الجنس أكثر أماناً للرجال الذين يمارسونه مع رجال آخرين من غير أن نقلل من اللذة التي تُقرن حالياً بالعوامل نفسها التي تجعل الجنس غير آمن؟

من الضروري جداً أن نحتّ على حوار مفتوح في الجنس والجنسانية، ولكن هذه مهمة شبه مستحيلة في البيئة الاجتماعية والقانونية الحالية في الهند. ولقد واجهت محاولات المجتمع المدني لإطلاق مثل هذا الحوار - ضمن الحملات المؤيدة لتعديل القوانين - عقبات باستمرار وذلك بسبب رفض الحكومة والمجتمع الأوسع القبول بشرعية الجنس غير المنجب (non-procreative) باسم الأخلاق. كما قال أحد الرواة:

يخلج مجتمعنا ذو النظام الأبوي من الكلام على الجنس أو الحب بين رجلين، ولذلك يحاول أن يجمع هؤلاء الرجال، ويكون سعيداً ما دامت هذه الأمور (الجنس بين الرجال) تمارس خفية.

بالرغم من هذا الواقع، من الضروري الاستمرار

بدعم الإصلاح القانوني من أجل الاعتراف بالحقوق الجنسية للرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين، مهما كانت المحاولات لتجنّب هذا التغيير في الوقت الحاضر. كما أن إصلاح القانون يستطيع أن يساعد على تغيير مواقف المجتمع من الجنس والجنسانية والسلوك الجنسي واللذة الجنسية، فضلاً عن تسهيل عمل الوكالات الطوعية التي تعمل على قضايا الصحة مع الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين والتي تقيد القوانين الحالية نشاطاتها.

ولقد حدّدت مقابلات وأبحاث ثانوية أجريت خلال هذه الدراسة ثلاثة مجالات هامة لإجراء إصلاحات قانونية:

1 الفقرة 377 من القانون الجزائي الهندي الذي يجمع في سلة واحدة "السلوك الجنسي المثلي الإجباري" و"السلوك الجنسي المثلي حين يكون الشريكان بالغين ومتوافقين على ممارسة الجنس مع بعضهما البعض حتى ولو في خلوة". هذا القانون يؤثر بشكل خاص في نشاطات المنظمات الطوعية التي تعمل على قضايا الصحة مع الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين، مما يؤثر بدوره في الصحة العامة (Combat Law) (2002).

2 الفقرة 292 من القانون الجزائي الهندي الذي يعاقب "الفحش" ويعتبره جريمة. إن التعريف الحالي للفحش يمكن أن يؤدي إلى سوء استخدامه ضد كتابات وآداب المثليين والمثليات. وهذا يمنع منظمات التنمية الاجتماعية من إصدار مواد التواصل المغير للسلوك التي تتناول قضايا الصحة الجنسية والجنسانية بشكل صريح مع رسوم بيانية أو صور مفصلة. وبسبب هذا الواقع،

كثير من مناطق الهند عارض المعلمون التربية الجنسية. وحيث شملت المناهج المدرسية التربية الجنسية ظلّ الشك في قيمتها. وعلى المنظمات الطوعية التي تعمل على الجنسية وقضايا الصحة الجنسية أن تقوم بمثل هذه المبادرة.

ضمن هذا الواقع حيث التربية الجنسية الشاملة والموضوعية هي الهدف على المدى البعيد، بإمكاننا أن نحاول دعوة بعض المؤسسات التربوية والمعلمين الأكثر تقدمية إلى حذف أو تخفيض التحامل في التربية الجنسية الراهنة فوراً. ويجب أن يتعلّم الطلاب أن الجنس أكثر من مجرد ولوج القضيب في المهبل، ويجب ابتكار رسائل تمكن الطلاب من تطوير فكرة غير عدوانية عن الجنس، ويجب أن يتعلّم التلاميذ احترام إنصاف النوع الاجتماعي والتنوع في النوع الاجتماعي والجنسانية. كما يقول أحد الرواة الأساسيين:

إن الجنس ليس فقط جنساً شرجياً أو مهلياً أو بالقم. فالجلوس جنباً إلى جنب، ومسك الأيدي والذهاب إلى السينما معاً، هذه أيضاً كلّها جزء من الجنس.

5.2 تجديد في تغيير السلوك واستراتيجيات التواصل في برامج التدخل لمعالجة الأمراض المعدية جنسياً وفيرس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز

إنّ برامج التدخل لمعالجة الأمراض المعدية جنسياً وفيرس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز التي تديرها منظمات في المجتمع المدني، لا سيما منظمات المثليين والمثليات ومزدوجي الميول الجنسي ومغيري النوع الاجتماعي (م.م.م.) (LGBT) والرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين، وتلك التي تديرها منظمات طوعية أخرى تعمل مع الذكور، يجب أن ترسم استراتيجياتها وموادها المخصصة للتواصل المغيّر للسلوك بحيث

تخضع مثل هذه المواد لكثير من التصحيح، ولا تستطيع أن تنشر معلومات مفصلة (Combat Law 2002).

3 قانون منع الاتجار غير الاخلاقي الذي صدر عام 1986 والذي يجرّم الجنس التجاري. كثيراً ما تستخدم الشرطة والحكومة هذا القانون للتحرش بعمال الجنس والمنظمات الطوعية التي تعمل معهم. ولا بد من تعديل هذا القانون مع إيجاد الضوابط والموازن لتأكيد أن أحداً لا يُكره على عمل الجنس أو يُحرّض على بغاء الأولاد (Combat Law 2002).

5 تشجيع ممارسة جنس أكثر أماناً وممتع في الوقت نفسه: مقاربات فورية وعملية بوجود الكثير من الصعوبات في وجه حوار موضوعي حول الجنس والنوع الاجتماعي والجنسانية والإنصاف في هذه المجالات، يكون من غير الواقعي أن ننتظر في المستقبل القريب قبولاً اجتماعياً أوسع "للجنس من أجل اللذة"، ناهيك عن جعل الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين يقتنعون بأن "جنساً أكثر أماناً فيه أيضاً لذّة (متبادلة)". ولكن ما يمكن أن ينجح هي مقاربات فورية وعملية أكثر وفي نطاق محدود في قطاع المنظمات غير الحكومية التي تشدّد على عناصر الشهوانية. إن هذه الاستراتيجيات تستطيع أيضاً أن تمهّد الطريق لمقاربات جوهرية أكثر على المدى البعيد. وإليك بعض الاحتمالات الفورية:

5.1 تحسين نوعية التربية الجنسية في مدارس وكيّات تقدمية

تحت ضغط منظمات المجتمع المدني المستمر أدخلت الحكومة المركزية وحكومات الولايات الهندية التربية الجنسية في بعض المدارس والكيّات. وكان لهذه المبادرات تأثير محدود حتى الآن. في

ثم يجب أن يكون هناك تنوع أكثر في الواقي الذكري من حيث اللون والنعومة والنكهة والرائحة، والحجم والسماكة والمرونة، كي يلئم مختلف المتطلبات والأذواق. وفيما يتعلق بسهولة إستخدام الواقي في أثناء الجنس الشرجي، إنه من المهم جداً تشجيع استخدام المزلقات القائمة على الماء (water-based lubricants) إذ أظهرت دراسات عن الصحة الجنسية أن وجود مزلقات رخيصة وجيدة تعزّز جاذبية الواقي (Palm Avenue Integration Society 2001). ولحسن الحظ إن مداخلات حول الأمراض المعدية جنسياً وفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز التي تستهدف الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين في غرب البنغال بدأت تروج استخدام المزلق. ولكن لا بد من تحسين إمكانية الحصول على المزلقات وخفض ثمنها بشكل ملحوظ.

جعل الجنس من دون ولوج أكثر جاذبية
إن إحدى الطرق لتشجيع الجنس الذي لا يلج هي نشر فكرة أن الشعور باللذة الجنسية يكون في الدماغ لا في القضيب وحده. بالإضافة إلى ذلك يمكن تأكيد أن الملاطفة واللمس والعناق والتقبيل والاستمناج الذاتي والمتبادل والتعرّي والجلوس قرب الشريك ومشاركة المستقبل معاً أو التخطيط لذلك أو القيام ببعض الأعمال المشتركة، هذه كلها جزء من جنس ممتع. فضلاً عن ذلك يمكن تعليم الأفراد فن ممارسة الحب الشبقي مع معلومات عن المناطق المثيرة للشهوانية في الجسم وكيفية إثارتها. وفي الوقت نفسه يجب إفهامهم أن تقدير الذات والاحترام والصداقة والحب يمكن أن تكون عناصر عظيمة في جنس قائم على لذة متبادلة.

ولكن بوجود قوانين مثل الفقرة 292 من القانون الجزائي الهندي يصبح تحديد طريقة التعليم تحدياً في مجال تصميم البرامج والحملات وتوزيعها. وعلى أقل تقدير يمكن تجربة مناقشات في

تطور مفهوماً إيجابياً وغير عدواني للجنس بين الناس الذين تستهدفهم. إن تطوير مثل هذا المفهوم يتصل حتماً بتعزيز تقدير الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين لذواتهم، إذ كلما ارتفع تقدير المرء لذاته ازدادت رغبته في المحافظة على صحة جيدة وقدرته على قبول فكرة أن جنساً أكثر أماناً هو جنس ممتع، والعكس بالعكس.

تبادل خبرات جنس آمن ممتع
إن مسرحيات هزلية قصيرة ومشاهد إيماء وأفلاماً ونقاشات مجموعات ارتكازية هي بعض الاستراتيجيات والمواد التي يمكن استخدامها من أجل تبادل خبرات ممتعة حول جنس أكثر أماناً. كما أن العاملين في مجال التوعية ومعلمي الأقران (peer educators) والمرشدين يستطيعون أيضاً أن يسلطوا الضوء على المظاهر الإيجابية في الجنس الآمن والتي توفر لذة متبادلة للشركاء في الجنس، وذلك من خلال تواصل شخصي متسق مع كل فرد على حدة. بالإضافة إلى ذلك، يمكن تحديد الأفراد الذين يمارسون الجنس مع عدد من الشركاء ولكنهم يمارسون جنساً أكثر أماناً وتدريبهم على تأدية دور القدوة.

إظهار استخدام الواقي الذكري أمراً غير معقد وشائع ومرغوب به

إن ترويج استخدام الواقي الذكري والتشجيع على استعماله كونه يعزّز اللذة الجنسية، يمكن أن يجعله محبباً ويزيد بالتالي من استعماله. ويمكن تحقيق ذلك بلصق صور مثيرة للشهوة الجنسية لرجال على علب الواقي وتزويدها بتعليمات عن جنس أكثر أماناً وإشارات مع رسوم جذابة إلى استخدام الواقي. أما ترويج الواقي الذكري من خلال مواد تحمل تفاصيل أكثر، كالمطبوعات والمواد السمعية والبصرية، فهذا يقتضي العمل على مناصرة تغيير القوانين التي تمنع تطوير مثل هذه المواد بثبات، وعلى فترة طويلة الامد.

الشوارع. ويمكن مفاوضاتهم من أجل تنفيذ برامج توعية على الصحة الجنسية في هذه المراكز.

5.3 تغيير قيم العمل للخدمات الجنسية التجارية

قد يساعد تغيير قيم العمل بالنسبة للخدمات الجنسية التجارية على الترويج لجنس آمن وممتع في الوقت نفسه. إن صالونات الدلك (massage parlor) التي تؤدي دوراً أساسياً في توفير هذه الخدمات في كولكاتا وحولها، تستطيع الوصول إلى الكثير من الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين والذين يكونون عادة غير مرتين ولا تستطيع أن تتصل بهم برامج التدخل في الأمراض المعدية جنسياً وفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز. إن صالونات الدلك هذه والدالكين فيها يمكن تدريبهم علمياً على تقنيات جنس آمن وممتع مثل "دلك جنسي للاسترخاء". وفي بعض البلاد نجح مثل هذه التقنيات كثيراً في إبعاد الزبائن عن ممارسات جنسية غير آمنة.

لقد شملت اقتراحات بعض الرواة الأساسيين بالنسبة لهذا الاقتراح ما يلي:

- 1 يجب أن يكون في كل صالون دلك مدرب لتطوير مهارات الدالك في تأمين خدمات جنسية ممتعة لزبائنهم - من غير تعريض صحتهم أو صحة زبائنهم للخطر. يمكن تأمين التدريب من خلال مناقشات وإظهار أمثلة توضيحية واتصال جسدي مباشر. بعد ذلك على الدالكين المدربين ذوي الخبرة أن يدربوا الدالكين جديداً.
- 2 لا بد من جمع ملاحظات الزبائن لتقييم مهارات الدالكين، ويجب إطلاع الدالكين على هذه الملاحظات لمساعدتهم على تحسين مهاراتهم.
- 3 يجب تدريب الدالكين في المحافظة على

مجموعات إرتكازية ومطبوعات مقبولة ثقافياً مع رسوم بيانية خطوية (line diagrams) أو رسوم كاريكاتورية بسيطة (simple cartoons). أما الوسائل التصويرية التي تحمل تفاصيل أكثر، كأوراق الرسم القلابة (flip charts) والكتب والمجلات والأفلام من تمثيل نجوم جذابين، فهذه كلها وسائل تقتضي أولاً إقناع صانعي ومنفذي القوانين والسياسات بالحاجة إلى مثل هذه الثقافة.

استحداث تدريب لمدرسين على جنس من غير ولوج

عام 2004 طورت SAATHI بالاشتراك مع Shonali Saha وهو طالب في كلية الطب في نيويورك مهتم بقضايا حقوق الـ م.م.م. نموذجاً لتدريب المدربين على قضايا فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز. إن أحد التمارين في البرنامج يشجع المشتركين على تخيل لقاء جنسي مستخدمين أدوات غريبة مختلفة قدمت لهم. حين روى المشتركون ما تخيلوه، لوحظ أن معظم الأفعال الجنسية التي تخيلوها كانت سليمة إلى حد ما في ما يتعلق بالأمراض المعدية جنسياً وفيروس نقص المناعة المكتسبة وممتعة في الوقت نفسه على الرغم من ذلك. وهذا يساعد المشاركين على أن يدركوا أن الجنس الممتع لا يقتصر على الولوج ولو كان هذا الولوج الآمن.

استخدام أماكن جديدة من أجل التثقيف حول الصحة الجنسية

يمكن استخدام المراكز والحمامات العامة لتعليم قضايا متعلقة بالصحة الجنسية. كذلك يمكن وضع آلات لبضع الواقي الذكري في هذه الأماكن. وربما كان مديرو هذه المؤسسات مستعدين للتعاون. مثلاً، قد يتصل بعض منظمات المجتمع المدني بمؤسسة "سولاب سوشالايا" (Sulabh Souchalaya) التي تدير سلسلة من المراكز العامة في الهند لتنشئ بيوتاً مؤقتة لإيواء أطفال

مفتوحة، ولقاءات وحفلات، ومناسبات احتفالية، ورحلات، وأماكن تشبيك عامّة كالمطاعم والمقاهي والبارات والحداث العامة ومراكز التسوق، ومواقع إلكترونية.

إن معظم هذه الأماكن سيؤدي دور تأمين فرص لقاءات جنسية ولكن ليس بهدف ممارسة الجنس. كما سيكون لكل من هذه الأماكن حسناته وسيئاته فيما يخص التواصل حول جنس أكثر أماناً كمصدر للمتعة المتبادلة.

مساحات جنسية

إن تشجيع مساحات جنسية آمنة لمهمة أصعب. فيما استمرت بنجاح صالونات الدلك التي يؤمها الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين في كولكاتا وحولها وازدادت عبر السنين، إنها لا تزال من الوجهة القانونية في منطقة رمادية. إن استحداث تأييد من لهم مصلحة، وخصوصاً الشرطة، ضروري لتأمين بقائها وقدرتها على تأمين خدمات جنس تجاري آمن وممتع.

إذا أمكن تأجيل البت بأخلاقية الجنس والعلاقات الجنسية المثلية وخدمات الجنس التجاري، فلعله يمكن أن نقنع على الأقل بعض من لهم مصلحة بقيمة صالونات الدلك الإجتماعية. مثلاً، كثير من الجنس بين الذكور يحصل في أماكن عامة، الأمر الذي صار يعتبر شأناً قانونياً ونظامياً. إن منفذي القانون يفهمون أيضاً أنه من شبه المستحيل أن يوقفوا هذه التصرفات. ومعروف أيضاً أن ممارسة الجنس في أماكن عامة هي الخيار الوحيد بالنسبة لأفراد كثيرين لا أماكن خاصة لهم لممارسة الجنس. وعليه، إذا استطعنا أن نبين أن الجنس في الأماكن العامة شأن صحي مهم، يمكننا الدفاع بمزيد من القوة عن حسنات وجود أماكن آمنة للجنس (بالنسبة للرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين). وهذه المساحات لن تكون فقط

نظافتهم الشخصية، باستخدام عطورات جميلة وارتداء ملابس أنيقة.

4 يجب تأمين مناشف نظيفة لكل دالك وزبون.

5 يجب تشجيع المناوبة في عمل الدالكين في صالون الدلك، بالإضافة إلى تبادل الدالكين الإحترام والاهتمام. وهذا يساعد على التقليل من منافسة غير صحية (تأمين خدمات جنس غير آمن كوسيلة لمزيد من الكسب)، والحسد وضغط العمل بين الدالكين.

كذلك يستحسن التفكير في قضايا كاشتراط سن أدنى للتوظيف وحد أدنى من الأجور في صالونات الدلك. هذه العوامل قد تساعد على تعزيز العمل في صالونات الدلك على أنه خيار مهني صالح، ويزيد التزام أصحاب الصالونات والدالكين على السواء بقانون أخلاقية مهنية. ويمكن أن يشمل مثل هذا القانون تأكيد جنس آمن وممتع.

5.4 تشجيع استحداث مساحات آمنة للقائات

اجتماعية وجنسية للرجال الذين يمارسون

الجنس مع رجال آخرين

مساحات اجتماعية

قد يقال ما دام المناخ الإقتصادي والقانوني معادياً للرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين يستحيل استحداث مساحات آمنة أياً كان نوعها. ولكن خبرة حركة الم.م.م.م. في الهند، بما في ذلك التطورات في شرقي الهند، بينت إمكانية تنفيذ الكثير في تأمين مساحات اجتماعية آمنة، حيث يصبح من الأسهل ائصال (وتقبل) أفكار مقترنة بقضايا تقدير الذات، والجنسانية، وحقوق الإنسان، والصحة الجنسية وفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز.

إن المساحات الإجتماعية الآمنة قد تكون على شكل اجتماعات مع فئات داعمة، ومراكز زيارة

الصحية في هذه الحمّامات تؤديان دوراً هاماً في جعل التجربة الجنسية آمنة وممتعة في آن.

3 خدمات تأجير غرف/ فنادق لإقامة مؤقتة: يمكن أن يؤجر بعض الأفراد أو الفنادق الصغيرة غرفاً بالساعة ليتمكن الأشخاص من ممارسة الجنس في خلوة وتتاح لهم فرص أكثر للتفاوض حول جنس أكثر أماناً. وستؤمن هذه الأماكن أيضاً مجالاً لترويج جنس أكثر أماناً، مع وجوب بقائها نظيفة وجذابة.

5.5 منتدى لأهل المثليات والمثليين ومزدوجي الميول الجنسية ومغييري النوع الاجتماعي (م.م.م.م.)

عام 2005 أطلقت Swikriti وهي منظمة أهلية للـ م.م.م.م. وشركة لـ SAATHII منتدى لدعم أهالي الم.م.م.م. مع أنه ليس هناك علاقة مباشرة لمثل هذا المنتدى بقضايا الجنس الأكثر أماناً، فمن المتوقع أنه سيساعد أهل هؤلاء الناس على فهم حاجات أولادهم وبناتهم الجنسية والرومنطيقية. وهذا بدوره قد يساعد على تعزيز بيئة أسرية مؤيدة للذة حيث تنتفي الحاجة إلى إخفاء المشكلات الجنسية وما يرتبط بها. إنّ الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين في مثل هذه البيئات العائلية هم مستقرّون عاطفياً على الأرجح، وأكثر قبولاً لرسائل حول جنس أكثر أماناً وذي لذة متبادلة.

6 الخلاصة

تبين هذه المقالة كيف يمكن استخدام استراتيجيات ومواد التواصل لترويج جنس أكثر أماناً، وذلك من خلال التعريف بعناصر الشبكية في علاقات الذكور مع الذكور وجعلها نقطة عبور إلى تعزيز صحة جنسية أكثر فعالية. أمل، على أقل تقدير، أن

خاصة أو شبه عامة، وإنما ستمتّع أيضاً بإمكانية أكبر على التثقيف حول جنس أسلم يؤمّن المتعة المتبادلة وممارسته. إن مساحات آمنة خالية من التحرش وذات متعة، ستسهّل أكثر المفاوضة من أجل جنس أكثر أماناً، وستساعد أيضاً على تأمين خدمات الصحة الجنسية.

بالإضافة إلى صالونات الدلك، يمكن أن تشمل المساحات الجنسية الأمكنة التالية:

1 بيوت مفتوحة أو (Khols): إن مثل هذه متوافرة في كولكاتا ومناطق أخرى من غرب البنغال، ولكن لم يجر بعد اختبار إمكانية هذه البيوت على ترويج جنس أكثر أماناً كجنس ذي متعة متبادلة. إن البيت المفتوح النموذجي يعني أن يسمح أحد الأشخاص لرفاقه في مجموعة الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين لرفاقه باصطحاب شركائهم في الجنس وممارسة الجنس في بيته. وقد يؤمّن بعض أصحاب البيوت المفتوحة الواقي الذكري والمزقات (lube sachets).

2 حمّامات بخار للرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين: تتوافر حمّامات بخارية في معظم مدن الهند، ولكن ليس بينها ما هو خاص بالرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين. فيما لو وُجد مثل هذه الحمّامات يمكنها عرض معلومات عن جنس أكثر أماناً وتوزيع الواقي الذكري والمزقات. حتّى في الحمّامات البخارية للرجال أو الحمّامات المختلطة (مع أنها قليلة جداً في الهند) يمكن عرض رسائل جذابة عن جنس أكثر أماناً للجنس بين الرجال والجنس بين أشخاص مغييري الجنس. ولكن النظافة ومراعاة المتطلبات

تكون هذه المقالة قد ساهمت في حوار مفتوح حول الجنس والجنسانية وفي إحداث قبول وفهم أوسع لدور اللذة الجنسية في النمو البشري والتنمية. وربما استطاعت أيضاً أن تساعد على تطوير بيئة عمل صحية وأمنة لمقدمي خدمات الجنس التجاري، وتكون كذلك في مصلحة الزبائن. لقد آن الأوان أن يدرك صانعو القرار أن اللذة عنصر وثيق الصلة بتعزيز جنس أكثر أماناً، وأن خلق بيئة تؤمن جنساً ممتعاً جزء لا يتجزأ من هذه القضية.

ملاحظات

* أود أن أشكر Moutushi Chowdhury, Amitava Sarkar, Subhadip Roy, Rohit Sarkar, Pawan Dhall، وكلهم من منظمة SAATHII (التضامن والعمل ضد عدوى فيروس نقص المناعة المكتسبة في الهند)، في كولكاتا.

المراجع

- Combat Law (2002) *Humjinsi – A Resource Book on Lesbian, Gay and Bisexual Rights in India*, Mumbai: Combat Law
- Palm Avenue Integration Society (2001) *An Operations Research Project Towards Setting Up a Long Term Sexual Health Project for MSM in West Bengal*, Kolkata: Palm Avenue Integration Society
- Praajak Development Society and MANAS (2003) *Report of an Assessment of the Sexual Health Needs of MSM in West Bengal, Kolkata and New Alipor*: Praajak Development Society Bangla

إعادة الإثارة إلى علاقات جنسية أكثر أماناً: ”مشروع اللذة“ (The Pleasure Project)

ويندي كنير وآن فيلبوت

لا إكراه فيها ولا تمييز ولا عنف ... [أضفنا التأكيد].¹

خلال المؤتمر العالمي السابع عشر لعلوم الجنس الذي انعقد عام 2005 صرّحت المنظمة العالمية للصحة الجنسية (World Association for Sexual Health) بأن اللذة والرضى الجنسيين جزء لا يتجزأ من الرفاهة (well-being) ويتطلبان اعترافاً وتعزيراً عالمياً.²

من المعروف أنّ اللذة قد تدفع إلى جنس غير آمن. ولكن أبحاثاً محدودة فقط درست قدرة اللذة على الدفع إلى جنس آمن، أو الظروف التي يمكن أن تكون اللذة فيها أكثر فعالية. إنّ الخبر السار هو أنّ بعض البرامج الصحية وحملات ترويج الواقي الذكري قد اكتسبت الآن جرأة كافية لتشمل اللذة كعامل يدفع إلى استعماله، وأن تبين كيف يمكن الجمع بين مزيد من الحساسية والشبقية واستخدام الواقي الذكري. ونتج عن ذلك إزدياد في استخدام الواقي الذكري وممارسة جنس أكثر أماناً.³

إنّ ”مشروع اللذة“ يبني جسوراً بين صناعة اللذة/ الجنس وعالم الجنس الأكثر أماناً من خلال تجنّب السلبية، والحرص على أن تشمل المواد المثيرة للشهوة الجنسية نماذج عن الجنس الأكثر أماناً، وأن تشمل المواد عن الصحة الجنسية والمواد التدرّيبية المتعلقة بها اللذة كعنصر أساسي. إنّ ”مشروع اللذة“ يتجنب السلبية. فهو يروّج لجنس أكثر أماناً من خلال التركيز على بعض الحوافز الأساسية

إعادة المثير للغريزة الجنسية إلى جنس أكثر أماناً ...

لأن التربية الجنسية نادراً ما تكون مثيرة للجنس ونادراً ما تكون إثارة الشهوة الجنسية آمنة.

1 اللذة الجنسية عنصر أساسي في الصحة الجنسية

يلاحظ Ingham (2005) أنّ قبولاً أوسع للتجربة الجنسية الإيجابية يمكن أن تكون له نتائج مفيدة على صعيد الصحة العامة. وقد وجدت دراسات أخرى أن إنكار إمكانية اللذة في العلاقات الجنسية، وخصوصاً بالنسبة للنساء، يؤثر سلباً في المفاوضة الفعّالة، وبالتالي ممارسة جنس أكثر أماناً (Holland et al. 1992).

نقول هذا مع العلم أنه بدأ حديثاً الاعتراف في مضماري الصحة الإنجابية وحقوق الإنسان بأن اللذة الجنسية حاسمة بالنسبة للصحة الجنسية. تُقدم منظمة الصحة العالمية مثلاً، التعريف العملي التالي للصحة الجنسية:

إنّ الصحة الجنسية هي حالة من الإرتياح الجسدي والعاطفي والعقلي والاجتماعي فيما يتعلّق بالجنسانية؛ إنها ليست فقط غياب المرض أو خللاً وظيفياً أو عجزاً. تتطلب الصحة الجنسية مقاربة إيجابية ومحترمة من الجنسانية والعلاقات الجنسية، بالإضافة إلى إمكانية تحقيق علاقة جنسية لذينة وآمنة،

نجحت في ترويج اللذة كاستراتيجية للصحة الجنسية. ولقد شملت هذه المبادرات برامج تجعل الواقي الذكري والأنثوي مثيراً للشهوة؛ وكتباً للمراهقين تتناول الجنس بشكل إيجابي؛ والعمل مع الكنائس لتحسين الجنس بين المتزوجين؛ ومثيلات شهوانية لجنس أكثر أماناً وضعت للمصابين بفيروس نقص المناعة المكتسبة؛ وإرشاداً للذة وتقليل الضرر، موجهاً إلى عمال الجنس. وإليك بعض الأمثلة:

- برنامج العيش الإيجابي في موزمبيق، وهو برنامج قام بمبادرة من منظمة في أفريقيا الجنوبية إسمها Empowerment Concepts،⁶ وهو يروج جنساً أكثر أماناً من خلال معالجة مشكلة الضجر من الجنس في البيت الذي يدفع بالرجال إلى طلب الجنس خارج الرابط الزوجي. لقد عمل المدربون مع أصحاب النفوذ المعنوي في المجتمع، ومن بينهم قادة (leaders) من الكنائس المسيحية، لترويج إرشاد يركّز على لذة للأزواج. وكما نلاحظ في تقرير الـ Global Mapping "إن هذا هو أحد أفضل الأمثلة على تسخير سلطة اللذة حتى في بيئات محافظة تقليدياً كالكنيسة!" (The Pleasure Project 2004: 3).

- الجنس في أماكن أحرار الجنس هي مبادرة أطلقها الاتحاد الأسترالي لمنظمات الإيدز،⁷ وهي كناية عن لعبة فيديو مبنية على التفاعل تُمكن المشاهدين من متابعة رجل مثلي خيالي يُدعى زاك (Zac) خلال عدد من المقابلات الجنسية في أماكن لأحرار الجنس كالحمامات البخارية والحفلات الراقصة، متخذاً على طريقه عدداً من الخيارات الجنسية وأخرى تتعلق باستخدام المخدرات. عند كل خيار، يظهر على الشاشة مربع فيه معلومات تروج الصحة وتخفيف الضرر. وُرعت آلاف النسخ من القرص المدمج مع كتيّب إلكتروني يتخذ مقاربة إيجابية من الجنس وهو

لممارسة الجنس: الرغبة واللذة. فالبراهين تشير إلى أنّ توافر حوافز إيجابية هو أكثر الأساليب فعالية لجعل الناس راغبين في أن يمارسوا جنساً أكثر أماناً. إن المشروع يعمل على تأمين تربية جنسية تنطلق من تأكيد ضرورة أن يكون "الجنس جيداً". نقدم في هذه المقالة تقريراً موجزاً عن بعض عمل "مشروع اللذة" ونحلّل كيف يمكن لنهج إيجابي في ممارسة الجنس بطريقة أكثر أماناً أن يعزز الصحة الجنسية.

2 ترويج اللذة من أجل جنس أكثر أماناً:

تخطيط عالمي

أجرى "مشروع اللذة" مسحاً عالمياً ليحدّد المنظمات/المشاريع في العالم التي تروج اللذة في عملها من أجل منع فيروس نقص المناعة المكتسبة وتشجّع على ترويج الصحة الجنسية والتي تُدرج الجنس الأكثر أماناً في المواد الإعلامية المثيرة جنسياً.⁵ هذا المسح هو عبارة عن أبحاث ارتكزت على جمع المعلومات من خلال إعلانات ورّعت لأشخاص وردت أسماؤهم ضمن قوائم بريد الكتروني (list-serves) عن الصحة الجنسية، ومقابلات في اجتماعات ومؤتمرات، وتوسيع دائرة الاتصالات لتشمل مصادر معلومات أولية وأكبر عدد من المصادر من شبكة اتصالاتهم. لقد جرى جمع المعلومات بالهاتف وبالبريد الإلكتروني والبحث على المواقع الإلكترونية. ولقد كان الجزء الأكبر من المعلومات على شكل نصوص يُجهل من كتبها وأحاديث عن استراتيجيات لبرامج خبّر عنها أصحابها. ولقد كانت نتيجة هذا البحث قائمة معلومات حول أكثر من 30 منظمة وبرنامجاً وخدمة وحدثاً ومورداً، تستخدم كلّها اللذة الجنسية بشكل خلاق لكي تكون الدافع الأول لممارسة جنسية أكثر أماناً.

أظهر المسح وجود تنوع غني على صعيد المبادرات التي أتت في سياقات مختلفة، وبين كيف أنها

(advocacy initiatives) وحملات عامة (public campaigns).

موجّه إلى رجال حاملِي فيروس نقص المناعة المكتسبة.

• تدريب ”ظهِراً لبطن“ لتغيير اجتماعي: إنّ Ibis هي منظمة غير حكومية في ناميبيا تعمل على التنمية داخل المؤسسات والجمعيات والحكم المحلي ومشاركة الشعب. تدير Ibis برنامجاً محلياً لفيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز يتوجه للموظفين والشركاء في المؤسسات أو الجمعيات وتدريبهم ليصبحوا وسطاء تغيير. وتتضمن هذه العملية تمكين الموظفين من استكشاف حقائهم ومسؤولياتهم الخاصة واختراق نكران الذات والمساعدة على نزع المحرمات المحيطة بالكلام على الجنس والجنسانية بين الزملاء والأصدقاء. كما تنظم ورشات عمل مختلطة تجمع بين الإدارة العليا وموظفي التنظيف للبحث في قضايا حميمة متخفية حدود الطبقة الاجتماعية والمكانة. ويرد في تقرير الـ Global Mapping أن أحد التمارين المستخدمة في ورشات العمل هذه ينطوي على الطلب من المشاركين والمشاركات أن يكونوا فريقين ثم يطلب من أعضاء كل فريق وضع قائمة بأكبر عدد من أجزاء الجسم التي يظنون أنه يمكن استخدامها بطريقة جنسية، وأكبر عدد من الأوضاع الجنسية التي يمكنهم استخدامها. من خلال الضحك والمزاح، تبرز قضايا كالأماكنيات المختلفة لإثارة اللذة الجنسية، وهذا يؤكد أنّ كثيراً مما يثير اللذة لا يقتضي بالضرورة الولوج الجنسي، ويؤدي إلى مناقشات حول سلامة مختلف النشاطات الجنسية من دون ولوج.

• جعل الواقي الأنثوي مثيراً للذة: قارنت Anne Philpott بين تقنيات مختلفة تفاوض حول استخدام الواقي الجنسي الأنثوي بهدف ترويجه كأداة لتعزيز اللذة. وقد وجدت أن عوامل

• تعليم الكاما سوترا هي مبادرة معهد التنمية الاجتماعية الدولية (IISD) في كولكاتا، وهي منظمة غير حكومية تعمل لوعي فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز ومنعه ومعالجته وإعادة التأهيل. تدعم حكومة دولة غرب البنغال برنامج معهد التنمية الاجتماعية الدولية الذي يسعى إلى إيجاد أجوبة على الهموم المعاصرة حول جنس أكثر أماناً في ممارسات الكاما سوترا القديمة المركزة على اللذة. ويقول Rajyashree Choudhuri رئيس معهد التنمية الاجتماعية الدولية ومهندس المشروع، إنّ ”في كاما سوترا أوضاعاً (positions) كثيرة تستطيع أن توفر للرجال أعلى درجات اللذة من غير إتمام المضاجعة وهذا ما تتعلمه البغايا“ (The Pleasure Project 2004: 7). هنالك منظمات أخرى (في الهند) تروج ملذات أكثر أماناً توحياها الكاما سوترا، مثل Sonagachi Project في كولكاتا وPeople's Health Organisation في مومباي.

• خط مساعدة اللذة - TARSHI وهي منظمة غير حكومية في دلهي تستضيف مركز الموارد عن الجنسانية لجنوب وجنوب شرق آسيا الذي تموله مؤسسة فورد (Ford Foundation) funded South and South East Asia Resource Centre on Sexuality).⁸ تخصص هذه المنظمة خط هاتف لتقديم معلومات ومناقشات حول اللذة والصحة الجنسية، مما يسمح بالعبور لمزيد من المناقشات حول السلوك الصحي. انطلاقاً من مبدأ ”أنّ لكل الناس الحق بالصحة الجنسية وبنسبانية مؤكدة للذات والمتعة“ (The Pleasure Project 2004:10)، تصدر TARSHI منشورات وتنظم مبادرات دفاعية وتأييدية

اللذة. وبعد ذلك طُوّر "مشروع اللذة" سلسلة من دراسات الحالة (case studies) تحت عنوان "اللذة + الحماية" تؤمّن توثيقاً أكثر تفصيلاً لممارسات مبتكرة، وتبيّن أهمية اتخاذ مقاربة إيجابية للجنس عند التطرّق لموضوع الجنسية.

3 تدريب على الصحة الجنسية مثير للذة الجنسية
إلى جانب جمع الأمثلة عن الممارسات التجديدية التي تروجها المنظمات في مختلف أنحاء العالم ومشاركتها مع الآخرين، انخرط مشروع اللذة في تصميم مواد تدريب وتطويرها.

تعاون "مشروع اللذة" مع CARE الدولية في كامبوديا على تصميم وإدارة برنامج تدريب على الصحة الجنسية مثير للذة وعلى تطوير مواد تدريبية. وهدفت الدورة التي استغرقت ثلاثة أيام خلال شهر كانون الأول عام 2004 إلى جعل المشاركين أكثر ارتياحاً إلى الكلام على الجنس واللذة لكي يكونوا أبعد تأثيراً في تعليم الآخرين ما يتصل بالجنس الأكثر أماناً.

الشكل 1 - خلال التدريب جرى عصف ذهني (brainstorming) للمشاركين حول ما يلذّهم جنسياً



الجنس في سري لانكا يستطعن زيادة التعرفه حين يسمحن لزيائنهن بوضع الواقي الأنثوي. وفي الهند قالت النساء لشركائهن أنّ الواقي لا يحدث صوتاً إلا عندما يكون الشريك الذكر ناجحاً في الفراش. وحين اكتشف الناس من التجربة أنّ حلقة الواقي الخارجية تثير البظر فيما تثير الحلقة الداخلية طرف القضيب استطاعوا أن يُطلعوا آخرين على ذلك، فحوّلوا الواقي الأنثوي من أداة لمنع المرض إلى لعبة للإثارة الجنسية.⁹

• تسويق المزلّق من أجل اللذة: تستخدم جمعية Population Services International كامبوديا التسويق الإجتماعي في ترويج منتجات الصحة الجنسية، وأطلقت المزلّق الخاص بها القائم على الماء ضمن حملة لفتت فيها إلى حسناته في إثارة اللذة. ولقد عزّز ضم المزلّق إلى رزمة واقٍ ذكريّ رائع في هذه الحملة على استخدامهما معاً وذلك من خلال تأكيد منافع اللذة.¹⁰

• العلاج الجنسي لنساء مصابات بفيروس نقص المناعة المكتسبة: إنّ كتاب Sue O'Sullivan الذي كتبه لجمعية المجتمع الدولي للنساء المصابات بفيروس نقص المناعة المكتسبة والإيدز (ICW) يجمع بين وسائل إثارة الشهوة وإرشادات صحية لهؤلاء النساء. هدف هذا الكتاب هو تمكين النساء المصابات من أن يتكلّمن على الجنس بعد تأكد إصابتهن وتأكيد جنسانيتهن وضمان بقائهن قدرات على السعي إلى الملذات الجنسية والتمتع بها.¹¹

لقد بيّن مشروع الـ Global Mapping مدى بقاء هذه الأمثلة الملهمة معزولة في مضمار لا يزال تسيطر عليه استراتيجيات تقليدية لتعزيز الصحة الجنسية والتي قد لا تعير اهتماماً كبيراً لقوّة

مستحبة وأنها وسائل فعّالة في كسر الصمت المحيط بالجنس واللذة الجنسية، والتغلب على المحرّمات، وخلق مساحات للكلام حول طرق جعل الجنس أكثر إثارة للرغبة وأكثر أماناً في الوقت نفسه.

إنّ هدف مشروع ”مشروع اللذة“ هو تعزيز هذه التمارين من خلال تمكين المدربين المعلمين من أن يتعلّموا كيف يستخدمون اللذة وسيلة للمباشرة في الحفز والاستمرار في التشجيع على جنس أكثر أماناً.

في بداية التدريب أحسّ مشتركون كثيرون بالخجل والتردد في مناقشة مثل هذه القضايا. ولكن في آخر التدريب أصبح النقاش أكثر صراحة مما ثبت أنّه يمكن التغلب على مثل هذه الموانع. ولقد حدّد نوعان من الحواجز - الداخلية والخارجية - وطوّرت استراتيجيات للتغلب عليها. وتشمل الحواجز الداخلية تردد المشاركين في مناقشة مثل هذه القضايا بسبب الخجل المقترن بمناقشة الجنس أمام العموم. وتتعلّق الحواجز الخارجية بموانع يعتبر سببها المجتمعات أو ”الثقافة“ بشكل أعم. اعترف المشاركون بأن الناس يتحدثون فعلاً عن الجنس ولكن بصورة خاصة في ظروف معيّنة (بين الأقران، مثلاً). ولقد أظهرت مناقشة مستفيضة استخدمت ارتباط اللذة بالطعام قيمة الاستعارة حيث تتعدّد مناقشة اللذة الجنسية بصراحة.

كما أنّه حدّدت حواجز وموانع أخرى مُحتملة وتمّ تناولها ولكن بدرجات متفاوتة من النجاح. أحد هذه الحواجز ذو علاقة بالنوع الاجتماعي ويسلّط الضوء على أهميّة العمل، حين يمكن ذلك، مع مجموعات مؤلّفة من جنس واحد. وكون عدد المشاركات كان أكثر بكثير من عدد المشاركين، ولقد استحال العمل ضمن مجموعة أفرادها من جنس واحد، وكاد بعض المشاركين الذكور

كان المتدربون مدربين على الصحة الجنسية من رجال ونساء ومعلمي أقران يعملون مع الشبان في مشروعين تابعين لـ CARE: مشروع Sewing a Healthy Future (SHF) الذي يرمي إلى تطوير الإمكانات المحلية لتلبية حاجات 50000 عاملة في مصانع الألبسة، معظمهن شبابات عواذب مهاجرات، من أجل تأمين الحماية من فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز وإلى نشر معلومات وخدمات متعلقة بتنظيم الأسرة. أما المشروع الثاني هو Playing Safe (PS) الذي يرمي إلى المساهمة في تحسين الصحة الإنجابية والجنسية بين 20000 شاب من مدينة بنوم بين (Phnom Penh). يستخدم المشروعان مقاربة تعليم الأقران (peer education) وتدرّيبات على مهارة المشاركة في الحياة تشمل إرشادات أساسية تتعلّق بالصحة الإنجابية والحماية من فيروس نقص المناعة المكتسبة/الإيدز. كما تشمل تدرّيبات مشروع SHF الذي يستهدف بالدرجة الأولى عاملات شبابات عواذب، تركيزاً على مهارات التفاوض في العلاقات وعلى آليات دعم اجتماعي تساعدن على مواجهة الحياة في المدينة. ويشمل تدريب مشروع (PS) تناول القوالب النمطية الثقافية للشبان، والإكراه الجنسي والعنف، فضلاً عن تعزيز حقوق الإنسان ووعي النوع الاجتماعي.

في سياق هذين المشروعين جرت تجربة سلسلة من التمارين كانت قد طوّرت خصيصاً لهما. ولقد تبين أن التمارين الأكثر رواجاً بين المشتركين شملت تمريناً يشجع الناس على أن يناقشوا مخاوفهم بصراحة فيما يتعلّق بالجنس، وآخر يفتح النقاش حول اللذة الجنسية بأن يبدأ بالتركيز على لذة الأكل ومن ثم ينتقل المشاركون إلى إيجاد لغة للكلام على لذة الجنس. وتمرّين آخر يعيّن ”مواضع اللذة“ في جسم الأنثى والذكر يساعد المشاركين على البحث معاً فيما يولد شعوراً بالسعادة وما لا يولد هذا الشعور. وقد تبين أن مثل هذه التمارين

والجنسانية يستطيع أن يحقق فرقاً كبيراً فيما يتعلق بنتائج الصحة الجنسية. ولكن نتائج مثل هذه المقارنة تتجاوز تحسين الصحة الجنسية إلى تمكين النساء والرجال من قضاء حياة أكثر صحة وسعادة - وهذا بحد ذاته من أهداف التنمية.

ملاحظات

1 تعريف منظمة الصحة العالمية المعتمد للصحة الجنسية: [www.who.int/reproductive-health/gender/\(sexual_health.html](http://www.who.int/reproductive-health/gender/(sexual_health.html) (accessed 23 January 2006)

2 World Association for Sexual Health: www.seksuologen-nederland.nl/html/Montreal%20Declaration%20Sexual%20Health%20for%20the%20Millennium.pdf Montreal Canada. 15 July 2005. XVII World Congress of Sexology (accessed 23 January 2006)

3 راجع:
- 'Eroticizing the Female Condom. How to Increase Usage'. Reference No 350823. ICASA African AIDS Conference, July 2003;
- 'Kamasutra' invites UN attraction. AIDS-INDIA (19 October 2003);
- BBC News *Kama Sutra Guide to Safer Sex*, 8 August 2003. http://news.bbc.co.uk/2/hi/south_asia/3133947.stm;
- Marie Stopes International Mongolia. Project Sales Reports for Female Condom Programme 2003.
The Pleasure Project (www.the-pleasure-project.org).

ولمزيد من المعلومات راجع أيضاً (2005) Venis.
5 تقرير مشروع الـ Global Mapping يوجز 27 مبادرة مع تفاصيل للاتصال بالمنظمات المذكورة. تستمد هذه المقالة معلومات كثيرة من ذلك التقرير. راجع:
www.the-pleasure-project.org/Global%20Mapping%20of%20Pleasure.pdf
6 يمكن إيجاد المزيد من المعلومات حول منظمة South African organization Empowerment Concepts وعملها على:
www.empowermentconcepts.com

Australian Federation of AIDS Organisations 7
لمزيد من المعلومات راجع: www.afao.org.au
8 للمزيد من المعلومات عن TARSHI الاطلاع على www.tarshi.org

يستأثرون بالنقاش، على الرغم من الجهود لتجنب ذلك. ولو كان هنالك تساو أكثر على صعيد توزيع النوع الاجتماعي للمشاركين لكان من الممكن فصلهم الى مجموعتين متوازيتين خلال معظم التدريبات (لا سيما النشاطات ذات الطابع الشخصي)، مما يشجع المشاركات على الكلام بحرية أكثر. إن فريق مؤلف من ذكور وإناث ليؤدوا دور الميسر (facilitator) يمكن أن يكون مفيداً في إظهار مساواة النوع الاجتماعي وإعطاء نموذج لنقاش صريح حول الجنس واللذة.

ونتيجة التدريب تمكن المدربين على الصحة الجنسية من جعل عملهم يشمل البحث في اللذة بشكل أفضل ومعالجة بعض موانع النقاش الصريح التي تظهر عادة في جلسة تدريب، مهئين بذلك مناخا يساعد الناس على البحث في قضايا حميمة. وتوضح هذه التجربة أن دعم المدربين على الصحة الجنسية يمكنهم من البحث في الجنس واللذة حتى في الثقافات التي تعتبر محافظة جداً. وعند انتهاء التدريب أكد معظم المشاركين التزامهم طرح هذه المواضيع وفتح نقاشات حولها في أثناء عملهم.

4 الخلاصة

مع أنه من الممكن أن يكون الجنس ممتعاً وأكثر أماناً في الوقت نفسه، إن معظم البرامج التربوية الموجودة يقدم عكس هذا الانطباع. إنه يحث جماهيرها على ممارسة جنس أكثر أماناً من خلال التركيز على الخوف وخطر الإصابة بمرض. وليس في المقاربة التي تشدد أن ممارسة جنس أكثر أماناً هي مصدر للمتعة مما يجعلها ثورية، إذ تبين كل الدلائل أن الإيجابية فعالة أكثر من الخوف حين يكون الهدف هو التغيير. إن ما يبينه عمل مشروع "مشروع اللذة" هو أن اتخاذ مقاربة إيجابية من الجنس تركّز على اللذة أثناء العمل على الجنس

- 9 المزيد من التفاصيل متوافرة في مقالة بعنوان
'Whatever Happened to the Femidom' ، نشرت في
The Guardian في 23 آب، 2005.
www.guardian.co.uk/g2/story/0,1554324,00.html
- 10 هذه الخبرة وثّقت بالتفصيل كدراسة حالة بعنوان
'Pleasure + Prevention' Pleasure Project. لمزيد من
التفاصيل راجع www.the-pleasure-project.org
- 11 للمزيد من المعلومات عن ICW والمرجع بعنوان
Sexual Healing أنظر www.icw.org

المراجع

- Holland, J., Ramazanoglu, C., Scott, S., Sharpe, S. and Thomson, R. (1992) 'Risk, Power and the Possibility of Pleasure: Young Women and Safer Sex', *AIDS Care* 4.3: 273–83
- Ingham, Roger (2005) "'We Didn't Cover That at School": Education Against Pleasure or Education for Pleasure?', *Sex Education* 5.4: 375–88
- The Pleasure Project (2004) *Global Mapping of Pleasure*, www.the-pleasure-project.org
- Venis, Sarah (2005) 'Lunch with the Lancet: Anne Philpott', *The Lancet* 365 (9459): 565

تغير شروط الاحتكاك واللمس: البحث في اللذة في وباء، فيروس نقص المناعة المكتسبة

جيل لويس وجيل غوردون *

إنَّ تقنيات وآليات الاكتفاء التي يُسوقها الغرب، وقصص الإعلام التي لا تبغي سوى الربح والتي تتطرق إلى السعي وراء المتعة الشخصية، هذه جميعاً تعاني مشكلات حين تُطرح على نطاق دولي وتقاطع ثقافات (cross-cultural) أوسع، ناهيك عن المشكلات التي تظهر حين تُطرح داخل المجتمعات الغربية نفسها. وفي سويتو (Soweto) حيث أكثر من 80 بالمئة من النَّاس هم عاطلون عن العمل والحياة اليومية قاسية بسبب الفقر، هنالك شخصٌ أو أكثر من بين كل أربعة مصابٌ بنقص المناعة المكتسبة. كما أظهرت الأبحاث أنَّ العنف خلال ممارسة الجنس مع النساء منتشر في هذه المنطقة ويُعتبر أمراً عادياً. وفي خضم ذلك كله، دخل التلفزيون ومعه صور دعائية "مُغرَّبة" تركّز على الفتنة الجنسية وقوالب نمطيّة لأجساد تثير الرغبة وعبارات مفعمة بالجنس "كإغراء" أساسي في المسلسلات والأفلام والدعايات. والواقع هو أيضاً أنَّه في هذه البيئة حيث الغبار الجاف والعيش المزري هو مصير آلاف المساكن الشبيهة بالثكنات في مناطق التمييز العنصري، تُصوّر الحياة الجيدة أنَّها تقتصر على عارضات مثيرات ومظاهر الغنى، وتكثر في الشوارع وعلى الطرقات لوحات إعلانات للفياعرا إلى جانب لوحات تسوّق لسجائر مارلبورو. في تالين (Tallin) وهي عاصمة إستونيا الفقيرة ما بعد إنهيار الاتحاد السوفييتي، يكثر تأثر المراهقات في الخامسة عشرة من العمر بالمواقع الإلكترونية الإباحية التي يشاهدنها، وهناك إصرار من قبلهن على إنشاء ورشات عمل تسمح بتمثيل أدوار

الجنس ... أن يكون مرغوباً فيه/ أن يرغب/ أن يُريد أن يرغب شخصٌ ما ... أن يشعر بأنَّه مرغوب فيه ...

أن يأتي على اللذة/ أن يدفع إلى اللذة/ أن يجذب إلى اللذة ...

أجساد تتحرك، أناس يتلامسون ...

1 المقدمة

كثيراً ما تكون المعلومات الواقعية والمعلومات الكئيبة والتحذيرات والممنوعات هي كل ما يسمعه الناس عن الجنس. وليس في هذا كله ما يرسى العلاقات الجنسية بظروف واقعية وأجساد حقيقية. بالنسبة لأناس كثيرين تكون اللذة - أو القلق والمخاوف لغيابها - جزءاً مما يأملون اختباره من خلال علاقاتهم الجنسية. ولذلك يكون استكشاف قضايا اللذة جزءاً هاماً من النقاش حول جنس أكثر أماناً. ولكن الكلام على اللذة يعني أكثر من مجرد تعداد حقائق عن مناطق اللذة والممارسات الجنسية. إنه يتطلب تناول معايير ثقافية مترسخة، وأفكاراً يعتبرها معظم الناس صحيحة عن كيفية عمل الجسد، وافتراسات حول ما يعني أن يكون المرء "رجلاً بكل معنى الكلمة" أو "إمرأة بكل معنى الكلمة". كما أنَّ الكلام على اللذة يتطلب أن نضع الطرق التي يتكلم بها النساء والرجال على الجنس ويفاوضون حوله ويتعاطونه في بيئات مختلفة، في سياقها، ونربطها بالمفاوضات وعلاقات السلطة التي تميّز حياتهم اليومية وعلاقاتهم الحميمة.

كالتّي تعيشها البنات في عالم سان فرانسيسكو (San Francisco) الذي يتقن إليه. وتحلم هؤلاء المراهقات بحلول للصعوبات اللّتي يواجهنها في حياتهنّ اليومية كتلك التي يطرحها فيلم "المرأة الجميلة" (Pretty Woman)، أي يتمنّين التوصل إلى الحب والغنى مع رجل غربي مجهول بواسطة احتراف الجنس. إن السوق الحرّة تعدّ بنوع معيّن من اللّذة، مع إصرار غريب على تغييب المخاطر المتعلّقة بالجنس أو السلامة الجنسية.

إنّ التناقض ملازم للّذة. وهناك تحدّ في التعامل مع اللّذة. ولكن يجب أن يرافق هذا التعامل أيضاً اعتراض على ما في اللّذة من تحامل على النوع الاجتماعي وعدم المساواة فيه. وهذا أمر ذو أهمية جوهرية. وفي هذه المقالة نبحث كيف ولماذا مهمّة اللّذة بالنسبة للجهود المبذولة لمعالجة انتشار فيروس نقص المناعة المكتسبة، وتأثير وباء الإيدز في العلاقات الاجتماعية والجنسية.

2 البيئات الجنسية

إنّ البيئة تُقوّلب الجنسانيات واللقاءات الجنسية. والظروف الاجتماعية تُقوّلب المواقف والصور عن السلوك الجنسي، مما يؤدي إلى تطوّر مفاهيم للذات تؤثر في ثقة الناس ومفهومهم لجاذبيتهم ولنوعهم الاجتماعي ولشعورهم الجنسي الذاتي. كما تؤثر مفاهيم الذات هذه في الطريقة التي ينظر فيها الناس إلى أجنّات الجنس الآخر، والعمل الجنسي الذي يعتبرونه مناسباً، وفي آمالهم وبأسهم. إنّ عوامل اجتماعية وإنسانية عدّة تعمّ مجال الخبرة الجنسية وتحيط باللقاء حيث تلتقي الأجساد. أمّا القوى المحرّكة للعواطف المتعلّقة بالناحية الجسدية من الجنس تتأثّر بوضع الناس وظروف الحياة (أو الموت) التي يجتازونها، وبتأكيد العناية أو إعادة ممارسة السلطة أو العنف، والعلاقة التي يحيونها. وهذه الأخيرة بدورها تتأثّر باقتصاديات الحياة اليومية وتؤثر فيها.

يمكن تعريف اللّذة بطرق مختلفة. إذا كان أطفالك أو جدودك جائعين أو مرضى، وإذا كنت عاطلاً عن العمل أو فقيراً، وإذا كنت في منطقة صراعات بعيداً عن بيتك، يكون اللقاء الجنسي مقابل أجر في مثل هذه الحالات مصدر فرح ليس بسبب رضى جسدي أو عاطفي، بل لأنك بذلك تكون قد حصلت على إمكانيات إيجابية. وإذا أدّى الجنس إلى توطيد الدّعم الذي تحتاج إليه لمنح نفسك وأطفالك الاحترام الذي تريدهونه في المجتمع، تكمن اللّذة في هذه الحالة في تأكيد هذه النتيجة. وإذا كنت بعيداً عن بيتك في مكان صراعات خطر، بعيداً عن حميميات أسرّتك ومجتمعك، وتحيا حياة غير مريحة، وتواجه المجهول من الأخطار والجراح والموت، ويجري الضغط عليك "لتحافظ على مظهرك" بين رفاقك الذين هم في غالبيتهم ذكور، حينئذ لا تكون للّذة الجنس التي تمنحها امرأة محلية مقابل المال مجرد بلوغ ذروة لذّة الجماع، وإنّما تتضمّن أيضاً سلسلة كاملة من الاطمئنان والراحة. وإذا كنت تعيشين حرباً أهلية انهارت فيها البنى الاجتماعية التحتية، وانتشر الفقر المدقع، وكادت تزول موارد العائلة وزاد العنف في المنزل، قد تكون علاقتك الجنسية مع رجل كريم كبير في السنّ (الذي يؤمّن لك فرصتك الوحيدة، كبت، لإكمال دراستك) أحسن ما خبّرت من علاقات وأكثرها لذّة. وفي حال أبعدتك عن بيتك ضرورة العمل أو التجارة، قد يدفعك الملل والوحدة والفضول إلى استكشاف ملذّات مرفوضة بين قومك. وإذا كنت تعيش في مجتمع يربعه نقص المناعة المكتسبة والإيدز، فقد تكون أعظم لذّة هي أن تعرف كيف يمكن أن تبحث عن اللّذة الجنسية من دون أن تتعرّض أبداً للعدوى أو أن تعدي شريكك.

إنّ تنوّع الأسباب التي تجعل الناس يمارسون الجنس أو يتصوّرون غيرهم وهم يمارسونه يظهر في ورشات عملنا باختلافات مدهشة. ولكن في الوقت نفسه يشير المشاركون الآتون من أماكن

الظروف والدوافع تؤثر في وتغير شروط الجنس الآمن.

3 اكتشاف اللذة

لكل ثقافة خطط يتبعها الناس من أجل اكتشاف الرغبة والتعبير عنها وسبل تصوّر أو تفسير الرغبة والممارسات الجنسية لدى الجنس الآخر. ونرى في جميع الثقافات أن مؤسسة الزواج بحد ذاتها، مع التقاليد الخاصة بالنظام الأبوي والدين والخطابات والقوانين التي انبثقت منها، تؤدي دوراً أساسياً في التخطيط للذة وتصنيفها، وفي كثير من الأحوال في منعها. لكل ثقافة مفاهيمها التي تتعلق بما يجب أن يريد (أو يفعل) رجل أو امرأة "حقيقيان" تؤثر في منظور ما يريده أو يحتاج إليه الجنس الآخر - وكثيراً ما يكون ذلك بطرق غير مفيدة ومضلة وغير آمنة. إن أنظمة النوع الاجتماعي المسلّم بها التي لا يشك فيها أحد تبقي على جهل الناس للجسد. إنها تولد صمتاً بين الرجال والنساء حول الرغبة والممارسة الجنسية أو التعاون لخلق اللذة. وما يظنه الرجال والنساء أنه المعرفة الجنسية كثيراً ما يتكوّن من فسيفساء أنصاف حقائق ومعلومات مجرّاة وأساطير ومعتقدات يتخلّلها الشك والتردد. ولهذه العوامل تأثير بعيد جداً في إمكانيات اللذة واستخدام الواقي أو الجنس من غير ولوج. إن الآراء عن اللذة الجنسية مرتبطة بهذه المعتقدات وأنصاف الحقائق. ولقد منحت أساطير وتقاليد قديمة في شمالي النروج لذة المرأة الجنسية أهمية مركزية، كما نشرت قصص عن تعليم فعال من قبل نساء كبيرات في السن لشريكات أصغر منهّن. كما تجري توعية البنات التقليدية في أجزاء من زامبيا وإفهامهن بصراحة ودقة كل ما يجب عمله جنسياً مع الرجال. ويتضمّن التدريب الذي تقوم به نساء كبيرات في السن دوراناً إيقاعياً مع بنات أخريات ومعاينة من تخطى في الحركات أو لا تبدي حماسة كافية. وفي هذا السياق نتساءل كيف يتصوّر الرجال والنساء اللذة الجنسيّة وكيف يسعون إليها؟

مختلفة إلى أن الرضى واللذة هما السببان الرئيسان للعلاقات الجنسية. ولكن كثيراً ما تتسع قائمة الأسباب. ففي بيئات مختلفة جداً مثل الكونغو وأذربيجان وليبيريا وجورجيا عدد المشاركون الأسباب التي يمارس الناس الجنس من أجلها. ومن الأسباب التي ذكروها:

- بسبب "حاجة طبيعية": الواجب الزوجي أو خوف الهجر؛ الحاجة إلى الأداء وإثبات الذات؛ لأن لا خيار لك؛ العمل؛ تأمين مصاريف العلم؛ خوفاً من العنف؛ تعزيز تقدير الذات؛ الملل، اللطف والكرم؛ الشفقة؛ خوفاً من أن تنفجر خصيتي الرجل أو أن يجن؛ الاستسلام لإصرار مستمر؛ ليسمح لها بالنوم؛ لإنجاب الأولاد؛ للإحساس بالسلطة؛ للتمرين؛ لتأكيد الذات؛ بسبب الحب؛ الخوف من الإكراه؛ للانتقام؛ لانقطاع التيار الكهربائي في الليل؛ للحصول على خبرة؛ للحصول على عمل أو سلطة؛ لتخفيف الوزن؛ برهاناً على الالتزام؛ للدلالة على الثقة؛ لمتعة رخيصة أو بدون ثمن؛ لتحقيق المساواة بين الأقربان؛ لإراحة الجسد من الشدة وجعله يسترخي؛ لتثبيت أنك رجل بكل معنى الكلمة؛ لأنك لا تستطيع أن تنام؛ لخفض التوتر في البيت؛ للمشاركة الحميمة؛ للحصول على دعم الشريك؛ خوف التهديد إذا قاومت؛ للهو؛ من غير سبب؛ للمحافظة على الصحة؛ خوف من الوحدة؛ لتحسين وظيفتك؛ للحصول على علامات أفضل؛ لتغيظ شخصاً آخر؛ بسبب الفقر؛ كرهان؛ للشعور بالشباب؛ للحصول على ما لا تستطيع الحصول عليه في البيت؛ بسبب صداقة قديمة؛ للحمل؛ لكسب مكانة أو جاه؛ بسبب إحساس جميل فقط ...

والقائمة قد تستمر إلى ما لا نهاية. ويرجح أن إمكانية الشعور "باللذة" وطبيعتها يختلفان كل الاختلاف في جميع هذه الظروف. كما أنّ هذه

ظهر في ورشات التدريب اهتمام بمعرفة أشكال من اللذة أكثر انتشاراً يمكن الشعور بها من خلال الحميمية وليس فقط من خلال الولوج، وفي معرفة أفضل لأداء أجساد النساء والرجال.

إنّ مثل هذا الكلام وما يقترن به من صراحة هو تماماً ما تسعى القوى الدينية المحافظة إلى إسكاته. ولكن ما هي نسبة الحالات التي تكون فيها التفاعلات الجنسية (sexual interactions) في حياة المرأة والرجل فقط بهدف تلبية ضرورة الإنجاب التي تشترط الأديان أن تكون الغاية الأساسية من عقد الزواج؟ هل يمكن أن يلتقي الامتناع عن الجنس/الإخلاص بفكرة اللذة الجنسية بشكل خلاق أكثر؟ أم أنّ بعض الأطر الدينية المعيّنة تحتاج إلى إنكار الحق باللذة الجنسية وإلى تنظيم جميع الاحتمالات الجنسية، لأنّ إشباع الرغبات الجنسية وتجسيد اللذة والرضى الجنسيين ليسا جزءاً من الإطار الديني والأخلاقي والروحي؟ وضمن الأطر المسيحية، ماذا يمكن أن يكون البديل الذي يؤكّد فهم الجنسانية؟ يجب أن تُدرس هذه المسائل بطريقة أوضح من قبل المنخرطين في الممارسات الدينية والعاملين في الصحة الجنسية لمنع فيروس نقص المناعة المكتسبة - ولكن ليس بطريقة عدائية، إذا أمكن، وإنما بهدف تدخّل حقيقي في السلامة الجنسية وإسراع ملح لضبط انتشار فيروس نقص المناعة المكتسبة.

من زاوية أخرى، غالباً ما نجد أنّ المعايير العامّة للزواج والأسرة تتوافر في المجتمع مع مزاح عن الجنس والمغازلة يناقض الضغوط التي يمارسها المجتمع ضد الميزات. إنّ وراء التنكيت وحرية الإعلام والإشارات الخفية والإشاعات والأساطير بين فئات الشبان والبالغين هناك وفراً من المحرمات والصمت وعدم الطمأنينة والقلق، بالإضافة إلى الحفاظ على السمعة. وتتخذ الضغوط على السلوك الجنسي - أي ما يجب وما لا يجب

ماذا يتعلّم الرجال من أجل أن تحقيق اللذة الجنسيّة للنساء؟ وإلى ماذا يشير تصرّف نساء سيراليونيات آتيات من بيئات ثقافية واجتماعية لا تزال تمارس ختان الإناث في أثناء ورشات العمل حيث كان موضوع الجنس يضحكهن ملياً وكنّ يلّمحن إلى متعة الجنس من خلال التهكم والغمز غير المباشر؟ ماذا يمكننا أن نتعلّم عن تصوّر هؤلاء النساء للذة الجنسيّة؟ ومن ناحية أخرى، نتساءل كيف يمكن أن يفهم اللذة الجنسية مراهقو الولايات المتحدة الذين يقسمون بالامتناع عن الجنس قبل الزواج، ملتزمين أجندا إدارة بوش حول التقشف الجنسي، والتي تُسكت أيّ حديث عن ممارسات جنسية فعلية، وكم بالأحرى عن اللذة؟ أو كيف يمكن أن يفهم اللذة الجنسية مراهقو المملكة المتّحدة اليوم الذين يتناولون الكحول بلا قيود؟

إنّ حقيقة الأمر هي أنّك تشعر باللذة بناء على ما سمعت عنها وحسب الوضع الخاص الذي يجعلك تسعى إليها أو تنالها - أو تتوهّم أنّك نلتها. في ورشات عمل ضمّت مدرّبي معلمين وممثلي وزارات ومنظمات غير حكومية ومدرّاء مدارس في مونروفا ولبيريا اتّفق الرجال جميعاً على اعتبار اللذة الجنسية سبباً أساسياً لممارسة الناس للجنس. واقتترنت فكرة اللذة بفكرة بلوغ ذروة الجماع والقذف. ولكن كثيرين قالوا أنّه بالنسبة إليهم، إن رغبة الرجال في اللذة تشمل رغبة النساء أيضاً (راقبت النساء هذه الإدعاءات بصمت). ولكن حين سنلوا متى وكيف تشعر المرأة باللذة كان التفسير الوحيد الذي أعطي واتفق عليه الرجال: حين يلتقي سائل الرجال بسائل المرأة تبلغ المرأة ذروة اللذة. فيما هزّت النساء رؤوسهن وضحكن، وبعد أن استوعب المدرّب (وهو مدرّب على موضوع منع فيروس نقص المناعة المكتسبة) المعاني التي تتضمنها هذه "المعلومات المعروفة"، انطلق النقاش حول كون النساء لا يبلغن ذروة اللذة في أغلب الأحيان (ويظهرون بأنهن بلغنها). ولقد

فعلة - أشكالاً مختلفة. ففي الغرب، تحرّم الثقافة السائدة عدم الرغبة في ممارسة الجنس أو عدم الميل إلى ذلك أو عدم الرغبة في الزواج. وفي بعض الثقافات تُفهم ممارسة الرجل العنف على امرأة على أنّها جزء أساسي من "حبّه" لها واشتهائها. وهناك صفات لما يجب أن يكون عليه الجماع، وقد يعاقب من لا يتقيّد بالقوانين.

إنّ التحديّ الذي يجابهنا في العمل على الصّحة الجنسية والسلامة هو أنّ فهم اللذة وتوقعها، وبالتالي الشعور بها، ويتأثّر تأثراً عميقاً بإحساس الناس بذواتهم "كنساء" أو "كرجال". إنّ المعايير الجنسية تحدّد للرجال حريّات التصرف والسلطات وإمكانات ومحاذير تختلف عمّا هي للنساء، واضعة الرجال والنساء في أنماط معيّنة بالنسبة للتفاعل الجنسي. وفيما نجد أوجه شبه واضحة عبر الثقافات، نجد بينها أيضاً اختلافات هامة. إنّ فرض المعايير الغربية على ثقافات غير غربية لا يضلّ الهدف فحسب وإنما قد يجعل من الأصعب أن نناقش ونغيّر التقاليد والممارسات المهمّة بالنسبة للسلامة واللذة الجنسية.

4 الحقوق الجنسية واللذة

يطرح مفهوم "الحقوق الجنسية" تحديات مثيرة للاهتمام فيما يتعلّق باللذة الجنسية. يمكن اعتبار المساواة في الحقوق المتعلّقة بالجنسانية بمثابة نقطة جوهرية لوضع شروط تؤمّن تساوي فرص التوصل إلى اللذة الجنسية. يتخذ النقاش حول الحقوق الجنسية اتجاهاين اثنين، كلاهما يحرفان القضية. يتضمن الاتجاه الأول منح الأولوية لحقّ النساء بأن يقلن "كلا"، وبأن يضعن حدوداً لما لا يُذكر ولكنه مفترض أن يشكل أجندا ذكرية حتمية للطلبات أو "الحاجات". وعليه تكون المساواة بالنسبة للنساء الحقّ بأن لا يمارسن الجنس إلا إذا كنّ يرغبن فيه ملياً، وإبقاء الرجال "معلّقين" مؤقتاً. ولكن هذا يعني أنّ نقاش الحقوق الجنسية

كثيراً ما يقدّم جنسانية النساء أنها محدّدة، ومقيّدة - إن لم تكن محدودة - على عكس ما هو مُفترض بالنسبة لرغبات الرجال "الطبيعية". خلال اجتماع في أوسلو لشبكة AIDSnett سأل رجل إثيوبي من بين المشاركين سؤالاً يتكرّر دائماً: "ولكن ما هي حقوق الرجل الجنسية؟" لم يجب عن هذا السؤال المشاركون الذين يتركّز عملهم التنموي على النساء والمساواة التقليدية على أساس النوع الاجتماعي. ولكن السؤال أثار قضية جوهرية ليس فقط حول كيفية فهم رغبات النساء الجنسية المتنوعة (والتعامل معها)، وإنما في كيفية فهم أجسام الرجال أيضاً ورغباتهم؛ وما يعتبر طبيعياً، إن لم يكن ضرورياً، للرجال؛ والطرق التي يتعلم بها الصبيان والرجال تصور اللذة؛ والطرق التي يفسرون بها ما تشعر به اجسادهم وكيف يترجمون هذا التفسير من خلالها.

سواء في إنكلترا أم في بروندي، في النروج أم زيمبيا، غالباً ما نستشهد بخطاب بيولوجي إختزالي عن جنسانية الذكر وكأنّه حقيقة معروفة، مع العلم أنه لم يسبق أن خضع هذا الخطاب للفحص والتدقيق. إنّ مقولة "نعرف جميعاً ما يريده الرجال وما يحتاجون إليه" غالباً ما تغذي تياراً صامتاً من الافتراضات معاكساً للتيار السائد. وكثيراً ما تحصر هذه المقولة الرجال في بحث لا هوادة فيه، إنّما ضروري، لولوج النساء. ويكون الجانب المسيء لهذا المسعى هو شعور الرجل بأنه إن لم يبحث بعد عن امرأة ليمارس الجنس معها، وإن لم يسعَ إلى ذلك، ولم يُحدد مكانته الاجتماعية بأي برهان على أنّه يمارس الجنس مع نساء، ولم يُجار مزاح الصبيان الذي يكرّر الفرضية أنّ الرجل لا يصبح رجلاً إلا عندما يُلجّ نساءً، ذلك يولد شعوراً لدى الرجل بأنه قد لا يكون "رجلاً بكل ما في الكلمة من معنى". كما أنّ الرجل يتشرّب الفكرة أنّ لذته تتوقف على ولوج النساء. وعليه، السؤال الذي يطرح نفسه هو، هل يحق للرجل أن يلبي

المناعة المكتسبة مركزة على النوع الاجتماعي قد أدت إلى مستويات جديدة في الحوار دامت ساعات بين الزوج وزوجته وبين الأهل والأولاد.

إن مسألة الحقوق الجنسية تثير قضايا أخرى تتعلق بالمؤسسة التي تسوّج الجنس واللذة الجنسية إجتماعياً: مؤسسة زواج مغايري الجنس. ففي الزواج المتبع عادة نتوقع أن تكون الحاجات الجنسية "منظمة"، وأن تلبي أو تُخدم داخل الزواج الذي يفترض أنه عقد لمدى الحياة. ولكن ماذا يحصل "للحاجات" حين تتحول العلاقة إلى تنافر أو عداوة وحين يتغير الناس وكل من الظروف والعمر والقوة والثقة؟ وهل تُغفل الحقوق واللذة الجنسية ببساطة؟ هل تُجمد؟ أم أن لغة "حاجات يجب إشباعها" و"حقوق يجب نيلها" تصبح تماماً خارج ما هو متبع عادة، وتُفصل اللذة الجنسية عن المجتمع ويجري عزلها عن تقلبات الحياة اليومية العادية؟ هل تشجع أفكاراً كالتالية: "كما أن للمرأة حق الرفض كذلك للرجل حق الذهاب إلى مكان آخر"، أو "إنه لا يرضيني لذلك أستطيع أن أبحث في الخارج"؟ كيف يمكن أن نعمل بفعالية وتعاطف من أجل أن نزيد إلى حد أقصى إمكانية أن تكون اللذة حقيقة دائمة في العلاقات الإنسانية، رغم وجود انفصال بين التطلعات الجنسية وقائع تقترب بعلاقات وأجساد حقيقية وظروف حياتية حقيقية فيها سعي للبقاء والأولاد؟ أم أن النقاش يجب أن يركز أيضاً على أن اللذة الجنسية يجب أن تكون لذاتها، من أجلها هي، بصرف النظر عن البيئة والدينامية العلائقية - من أجل اللذة نفسها ولنفسها، أكثر منها "كحق"؟

5 تغيير السلوك الجنسي - اللذة والسلامة

ما هي الطرائق القريبة من التجارب التي يحياها الناس في حياتهم وأجسادهم الفعلية والتي يمكن من خلالها أن ننبّههم إلى أهمية اللذة وبغير سلوكهم الجنسي؟ تزداد صعوبة ذلك في ظل مضي

حاجاته الجنسية ويرضي رغبته؟ في هذه الحالة، كيف تفهم هذه الحاجات واللذة الجنسية؟ وما هي العوامل التي تؤثر في لذة الرجل الجنسية وتدفعه إلى التعبير عنها بطرق معينة وليس بأخرى؟ وهل الأفكار الشائعة المسلّم بها عن لذة الذكر الجنسية مترسّخة في تشريع أداء ذكوري مبني في الواقع على سلطة الذكر والتحكّم وتطبيع عدم مساواة النوع الاجتماعي؟ وهل هذه الأفكار مرتبطة بإضفاء الشرعية على أداء يحصر المفاهيم عن لذة الذكر الجنسية في أفعال ضيقة جداً؟

إن الاتجاه الثاني لخطاب الحقوق الجنسية هو تأكيد حق النساء باللذة الجنسية. هذا يعني أن حقوق الرجال بالحصول على لذة جنسية وفقاً لشروطهم كثيراً ما أعطيت الأوليّة، وكان نصيب لذة النساء الجنسية الإهمال أو التقليل من قيمتها. وكثيراً ما يخيم على اللقاءات الجنسية الصمت والمحرمات وطقوس السلوك (rituals of behaviour) التي تحدث من غير أن يساندها ما يبعث على الحميمية. وفي ورشة عمل حول مكافحة فيروس نقص المناعة المكتسبة مع مهاجرين ذكور من أثيوبيا وصوماليا، كان الرجال مهتمين جداً بأن يتعلموا بوضوح كيف ينتقل الفيروس وأين؟ ولماذا؟ ودخلوا في نقاش مع المساعدات البيضاء دامت ساعات. ولكن في الختام تأسفوا جميعاً لشعورهم باستحالة أن يخوضوا مثل هذا النقاش مع زوجاتهم بما أن الحرّم الثقافي لرؤية الجسد والكلام عليه لن يتغيراً. ربما يحتاج ذلك كله فقط إلى مزيد من الوقت. في الواقع، إن إجراءات الصحة الجنسية الفعّالة تحتاج دائماً إلى وقت أطول مما تتوقعه الإدارات وتمويل يفوق المبلغ المرصود للتنفيذ. وفي المقابل، نجد أن حراس الأمن الذكور والسائقين والمدراء ومدربي المعلمين في مناطق النزاعات حول غوما (Goma) في الكونغو وغولو (Gulu) في أوغندا ومهجرين من مناطق مختلفة في جورجيا أفادوا فرحين كيف أن ورش عمل للتوعية على فيروس نقص

والمبادلات المترسخة اجتماعياً. إن إشراك الناس بطريقة فعّالة ليصبحوا ممارسين وناشطين في قضية السلامة الجنسية يستدعي مجابهة قضايا تتعلق بالأخلاق بتجرّد، ممّا يتيح مجالاً للحوار.

نحتاج إلى مزيد من تلقّيح متبادل للحوار وإلى مزيد من الأبحاث حول مختلف التطلعات الثقافية المتعلّقة باكتفاء النساء الجنسي. ولكن على الرغم من إعلامنا المهووس بالجنس لا تزال قضية لذّة النساء معقّدة في الثقافات الغربية. ولا تزال تخيّم تعقيدات محيرة حول بلوغ الأنثى ذروة اللذّة. وتذهب أبحاث حديثة إلى التصريح أنّ تحديد الذات في العالم في إطار النوع الاجتماعي مفتاح لمطالبة النساء بلذّتهن وتحقيقها، وأن استمرار عدم المساواة بين النساء والرجال فيما يتعلّق باللذّة الجنسية وتقسيم العمل والسلطة على أساس الجنس يؤثّران سلباً في الاكتفاء الجنسي لدى الإناث. وفي حقائق ديناميكيات النوع الاجتماعي اليومية والهموم والتوترات المنزلية، سواء في غانا أم في مدن جورجيا، تستطيع النساء أن يرفضن الجماع. أما الرجال العاجزون عن التعامل مع هذه الصعوبات المنزلية التي لا حل لها، فيُعتقد أنّه يمكنهم دائماً الذهاب إلى مكان آخر. وهذا يعمل على تأكيد التضارب بين ما هو منزلي وما هو مثير للشهوة الجنسية، حيث يمكن لجنسانية النساء أن تخسر على غير صعيد.

إنّ العمل على السلامة الجنسية ومنع فيروس نقص المناعة المكتسبة يحتاج أيضاً إلى إطلاق نقاش حول طرق فهم الثقافات المختلفة للتحكّم باللذّة، وكيف يتصوّر الناس ذلك التحكّم وما هي القصص التي تضمّنه معنى. لنأخذ مثلاً القصص المختلفة التي تروى في أفريقيا عن السوائل الجنسية. ففي بعض مناطق الكونغو ورواندا ومالي يُعتقد أن بلل المرأة دليل على إثارتها الجنسية وبرهان على لذّتها. أما في أجزاء من زامبيا وجنوبي أفريقيا

الإعلام الغربي في عولمة الاضطرابات النفسية الملازمة لثقافة استهلاك الجنس الغربية. ففي ورشة عمل مع شباب مسلمين مدرّبين متطوّعين في أذربيجان، أبدى شاب ملاحظة ذات دلالة لما قال أنّه في زمن جدّته كانت المرأة تقدّر بناء على ما تستطيع أن تعمل؛ أما في عالم اليوم فتقدّر النساء (ويقدرن أنفسهن) بناء على شكلهن. في أنحاء العالم كافة يزداد حتّ النساء على تقييم أنفسهنّ وتقييم الآخرين لهن بناء على منمّطات الجاذبية. وتروح بنات نحيفات في النيبال إلى حدّ شراء حبوباً للإنحاف من الصيدلية. وتمارس البنات الجنس التجاري لكي يشتري الملابس ومستحضرات التجميل الضرورية ليصبحن جميلات. إنّ قصص الصحة الجنسية التي يصدرها الغرب ملأى بالمشكلات التي تهدد بتجميد وتجريد التغيير أكثر مما تعزّزه.

إنّ التطرّق لموضوع اللذّة ضمن العمل على السلامة الجنسية يطرح عدة تحديات حين يكون الهدف التأثير في عقول وأجساد الناس ضمن بيئاتهم، وهو ينطوي على ما يلي: التعاون من أجل دراسة الفرضيات التي تؤثر في آراء الناس في السلوك الجنسي، وخلق اهتمام بين الناس والشعور بأنهم يكسبون إذا غيروا نظرتهم وسلوكهم وإذا جعلوا هذا التغيير جزءاً من حياتهم. إنّ إدراك الطاقة الكامنة في اللذّة والصحة الجنسية ومنع فيروس نقص المناعة المكتسبة، يتطلب ما يلي: العمل على إظهار الحدود الديناميكية بين ما هو مثير للشهوة الجنسية وما هو تجريبي وما هو استكشافي، وفتح أحاديث حسّاسة حول ما في الحوار والعلاقة والعناية والتعاطف من تحديات ومكاسب. كما يجب بدء مناقشة قصص ثقافية، والقيام بتخطيط لكل من الجنسانية والإرشادات الدينية وحدودهما، والسلوكات المألوفة المسلم بها، والمقاربات التقليدية لممارسة الجنس أو لممارسات فعلية، والحقائق عن الخيارات والقرارات والنشاطات

غينيا الجديدة أن شرب مني رجال كبار خصبين يُخصب مني الشبان.

إن الطرق التي يتصور بها الناس الجسد في حالاته الجنسية تؤدي دوراً أساسياً في تكوين الاوهام حول ما هو الجنس أو ما يجب أن يكون، وحول كيف ولماذا يجب أن تبرز اللذة أو إمكانية إحرازها. وبالتالي إن هذه الطرق هي أساسية في النقاش حول السلامة الجنسية ومنع فيروس نقص المناعة المكتسبة. إن تحويل هذه التصورات والمفاهيم إلى أفعال وسلوكيات أكثر أماناً يستطيع أن يستثمرها الناس ويطبقوها، يتطلب أكثر من توافر معلومات؛ إنه يتطلب مقاربة تستطيع تحقيق ما يلي: أن تتعمق في ما هو معياري وما هو عاطفي وما هو بيولوجي، وتمكّن الناس من ابتكار استراتيجيات تلائم ظروف حياتهم اليومية.

6 بناء القدرات على الصحة والسلامة والحقوق الجنسية

إذا أردنا أن تثمر الجهود لبناء قدرات على الصحة والسلامة والحقوق الجنسية في التعبئة للحماية من فيروس نقص المناعة المكتسبة، فلا بد من تطوير بعض الأجندات الواضحة والأساسية. ولا بد من تزويد الناس بحقائق أجسادهم بطرق واضحة تسمح لهم بأن يتصوروا ما يتعلمونه وتناسب تجاربهم الجسدية الشخصية ومعرفتهم الثقافية. لا يمكن أن يحدث تغيير من غير تمكين الناس من البحث في تقاليد النوع الاجتماعي وإعادة تقدير أبعادها الممكنة أو المضرة. إن أساليب التعليم التي تجسّد للناس قدرتهم الخاصة على الفعل والتعبئة وتحمل المسؤولية والرغبة في التواصل، هي أساليب أساسية. وختاماً، يجب أن يشمل العمل نقاشاً حول الجنس واللذة والجنس والبهجة، والجنس كمثير للشهوة، وطرق إرضاء الآخرين وإرضاء الذات. ويجب الاعتراف بأن اللذة سبب من أسباب ممارسة الناس الجنس، ومعرفة ظروف

فلا يفسرون بلل مناطق المرأة التناسلية بأنه علامة لذة متوقعة، بل إنه سبب لعدم مضاجعتها. إنهم يعتبرون ذلك دليلاً على أنها مارست الجنس مع أكثر من رجل خارج إطار الزواج وأنها قد تكون حاملة لأمراض معدية جنسياً. لذلك تسود ممارسات "الجنس الجاف" الذي يزيد من خطر الإصابة بعدوى فيروس نقص المناعة المكتسبة بسبب الدم الذي يسيل نتيجة إدخال ما يجفف المهبل ويضعفه. إن مقاومة استخدام الواقي الذكري غالباً ما تركز على ضرورة التمتع سائلي المرأة والرجل من أجل تحقيق حميمية "حقيقية". وتعتقد المراهقات في إستونيا أن فرض استخدام الواقي الذكري يمنع الرجال من الشعور باللذة، وبالتالي يتساءلون ماذا يمكن أن يدفع امرأة تريد إرضاء رجلها إلى منع مزج السوائل؟

وتبين معلومات جرى جمعها في عدة بلدان رغبة الرجال في قذف السائل المنوي في أجساد النساء من غير عائق، مما يجعلهم يدفعون أجراً أعلى لعاملات الجنس اللواتي لا يفرضن على الرجل استخدام الواقي. ولقد ادّعى رجال في الكونغو أن قذفهم السائل المنوي في المرأة يحميهم من الجنون، ورجال في ليبيريا قالوا أنهم يشعرون بأن قذفهم السائل المنوي في سائل النساء الجنسي يجعلهن يبلغن ذروة اللذة. ولقد أظهرت دراسة في فنلندا أن رجالاً يواجهون عجزاً متقلباً بسبب السن وقلقاً على قدرتهم في أن يتوصلوا إلى القذف في أجساد النساء، قد قطعوا كل تبادل حميمي مع شريكاتهم إذ أنهم يعتقدون أن القذف هو السبب الوحيد لوجود تبادل الحميمية/اللذة. إن الحدود الهشة للكبرياء والقلق والإذلال والرفض التي تلاحق الذكورات التقليدية تؤدي إلى نتائج حزينة. ولكن بالنسبة للكثيرين يرتبط المني أيضاً بالحياة والنمو. وفي غامبيا يرون أن تلقي المرأة الحامل المني يساعد الجنين على النمو، وعليه ترتبط الذروة القاذفة بتصور لقوة الحياة. ويُعتقد في منطقة من بابوا

ملاحظات

* جاءت هذه المقالة نتيجة حوار بين الكاتبتين حول قضايا وأسئلة جابهتاها في أثناء عملهما في الصحة والحقوق والسلامة الجنسية في بيئات ثقافية متنوعة خلال سنوات كثيرة. إنها جاءت لرغبتهما في نقل الأصوات الحقيقية للرجال والنساء من مجتمعات كثيرة متنوعة، وإدخالها في مناقشة اللذة، أكثر منها مقالة بحثية. لمزيد من المعلومات عن هذا العمل، والأدوات التي يستطيع آخرون استعمالها لتسهيل أحاديثهم عن الجنسية والنوع الاجتماعي واللذة أنظر في

Cornwall & Gordon (2004) و (Lewis (2000,2003)

و (Lewis & Clift (2001)

المراجع

- Gordon, Gill and Cornwall, Andrea (2004) 'Participation in Sexual and Reproductive Well-Being and Rights', *Participatory Learning and Action*, London: International Institute for Environment and Development (IIED) 50: 73–80
- Lewis, Jill (2003) *Gendering Prevention Practices. A Practical Guide to Working with Gender in Sexual Safety and HIV/AIDS Awareness Education*, Oslo: Nordisk Institutt for Kvinne-og Kjønnforskning (NIKK), www.nikk.uio.no/forskning/nikk/living/1ft_pubtext_e.html (accessed 24 July 2006)
- Lewis, Jill (2002) *Mobilising Gender Issues: Report from the Living for Tomorrow Project on Youth, Gender and HIV/AIDS Prevention* Oslo: Nordisk Institutt for Kvinne-og Kjønnforskning (NIKK), www.nikk.uio.no/forskning/nikk/living/1ft_pubtext_e.html (accessed 24 July 2006)
- Lewis, Jill and Clift, Stephen (2001) *Challenging Gender Issues: Report on Findings from the Living for Tomorrow Project about Young Men's and Young Women's Attitudes to Men, Women and Sex*, Oslo: Nordisk Institutt for Kvinne-og Kjønnforskning (NIKK), www.nikk.uio.no/forskning/nikk/living/1ft_pubtext_e.html (accessed 24 July 2006)

انتقال فيروس نقص المناعة المكتسبة وغيرها من الأمراض المنقولة جنسياً من جسم إلى جسم، وهي نقطة انطلاق أساسية للبحث في كيفية إثارة اللذة من غير التعرض لخطر العدوى، وفي مختلف أساليب تشجيع اللذة تشجيعاً واعياً. إن القيام بذلك يتطلب أساليب تواصل جديدة ومسؤولية وتعاوناً وإثارة الشهوة الجنسية واهتماماً، وهذه جميعاً تتعارض مع الأشكال التقليدية للاتفاق بين مغايري الجنس المثقلة بتواريخ عدم مساواة النوع الاجتماعي والمعايير المعاصرة.

لم يكن تقبُّل تنوعات إثارة الشهوة الجنسية يوماً جزءاً من المبادرات التدريبية حول السلامة الجنسية أو فيروس نقص المناعة المكتسبة التي يعتمد عليها مغاير الجنس. ولكننا بحاجة إلى الجمع بين نقاش أوسع حول إمكانات إثارة الشهوة الجنسية والأسئلة النقدية التي يحتاج الناس إلى تطويرها لكي يحدِّدوا النتائج السلبية للجنسانية – أي الضرر الصحي والألم والموت والظلم. ينبغي لنا أن نبتكر طرقاً تضع حداً للضرر، وأن نمكّن التفاعلات العلائقية التي تدعم الحياة: الصحة واللذة والسعادة والعدالة وكرم الأخلاق والتعاون والجزم – واستكشاف الرغبة. فليس ثمة مخطط جاهز يمكن اتباعه من أجل الوصول إلى اللذة. ويجب أن نعي باستمرار أن التبادل الجنسي يحصل دائماً داخل الواقع الاجتماعي الذي يضغط عليه بطريقة أو بأخرى، ولكنه ينبثق من الظروف والامكانيات والطمأنينة (أو عدمها) والمخاوف والمبادرات والحاجات والأمل، فهي التي تحيط بأماكن عيش الناس وبما يتوقون إليه.

تعزيز الحقوق الجنسية من خلال التربية على حقوق الإنسان: تجارب قاعدية في تركيا

ليزا إركيفيتش أمادو

1 المقدمة

المحافظة العالمية وتحدياً للمحرّمات التي تحيط بالجنسانية. تناضل النساء بقوة على صعيد دولي ومحلي وكذلك على صعيد القاعدية (grassroots level) للحصول على حقوقهن الجنسية والإنجابية، وقد ارتفعت أصواتهن أكثر وقوي دفاعهن في عدد من المنتديات. تستمد هذه المقالة مادّتها من تجارب في تركيا، وهي بيئة يتصارع فيها النضال من أجل الحقوق الجنسية مع معايير النظام الأبوي والتيار المحافظ حول جنسانية النساء. وتعتمد المقالة على خبرة المنظّمة التركية لحقوق النساء، النساء لحقوق النساء الإنسانية - طرق جديدة (WWHR-New Ways)،¹ وتستكشف كيف يمكن لمقاربة إيجابية من الجنسية أن تتيح المجال للنساء من أجل المطالبة بحقوقهن الجنسية.

لا تزال حقوق المرأة الجنسية هي أحد أكثر حقوقها الإنسانية المطعون بها في أنحاء العالم كافة. إنّ قضايا الجنسية هي دائماً أول ما يتعرّض للهجوم، سواء في منظمات دولية كالأمم المتحدة أو أخرى وطنية. وتسعى القوى السياسية الرجعية بمزيد من الحزم للمحافظة على التحكم بجنسانية النساء وتقويته. والتحكم بجنسانية النساء هو سبب انتهاكات كثيرة لحقوق النساء مثل "جرائم الشرف" والزواج المبكر أو المعقود بإكراه وختان الإناث. وتُضفي القوى المحافظة غطاءً من الشرعية على هذه الانتهاكات بفرض مفاهيم اجتماعية خاصّة بالنظام الأبوي، كما أنها تلجأ إلى سوء استخدام الدين والتقاليد.

2 النضال من أجل الحقوق الجنسية في تركيا إنّ الوضع في البيئة التركية هو كما في العالم، حيث تبقى الجنسية، ولا سيّما جنسانية النساء، من المحرّمات أحياناً كثيرة، وتُجابه الناشطة المتزايدة من أجل الحقوق الجنسية ووعيها بهجمات القوى السياسية المحافظة. إنّ المفاهيم المحيطة بجنسانية النساء نسيجٌ معقّد من التصورات المقبولة حسب النوع الاجتماعي ومركّبات خاصّة بالنظام الأبوي وممارسات تقليدية، ممّا لا يترك مجالاً واسعاً للتعبير عن الجنسية. إنّ نقص المعلومات عن الصحة والحقوق الجنسية والإنجابية وتربية جنسانية شاملة مبنية على الحقوق، والقوانين الصارمة التي تحدّد سلوك المرأة الجنسي، والمحرّمات المتعلقة بجنسانية المرأة

إنّ المحرّمات المتعلقة بالجنسانية، والتي يعرّزها صعود القوى السياسية المحافظة، لا تزال تبتكر مركّبات ومفاهيم قادمة ومغالطات عن جنسانية النساء، وتحافظ عليها. إنّ ذلك لا يحول دون اتّخاذ النساء مقاربة إيجابية (affirmative approach) من الجنسية وفرصة التمتع بتجارب جنسية إيجابية فحسب، وإنما يتعدّى على حقوق وحرّيات أساسية كالصحة والتعليم وحرية التنقل، ممّا يعرقل مشاركة النساء في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على قدم المساواة مع الرجال. كما تنتشر في الوقت نفسه في أنحاء العالم كافة وتزداد قوّة جهود الناشطين المصرة على تعزيز الحقوق الجنسية كجزء من حقوق الإنسان، مما يشكل اعتراضاً على السياسة

تدّعي أن هذه "حقائق خاصة بالمجتمع التركي"،
و/أو "من شأن الأسرة"، و/أو "تمسّ شرف
الرجال".

لقد أدّت الجهود التي قامت بها الجمعيات النسائية
في سبيل النضال من أجل حقوق المرأة، ولا سيّما
تعديل القانون الجزائي مؤخراً عام 2004، إلى
إنجازات مهمة لصالح النساء في مجال الحقوق
الجنسية وحقوق الصحة الإنجابية. لقد أدّت
الحملة لتعديل القانون الجزائي من منظور النوع
الإجتماعي (4 - 2002) التي أطلقتها ونسّقت لها
جمعية النساء لحقوق النساء الإنسانية - طرق
جديدة (WWHR-New Ways) إلى 30 تعديلاً،
وهذا بمثابة خطوة كبيرة نحو حماية الحقوق
الجسدية والجنسية للنساء والبنات في تركيا.
ونتيجة لهذه الحملة اتُخذت إجراءات قانونية حول
قضايا "حساسة" بما فيها تجريم الاغتصاب
الزوجي وحذف المادة التي تُصدر أحكاماً تخفيفية
على مرتكبي جرائم الشرف. وأمر آخر بعيد الدلالة
هو أن خطاب القانون الجزائي بكامله تغيّر. لقد
صار يعترف بأن النساء يمكن أجسادهن وأبطل
فكرة أن أجساد النساء وجنسانيتهن ملك الأسرة
والمجتمع، وأزال استعمال مفاهيم مثل "الشرف"
و"العار" و"الأخلاقية" و"البكارة" كمصطلحات
تُشير إلى ذنوب جنسية.

مع أن التطورات الإيجابية المذكورة أعلاه تُظهر
التقدم نحو إضفاء صفة الشرعية على الحقوق
الجنسية، فإن المقاومة التي واجهناها خلال
الحملة من قبل موظفي الحكومة والنواب، بالإضافة
إلى مهاجمة الإعلام الديني المحافظ الذي ذهب
إلى أن "نساء فاسقات يحاولن القضاء على
أخلاق المجتمع التركي"، إن هذه المقاومة دليل
على أن جنسانية النساء لا تزال من المحرّمات،
وأن المقاربة التمييزية من منظور النظام الأبوي
الهادفة إلى التحكم بجنسانية النساء وقمعها

(ولا سيما العلاقات الجنسية قبل الزواج وخارج
الزواج)، بالإضافة إلى مفاهيم مثل واجب المرأة
أن تحافظ على بكارتها حتى الزواج، والانفصام
بين الشرف والعار الذي يسيطر على جنسانية
المرأة، هذه العوامل كلّها لا تزال تتحكم بحيوات
النساء (Ilkcaracan & WWHR 1998). إن القمع
الذي يمارسه المجتمع والأسرة يمنع النساء من
الإصرار على إستقلالهن الجسدي وكسب حقوقهن
الجنسية والإنجابية كحقوق إنسانية.

إن الممارسات التقليدية التي تُميّز ضد النساء،
والمفاهيم الإجتماعية الخاصة بالنظام الأبوي
التي تفرض فكرة أن الجنسانية محرّمة، أو على أقل
تقدير، مسألة خصوصية جداً يجب عدم مناقشتها
أو الكلام عليها أو الدفاع عنها، هذه كلها لا تزال
تجعل من إنتهاكات حقوق الإنسان في مضمار
الجنسانية أمراً شرعياً (Ilkcaracan & Seral
2000). كما أن هذه الممارسات والمفاهيم هي
دعم لمقاربة تُميّز ضد النساء ولمعايير إجتماعية
وممارسات تحرم النساء الإستقلالية الجسدية
والجنسية. ومع أن تركيا أحرزت مؤخراً تقدماً
ملموساً في مساواة النوع الإجتماعي من خلال
إصلاحات قانونية، بما فيها القانونان الجزائي
والمدني، وقد وقّعت بدون تحفّظ على وثائق دولية
عدّة (بما فيها مؤتمر القاهرة الدولي عام 1994 عن
منهاج عمل السكان والتنمية) (ICPD)، لا تزال
النساء تواجهن في حياتهن اليومية التمييز والعنف
في مضمار الحقوق الجنسية وحقوق الصحة
الإنجابية (SRHR). إن مركّبات اجتماعية خاصّة
بالنظام الأبوي هي سبب استمرار عدم معاقبة
انتهاكات حقوق الإنسان كالاغتصاب الزوجي
والإكراه على الزواج والزواج المبكر وجرائم الشرف
وفحص البكارة. وفقط مؤخراً، ونتيجة مثابرة
الحركة النسائية في تركيا في الدفاع عن حقوق
المرأة، بانّت مثل هذه الانتهاكات لحقوق الإنسان
أكثر للعيان وبدأ التشكيك والطعن بالخطابات التي

حقوق الإنسان. وفي عام 1995 طوّرت المنظمة تدريباً شاملاً متكاملًا للنساء على حقوق الإنسان عنوانه برنامج تعليم حقوق الإنسان الخاص بالنساء (HREP) الذي يهدف إلى تمكين النساء من ممارسة حقوقهن في كل من المجالين الخاص والعام والتغلب على الانتهاكات والتعبئة الفردية والجماعية من أجل تغيير اجتماعي (Ilkkaracan & Seral 2000; Ilkkaracan et al. 1998). إن هذا البرنامج هو حالياً أكثر البرامج غير الرسمية انتشاراً وشمولية في تركيا لتعليم حقوق الإنسان ويجري تنفيذه بالتعاون مع المديرية العامة للخدمات الإجتماعية بوساطة مرشدين/ات اجتماعيين/ات درّبتهم منظمة النساء لحقوق النساء الإنسانية - طرق جديدة (WWHR-New Ways). وفي غضون عقدٍ من الزمن انتشر البرنامج في 36 مقاطعة في مختلف أنحاء البلاد واشترك فيه أكثر من 4500 امرأة حتى الآن (Kardam 2003). يستغرق التدريب على برنامج تعليم حقوق الإنسان الخاص بالنساء (HREP) المتكامل 16 أسبوعاً ويتخذ مقارنة قائمة على المشاركة يجري تطبيقها ضمن مجموعات مغلقة. إنه يغطي كل نواحي حقوق الإنسان الخاصة بالنساء، أي الحقوق المدنية والدستورية والحقوق الاقتصادية والعنف ضد النساء، ومشاركة النساء السياسية وتنظيم النساء لحقوقهن الجنسية والإنجابية، بالإضافة إلى وحدات لتدريب الوالدين على تربية مراعية للنوع الاجتماعي ومهارات التواصل، إذ إن البرنامج يسعى إلى تجهيز النساء بالمعرفة والمهارات الضرورية لنيل حقوقهن.

4 تبادل التجارب، تحدي المحرمات

إن الجنسية والحقوق الجنسية جزء لا يتجزأ من البرنامج، وهو يتضمن وحدتين تتناولان الجنسية والحقوق الجنسية فقط، ووحدة مخصصة للحقوق الإنجابية. إنّ الوحدتين اللتين تطرّقان إلى موضوع الجنسية في برنامج

لا تزال موجودة. ولذلك من الصعب أن نقول إنّ التحسينات القانونية قد بدأت تُترجم إلى حقائق في حيات النساء وتحول المواقف والدلائل السلبية حول جنسانيتهن.

3 اتخاذ مقارنة إيجابية من الجنسية

هناك حاجة واضحة إلى تناول قضايا الجنسية وتعزيز الحقوق الجنسية لكي تستطيع النساء المطالبة بالاستقلال واعتماد مقارنة إيجابية من الجنسية. إنّ مبادرات توعية تحويلية (transformative awareness raising) تمكّن النساء من تغيير مفاهيم النساء، وتحدي مفاهيم النظام الأبوي عن الجنسية، ضروريان من أجل تمكين النساء من اتخاذ قرارات حرة وواعية، ولكي يدركن حقوقهن الجنسية. ولقد بيّنت أبحاث ميدانية أجرتها منظمة النساء لحقوق النساء الإنسانية - طرق جديدة (WWHR-New Ways) بين عامي 1994 و1997 في مناطق مختلفة من تركيا، أن النساء لا يعرفن حقوقهن التي نصّ عليها القانون الوطني والوثائق الدولية، ولا يملكن المهارات الضرورية لنيل حقوقهن، بما فيها الحقوق الجنسية وحقوق الصحة الإنجابية (SRHR) (Ilkkaracan & WWHR 1998) مثلاً، إنّ الأبحاث الميدانية التي أجريت في شرق وجنوب شرق تركيا خلال 1996 و1997 بيّنت أن 51 بالمئة من النساء كنّ قد زوّجن بالإكراه، على الرغم من أن القانون المدني التركي يشترط موافقة الطرفين قبل الزواج. وحوالي 67 بالمئة من النساء اعتقدن أن الزوج و/أو الأسرة سيقتلهن إذا زين، و52 بالمئة كنّ قد تعرّضن لاغتصاب زوجي (Ilkkaracan & WWHR 1998).

في هذه الظروف وبسبب هذه العوامل وضعت منظمة النساء لحقوق النساء الإنسانية - طرق جديدة (WWHR) موضوع الجنسية على سلم أولوياتها في جهودها التأييدية وفي تدريباتها القاعدية على

المجتمع بكامله. هذا ظلمٌ رهيبٌ في حق أجساد النساء وجنسانيتهن. وحين يكون هذا تأويل الشرف لا تستطيع بنات كثيرات تحصيل العلم أو الزواج من رجلٍ يخترنه أو الخروج للعمل.

لا نعرف أجسادنا، ولا نعرف جنسانيتنا. أنا لم أعرف أيّاً منهما. حتّى حين كنّا صغاراً كانوا يلبسوننا ملابس داخلية طويلة. كنّا نلبس سروال الباجاما تحت فساتيننا. وكلّ ما تعلّمناه كأطفال كان توجيهات مثل ”انتبهي حين تجلسين“ و”حين تشتغلين لا تنحني حتى لا تبرز مؤخرتك“ و”لا تديري ظهرك للرجال، سيري عكساً“ ... هذا ما تعلّمناه كأطفال. فكيف يمكننا التغلّب عليه؟

من المفروض أن لا تكون النساء قليلات الحياء وأن يعبرن عن بعض مشاعرهن بصراحة. حتّى حين يضاجعني زوجي أتساءل عمّا إذا كان سيسيء فهمي ويظنّني متحمّسة أكثر من اللزوم. كان زوجي يعمل في بلدٍ آخر. حين عاد لم أستطع أن أعبر عن رغبتني بصراحة كي لا يظن أن مثل هذه الرغبات كانت لي في غيابه. لم أستطع أن أشرك زوجي في مشاعري وأفكاري الشخصية.

إذا أخذنا أفكار النساء وتجاربهن بعين الاعتبار، يصبح تناول الجنسانية والحقوق الجنسية في مجموعة مغلقة، ضمن إطار حقوق الإنسان ومقاربة قائمة على الحقوق ذا أهمية كبرى. وبالتالي إنّ برنامج تعليم حقوق الإنسان الخاص بالنساء هو وسيلة وفرصة مهمّتان لمناقشة تجارب المشاركات ومشاعرهن بحريّة ولمشاركتهن في مكان آمن ممّا يواجهن من انتهاكات وتمييز. ويتطلّب البرنامج من المدربة أن تؤدّي دور ميسرة المجموعة (group facilitator) بدل من دور المعلمة. هذا تفصيل مهمّ جداً لأنه عليها أن تؤمّن جوّاً آمناً خالياً من التحامل

تعليم حقوق الإنسان الخاص بالنساء (HREP) مخصّصتان لإزالة الأفكار الخاطئة عن الجنسانية وتحديّ المحرّمات المذكورة أعلاه وتمكين النساء من التحكم بجنسانيتهن، بحيث يتمكن من تحقيق الاستقلال الجسدي والجنسي. وقد أعدت هاتان الوجدتان كذلك للمساعدة على الوعي أنّ التحكم بجنسانية النساء يجري بحسب آلية خاصة بالنظام الأبوي يفرضها كل من المجتمع والأسرة، وأنّ هذا التحكم هو تعدّ على حقوق المرأة الإنسانية. ويجب الإشارة إلى أنّ النساء في مجموعات برنامج تعليم حقوق الإنسان الخاص بالنساء غالباً ما يجهلن معلومات دقيقة عن الجنسانية ويعتقدن أنّ المحرّمات ضرورية والأفكار الخاطئة صحيحة ويساندنها. بالإضافة الى ذلك، لأن النساء اللواتي يشتركن في البرنامج ينشأن على فكرة أن الجنسانية قضية ”خاصّة“ وأنها على قدر من القذارة يحتم على النساء عدم التحدث عنها غالباً ما تقاومن مناقشة كل ما يتعلق بهذا الموضوع في مراحل البرنامج الأولى. إنّ شهادات المشاركات في البرنامج ذات دلالة بعيدة بما أنّها تصور الطرق المختلفة لإنكار جنسانية النساء وتحميلها مفاهيم خاصّة بالنظام الأبوي:

حين كنت في الثامنة من عمري أثار فضولي عضو ابن جارنا الجنسي وأردت أن أرى شكله. حين اكتشفت أسرتي ذلك حبستني في غرفة مظلمة. بعد حبسي ثلاثة أيام أخذوني عند طبيب لفحص بكارتني وأخرجوني من المدرسة. وما زلت أعاني أثر هذه التجربة وأجد صعوبة في ممارسة الجنس مع زوجي. إنّني أشعر بوخزات قلق وعار.

لسوء الحظ نجد أن الشرف هو أكثر الوسائل استخداماً في بلدنا لكبت جنسانيتنا. إنّهم يعتبرون أنّ جسم المرأة هو ما يحوي الشرف. إنّ شرفها ملك الرجال، لا بل وفي الواقع إنه ملك

وتؤكد للمشاركات إحساساً بتضامن جماعي. كما إن وحدات البرنامج الأخرى تشجّع المدرّبات على تبادل الخبرات والمساهمة في النقاش كنساء بالدرجة الأولى. وفي معظم الأحيان يفيد ذلك في تخفيف التوتر وولادة شعور بالثقة والدعم.

إن تناول هذا البرنامج للجنسانية في إطار حقوق الإنسان هو خيار استراتيجي. ولأن التحكّم بجنسانية النساء هو أحد أهم الوسائل للتحكّم بالنساء وقمعهن وسبب انتهاكات كثيرة لحقوق الإنسان، من المهم جداً إظهار الصلة بين قمع الجنسانية وانتهاك حقوق الإنسان، كما هو الحال في جرائم الشرف والزواج المبكر وزواج الإكراه والعنف الجنسي، بما فيه الاغتصاب الزوجي، إلخ. إن استخدام خطاب حقوق الإنسان ومقاربة مبنية على الحقوق لهذا التحليل يسّطان الضوء على الواقع أنّ الجنسانية أكثر بكثير من مجرد قضية خاصة، وأنها تتكوّن إلى حدّ بعيد من البيئة السياسية والاجتماعية والثقافية. حين تصبح المشاركات قادرات على تتبع الصّلات المتداخلة بين الانتهاكات والتمييز الذي يواجهنه، تؤدي المقاربة المبنية على الحقوق إلى التمكن وتأسيس السلامة الجسدية والاستقلال الجنسي، وتصبح الجنسانية والحقوق الجنسية والإنجابية بالنسبة للمشاركات من قضايا حقوق الإنسان، مع العلم أنه لا يمكن تجزئ حقوق الإنسان.

5 تساؤل حول التحكّم بأجساد النساء

في الوحدات التي تتناول حقوق النساء الإنسانية والدستورية والمدنية تطرح المجموعة منذ البداية أسئلة حول الجنسانية. وذلك خصوصاً حين نتكلّم على مسائل الزواج والطلاق والتمييز على أساس النوع الاجتماعي وانتهاكات حقوق النساء الإنسانية، فيتحوّل الحديث بصورة حتمية إلى مركّب الشرف وتقييد استقلالية النساء وحريتهن في التنقل والزواج المبكر والزواج الذي يتم

بالإكراه. ومع أنّ المشاركات لا يربطن في هذه المرحلة المبكرة من البرنامج بين الجنسانية والشرف، فإن مشاركتهن تجاربهن والتحكّم بأجساد النساء وجنسانيتهن كثيراً ما تدلّ ضمناً على أنّ الصّلة بين الجنسانية والشرف هي السّبب الأساسي لتقييد حريّة الاختيار. بعد هذه القضايا مباشرة تتناول المشاركات بصراحة موضوع العنف الجنسي كأحد أشكال العنف الذي تتعرّض له النساء وذلك ضمن الوحدات التي تبحث في العنف ضد النساء والاستراتيجيات التي يمكن للنساء اللجوء إليها لمقاومته.

إن التطرّق إلى موضوع العنف الجنسي بهذه الطريقة يسمح بتعريفه مباشرة أنّه شكل من أشكال العنف. وتستطيع المشاركات كخطوة أولى أن يحدّدن معاً أشكال العنف الجنسي وأن يستنبطن بعد ذلك استراتيجيات للتغلّب عليه و/أو منعه. وفي ورش العمل هذه يولّد موضوعا العنف الجنسي في الأسرة والاغتصاب الزوجي بصفة خاصة جدالات وخلافات يجب معالجتها. وبالاستناد إلى وثائق دولية، بالإضافة إلى التشريعات الوطنية وإطار حقوق الإنسان ومساواة النوع الاجتماعي التي تكون قد قدّمت في الوحدات الأولى، تشجّع ميسرة المجموعة (group facilitator) النساء على تحدّي ظاهرة الاغتصاب الزوجي المحرّم وإعادة تعريفه أنّه انتهاك أكثر منه ممارسة تقليدية مقبولة. ومن خلال ربط البيئة المحليّة بالسياق الدولي والعالمي، أي إدراك أن النساء في أنحاء العالم كافة يواجهن الانتهاكات ويناضلن معاً للتغلّب عليها، ينمو إحساس بالوعي والتضامن يظهر أثره لاحقاً في البرنامج خلال المشاركة في الوحدات التي تركّز على موضوع الجنسانية. إن هذه الوحدات تساعد المشاركات أيضاً على أن يدركن أن العنف الجنسي والعنف المنزلي ليسا مجرد قضيتين شخصيتين وخاصّتين، وإنما ينبعان من النظام الاجتماعي السياسي الأبوي القائم باستمرار على عدم المساواة

في النوع الاجتماعي والتمييز. وبالتالي إن هذه الوحدات تمكّن المشاركات من طرح الأسئلة حول الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي تكمن وراء عدم المساواة هذا.

6 استكشاف الجنسانية

تتم مناقشة الجنسانية والحقوق الجنسية بانفصال تام عن العنف الجنسي في وحدتين تنظمان عن قصد في أواخر أسابيع البرنامج الستة عشر، وذلك لأسباب استراتيجية. تبدأ الوحداتان المخصصتان للنساء والجنسانية بالطلب من كل مشاركة أن تقصّ على الأخريات كيف يجري التحكّم بجنسائيتها أو تجاهلها. وتشمل هذه المناقشات أسئلة ليس فقط حول كيفية تحكّم الرجال والأسرة بجنسانية النساء، وإنما أيضاً كيف تتحكّم بها المؤسسات العامة وأماكن العمل والمدارس والدولة والمجتمع. كذلك تُخبر ميسرة المجموعة عن تجاربها الخاصة لتعيد تأكيد التضامن وتمنهنّ الثقة. ويتبع ذلك جلسة غير رسمية حول أعضاء المرأة الجنسية ووظائفها. وهذا القسم مفيد جداً تقنياً للقضاء على الغموض المحيط بالجنسانية وتوضيح الحقّ باللذة. إن جمعية النساء لحقوق النساء الإنسانية - طرق جديدة (WWHR-New Ways) تزود المشاركات بكتيّب مصوّر بعنوان *We Have Sexuality* (نملك الجنسانية!) يؤمّن معلومات معمّقة عن الأعضاء الجنسية وجنسانية النساء والحقوق الجنسية والحقّ باللذة. وكثيراً ما تستخدم النساء هذه الكتيّبات كوسيلة للتعبير عن أنفسهن وإشراك أزواجهن في مشاعرهن. وتنطوي إحدى الاستراتيجيات التي تستخدمها المشاركات في أن يتركن الكتيّب في مكان ما من البيت حتى يستطيع الزوج رؤيته، وقد أفادت الكثيرات أن الكتيّب يساعدن على التحدث عن الجنسانية.

إنّ الشعور بالتضامن والراحة الذي ينمو مع الوقت يقدّم مكاناً آمناً ومريحاً للحديث عن الجنسانية

التي تبقى بالنسبة لمعظم المشاركات قضية خصوصية، وفي معظم الحالات، محرّمة. وبما أنّ المشاركات يكنّ قد طوّرن منظوراً متكاملًا لحقوق الإنسان خلال الأسابيع الأولى من التدريب، يصبح من الممكن دمج الجنسانية بهذا المنظور. ويؤدّي تناول الجنسانية منفصلة عن منظور كل من العنف والصحة الإنجابية والحقوق إلى نتيجتين: من ناحية، إنّهُ يؤكّد مقارنة إيجابية وتمكينية من الجنسانية ويؤمّن مساحة لفصل الجنسانية عن الإكراه والقمع؛ ومن ناحية أخرى، إنّهُ يُزيل فكرة أنّ جنسانية النساء مبنية على الإنجاب ومقتصرة عليه. ودخل إطار حقوق الإنسان المستخدم هناك تأكيد أيضاً أنّ الجنسانية ليست فقط قضية خاصة وإنما أيضاً قضية سياسية عامّة تنشأ من خلال المناقشات في الوحدات عن العنف والحقوق المدنية والاقتصادية إلخ. وعليه لا يكون الحصول على الحقوق الجنسية أمراً جوهرياً فحسب، وإنما أمرٌ طبيعيٌّ ومبرّرٌ أيضاً، وهذا ما تبيّنه المقاربة المتكاملة لبرنامج تعليم حقوق الإنسان الخاص بالنساء (HREP).

وتستلزم الوحدة الثانية في البرنامج تمريناً قائماً على ربط حرّ (free association exercise) لجمل ذات علاقة بالجنسانية الذكرية والأنثوية. وهذه خطوة متّمة لإزالة الأفكار التي تسيء فهم الجنسانية الأنثوية والتي تركز على ارتباطها بـ "الواجب" و "الأمومة" و "البكارة" و "المقع"، وتتحدى أيضاً الأفكار حول الجنسانية الذكرية. على أثر هذا التمرين، لا سيّما خبرات النساء الشخصية، تدرك المشاركات أنّ النساء والرجال متساوون رغم أنّهم مختلفون. مثلاً، في مناقشة فكرة أنّ رغبات الرجال الجنسية أكثر من رغبات النساء، أو أنّ على الرجال أن يبدؤوا الاتصال الجنسي، كثيراً ما تقدّم المشاركات أمثلة من حيواتهن الخاصة ليظهرن أنّ هذا سوء فهم للحقيقة، يفرضه المجتمع. وتؤدّي هذه المناقشات إلى استكشاف الحقوق الجنسية،

بما فيها حق معرفة المرأة جسدها، والحق ببلوغ ذروة اللذة، وحق السعي إلى تجربة جنسية بصرف النظر عن الوضع العائلي، والحق أيضاً في أن لا تختبر المرأة الجنسية.

بعد وحدتي النساء والجنسانية يأتي دور التطرق إلى الصحة الإنجابية والحقوق. ومن الطبيعي أن تتبنى ورشة العمل المخصصة لهذا الموضوع مقاربة مبنية على الحقوق تظهر حق المرأة في أن تكون حرة في اتخاذ قراراتها حول حقوقها الإنجابية. إن هذه الوحدة تتضمن كثيراً من أجزاء اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة في الصحة الإنجابية والحقوق، بالإضافة إلى نقاش حول سياسات الصحة الإنجابية وكيف يمكنها أن تؤدي إلى انتهاك حقوق المرأة الإنسانية والتمييز ضدها. ويجري البحث مفصلاً في وسائل منع الحمل من منظور النوع الاجتماعي، ويشمل الحديث ما قد ينجم عنها من أضرار، وحق النساء في اختيار الوسيلة التي تناسبهن أكثر من غيرها. بالإضافة إلى ذلك، تتضمن هذه الوحدة تحدياً من خلال المقاربات الطبية البحتة وتلك التي تتوجه إلى موضوع تنظيم الأسرة. وبما أن الجلسة تأتي بعد ورش عمل عن الجنسانية، يجري أيضاً مناقشة الصحة الإنجابية والحقوق في إطار جنسانية النساء وحقوق الإنسان، مع التركيز على أنهما مظهر واحد فقط من حياة النساء الجنسية. وبطبيعة الحال يجري فضح الفكرة المغالطة التي يبنها النظام الأبوي والتي تذهب إلى القول أن جنسانية المرأة مقتصرة على الإنجاب.

7 نيل الحقوق الجنسية

لقد ساعد عمل جمعية النساء لحقوق النساء الإنسانية - طرق جديدة (WWHR-New Ways) حول الجنسانية على التالي: إيجاد أماكن تقول فيها النساء ما لا يُقال؛ ومشاركة النساء في التطرق إلى قضايا لا تُناقش عادة؛ ومعرفة النساء لأنفسهن

والأخريات بطرق جديدة. إن مثل هذه الأعمال تتمتع أساسية للأعمال التي تصب في مجال تأييد السياسات المتبعة، إذ هي تربط الحقوق التي تجري المطالبة بها على مستوى الدولة بواقع تجارب النساء المعاشة، وتمكن النساء من نيل حقوقهن. إن وحدات الجنسانية تغير مقاربة المشاركات من الجنسانية، فتمكنهن من تعيين ما يقيدهن واتخاذ موقف موجب وابتكار استراتيجيات لنيل حقوقهن الجنسية. كون هذه الوحدات لا تنظم مستقلة، وإنما تعالج داخل إطار برنامج تعليم حقوق الإنسان الخاص بالنساء (HREP) الذي يمنح النساء وعياً بحقوق الإنسان ومعرفة قانونية، هو أمر مهم جداً للتغلب على المحرمات حول الجنسانية وتقديم منظور قائم على الحقوق. فعلى الرغم من الأجواء القومية والعالمية حيث تبقى الجنسانية قضية تثير الخلافات والجدل والحقوق الجنسية في طبيعة المواضيع التي تقاوم، فإن النساء على مستوى القاعدة في تركيا يسعين إلى كسر المحرمات ونيل حقوقهن الجنسية. إن كلمات النساء أنفسهن أفضل ما يعكس ما حدث من تحول ووعي، فضلاً عن عزمهن:

قبل أن أشارك في هذا التدريب لم أكن أعرف أن باستطاعة البنات أو النساء أن يشعرن بلذة جنسية.

الآن أقول، حين لا تريد المرأة ممارسة الجنس مع زوجها، تستطيع أن ترفض وتقول له: "أنت تطلبه أما أنا فلا، وأنا لست مستعدة الآن". وعلى الرجال أن يحترموا ذلك. حين يُكرهون المرأة على المضاجعة يكون ذلك بمثابة اغتصاب. إذ هناك ما يسمى اغتصاباً زوجياً وعلى النساء أن يعرفن أن من حقهن اللجوء إلى المحكمة. حتى لو كان الرجل زوجها، فمن حقها أن ترفض مضاجعته. عليهن أن يعرفن ذلك.

المراجع

- Ilkharacan, I. and Seral, G. (2000) 'Sexual Pleasure as a Women's Human Right: Experiences from a Grassroots Training Program in Turkey', in P. Ilkharacan (ed.), *Women and Sexuality in Muslim Societies*, Istanbul: Women for Women's Human Rights – New Ways
- Ilkharacan, I., Ilkharacan, P., Kerestecioglu, F., Kilic, Z., Ozenen, F. and Seral, G. (1998) *Women's Human Rights Education: A Training Manual*, Istanbul: Women for Women's Human Rights – New Ways
- Ilkharacan, P. and WWHR (Women for Women's Human Rights) (1998) 'Exploring the Context of Women's Sexuality in Eastern Turkey', *Reproductive Health Matters* 6.12: 66 –75
- Kardam N. (2003) *WWHR – New Ways, Women's Human Rights Training Program 1995–2003: Evaluation Report*, Istanbul: Women for Women's Human Rights – New Ways

أظن أن على النساء أن يكتشفن أجسادهن في بدء الأمر ويسألن ماذا تريد المرأة، وليس ماذا يريد الرجل. إن الطبيعة هي التي خلقت الجنسية ولا يمكن أن تكون من دون المرأة. إن الحياة تبدأ بها. حين اشتركت في الاجتماعات قلت يجب أن تعطى هذه الدروس قبل الزواج. وكما يعطون دروس الدين عليهم أن يقدموا دروساً في الجنسية قبل الزواج. وعلى المرأة أن تعرف كيف تستطيع أن ترضي زوجها، وكيف يستطيع هو أن يرضيها، وكيف يمكنهما أن يعلما أولادهما.

وعلى الناس أن يعرفوا أن لهم حقوقاً شخصية. إن لي حق المضاجعة ولي الحق في أن أشعر باللذة وأريد أن أستعمل هذه الحقوق. إلا أننا كنا مقموعات كنساء ومن الآن وصاعداً سأتكلم على اللذة.

ملاحظات

- 1 النساء لحقوق النساء الإنسانية- طرق جديدة (WWHR- New Ways) هي منظمة نسائية غير حكومية مستقلة تأسست عام 1993، مركزها اسطنبول في تركيا. وبين أولويات ميادين عملها الدفاع والضبط لتعزيز حقوق الإنسان على الصعيد الوطني والمناطق والدولي وتعليم حقوق الإنسان ونشر وتوزيع مجموعات كبيرة من مواد الوعي والمساعدة. ولمزيد من المعلومات مراجعة www.wwhr.org.

”حميمية مطاردة رجل: يا رجل نظّف الحمام“: النساء، اللذة الجنسية، العنف على أساس النوع الاجتماعي وفيروس نقص المناعة المكتسبة

أليس ويلبورن

1 المقدمة

”فصل الجوع“ أي أشهر الفاقة حين يَفرغ مخزن القمح ويكون الطّقس ممطراً وبارداً ويكون الناس (ولا سيّما النساء) مجبرين على القيام بأعمال شاقة مثل إزالة الأعشاب الضارة من الحقول، وقبل أن يُحصَد المحصول الجديد، يجد الجميع أنّ الحياة تعيش فتتسبب الخصومات ويضرب الرجال زوجاتهم. وفي خضمّ ذلك يجد الناس أنفسهم مجبورين على ”أكل الدّين“ ويجوع الأولاد. ووصفت النساء كيف أنّ العمل الثقيل ”يجلب المرض“. وتتكرّر هذه القصة مراراً في أماكن أخرى. في غانا مثلاً، بيّن تدريب شبّه أنّ هناك اعتقاداً أنّ أنماط علاقات الرجال والنساء الجنسية خارج الرّباط الزوجي تتزامن مع ازدياد الأمراض المنقولة جنسياً والحمل في أوقات المجاعة والبرد وأعباء العمل الثقيل وقلة المال والنزاعات في المنزل.¹

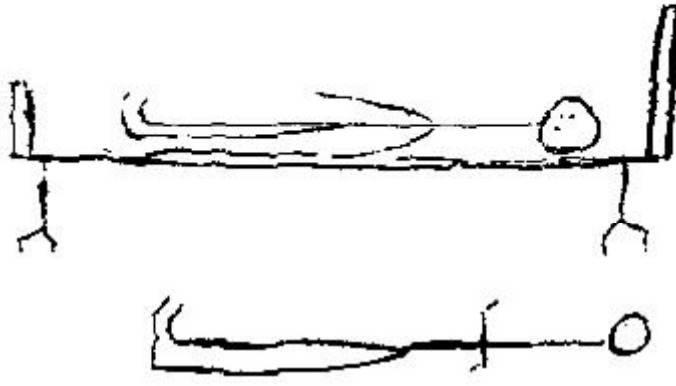
في ريف أوغندا أيضاً وصفت لي النساء عام 1991 صعوبة حياتهنّ مع أزواجهنّ الذين لا يساعدون أبداً في الأعمال المنزلية أو المصروف، وقلن إنّهن يستحيل عليهنّ ترك أزواجهنّ خوفاً من ما قد يتعرّض له أولادهنّ في حال اضطرّوا أن يعيشوا من دونهنّ. كذلك في زمبيا، تُشير دراسة أخرى أجريت عام 1997 إلى ”التوترات المنزلية التي تحدث بسبب الإكثار من شرب الكحول والنزاع بسبب المال وفي أكثر الأحيان بسبب الجنس (الذي يطلبه الرجال وترفضه النساء المرهقات ... وقالت إحدى النساء

”كلّما ازدادت مشاركة الرجل في العناية بالأولاد والعمل المنزلي والمحادثة اليومية ... ازداد رضى الزوجة وحميميتها الجنسية“. كان هذا الاكتشاف الذي انتهت به مقالة مسلية (lighthearted article) نُشرت مؤخراً في *International Herald Tribune*. ولقد جاء هذا الاكتشاف الذي يعتبره البعض مفاجئاً نتيجة مسح أجراه مكتب الولايات المتحدة لإحصاءات العمل على عيّنة تألفت من 21000 أميركي (McNeil 2004). ولكن ما أغفله هذا التقرير هو أنّ مساهمة الرجال - أو عدم مساهمتهم - في الأعمال المنزلية والمصروف والأعباء اليومية المترتبة على إدارة المنزل تتصل اتصالاً وثيقاً ليس فقط بالحميمية والرّضى الجنسيين، وإنّما أيضاً بعدم الرّضى الجنسي والعنف على أساس النوع الاجتماعي وفيروس نقص المناعة المكتسبة. ولقد عرفت النساء في أنحاء العالم كافّة منذ سنين ما بيّنه هذا المسح الآن على أنّه ”حقيقة“ في الولايات المتحدة. ولكن كالعادة أغفلت قصص النساء في مناطق العالم الأخرى.

2 الجنس والعمل والمال

عام 1991 أُجريت تدريباً حول التّقويم الموسمي (seasonal calendar exercise) في أحد المجتمعات المحليّة، حضره الرجال والنساء على حدة (Welbourn 1991). أوضح كلّ من الفريقين أنّ

الرسم 1: "حين نكون مرهقات ونرفض مضاجعة أزواجنا يطلبون منا أن ننام على الأرض" (فئة الكبيرات في السن، زامبيا)



ولسوء الحظ يعرف كثيرون منا حق المعرفة أنَّ ما يأتي في أعقاب هذه النزاعات مباشرة هو العنف الجسدي وأنَّ نتائجه هي التَّعرض لعدوى الأمراض المعدية جنسياً وفيروس نقص المناعة المكتسبة بما أنَّ الرجال يتعرَّون بمضاجعة نساء أخريات لا يكون لهنَّ ما يبرِّر مخاصمتهم، كما تلجأ زوجاتهم أيضاً إلى مضاجعة رجال آخرين لشراء ملابس المدرسة لأولادهنَّ أو طعام للوجبة اليومية. وفي الكثير من أنحاء العالم تربي النساء قريبات أصغر منهنَّ على أن يتوقَّعن أن يكنَّ بحاجة إلى ممارسة الجنس مع رجال غير أزواجهن لكي يسدَّن العجز في نفقاتهن، وأنَّه لطالما كانت هذه الممارسات غير مفضوحة تماماً، يتغاضى الرجال عنها غالباً، لأنَّهم يقومون بالعمل نفسه مع نساء أخريات. ويتداخل العمل والمال والجنس والعنف تداخلاً لا يمكن فكُّه وتُخطئ النساء اللواتي يعتقدن غير ذلك.

3 كسر الحلقة

إنَّ الحالات التي وصفناها أعلاه تُبين إلى أي مدى النساء هنَّ عرضة لعدوى فيروس نقص المناعة المكتسبة. ولكن هل يستحيل تجنُّب هذا

"حين نكون مرهقات ونرفض مضاجعة أزواجنا، يطلبون منا أن ننام على الأرض" (Smith & Howson 2002:147) (الرسم 1).

وقد أفادت نفس الدراسة أنَّ:

فقط النساء (الكبيرات والأصغر سناً) تحدثن عن العنف الجنسي ووصفنه بأنه مشكلة. أما الرجال، فلم يعتبروه كذلك. وقد ذُكر العنف الجسدي أيضاً، وبصورة خاصَّة العنف المنزلي، وقد اعتبرته النساء إساءة فيما رآه الرجال حقاً. إنَّ شبَّان من زمبابوي قالوا إنَّهم يشعرون أنَّه من الملائم أن يضربوا زوجاتهم إذا وجدوهن نائمات في الحقل، وذلك لأنَّهم يظنُّون أنَّ النساء كسولات. (Smith & Howson 2002: 147)

ولقد بيَّن مسحٌ أجري في الولايات المتحدة أنَّ مثل هذه القصص منتشرة في العالم وأنَّ هناك نساء مررن بتجارب مماثلة في كل أنحاء العالم. إنَّ هذه القصص تعكس التشابه في تجارب النساء مع سلوك الرجال في معظم مجتمعات العالم، وذلك يعود إلى الطريقة التي تفرض هذه المجتمعات على الرجال التزام بـ "معايير ذكورية" معيَّنة.²

شبابياً (youth worker) أنّ هذا التمرين، والنقاش الذي تضمّنه، ساعده على إعادة تقويم علاقته الخاصة وجعله يدرك أنّه في نواح عدّة يطلب من شريكته أكثر ممّا يعطيها.

وفي ورشة العمل نفسها تابحت مجموعة من الطبيبات وعاملات جنس ونساء مصابات بفيروس نقص المناعة المكتسبة وموظفات منظمة غير حكومية في ما يمنحهن اللذة في أثناء المضاجعة وما يفسدها عليهن وذلك بالارتكاز على رسم تخطيطي (outline drawing) لجسد امرأة على الأرض. هؤلاء النساء أنفسهن أخذن يمثلن ويتشاركن في سيناريوهات مختلفة من حيواتهن وحيوات صديقاتهن. وكان بين السيناريوهات التي وردت خلال التمرين واحدٌ يطلب من المشاركات أن يتخيّلن ما يمكن أن تكون ردّة فعل امرأة إذا ما تحرّش مديرها بها جنسيا أثناء العمل. وكان على المشاركة أن تقرّر إذا كان بإمكان المرأة أن تتحمّل ترك وظيفتها أم لا. وسيناريو آخر طلب من المشاركات تأمل وضع امرأة أخرى ينتظر منها أن تبقى في البيت وترعى الأولاد طوال الوقت خارج ساعات عملها. وسيناريو آخر هو عن عاملة جنس يجب عليها أن تفاوض قوَّاداً بحذر كي لا تُضرب إذا ما تبادل له أنّها لم تعطه ما يكفي ممّا كسبت. إنّ ورشة عمل مثل هذه تسهّل على المشاركات الاستماع إلى خبرات غيرهنّ والمقارنة بينها بمحبّة ومن غير إصدار الأحكام وبطريقة عمليّة جداً، وتمكّن الناس من إدراك مدى تشابه خبراتهم، ممّا يؤدّي إلى خفض النزعة إلى إصدار الأحكام على خبرات حياة غيرهم وتفهم أكثر لها والى انفتاح على إمكانيات التغيير.

لقد طوّرت ورشة عمل هذه الأفكار في أماكن أخرى. في غامبيا مثلاً، تعلّم الرجال أهميّة ذروة اللذة ونقطة الجي سبوت (G-spot) بالنسبة للمرأة، وأصبحوا يدركون أن مقارنة الجنس على طريقة

الفيروس؟ من الواضح أنّ تعليم البنات وإمكانية حصولهن على دخل مستقلّ بواسطة حصولهن على هذا التعليم هو الشّيء المهم الذي يستطيع كسر حلقة اتّكالية النساء.³ ومن الواضح أيضاً أنّ العوامل الهامّة الأخرى تشمل تربية جنسية جيّدة للصبيان والبنات، فضلاً عن قوانين تضمن للنساء عدالة في الملكية والإرث والوصاية على الأولاد. ولكن بالنسبة للنساء اللواتي تخطّين سنّ المدرسة، ألا توجد وسيلة تخلصهنّ من حلقة الاتّكالية الاقتصادية والعنف الجسدي والجنسي والنفسي بعد أن يكنّ قد دخّلن فيها؟ في الواقع هناك، لحسن الحظ، بعض البرامج المراعية للمجتمعات المحليّة والتي تمكّنت من كسر هذه الحلقة المفرغة السّلبية.

حين يفهم الناس هذه الصّلات ومدى تأدّي الجميع منها - الرجال، فضلاً عن النساء والأولاد - يستطيعون أن يبدأوا معالجتها. إحدى المبادرات الحديثة كان برنامج قامت به منظمة غير حكومية في أفريقيا الجنوبية درّبت فيه موظّفيها وكان من بينهم رجال يعملون بعيداً عن منازلهم. ولقد أدرك هؤلاء الموظّفون الرجال من خلال البرنامج أنّهم لا يرسلون إلى أسرهم كل شهر إلا جزءاً من راتبهم لأنّهم يتوقّعون أن تسدّ زوجاتهم النقص في المصروف بمضاجعة رجال آخرين خلال غيابهم. عندئذ قرّروا أن يرسلوا في المستقبل كميّة أكبر من المال وأن يروا إذا كان بإمكان منظمّتهم أن تساعد نساءهم وأولادهم على العيش قريباً منهم.⁴ وفي ورشة عمل أخرى عقّدت مؤخراً في أميركا اللاتينية ركّز أحد التمارين على استكشاف معنى كلمة "الحب"، وماذا يتوقع المشاركون/المشاركات من شريكاتهم/شركائهنّ حين يستخدمون/يستخدمن هذه الكلمة، وطلب منهم/منهنّ مقارنة هذه التوقعات مع ما يقدّمونه/تقدّمه (PLAN International et al. 2005).⁵ وخلال التمرين قال أحد المشاركين وهو شاب نزيه كان يعمل ناشطاً

”بسرعة وشكراً سيّدي“ (wham. bang thank you ma’am) يترك المرأة غير مكثفة عاطفياً وجنسياً (Shaw 1998). وتعلّموا أيضاً أن العنف الجسدي خطأ وأنه يترك آثاراً جسدية وعاطفية بعيدة المدى، ليس فقط في النساء وإنما أيضاً في الأولاد والرجال والمجتمع ككل. كذلك أدخل في ورش العمل هذه استخدام الواقي للحماية من العقم. وفي غامبيا (وأوغندا وغيرها) تعلّم مشاركون في فئات اجتماعية منفصلة كيف يعمل الواقي وتدرّبوا على استخدامه مستعينين بمَوْزَة.

4 التعلّم من أجل التغيير

استطاع المشاركون في ورش العمل هذه أن يعودوا إلى بيوتهم مزوّدين بمعرفة جديدة حول عمل أجسادهم وأجساد شركائهم. واستطاعوا أن يكتشفوا طرقاً متنوّعة في تبادل اللذة وطلبها في حياتهم الجنسية واثقين بأن أحدًا لن يتهمهم بعلاقة غرامية محرّمة لأنهم يعرفون هذه الأمور، ولأنّ الجميع يعلم أنّ هذه قضايا يتناولها كلّ المشاركين في ورشة العمل ليتعلّموها معاً. كما أنّهم عرفوا ما يلي: إنّ استخدام الواقي في الجنس ليس ممكناً فحسب وإنما قد يُصبح جزءاً من المداعبة الجنسية؛ وإنّ الجنس من غير وُلوج يمكن أن يثير اللذة التي يثيرها الولوج؛ وإنّ المضاجعة مع علم المرأة أنّه لن يحدث حمل أو لن تصاب - أو تُعدي غيرها - بمرضٍ معدٍ بسبب المضاجعة يمكن المرأة من التمتع بالجنس أكثر من تمتّعها به من قبل. وبالإضافة إلى ذلك تدرك النساء أنّ مضاجعة رجل مستعدّ لمساعدتها في الأعمال والمصاريف المنزلية، ومناقشة القضايا ومشاركة القرارات معها، وتنمية علاقة مبنية على احترام متبادل، لا تزيد من متعة المرأة وحدها وإنما تجعل الحياة أسهل وأسعد للرجل والأسرة بكاملها. ولقد انتشرت أنباء مثل هذه الاكتشافات وغيرها بفضل ورش العمل في بلاد عديدة. وهذا يبيّن أنّه يمكن كسر حلقة العنف، ولقد كُسر فعلاً في تلك المجتمعات.

إنّ مثل هذه التمارين وورش العمل ليست سهلة. فالذين اعتدّوا عليهم كأولاد أو اغتصبوا أو اشتبكوا بعلاقات مؤذية أو باعوا أجسادهم من أجل الجنس كثيراً ما تطفو لديهم من جديد ذكريات وعواطف قوية ومؤلمة. إنّ حتّى أمر بسيط كتشجيع الناس على أن يتذكروا حادثاً جميلاً من عهد طفولتهم، أو أن يقولوا عمّا يبحثون في إنسان يحبونه، قد يثير عواطف عميقة. ولذلك يجب أن يتقن إدارة مثل هذه الورش مشرفون مدربون يدبرونها بحذر وعناية. ويجب التعامل مع تمارين ورش العمل هذه باحترام لأنه على غرار أي دواء قويّ وفعال، قد تكون لها تأثيرات جانبية سيئة.

5 الجنسانية مهمة

ماذا عن النساء المصابات بفيروس نقص المناعة المكتسبة في كل ذلك؟ إنّ للنساء والرجال المصابين بفيروس نقص المناعة المكتسبة ولمغيّري النوع الاجتماعي الحقّ بأن يكونوا سعداء وأن يتمتّعوا بالصحة وبجنس سليم في حياتهم كبقيّة الناس. ولنا كذلك حقّ الإنجاب إذا أردنا ومتى أردنا. إنّنا جميعاً كائنات جنسية بصرف النظر عمّن نكون. ولو لم يمارس أهلنا الجنس لما كان أحد منّا هنا (تقريباً). إنّ جنسانيتنا جزء أساسي من حياتنا، تماماً كتكويننا الجسدي والنفسي. وكما قالت Hanne Risør من جمعية تنظيم الأسرة الدانمركية (DFPA) لمرضاها منذ سنوات في عيادتها للجراحة العامة: إنّنا نسيء جداً إلى أنفسنا إذا نكرنا وجود جنسانيتنا. وبالنسبة للذين لم تتح لهم فرصة أن يتعلّموا أهميّة أن تكون لنا علاقات جنسية جيّدة في حياتنا قبل أن تشخص حالتنا، إنّ مثل ورش العمل هذه يمكن أن تؤمّن لنا أيضاً الفرصة والمهارات لاستعادة أجسادنا من براثن تشخيص فيروس نقص المناعة المكتسبة؛ ويمكن أن تتّيح لنا فرصة تعلّم ماذا يمتّعنا وأن ننمّي علاقة أوثق فيها حب أكثر قائمة على احترام ورضى متبادلين مع الذين نريد مضاجعتهم

المراجع

- McNeil Jr, Donald G. (2004) 'Sorry Guys, Your Housework Lessons Aren't Over', *International Herald Tribune*, September
- Oglethorpe, Judy and Gelman, Nancy (2004) *HIV/AIDS and Conservation: Impacts and Ways to Reduce Them*. Fact sheet for the Conservation Community, Washington DC: Africa Biodiversity Collaborative Group, www.frameweb.org/ev.php?URL_ID=6786&URL_DO=DO_TOPIC (accessed 14 July 2006)
- PLAN International and local partners (2005) 'Paso a Paso', inaugural workshop for Latin America, Quito, Ecuador, May
- Shaw, M. (1998) *Stepping Stones Gambia Adaptation*, Banjul: MRC/ActionAid
- Smith, Ann and Howson, John (2002) 'Safely Through the Night: A Review of Behaviour Change in the Context of HIV/AIDS in Africa', in A. Cornwall and A. Welbourn (eds), *Realizing Rights: Transforming Approaches to Sexual and Reproductive Well-being*, London: Zed Books: 141-53
- Welbourn, Alice (1991) *The Social and Economic Dimensions of Poverty and Ill-Health*, report based on fieldwork in Sierra Leone, Uganda and Ghana and relevant literature, January, London: Department of International Community Health, Liverpool School of Tropical Medicine

عارفين أنهم ربما يدركون من خلال ورش العمل هذه أن احترامهم لنا يعني أن حيواتهم هي أيضاً تكتسب معنى أعمق.

”حميمية مطاردة رجل: يا رجل نظف الحمام.“
الآن، هذه فكرة قيّمة.

ملاحظات

- 1 Gill Gordon with IPPF and Ghana FPA. 1991
- 2 Asociación de هامة قامت بها جمعية Hombres contra la Violencia (AHV) في نيكاراغوا توحى أن عنف الرجال ضد النساء هو استجابة لخوفهم من أن يتهمهم أترابهم بالمثلثة إن لم يكونوا عنيفين، أي إن عنف الذكور ضد النساء هو استجابة لرهاب الناس المنتشر في المجتمع. جمعية AHV تحارب كلاً من رهاب الناس والعنف على أساس النوع الاجتماعي في كل نيكاراغوا وغيرها. أنظر إلى: www.healthcomms.org/learn/learn01.html
- 3 ولكن لا بد من الحذر هنا أيضاً لأن المدارس قد تكون أحياناً كثيرة أماكن خطرة للبنات اللواتي قد يستغلن جنسياً المعلمون، وتلاميذ أكبر سناً، وجنود في ثكنات قريبة، إلخ.
- 4 Susan Amoaten pers.comm. See also Oglethorpe and Gelman (2004)
- 5 “Paso a Paso” هي ورشة عمل افتتاحية في أميركا اللاتينية. *Paso a Paso* تعني خطوة خطوة وهي ترجمة إسبانية لعبارة Stepping Stones. لمزيد من المعلومات مراجعة: www.steppingstonesfeedback.org

أخوات المهبل، رجال يكون، نجوم مسلسلات تلفزيونية وسوشي: قصة مونولوجات المهبل في بلغراد

يلينا دجوردجيفيك *

1 المقدمة

سلافية (Slavic) مختلفة مكن النساء من التفاهم عبر الحدود والمناطق بواسطة لغة أجسادهن العالمية. كما أن كلاً من هذه الاحتفالات عمل على تمكين النساء في المجال العام وقوى التضامن بين نساء من أعراق مختلفة يتكلمن لغات متباينة، وزاد نضال النساء ضد العنف وضوحاً، وأمن دعماً لتجمعات النساء بواسطة ما جُمع من مال. في هذه المقالة أسرد قصّة تقديم V-Day في بلغراد وأستخدم هذا الحدث للتفكير ملياً في ما تعد به حركة V-Day في النضال من أجل تأمين حقوق النساء الجنسية.

2 بلغراد: مدينة المهبل الجديدة

جرى تمثيل مسرحية مونولوجات المهبل في بلغراد للمرة الأولى في 22 نيسان 2006 بعد أن كانت النشاطات في المركز الصربي لمكافحة الإتجار بالبشر قد خططن لها منذ سنوات. تمّ تعيين تاريخ بدء التمثيلية قبل عيد الفصح الشرقي بيوم واحد. لم يكن هذا التوقيت مقصوداً. وكان أثره في بلد تزداد فيه سلطة الكنيسة يوماً بعد يوم لافتاً للإنتباه. فقبل يوم العيد ببضعة أيام فقط كانت المدينة بكاملها تتحدث عن المهبل وذروة لذّة النساء وذلك على أثر شريطين تلفزيونيّين جرى بثّهما قبل أسبوع من بدء المسرحية لكي نعرّف المجتمع الصربي بفكرة مونولوجات المهبل. كلا الشريطين التلفزيونيّين أخذنا من فيلم Abby Epstein الوثائقي *Until the Violence Stops* (إلى أن يكفّ العنف) الذي يصوّر تأثير V-Day في خمسة مجتمعات دولية مختلفة. وفي الشريط الأول تُلَفّظ نساء من أنحاء العالم

إنّ V-Day هي حركة عالمية لإنهاء العنف ضد النساء والبنات. تشجّع هذه الحركة من خلال النشاطات الفنيّة التي تحتفل بجنسانية النساء مثل مونولوجات المهبل¹ على الوعي وجمع المال و"إعادة تنشيط" المنظمات الموجودة التي تعمل على كفّ العنف ضدّ النساء. ولقد انتشرت حركة V-Day في جميع أنحاء العالم. ففي السنة الماضية أقيمت 2300 حفلة في أكثر من 1100 مدينة وقرية وبلدة. ومنذ العام 2000 شهدت منطقة البلقان عدّة احتفالات بهذا اليوم وأقيمت في صوفيا في بلغاريا وفي بوخارست وجاس في رومانيا وفي سكوبي في مقدونيا وليوبليانا في سلوفينيا وسارافيو في البوسنة والهرسك وفي زغرب في كرواتيا. وفي بداية عام 2006 أحضر المركز الصربي لمكافحة الإتجار بالبشر (Serbian Anti-Trafficking Center) الاحتفال V-Day إلى بلغراد للمرة الأولى.

لقد جمعت النشاطات التي أقيمت في مدن البلقان المختلفة احتفالاً بـ V-Day بين الناشطة والفن والذكريات والغناء ومشاهد لأجساد النساء واحتفالات بها. وقدم إحياء V-Day في منطقة يوغسلافيا السابقة التي كانت قد دمّرتها الحروب خلال سنين، صورة عن إمكانية إعادة السلام والتعايش بين مختلف الثقافات والأديان. ولقد رمى هذا الاحتفال إلى تقوية تضامن النساء ودعمهنّ وبعث رسالة سياسية قوية تطالب بإنهاء العنف ضدّ النساء. إنّ تقديم مونولوجات المهبل بلغات

مشاركة تخطت الفارق بين الأجيال وعلاجاً تميّز
بكثير من السلطة والقوة والمزاح.



ناشطات يشتركن في "ورشة عمل المهبل"

4 الوصول إلى مجتمع أوسع

حين ننظم مؤتمرات وورش عمل وغير ذلك من
النشاطات نرى باستمرار الأوجه نفسها. نشعر كأننا
كنّا دائماً على تواصل. وفي الوقت نفسه، إن أردنا
أن نعالج مشكلة العنف ضد النساء، من الضروري
جداً أن نجد وسائل للوصول إلى مجتمعات مختلفة
ونشارك المجتمع على نطاق أوسع. إلا أن ذلك ليس
سهلاً. فكيف نتكلم على العنف ضد النساء في
مجتمع غرق في جرائم الحرب خلال ما يزيد على
عشر سنين واكتسب هذه الطاقة القصوى لتحمل
العنف؟ وكيف نضع العنف ضد النساء على الأجندا
في زمن تحول اقتصادي وحين تُعتبر قضايا أخرى
أهم من حقوق الإنسان، ولا سيّما حقوق النساء؟
وكيف نجد وسائل مبتكرة لجذب اهتمام الناس؟
عرفنا أننا إذا مثلنا وعرضنا مونولوجات المهبل
كناشطات في أماكن ننظم فيها عادة ورش عملنا
ومؤتمراتنا ومسرحياتنا، لن يحضرها عدد كبير
من الناس. لن نستطيع أن نجذب سوى الذين كانوا
"من جماعتنا". ولذا، رحنا نفكر كيف يمكننا
أن نتصل بأخرين، كيف نتصل بالذين "لا يمكن
الاتصال بهم"؟

كافة كلمة "مهبّل" بلغات مختلفة. وفي الشريط
الثاني امرأة في أحد المونولوجات تمثل بلوغها
ذروة اللذة ثلاث مرّات. لقد أحببنا هذا المشهد كثيراً
إذ كان مضحكاً وممكناً (empowering) جداً لأنّه
يعرّف بموضوع مونولوجات المهبل. إنّه عنّا نحن
وعن أجسادنا وعلاقتنا (وعلاقة المجتمع) بها.
ولسوء الحظ رفض بعض محطات التلفزيون تقديم
الشريط الثاني. وبعضهم تردّد في تقديم الشريط
الأوّل أيضاً. وقال لنا مدير إحدى المحطات: "كلمة
مهبّل تتكرّر أكثر من اللزوم"، ولقد "اقترّب عيد
الفصح ولا أظن أن الناس سيسرّون بذلك".

3 المطالبة باستعادة أجسادنا ورغباتنا: "ورشة عمل المهبل"

قبل المسرحية نظم المركز الصربي لمكافحة
الإتجار بالبشر "ورشة عمل المهبل" التي اشترك
فيها أربعون ناشطة ورجل واحد مثلي. جاء
المشتركون من مختلف أنحاء الصرب كالبوسنة
والهرسك وكرواتيا ومقدونيا. وكان قد جرى عرض
مونولوجات المهبل في جميع هذه البلدان. وكانت
"ورشة عمل المهبل" مكاناً تحدّثت فيه الناشطات
عن أمور لا يتحدّثن عنها عادة - تكلمن على
أنفسهنّ. وقالت إحدى الناشطات إنّها في سنواتها
السبعين لم تبلغ ذروة اللذة مرّة واحدة في حياتها.
وقد ذكرنا ذلك بعدد النساء بيننا اللواتي تعلّمن عن
جسدهنّ من خلال العنف بدلاً من اللذة، وشعرنا
أيضاً بأهمية أن ننشر هذه المساحات التي نتكلّم
فيها على أنفسنا ورغباتنا وأجسادنا. لقد أمّنت لنا
هذه المساحة وقتاً للتفكير في ذلك بعيداً عن أعمالنا
اليومية وناشطيتنا وأسرنا، ولنفتكر حاجتنا إلى
تأمل الذات والتعمّق في نظرنا إلى أنفسنا، لأنّ
التغيير الذي نخيّل للعالم لن يحدث إلا بتغيير
أنفسنا. وعلمتنا إحدى المشاركات وهي شامان
(shaman woman) (تداوي المرضى بالسحر)
كيف نشفي الجسد بواسطة الصوت واللمس والدّلك
وكيف نحافظ على ذواتنا الجسدية. لقد كانت

المثلية؛ وكيف تحب الواحدة منهن جسدها. وكانت تلك مبادرة ناجحة.

6 من سلوك المغنيات إلى كونهن حليقات

جديدات لإحداث التغيير

أما الممثلات الأخريات فقد عشن تحولهن الشخصي في أثناء قراءة المونولوجات. كل من هذه المونولوجات تمثل حكاية امرأة عن جسدها. كان جميلاً أن نرى تأثر الممثلات بكل مونولوج. وبعد المسرحية جاء بعضهن إلينا، كل واحدة على حدة، وقلن كم كانت المسرحية مهمة بالنسبة إليهن شخصياً - كم شعرن بالضعف والقوة في آن واحد وهن يمثلن المونولوجات، وأن القصص التي تصفها المونولوجات مألوفة. لقد عرفن هذه القصص من خلال خبرتهن الشخصية ومن خبرة النساء حولهن. عرفت أن لنا حليقات جديدات وأنا أنظر إليهن على المسرح وأسمع قصصهن بعد ذلك عن أهمية المونولوجات بالنسبة لكل منهن.

الآن وقد انتهى كل شيء أبتسم حين أتذكر مكالمات بعض الممثلات الهاتفية ونحن في غمرة الفوضى يطلبن مني أن أوصي لهن على سوشي (sushi): "ألا تردن أن تأكلن شيئاً غير السوشي؟" (فهذه لم يكن ممكناً الحصول عليها إلا من مطعم باهظ الثمن وفي الطرف الآخر من المدينة وكان من المستحيل الوصول إليه بسبب السباق الدولي الذي أطلق يوم المسرحية). فأجبني: "كلا، نريد السوشي فقط ونرجو إحضاره هنا في أقرب وقت ممكن." وفي خضم الفوضى، بينما كنا نتأكد أن كل شيء كان جاهزاً للمسرحية ونعمل على تأمين كاميرا إضافية، والاتصال بشركتين للطيران للسؤال عن حقائب ضائعة تخص إحدى الممثلات (بعد ذلك اضطررنا إلى أن نحضر لها ملابس ومستحضرات تجميل بديلة بسبب تأخر وصول حقائبها)، تأمين بطاريات لمكبرات صوت الممثلات اللواتي سيبدأن تمثيلهن بعد بضع ساعات (كانت قد فرغت

إن حركة V-Day تعمل على ضم نساء شهيرات إليها كي تلفت انتباه المجتمع كله إلى قضايا لن يهتم بها الجمهور لو لم نلجأ إلى ذلك. فكرنا أنه إذا استقطبنا نساء شهيرات يمثلن مونولوجات المهبل، سواء اشتهرن كممثلات أو مغنيات أو سياسيات أو رياضيات أو نساء أعمال، نكون قد أمنا الدعاية. وهذا تماماً ما فعلناه. وساعدتنا في ذلك Beatriz Luengo وهي ممثلة إسبانية تمثل في سلسلة تلفزيونية إسبانية شعبية جداً في بلاد الصرب و Myleene Klass وهي نجمة موسيقى "البوب" في المملكة المتحدة، وعشر ممثلات أخريات مدهشات وشهيرات في بلاد الصرب وواحدة من كرواتيا.



مشاركات يرسمن مهابلهن الشخصية، الفريدة

5 نجومات المسلسلات التلفزيونية في حملة من

أجل حقوق النساء

إن Beatriz Luengo شهيرة عند الفتيات بين الثانية عشرة والسابعة عشرة من العمر. وذكرت إحدى الصحف: "مئات الفتيات حضرن لمشاهدة مونولوجات المهبل، لا بسبب محتواها الاستفزازي وإنما لأن معبودتهن Bea كانت تشارك فيها." أجل، لقد أتين لمشاهدة Beatriz ولكنهن سمعن في الوقت نفسه عن كل ما يلي: المهبل والبظر واللذة وبلوغ ذروة اللذة؛ وسفاح القربى والعنف الجنسي والاغتصاب وختان الإناث والعنف المنزلي؛ والمرأة

7 استخدام مونولوجات المهبل للاعتراف

بناشطية النساء خلال الحرب

إنّ ميزة هامة لمونولوجات المهبل هي أن التمثيلية كانت لجمع المال. وقرّرنا أن تكون المستفيدات من المبلغ الذي يتم جمعه نساء من منظمة قاعدية في ترافنيك (Travnik) في البوسنة والهرسك تدعى KOLO. تأثرت عضوات الجمعية جداً لحصولهن على هذا الدعم. فمع أنّهن كنّ يعملن منذ عشر سنوات، كانت هذه أول هبة رسمية يستلمنها. إنّ KOLO تعمل مع نساء نجون من معسكرات اغتصاب (rape camps) في البوسنة والهرسك، كان المشرفون على بعضها قوى صربية شبه عسكرية. وقد وقعت هذه الاغتصابات خلال الحرب الوحشية بين السكان الصرب والكروات والبوسنيين في أعقاب تفكك يوغسلافيا، والتي امتدّت على نحو ثلاث سنوات بين 1992 و1995.



Anita Matic من كرواتيا وهي تمثّل

إنّ بعض ناشطات KOLO هنّ أنفسهنّ ممّن بقين علي قيد الحياة بعد مخيمات الاغتصاب. وكانت مؤثرة جداً دعوتنا نساء هذه المنظمة للصعود إلى المسرح لتلقّي الهبة أمام جمهور من 700 شخص يمثلون المجتمع الصربي. كان ذلك اعترافاً عاماً بعملهن وبكل ما عانيه هنّ والنساء اللواتي يعملن معهنّ وغيرهنّ من النساء شببهاتهن في

البطاريات التي استخدمنها في التجربة الأخيرة)، في خضمّ ذلك كله بدا لنا أن إحضار السوشي مهمة مستحيلة. ولكن بمجرد أن أصبحت الممثلات على المسرح وبينما كنّ يوصلن الرسالة إلى الجمهور، نسيت كل شيء لأنّ ما قالته هؤلاء النساء، وقوّة انفعالهن، ساعدا على أن ترى كل واحدة منّا نفسها فيما يقال. هذا هو السبب الذي جعل أثر هذه الرسالة قوياً إلى هذا الحد. ولقد شعر كل واحد منّا بأنّ المسرحية تعبّر عنه/عنها وبالتالي استطاع الجميع فهم معانيها. وقالت إحدى الممثلات إنّها في كل حياتها كمثّلة لم تنل مثل هذا القدر من التصفيق: وأجابتها أخرى: "هذا ليس شكسبير، يا عزيزتي، إنه نحن."

لقد بكى بعض الرجال من الجمهور خلال العرض ولم يخلعوا من ذلك، والنساء ضحككن وبكّين. وقالت لي النساء اللواتي كلمتهن بعد العرض إنّهنّ كان حدثاً تمكينياً (empowering). ومعظم الرجال الذين سألتهم لم يستطيعوا أن يحدّدوا تماماً ما حصل. ولكنني أعتقد أن مونولوجات المهبل جعلتهم يفهمون حقيقة نساء كثيرات. ولم يكن ثمة غضب أو موقف دفاعي.



ممثلات يمثلن معاً

كاتبة المسرحية ومؤسسة V-Day. وبعد أن انتهت المسرحية انضمت إلينا Rada على المسرح ودعت كل من عانين العنف في حياتهن أن يقفن. لم تقف إلا القليلات. فقالت Rada: "حسن. ربّما خفتن وظننتن أنكنّ وحدكنّ في ذلك، وهذا أمر أتفهّم تماماً، ولكن لأريكنّ أنكن لستنّ وحدكنّ فأودّ أن أطلب

منكنّ جميعاً أن تقفن إن كنتنّ تعرفن امرأة أو فتاة تعرّضت للعنف في حياتها." حينئذ وقف الجمهور كلّ تقريباً. وتابعت Rada قائلة: "والآن، أودّ أن أسأل ما يلي. من منكنّ ستمنع تعرّض أيّة امرأة أو فتاة أو أي شخص آخر للعنف من اليوم وصاعداً؟ فلتقف وتبقى واقفة." فوقف الجمهور كلّ وكان الناس يضحكون ويبكون. سألتني ممثلة كانت إلى جانبي: "أمن المعقول أن يعرف كل هؤلاء شخصا

تعرّض للعنف؟ لم أكن أعرف ذلك، ولكنني رأيت الآن." ثم تابعت: "أن يعرف المرء هذا، أمر صعب، ولكنني أريد أن أقول لكم إن احتجتم يوماً إلى أن أدمع قضيتكن وأساعد على الوعي كما فعلنا الآن، أرجو أن تتصلوا بي وسألبي الطلب."

9 ما بعد مسرحية مونولوجات المهبل

تبين أن مونولوجات المهبل أداة فعّالة تمكّن المجتمعات من الكلام على جنسانية النساء. وكما ظهر أعلاه جمعت المسرحية في بلغراد بين قضايا عدّة: اللذة وجنسانية النساء وممثّلات وناشطات من أجيال مختلفة وجاءت كثيرات منهنّ من أنحاء يوغسلافيا السابقة متخطّيات الحدود العرقية التي كانت قد أشعلت الحرب. كذلك أشركت المسرحية الرجال في النضال من أجل مجتمع أكثر إنصافاً.

أثناء الحرب في يوغسلافيا سابقاً. وفي الزمن الذي يجابه فيه الصرب ماضيهم الصعب، يشكّل الاعتراف بما خبرت هؤلاء النساء اللواتي بقين على قيد الحياة خلال النزاع واللواتي يعملن لإعادة بناء مجتمعاتهن بعد نهاية النزاع، خطوة هامّة نحو الوفاق.



ممثّلات، ناشطات والجمهور يصفقون بعد انتهاء المسرحية

8 كسر الصمت حول العنف

بعد نهاية المسرحية صعدت إلى المسرح مع ناشطتين أخريين لشكر الناس الذين أتوا لمشاهدة المسرحية وتأييد قضيتنا. كذلك شكرنا الممثّلات والناشطات والناشطين الذين أتوا من مختلف أنحاء ما كان يُسمّى يوغسلافيا سابقاً ليشتركوا في النشاطات التي نظمناها قبل المسرحية. وأظهر وجود جميع هؤلاء الناشطات، بما فيهنّ KOLO من البوسنة والهرسك وممثّلة من كرواتيا، أنّ خطوة صغيرة كهذه كافية لتخطي الحدود العرقية التي أشعلت الحرب في يوغسلافيا سابقاً.

إنّ Rada Boric كانت أوّل من أحضر مونولوجات المهبل إلى كرواتيا ومقدونيا وسراييفو في البوسنة والهرسك عام 2000 وكان معها Eve Ensler

في مجتمعات وبلدات أصغر والمدارس. كما أنه واردٌ أن يتابع المركز عرض المسرحية مقابل تذاكر مدفوعة مع الحرص على أن لا تصبح هذه اللقاءات تجمّعاً للطبقة النخبوية وإنما تبقى حافزاً على التغيير في متناول الجميع. والخطوة التالية لا بد منها تكمن في جعل مونولوجات المهبل تشمل جميع الفئات - أي أن تشجع مشاركة كل الذين يصنفون أنفسهم كنساء، بما فيهنّ النساء المغيّرات للنوع الاجتماعي، كما حصل عند تقديم المسرحية في أماكن أخرى من العالم.



Beatriz Luengo and Myleene Klass

على المسرح بعد نهاية المسرحية



Rada Boric, Jelena Djordjevic, and Sandra Ljubinkovic



Beatriz Luengo مع معجبات بعد نهاية المسرحية

ملاحظات

* أود أن أقرّ بالعمل الخلاق الذي تقوم به Sandra Ljubinkovic وكل فريق المركز الصربي لمكافحة الإتجار بالبشر الذين عملوا معاً من غير كلل لتحقيق هذا النشاط: Sinisa Djuric و Jelena Milic و Marijana Stojcic و Natasa Ljubinkovic و Adam Puskar و Bora Darco و Milica Djuric و Djurkovic. لقد تمّعت بكل لحظة من العمل مع كل منهم على مونولوجات المهبل. ولولا مساعدة Rada Boric و Tamin Larby وعدد من متطوعات المركز الصربي لمكافحة الإتجار بالبشر لما نالت المسرحية هذا النجاح الباهر.

1 مسرحية Eve Ensler وضعتها على أثر مقابلات مع 200 امرأة من أعراق وميول جنسية وأعمار مختلفة تكلمن على مهبلهن.

لأنّ مكان عرض المسرحية كان من أهم مسارح بلغراد، حاولنا أن نجعلها في متناول أكبر عدد ممكن من الناس بأسعار التذاكر المتدنية. لقد ساعدنا تنوع الممثلات، بالإضافة إلى وجود Beatriz Luengo و Myleene Klass على استقطاب مئات الصبايا ليشاهدن المسرحية. وبعد نجاح المسرحية الباهر أدرك المركز الصربي لمكافحة الإتجار بالبشر الحاجة إلى متابعة مثل هذه المبادرة بما أنّها أداة مدهشة لمناقشة جنسانية النساء مع جمهور الصرب. وأطلقت المسرحية نشاطاً هائلاً، فضلاً عن شبكة مدهشة من الحلفاء الجدد الذين سيساعدون المركز الآن في عمله على التغيير الاجتماعي. ويأمل المركز أن يتمكّن من عرض مونولوجات المهبل في السنة المقبلة

نضال عاملات الجنس في بنغلاديش: التعلم من أجل الحركة النسائية

شرين حُق

1 المقدمة

حركة النساء، أي: متى وأين وإلى أي مدى يستطعن الخروج من منازلهن وما هو السبب الذي يجبر القيام بذلك؟ أي أجزاء من أجسادهن يجب تغطيتها وكيف؟ كيف ينبغي لهن أن يتصرفن حين يكن في حضرة "غرباء" يتدرجون من الصّهر إلى عامّة الناس؟ متى يمكنهن إقامة علاقات جنسية ومع من؟ وهل باستطاعتهن أن يصررنّ على أن يشعرنّ باللذة الجنسية أم لا؟ متى وكم يستطعن الشكوى من المرض؟ وإن كان من حقهن السعي إلى عناية صحية وأين ومتى وممن؟ إلخ. هذه التساؤلات جميعاً تركز على أجساد النساء بطريقة أو بأخرى.

إنّ أجندا منظّمة Naripokkho انبثقت عن الشهادات الكثيرة حول معنى هذه القيود ليس فقط من حيث صحّة النساء الجسدية وإنما أيضاً من حيث إحساسهنّ بقيمتهنّ الذاتية وحرّيتهنّ الشخصية وسعادتتهنّ، وهي تطرح الأسئلة حول كلّ الممارسات في المجتمع والثقافة التي تفرض مثل هذه القيود والقوانين وتقاومها بكل الوسائل الممكنة. إنها تسأل: ما هو أثر هذه القيود على حقوق النساء وحرّيتهنّ؟ وكيف استطاعت أجندا المطالبة بحقوق الإنسان أن تهمل قضايا الحرّية الجنسية، كما تميل أن تفعل؟

إنّ العادات الإجتماعية المحافظة حولنا صعبت إلى حدّ بعيد إدراج قضايا الحرّية الجنسية على أجندا المطالبة بحقوق الإنسان. ولقد زاد من صعوبة هذه المهمّة الواقع أنّ الخطابات السياسيّة التقدّمية هي أيضاً عكست موقفاً محافظاً شبيهاً

يشكّل قبول مجموعات عاملات الجنس في الشبكات الوطنية للمنظّمات النسائية حدثاً هاماً في تاريخ الحركة النسائية في بنغلاديش. تبحث هذه المقالة في الدّروس التي تعلّمتها منظّمات بنغلاديش النسائية من خلال انخراطها في حملة لدعم عاملات الجنس، ودعم نضالهنّ للدفاع عن أنفسهنّ ضدّ تهديدات بيوت الدعارة بطردهنّ طرداً غير قانوني. وترى المقالة أنّ هذا النّضال أعطى المناقشات حول الجنسية والحقوق الجنسية التي كانت تدور داخل الحركة النسائية معنى جديداً وأكثر علانيّة. كما تركز المقالة على تجارب منظّمة Naripokkho النسائية المنتشرة في أنحاء البلد كافّة، والدروس التي تعلّمتها هذه المنظّمة بدخولها في النّضال من أجل حقوق عاملات الجنس في بنغلاديش.

2 وضع الحرّية الجنسية على جدول الأعمال

إنّ مشاركة منظّمة Naripokkho في نقاشات حول الجنسية تعود إلى اطلاعها على الخبرات اليومية للنساء خلال المراحل الأولى لوضع برنامج عملها. وبيّنت هذه القصص كيف أن تجربة المرأة تسمّها الحقيقة المرّة أن أجساد النساء هي حكماً السبب الرئيس وراء معظم ما يعانينه من سوء معاملة وإنكار وحرمان على أيدي أسرهنّ والغرباء والمؤسّسات والسياسات على السواء. إنّ معايير اجتماعية وثقافية تملي ما على النساء أن يفعلنه أو لا يفعلنه بأجسادهن. ووصفت هذه القصص القوانين الإجتماعية الكثيرة التي تقيد

نهر داخلي، وفيها أكبر مجموعة من بيوت الدعارة في بنغلاديش. عام 1991، في ذروة تهديدات الطرد من قبل الذين عيّنوا أنفسهم حراس نارينغانج، أصدرت النساء في بيت دعارة Tanbazaar تصريحاً للصحف يتوسّلن فيه المساعدة. كان نصّ التصريح كما يلي: ”إننا نساء نعمل لكي نعيش، كما أننا مواطنات في هذا البلد. ومن حقنا كنساء وعاملات ومواطنات أن نُحترم حقوقنا وتؤمّن لها الحماية كحقوق أي مواطن آخر.“ لقد أوجد هذا النص أساس تضامن جديد بين فئات رئيسة من الحركة النسائية ونضال عاملات الجنس.

بدأت علاقة منظمة Naripokkho بعاملات الجنس حين طُرِدَت نزيلات بيت الدعارة Kandupatti في دكا عام 1997. وأدّى ذلك إلى تأسيس Ulka وهو أول تنظيم لعاملات الجنس في بنغلاديش. عام 1999 طُرِدَت الحكومة العاملات بالقوّة من بيوت الدّعارة في نارينغانج. ذات يوم عند الفجر، من غير إنذار أو إعلان، هبط رجال الشرطة من شاحنات عدّة على حوالى 2000 امرأة يعملن في تلك البيوت ويعشن فيها مع أولادهن. واقتيدت كثرات عنوة إلى ”منازل للمتسكعين“ تديرها الدولة وسجنَ فيها. إلا أنّ الغالبية تمكّن من الفرار.

حين سمع أعضاء Ulka أخبار الطرد من Tanbazaar أسرعَت عضواتها إلى مكتب Naripokkho الذي تحوّل فوراً إلى ملجأ مرتجل نامت فيه أكثر من 40 امرأة، فيما نامت أخريات في بيوتنا. كنّا في صميم احتياج عام. وقد حصل تجاوب غير مسبوق مع ندائنا للتحرك. إنّ حوالى 84 منظمة لحقوق المرأة والإنسان ومنظمات تنمية غير حكومية تمثّل نطاقاً واسعاً من الآراء حول التغيير الاجتماعي اجتمعت كلّها لتشكّل Shonghoti (تضامن) وهو حلف لدعم حقوق عاملات الجنس. وخلال الأسابيع الخمسة التالية أصبح النشاط يومياً ويمتدّ على مدار الساعة. كنّا

فيما يتعلّق بالجنسانية، وفرضت معنى للاحتشام لا يتماشى أبداً ومواقفها السياسية الراديكالية. ولقد قوبلت بعداوة محاولتنا إعادة تحديد أجندا المطالبة بحقوق الإنسان حتّى تشمل الحرّية الجنسية. نبذونا لأنهم اعتبروا أننا بالغنا حين قرّرنا أن تشمل المطالبة بالحقوق الجنسية الحق بالحب واللذة أيضاً ومن ثمّ أضفنا إليهما المطالبة بالحرّية الجنسية. فمن منظور أصحاب الموقف المذكورين أعلاه، كان يجب أن نتوقّف عند المطالبة بالأجور وحقّ الانتخاب، وأننا قد تجاوزنا حدود الخطاب ”الشرعي“ عن الحقوق.

تابعنا نقاشنا، ولكن داخل غرف اجتماعاتنا. دار بحثنا الأول حول حب النساء للنساء (narir protir narir preeti) وقد قوبل ”بتعاطف“ مدهش. في عام 1994 جرّبنا الانتقال إلى العلن حين اقترحنا أن تتبنّى لجنة يوم المرأة العالمي شعارنا ”جسدي، خيارى“ (Shorir amaar shidhanto amaar) موضوعاً لاحتفال تلك السنة. وكان تبنيّ الشعار يعني أن يُردّد في ما يتعدّى اثني عشر مكاناً في البلاد حيث نظّمت عضوات اللجنة حفلات. وبالتالي أرسلت بيانات إلى كل الصحف الرئيسية ووُزِعَ أكثر من 30000 رُيقة عن الحدث. جاء ردّ الفعل المعادي حالاً. أرادوا أن يعرفوا ماذا كنّا نقصد بـ ”جسدي خيارى“. هل كنّا نعني حرّية جنسية؟ هل كنّا نسعى إلى إباحة علاقات جنسية غير شرعية؟ بالإضافة إلى ذلك، تراجعت بعض أخواتنا في لجنة يوم المرأة العالمي عن دعمهنّ لنا وأثار الشعار خلافاً حاداً.

3 إقامة تحالفات، أصبحنا أقارب (attiyoy)

إنّ مساهمة عاملات الجنس في التبعيّة ضدّ الطرد ساعدت على حل هذه القضايا الجنسانية المعقّدة. إنّ مدينة نارينغانج (Narayanganj) التي تقع على مسافة 11 ميلاً (17.7 كم) خارج العاصمة دكا، هي مدينة تجارية كانت قد امتدّت حول مرفأ

عدم الاعتراض على ذلك. كان هذا هو موقفنا المشترك. إنَّ منظمات كثيرة من التي ساندتنا لم تعرف شيئاً عن المناقشات الحادة حول الاستغلال الجنسي وعمل الجنس التي شغلت فئات من الحركة النسائية. أما سؤال "هل عمل الجنس عمل بكل معنى الكلمة؟" فبما أنَّه من المتوقع أن يثير خلافات، اخترنا تجنبه في حينه. فوجود تلك المنظمات معنا منحنا قوة نفوذ وحماية كُنَّا في أشد الحاجة إليهما ولم يكن من صالحنا أن نفقدهما. لذا اخترنا أن نتكلم على حقوق النساء اللواتي يتاجرن بالجنس وأظهرنا ما جذبنا بالدرجة الأولى إلى التماثل مع عاملات الجنس.

لقد لفتت تغطية الإعلام الواسعة نظر الناس إلى واقع عاملات الجنس ومطالبنهن. إنَّ طرح هذا الموضوع على الملأ من خلال الإعلام، وهو موضوع مستهجن عادة من الناحية الأخلاقية، حرَّك المخاوف مما يمكن أن يصيب النسيج الاجتماعي من جرَّاء عدم الانضباط في مجال عمل جنس. كان من الأفضل للمجتمع أن تُحجَّن هؤلاء النساء في بيوت الدعارة. أما الآن فهنَّ في كل مكان. وكان التَّحول في مصطلحات الإعلام هاماً إذ حلت "jouna kormi" (عاملة جنس) محل "potita" (مومس، أي "الساقطة"). وهذا التَّغيير في المصطلحات دلَّ في الواقع على أنَّنا غيَّرنا حدود النَّقاش إذ لم يعد يُنظر إلى النساء العاملات في الدعارة على أنَّهن موضع شفقة أو مذمة أخلاقية. وبإعادة تسمية الدعارة كعمل جنس أصبح ممكناً التَّعامل معهنَّ كعاملات يقبلهنَّ المجتمع كصاحبات حقوق.

5 إعادة تحديد عمل الجنس

في بنغلادش، ينظر الناس إلى عمل الجنس بطريقة يشوبها بعض التَّناقض. من جهة، ينظرون إليه أنَّه يأتي بالدرجة الأولى نتيجة للفقر، مما يفسِّر ردة الفعل الرائجة بين العاملين في الجمعيات الخيرية، أي أنه يجب إنقاذ أولئك النساء وإعادة تأهيلهن من

ننظِّم معاً ونعبئ الرأي العام ونواجه صحافيين ونحتج في الشوارع ونتظاهر أمام مكاتب حكومية مختلفة - بما فيها مكتب مفتش عام الشرطة - وقابلنا موظفي الأمم المتحدة وسلَّمنا المفوض الأعلى رسالة رسمية تتعلَّق بحقوق الإنسان. وكان يتخلَّل هذه التحركات جلسات كُنَّا نخصِّصها لحسو الشاي، وسماع قصص كثيرة لم تُنشر عن نضالات شخصيَّة، وتبادل النكت. أصبحنا أقرباء وتطوَّرت تحالفاتنا السياسية حتَّى القرابة. لم تعمق معرفتنا بواقع عاملات الجنس فحسب، بل اتَّضحت أيضاً الصِّلات بين مختلف حقائِك النساء في عمل الجنس وخارجه. إلَّا أنَّه ذات يوم أنذرتنا صاحبة مكتب Naripokkho بتخلُّيته. وأكَّدت بعض أخواتنا الجديدات لنا أنَّهن بمجرد عودتهن إلى العمل سيجمعن ما يكفي من مال لشراء مكتبنا الخاص!

4 العلنية

كان تجاوب الإعلام مع هذا التحرك تجاوباً غير مسبوق. بقيت القصَّة تحتل الصفحة الأولى من أهم الصحف خلال شهر تقريباً. وأخيراً أُتيحت لنا فرصة إعلان جدول أعمالنا عن الحرِّية الجنسية! إنَّ الجنسانية والإنجاب والصحة والعنف، هذه كلها قضايا تركز على أجساد النساء. وهي قضايا مشتركة بيننا وبين النساء اللواتي يتاجرن بالجنس. ولكن كان علينا أن نحسِّن استراتيجيتنا المتعلِّقة بطريقة تقديمنا إلى الإعلام والناس قضيَّة تضامنا مع عاملات الجنس، إذ أن صحافيون وعضوات في الحركة النسائية أطلقوا في وجهنا السؤال التالي: "هل تدعمن الدعارة؟" هذا يدلُّ أنَّهم لم يفهموا أنَّ الغضب كان القاسم المشترك بين المنظمات المختلفة التي تبنت حملة التضامن مع عاملات الجنس، وليس مواقف نظريَّة من عمل الجنس والدَّعارة. برأينا لقد تصرَّفت الحكومة بشكل اعتباطيٍّ وغير إنساني تاركة مئات النساء والأولاد في وضع غير مأمون. وقد استحال علينا

إنَّ إحدى الفئات التي برزت خلال هذه الحملة كانت فئة الهجراس (hijras) (أي إنسان ازدواجي الجنس) التي تكسب عيشها من العمل في الجنس. لقد ألزمتنا ظهور هذه الفئة بعلاقة جديدة وأضاف بُعداً كاملاً آخر إلى حملتنا من أجل الحقوق الجنسية. كما أنَّه تحدَّى تبني أفكار الجنس/النوع الاجتماعي السائدة وتعاملنا معها كفئات ثابتة، ودفعنا إلى إعادة تحديد فكرتنا عما يجعل الأنثى امرأة (what makes a woman). حين قدَّمت فئات ”ازدواجيو الجنس“ طلب الانتماء إلى الشبَّكة الوطنية للمنظمات النسائية، أخذنا نُعيد النَظر في إطار التكوين البيولوجي مقابل البنائية الاجتماعية الذي كان قد كوَّن تفكيرنا في النوع الاجتماعي والتغيير الاجتماعي حتى اليوم.

6 تأملات

في أثناء حسونا فناجين الشاي الكثيرة مع عاملات الجنس اللواتي كنَّ في ضيافتنا في مكتب Naripokkho قارنًا نحن بين حياتنا وحياتهنَّ، وقمن هنَّ بمقارنة حياتهنَّ وحياتنا. سمعناهنَّ يطرحن أسئلة ويرددن تمنيات ومعلومات كالتالية:

”نتمنَّى أن نستطيع إرسال أولادنا إلى مدارس جيِّدة كما تفعلن.“
 ”هل تتمتَّعن بالعلاقات الجنسية مع زبائنكن؟“
 ”هل تتمتَّعن بعلاقاتكن الجنسية مع أزواجكن؟ كم مرَّة تمارسن الجنس؟“
 ”ربَّما مرَّة في الأسبوع، ربما مرَّة في الشهر، أو مرَّة في عدة أشهر.“

ما تعلَّمناه من مثل هذه الأحاديث ومن علاقتنا بهؤلاء النساء هو أن حيواتنا ليست بالضرورة أفضل من حيوات عاملات الجنس، وأنَّهن لا يختلفن عنَّا كثيراً. مع أنَّنا قد نختلف في طريقة

خلال الزواج وأعمال محترمة. من ناحية أخرى، يُعتبر عمل الجنس وسيلة لحماية النساء الفاضلات من التحرش والتعدييات الجنسية لأن هذا الجيش من النساء ”السَّيَّات“ يؤمِّن تلبية رغبات الرجال الجنسية ”الطبيعيَّة“، فيُنظر إلى عاملات الجنس أنَّهن يَقمن بوظيفة ”صمَّام أمان“ في المجتمع. وفي الوقت نفسه، هناك تناقض في الموقف الذي يتَّخذه نظامنا القضائي من العمل في مجال الجنس، حيث يُعتبر الاغواء وعمل القوَّاد جرم فيما يُعتبر عمل نساء بالغات في مجال الجنس داخل بيوت الدَّعارة عملاً شرعياً. وهذا التناقض ولَّد ثغرة مكَّنت من رفع دعوى قضائيَّة ناجحة ضدَّ الطرد كانت نتيجتها صدور حكم هامَّ جدًّا اعتبر قرار الطرد الذي صدر عام 1999 غير شرعيٍّ، مما شكَّل اعترافاً ضمنيّاً بأنَّ عمل الجنس في بيوت الدَّعارة هو عمل شرعيٍّ.

إنَّ نجاح حركتنا من أجل حقوق عاملات الجنس يبعث على الدهشة حين ننظر إليه في سياق النَظرة الأخلاقية السائدة إلى عمل الجنس وإلى قضِيَّة الإنسانية بحدِّ ذاتها. فحتَّى في الخطاب السياسي والاجتماعي ”التقدمي“، تُحشر النساء داخل أطر تقليديَّة معيَّنة يُنتظر أن يناضلن ضمنها لأجل حقوقهنَّ. إنَّ النضال من أجل حقوق عاملات الجنس يمكن من قلب هذه المعايير والعادات القائمة وإعادة تعيين حدود ناشطة النساء من منطلق حقوق العمل. وبالفعل، لم تعبئ حملة تأييد عاملات الجنس في بنغلاديش في التسعينات فقط جمهوراً نسائياً جديداً بكامله ساند حركتنا، وإنَّما تحدَّث أيضاً أفكارنا نحن وآراءنا ومواقفنا. ولقد عارضت حملتنا هذه وصفات ”إعادة التأهيل“ السائدة وقدَّمت بدلاً منها جدول أعمال للتوصُّل إلى ”قبول اجتماعي“ يتضمَّن الاعتراف بالعمل في مجال الجنس كعمل شرعي وقبول عاملات الجنس بيننا - في حركاتنا وفي أماكن عملنا وفي منازلنا.

حياتنا إلا أننا نعيش جميعاً داخل إطار قوانين إجتماعية تنظم جنسانيتنا وحركاتنا. سواء كنّا عاملات جنس أو زوجات أو ناشطات أو جميع هؤلاء معاً، فإن أجساد النساء مواقع نضال حول الجنسانية والإنجاب والصحة والعنف. والواقع أنّ عاملات الجنس والهجراس يؤدّين الآن دوراً فعالاً في Naripokkho. ولقد انتُخبت عضوات من منظّمة عاملات الجنس Ulka لمراكز قياديّة في شبكة المنظّمات النسائيّة Naripokkho. وانضمت المنظّمة المكوّنة من الهجراس، واسمها Bondhon، رسمياً إلى شبكة المنظّمات النسائيّة خلال عام 2003. ونحن معاً نتابع نضالنا من أجل الحرّية الجنسيّة، متى وحيث يكون ذلك ممكناً.

قائمة المصطلحات

Same sex desiring people	الأشخاص الذين يرغبون بأشخاص من جنسهم
Maternalism	الأمومية
Induced abortion	الإجهاض المستحث
Exhibitionism	الإفتضاحية/ النزعة إلى إظهار العورة
Eroticism	إثارة الشهوة الجنسية أو شهوانية
Gender transgression	إحساس، تصرف يخالف النوع الاجتماعي المألوف
Gender identity disorder	اختلال هوية النوع الاجتماعي
Community gatekeepers	أصحاب النفوذ المعنوي في المجتمع
Queer	أحرار الجنس
Hermaphrodite (or Intersex)	ازدواجي الجنس
Masturbation	استمناء
Phantasm	استيهام
Heteronormativity	اعتبار الجنسانية المغايرة معياراً
Gender normativity	اعتبار النوع الاجتماعي السائد في مجتمع معين معياراً
Genitalia	أعضاء التناسل الظاهرة
Gender equity	إنصاف النوع الاجتماعي
In-between genders	أنواع إجتماعية خارجة عن ثنائية النوع الاجتماعي
	السائدة في مجتمع معين
Gender socialization	التنشئة الاجتماعية للنوع الاجتماعي المألوف
Oral sex	الجنس عن طريق الفم
Sexuality	الجنسانية
Homosexuality	الجنسانية المثلية
Gender conforming sexuality	الجنسانية المطابقة لمعايير النوع الاجتماعي السائدة في مجتمع معين
Heterosexuality	الجنسانية المغايرة
Intimacy	الحميمية
Heteronormative masculinity	الذكورة التي تعتبر الجنسانية المغايرة معياراً
Feminine men	الرجال الأنثويون
Transvestite	الرجال الذين يتنكرون بأزياء نسائية
MSM (Men Who Have Sex With Men)	الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين
Macho	الرجل الذي يغالي بذكورته

Feminized men	الرجال المؤنثون
Same sex desire	الرغبة المثلية
Sensuality/ Sensuousness	الشبقية الشهوانية
Labia minora	الشفر الأصغر
Chauvinism	الشوفينية
Sex toys	العب للاثارة الجنسية
Patriarchal dividend	الميزات المشتركة بين كل الرجال في النظام الأبوي
Sexual hierarchy	الهرمية الجنسية التراتبية
Sexual identity	الهوية الجنسية
Sexual orientation	الميول الجنسية
Dressing across the (gender) binary	اللباس عبر ثنائية النوع الاجتماعي
Lube / lubricant	المزلق
Essentialism	النظرة الإختزالية والمحدودة للآخر
Clitoris	بظر
G-Spot	بقعة في المهبل يُعتقد أنها تؤدي إلى بلوغ المرأة ذروة لذة الجماع عند إثارتها
Intersectionality	تقاطع / تشابك عوامل التمييز
Gender categorizing	تصنيف على أساس النوع الاجتماعي
Reproductive	تناسلي، إنجابي
Bi-gender	ثنائي النوع الاجتماعي
Gender binaries	ثنائية النوع الاجتماعي أي أن يكون المرء إما ذكراً أو أنثى
Sex	جنس
Anal sex	جنس شرجي
Maternal Sensibility	حس الأمومة
Female genital mutilation	ختان الإناث
Deviancy discourses	خطابات مخالفة للخطابات السائدة عن السلوك الجنسي المألوف
Privacy	خصوصية
Androgynous	الأشخاص الذين لا يمكن تصنيفهم حسب النوع الاجتماعي ولا يجب الخلط بينهم وبين الأشخاص الإزدواجي الجنس ذروة لذة الجماع
Orgasm	رُهاب
Phobia	رهاب المثلية
Homophobia	الشريك الجنسي
Sexual partner	عدم ارتياح الشخص للنوع الاجتماعي المنسوب إليه
Gender dysphoria	فضْ بكَارة
Defloration	قذف
Ejaculation	

Sodomy	لواط
Gay	مثلي
Homosexual	مثلي
Lesbian	مثلية
LGBT (Lesbians, Gays, Bisexuals, and Transgender)	م.م.م.م. (مثليات ومثليين ومزدوجي الميول الجنسية ومغيري النوع الاجتماعي)
Erogenous / Erotic	مثير للشهوة الجنسية
Gender non-conformity	مخالفة معايير النوع الاجتماعي السائدة في مجتمع معين
Sexual non-conformity	مخالفة للمعايير الاجتماعية السائدة بالنسبة للسلوك الجنسي في مجتمع معين
Sexual dissident	مخالف جنسياً
Phallocentric	مركز/ة على العضو الذكري
Bisexual	مزدوج الميول الجنسية
Gender approach	مقاربة النوع الاجتماعي
Heteronormative gender constructions	مفاهيم النوع الاجتماعي التي تعتبر الجنسانية المغايرة معياراً
Gender equality	مساواة النوع الاجتماعي
Heterosexual	مغاير الجنس
Transgender	مغير النوع الاجتماعي
Transsexual	مغير الجنس
Passive in sex	من يلعب دور المتلقي في العلاقات الجنسية
Constructivist view	نظرة تركيبية
Dichotomous gender identity	هوية النوع الاجتماعي القائمة على ثنائية محددة: إما ذكراً أو أنثى
Gender awareness	وعي النوع الاجتماعي
Heterosexist	يميز ضد المثليين/ات لصالح مغايري الجنس

Glossary

Anal sex	جنس شرجي
Androgynous	الأشخاص الذين لا يمكن تصنيفهم حسب النوع الاجتماعي ولا يجب الخلط بينهم وبين الأشخاص الإزدواجي الجنس
Bi-gender	ثنائي النوع الاجتماعي
Bisexual	مزدوج الميول الجنسية
Chauvinism	الشوفينية
Clitoris	بظر
Community gatekeepers	أصحاب النفوذ المعنوي في المجتمع
Constructivist view	نظرة تركيبية
Defloration	فحص بكرة
Deviancy discourses	خطابات مخالفة للخطابات السائدة عن السلوك الجنسي المألوف
Dichotomous gender identity	هوية النوع الاجتماعي القائمة على ثنائية محددة: إما ذكراً أو أنثى
Dressing across the (gender) binary	اللباس عبر ثنائية النوع الاجتماعي
Ejaculation	قذف
Erogenous / Erotic	مثير للشهوة الجنسية
Eroticism	إثارة الشهوة الجنسية أو شهوانية
Essentialism	النظرة الإختزالية والمحدودة للآخر
Exhibitionism	الإفتضاحية/ النزعة إلى إظهار العورة
Female genital mutilation	ختان الإناث
Feminine men	الرجال الأنثويون
Feminized men	الرجال المؤنثون
Gay	مثلي
G-Spot	بقعة في المهبل يُعتقد أنها تؤدي إلى بلوغ المرأة ذروة لذة الجماع عند إثارتها
Gender approach	مقاربة النوع الاجتماعي
Gender awareness	وعي النوع الاجتماعي
Gender binaries	ثنائية النوع الاجتماعي أي أن يكون المرء إما ذكراً أو أنثى
Gender categorizing	تصنيف على أساس النوع الاجتماعي
Gender conforming sexuality	الجنسانية المطابقة لمعايير النوع الاجتماعي السائدة في مجتمع معين

Gender dysphoria	عدم ارتياح الشخص للنوع الاجتماعي المنسوب اليه
Gender equality	مساواة النوع الاجتماعي
Gender equity	إنصاف النوع الاجتماعي
Gender identity disorder	اختلال هوية النوع الاجتماعي
Gender non-conformity	مخالفة معايير النوع الاجتماعي السائدة في مجتمع معين
Gender normativity	اعتبار النوع الاجتماعي السائد في مجتمع معين معياراً
Gender socialization	التنشئة الاجتماعية للنوع الاجتماعي المألوف
Gender transgression	إحساس، تصرف يخالف النوع الاجتماعي المألوف
Genitalia	أعضاء التناسل الظاهرة
hermaphrodite (or intersex)	إزدواجي الجنس
Heteronormative gender constructions	الذكورة التي تعتبر الجنسانية المغايرة معياراً
Heteronormative masculinity	إعتبار الجنسانية المغايرة معياراً
Heteronormativity	مفاهيم النوع الاجتماعي التي تعتبر الجنسانية المغايرة معياراً
Heterosexist	يُميّز ضد المثليين/ات لصالح مغايري الجنس
Heterosexual	مغاير الجنس
Heterosexuality	الجنسانية المغايرة
Homophobia	رهاب المثلية
Homosexual	مثلي
Homosexuality	الجنسانية المثلية
In-between genders	أنواع إجتماعية خارجة عن ثنائية النوع الاجتماعي السائدة في مجتمع معين
Induced abortion	الإجهاض المستحث
Intersectionality	تقاطع / تشابك عوامل التمييز
Intimacy	الحميمية
Labia minora	الشفر الأصغر
Lesbian	مثلية
LGBT (Lesbians, Gays, Bisexuals, and Transgender)	م.م.م.م. (مثليات ومثليين ومزدوجي الميول الجنسية ومغيري النوع الاجتماعي)
Lube / lubricant	المزلق
Macho	الرجل الذي يغالي بذكورته
Masturbation	استمناء
Maternal Sensibility	حس الأمومة
Maternalism	الأمومية
MSM (Men Who Have Sex With Men)	الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين
Oral sex	الجنس عن طريق الفم

Orgasm	ذروة لذة الجماع
Passive in sex	من يلعب دور المتلقي في العلاقات الجنسية
Patriarchal dividend	الميزات المشتركة بين كل الرجال في النظام الأبوي
Phallocentric	مركز/ة على العضو الذكري
Phantasm	استيهام
Phobia	رهاب
Privacy	خصوصية
Queer	أحرار الجنس
Reproductive	تناسلي، إنجابي
Same sex desire	الأشخاص الذين يرغبون بأشخاص من جنسهم
Same sex desiring people	الرغبة المثلية
Sensuality/ Sensuousness	الشبقية الشهوانية
Sex	جنس
Sex toys	العاب للاثارة الجنسية
Sexual dissident	مخالف جنسياً
Sexual hierarchy	الهرمية الجنسية التراتبية
Sexual identity	الهوية الجنسية
Sexual non-conformity	مخالفة للمعايير الاجتماعية السائدة بالنسبة للسلوك الجنسي في مجتمع معين
Sexual orientation	الميول الجنسية
Sexual partner	الشريك الجنسي
Sexuality	الجنسانية
Sodomy	لواط
Transgender	مغير النوع الاجتماعي
Transsexual	مغير الجنس
Transvestite	الرجال الذين يتنكرون بأزياء نسائية



INSTITUTE FOR
WOMEN'S STUDIES
IN THE ARAB WORLD

معهد الدراسات النسائية في العالم العربي - الجامعة اللبنانية الأميركية

تم تأسيس معهد الدراسات النسائية في العالم العربي - الجامعة اللبنانية الأميركية (LAU) في بيروت عام 1973. تقرر تأسيس المعهد تخليداً لذكرى كلية البنات الأولى في الشرق الأوسط (AJCW) American Junior College for Women والتي كانت قد تأسست عام 1924. ثم أصبحت Beirut College for Women (BCW) عام 1950 وتحولت إلى كلية مختلطة عرفت بBeirut University College (BUC) عام 1974، قبل أن يتم تحويلها إلى جامعة مختلطة عام 1994. يدير المعهد حالياً د. ديماء دبوس - سنسنگ.

منذ تأسيس المعهد كان هدفه القيام بالمشاريع والنشاطات الأكاديمية التالية:

- القيام بأبحاث أكاديمية حول المرأة في العالم العربي؛
- تطوير ودمج الدراسات النسائية في البرنامج التدريسي في الجامعة اللبنانية الأميركية؛
- التحفيز على تغيير السياسات الخاصة بالنساء في العالم العربي؛
- تمكين المرأة العربية من خلال برامج تنموية؛
- تسهيل عملية التشبيك والتواصل فيما بين الأشخاص والمجموعات والمؤسسات الذين يعنون بشؤون المرأة في العالم العربي.

لمزيد من المعلومات الإتصال بالمعهد على الأرقام التالية:

+961-1-786456/786464 +961-3-791314 Extension: 1259

أو على البريد الإلكتروني: iwsaw@lau.edu.lb

كما يمكن تحميل النشرة من على موقع المعهد:

<http://www.lau.edu.lb/centers-institutes/iwsaw/books.html>

Health Key Issues Guide

Time to think positive about sexual and reproductive health and rights

This Health Key Issues Guide reviews current policy issues and explores cutting-edge debates relating to **sexual and reproductive health and rights** (SRHR).

Issues covered by the guide include:

- What is meant by sexual and reproductive health and rights?
- Why SRHR is crucial for meeting international development targets
- Obstacles to realising SRHR
- Talking about pleasure in relation to SRHR
- A more positive approach: linking sexuality, health and human rights

Health Key Issues Guide: Sexual and Reproductive Health and Rights can be found at

www.eldis.org/health/srhr/

This health key issues guide is available in French, Spanish, Portuguese and Chinese translations.

For more information, contact the IDS Health & Development Information Team at hdi@ids.ac.uk

Produced in partnership with:



BRIDGE
BROOKING INSTITUTIONS

realising
rights



Health & Development
Information Team